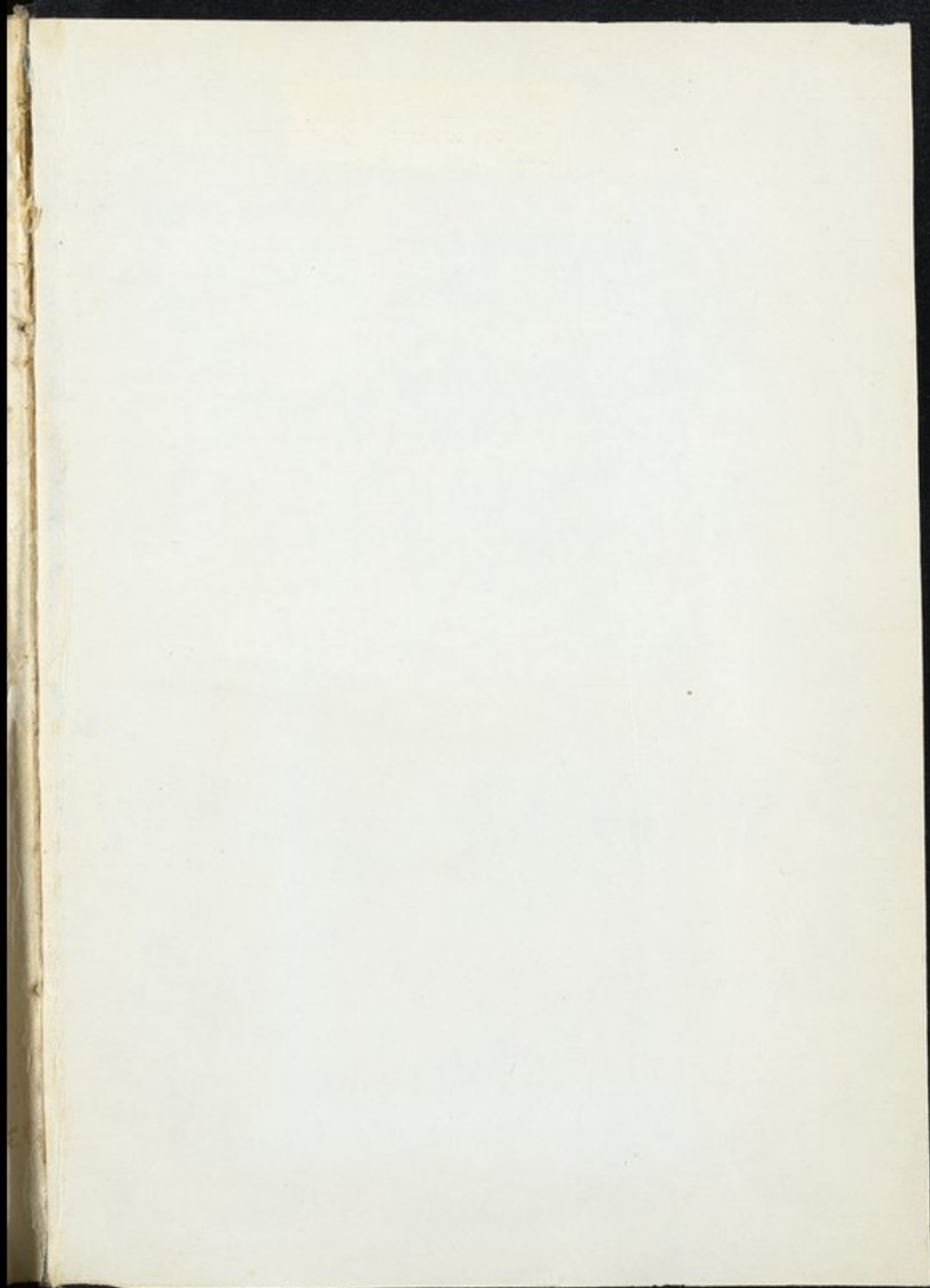


PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY



32101 015067083



UAR. 1398.

Muhammad ibn al-Hasan, al-Tūsī

Tafsīr al-Tibyān.

(vol. 2).

التبَيَانُ

في تفسير القرآن

al-Tibyān

تأليف

شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس سره

٣٨٥ — ٤٦٠ هـ

صححه ورتبه وعلق حواشيه

احمد سوني الامين و احمد صيب فصر

المجلد الثاني

مكتبة الامين — النجف الاشرف

المطبعة العلمية في النجف الاشرف

١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م

2273
8237

v.2

« سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَا لَكُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا
عَاسِيَهَا ، قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
(١٤٢) - آية واحدة بلا خلاف .

أخبر الله (تعالى) نبيه عليه السلام أنه سيقول لك فيما بعد السفهاء ، وهو جمع
سفيه ، وهو والجاهل والغي نفاً .

« ما ولا هم » معناه ، أي شيء ولا هم . ومعنى ولا هم صرفهم عنه ، ومثله : قذبه
عنه وفنله . « عن قِبَلَتِهِم الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا » . والقبلة : الجهة التي تستقبل في الصلاة ،
وقبلة المسلمين : الكعبة . والسفيه : الخفيف إلى مالا يجوز له أن يخف إليه ، وهي
صفة ذم في الدين . وضد السفه الحكمة . واشتقاق لا هم من الولي ، وهو حصول الثاني
بعد الأول من غير فصل . فالثاني يلي الأول ، والثالث يلي الثاني ، والرابع يلي الثالث
ثم هكذا أبداً . ووَلَّى عنه خلاف وَلَّى إليه : مثل قولك . عدل عنه ، وعدل إليه ،
وانصرف ، عنه وانصرف إليه . فإذا كان الذي يليه متوجهاً إليه فهو متولٍ إليه وإذا
كان متوجهاً إلى خلاف جهته ، فهو متول عنه .

والقبلة مثل الجلسة للحال التي يقابل الشيء غيره عليها كما أن الجلسة التي يجلس
عليها . فكان يقال : - فيما حكى - هو لي قبلة ، وأنا له قبلة ، ثم صار علماً على
الجهة التي تستقبل في الصلاة .

واختلفوا في الذين تابوا المسلمين بالانصراف من قبلة بيت المقدس إلى الكعبة
على ثلاثة أقوال :

[الأول] فقال ابن عباس ، والبراء بن عازب : هم اليهود [الثاني] قال
الحسن : هم مشركوا العرب ، وإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما حول الكعبة
من بيت المقدس ، قالوا : يا محمد (ص) رغبت عن قبلة آمالك . ثم رجعت إليها أيضاً ،
والله لترجعن إلى دينهم . والثالث قال السدي : أنهم المنافقون ، قالوا ذلك استهزاء

بالاسلام . واختلفوا في سبب عيهم الصرف عن القبلة : فقال قوم : انهم قالوا ذلك على وجه الانكار للنسخ . و[الثاني] قال ابن عباس : إن قوماً من اليهود قالوا : يا محمد ما لآلِكَ عن قبلك التي كنت عليها ، ارجع اليها تتبعك و تؤمن . وأرادوا بذلك فتنته . الثالث - انه قال ذلك مشركوا العرب ليوهموا ان الحق ما هم عليه .

وإنما صرفهم الله عن القبلة الاولى لما علم الله تعالى من تغير المصلحة في ذلك . وقيل إنما فعل ذلك لما قال تعالى « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » ، لانهم كانوا بمكة ، أمروا أن يتوجهوا الى بيت المقدس لتمييزوا من المشركين الذين كانوا بحضرتهم يتوجهون الى الكعبة ، فلما انتقل رسول الله (ص) الى المدينة كان اليهود المجاورون للمدينة يتوجهون الى بيت المقدس فنقلوا الى الكعبة لتمييزوا من هؤلاء كما اريد في الاول ان يميزوا من أولئك . واختار ذلك البلخي والحياتي والرماني .

وقوله تعالى : « قل لله المشرق والمغرب » أمر من الله تعالى لنبيه (ص) ان يقول لهؤلاء الذين عابوا انتقالهم عن بيت المقدس الى الكعبة : المشرق والمغرب ملك لله يتصرف فيها كيف شاء على ما تقتضيه حكمته . والمشرق والمطلع نظائر ، وكذلك المغرب والمغيب نظائر .

وفي الآية دلالة على جواز النسخ لانه تعالى نقلهم - عن عبادة كانوا عليها - الى ايقاعها على وجه آخر وهذا هو النسخ .

وقوله : « لله المشرق والمغرب » فيه دلالة على أن من له المشرق والمغرب ، فله التدبير فيها ، وفي ذلك اسقاط قول من زعم : أن الارض المقدسة أولى بالتوجه اليها . لانها موطن الانبياء - وقد شرفها الله وعظمها - فلا وجه للتولية عنها - فرد الله عليهم بأن المواطن كلها لله يشرف منها ما يشاء في كل زمان على ما يعلمه من مصالح العباد . وقال ابن عباس ، والبراء بن عازب : انه كانت الصلاة الى بيت المقدس الى بعد مقدم النبي (ص) بسبعة عشر شهراً . وقال انس بن مالك : إنما كان ذلك تسعة اشهر أو عشرة اشهر . وقال معاذ بن جبل كان ثلاثة عشر شهراً . وقال

قتادة صلت الانصار نحو بيت المقدس حولين قبل قدوم النبي (ص) وصلى النبي (ص) بعد قدومه المدينة ستة عشر شهراً ثم وجهه الله الى الكعبة . ولا خلاف ان التوجه الى بيت المقدس قبل النسخ كان فرضاً واجباً . ثم اختلفوا فقال الربيع : كان ذلك على وجه التخيير ، خير الله نبيه بين ان يتوجه الى بيت المقدس وبين غيرها .

وقال ابن عباس وأكثر المفسرين كان ذلك فرضاً معنياً - وهو الاقوى - ، لقوله : « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها » فبين انه جعلها قبلة ، وظاهر ذلك انه معين ، لانه لا دليل على التخيير ، على انه لو ثبت انه كان مخيراً لما خرج من ان يكون فرضاً ، كما ان الفرض ان يصلى الصلاة في الوقت ثم هو مخير بين اوله وأوسطه وآخره .

وقوله : « والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » معنا : يهديهم الى الدين المستقيم الذي يؤديهم الى الجنة ، فذلك سماه صراطاً كما يؤدي الطريق الى المقصد .
قوله تعالى :

« وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ
وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا
الْأَلَّامَةَ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ
لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ آيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ
بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ » (١٤٣) آية بلا خلاف .

القرارة :

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم « لرؤوف » على وزن
لرعوف . الباقيون « لرؤف » على وزن (فُعَل) .

المعنى :

اخبر الله تعالى أنه جعل أمة نبيه محمد (ص) وسطاً؛ أي سماها بذلك وحكم لها به . والوسط : العدل . وقيل الخيار ، ومعناها واحد: وقيل : انه مأخوذ من المكان الذي تعدل المسافة منه الى اطرافه . وقيل : بل أخذ الوسط من التوسط بين المقصر والمغالي ، فألحق معه (١) . وقال مؤرج : اي وسط بين الناس وبين انبيائهم وقال زهير :

هم وسط يرضى الانام بحكمهم اذا نزلت احدى الليالي بمعظم (٢)

وروي عن النبي (ص) انه قال : أمة وسطاً : عدلاً . وهو قول مجاهد ، وقتادة ، والربيع ، وابن عباس ، واكثر المفسرين . وقال صاحب العين : الوسط من الناس وغيرهم ، ومن كل شيء . أعدله ، وافضله . وقيل الواسط والوسط بمعنى واحد ، كما قيل يابس ويبس بمعنى واحد . قال تعالى « في البحر يبساً » (٣) والوسط - بتسكين السين - الموضع . والوسط - بالتحريك - لما بين طرفي كل شيء ، ويسمى واسط الرجل بين القامة والاخرة ، وكذلك واسطة القلادة . واصل الباب الوسط : العدل . وقولهم فلان من اوسطهم نسباً : اي تكلله الشرف من نواحيه .

الاعراب :

واللام الاولى في قوله : « لتكونوا شهداء على الناس » لام كي ، كأنه قال كي تكونوا ، واصلها لام الاضافة . واللام في قوله : « وان كانت لسكيرة » لام تأكيد ، وهي تلزم أن الخففة من الثقيلة ، لثلاث تلبس بأن التي بمعنى ما ، كقوله تعالى :

(١) الضمير راجع الى الوسط اي الحق مع الوسط لأنه ليس بالمقصر ولا بالمغالي .

(٢) ديوانه ٢ : ٢٧ دروايته .

لحي حلال يعصم الناس أمرهم اذا طرقت احدى الليالي بمعظم
وفي تفسير الطبري وبعض المصادر الاخرى كما هو مثبت في المتن .
(٣) سورة طه : آية ٧٧ .

« إن الكافرون إلا في غرور » (١) وهي لام الابتداء أخرت الى الخبر في باب (ان) خاصة . واما اللام الثالثة في قوله : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » فلام الجحد ، واصلها لام الاضافة ، والفعل نصب باضمار (أن) ، ولا يظهر بعدها (ان) ، لان التأويل : ما كان الله مضيعاً إيمانكم ، فلما حمل معناه على التأويل ، حمل ، لفظه ايضاً على التأويل من غير تصريح باظهار (ان) .

المعنى :

فان قيل : باي شيء يشهدون على الناس ، قلنا فيه ثلاثة اقوال : احدها -
ليشهدوا على الناس باعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا وفي الآخرة كما قال : « وجيء بالنبیین والشهداء » (٢) وقال « يوم يقوم الاشهاد » (٣) قال ابن زيد : الاشهاد أربعة الملائكة ، والانبياء ، وامة محمد (ص) والجوارح . كما قال : « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون » (٤) .

الثاني - يشهدون الانبياء على اممهم المكذبين بانهم باءوا . وجاز ذلك لاعلام النبي (ص) اياهم بذلك .

الثالث - « لتكونوا شهداء على الناس » أي حجة عليهم فيما يشهدون ، كما أن النبي (ص) شهيد بمعنى حجة في كل ما اخبر به . والنبي (ص) وحده كذلك . فأما الامة فحجتها حجة دون كل واحد منها . واستدل البلخي ، والحياتي ، والرماني ، وابن الاخشاد ، وكثير من الفقهاء ، وغيرهم بهذه الآية على أن الاجماع حجة من حيث ان الله وصفهم بانهم عدول ، فاذا عدلهم الله تعالى ، لم يجوز أن تكون شهادتهم مردودة - وقد بينا في اصول الفقه أنه لا دلالة فيها على ان الاجماع حجة - وجملته ان الله تعالى وصفهم بانهم عدول ، وبانهم شهداء وذلك يقتضي ان يكون كل واحد عدلاً ،

(١) سورة الملك : آية ٢٠ .

(٢) سورة الزمر : آية ٦٩ .

(٣) سورة المؤمن : آية ٥١ .

(٤) سورة النور : آية ٢٤ .

وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ... (١٤٣)

وشاهداً ، لأن شهداء جمع شهيد ، وقد علمنا أن كل واحد من هذه الأمة ليس بهذه الصفة ، فلم يجوز أن يكون المراد ماقالوه ، على أن الأمة إن أريد بها جميع الأمة ، فقد بينا أن فيها كثيراً ممن يحكم بفسقه بل بكفره ، فلا يجوز حملها على الجميع . وإن خصوها بالمؤمنين المدول ، لنأن نخصها بجماعة ، كل واحد منهم موصوف بما وصفنا به جماعتهم : وهم الأئمة المعصومون من آل الرسول (ص) على أنالو سلمنا ماقالوه من كونهم عدولا ، ينبغي أن نجنبهم ما يقدرح في عدالتهم وهي الكبار ، فأما الصغار التي تقع مسكفرة ، فلا تقدرح في العدالة ، فلا ينبغي أن نمنع منها ، ومتى جوزنا عليهم الصغار لم يمكننا أن نحتج باجماعهم ، لانه لاشي . أجمعوا عليه إلا ويجوز أن يكون صغيراً فلا يقدرح في عدالتهم ، ولا يجب الاقتداء بهم فيه لكونه قبيحاً . وفي ذلك بطلان الاحتجاج باجماعهم . وكيف يجنبون الصغار ، وحال شهادتهم ليس بأعظم من شهادة النبي (ص) ومع هذا يجوزون عليه الصغار فهلا جاز مثل ذلك عليهم ، ولا تقدرح في عدالتهم - كما لم تقدرح في عدالة النبي (ص) ؟

قوله : « ويكون الرسول عليكم شهيداً » . قيل في معناه قولان :

أحدهما - عليكم شهيداً بما يكون من اعمالكم . وقيل : يكون حجة عليكم . والثاني - يكون لكم شهيداً بأنكم قد صدقتم - يوم القيامة - فيما تشهدون به . وجملوا (على) بمعنى اللام كما قال : « وما ذبح على النصب » (٢) اي للنصب . والتشبيه في قوله « وكذلك » وقع بما دل عليه الكلام في الآية التي قبلها : وهي قوله « يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » فتقديره انعمنا عليكم بالعدالة كما انعمنا عليكم بالهداية والعامل في الكاف جعلنا ، كانه قيل : « من يشاء الى صراط مستقيم » فقد انعمنا عليكم بذلك وجعلناكم أمة وسطاً فأنعمنا كذلك الانعام . إلا أن (جعلنا) يدل على انعمنا في هذا الكلام ، فلم نحتج الى حذفه معه في قوله تعالى : « وما جعلنا القبلة التي التي كنت عليها » اي ما صرفناك عن القبلة التي كنت عليها إلا لتعلم ، وحذف لدلالة

الكلام عليه . وقوله « إلا لنعلم » قيل في معناه ثلاثة اقوال :
 اولها « إلا لنعلم » اي لنعلم حزبنا من النبي والمؤمنين ، كما يقول الملك فملنا
 وفتحنا بمعنى فعل أولياؤنا ومن ذلك قيل : فتح عمر السواد وجبا الخراج وإن لم
 يتول ذلك بنفسه .

الثاني - إلا ليحصل المعلوم موجوداً ، فقيل على هذا : إلا لنعلم ، لانه قبل
 وجود المعلوم لا يصح وصفه بانه عالم بوجوده .

والثالث - إلا لتعاملكم معاملة المختبر الممتحن الذي كأنه لا يعلم أن العدل
 يوجب ذلك ، من حيث لو علمهم بما يعلم انه يكون منهم كان ظلاماً لهم . ويظهر ذلك
 قول القائل لمن انكر أن تكون النار تحرق الحطب : فليحضر النار والحطب لتعلم
 آتحرقه أم لا ، على جهة الانصاف في الحطاب ، لا على جهة الشك في الاحراق . وهذا
 الوجه اختاره ابن الاخشاد ، والرماني . وكان علي بن الحسين المرتضى الموسوي يقول
 في مثل ذلك وجهاً مليحاً : وهو ان قال : قوله لنعلم يقتضي حقيقة ان يعلم هو وغيره
 ولا يحصل علمه مع علم غيره إلا بعد حصول الاتباع ، فاما قبل حصوله فاما يكون هو
 تعالى العالم وحده ، فصح حينئذ ظاهر الآية ، وهذا وجه رابع ، وفيه قول خامس
 - وهو ان يدللنا انا نعلم ، لانه كان منهم من يعتقد ان الله لا يعلم الشيء حتى يكون
 على ان قوله : « لنعلم من يتبع الرسول » لا يدل على حدوث العلم ، لانه كان قبل ذلك
 عالماً بان الاتباع سيوجد ، او لا يوجد ، فان وجد كان عالماً بوجوده وان لم يتجدد
 له صفة . واما يتجدد المعلوم ، لان العلم بان الشيء سيوجد علم بوجوده إذا وجد .
 واما يتغير عليه الاسم ، ويجري ذلك مجرى تغير الاسم على زمان بعينه ، بان يوصف
 بأنه غد قبل حصوله ، فإذا حصل قيل انه اليوم ، فإذا تقضى وصف بانه امس ، فتغير
 عليه الاسم والمعلوم لم يتغير .

وقوله تعالى : « من ينقلب على عقبيه » قيل في معناه قولان :

احدهما - ان قوماً ارتدوا عن الاسلام لما حوات القبلة جهلاً منهم بما فيها
 من وجه الحكمة .

والآخر ان المراد به كل مقيم على كفره ، لان جهة الاستقامة إقبال ،
وخلافها ادبار . لذلك وصف الكافر بانه ادر واستكبر . وقال : « لا يصلها إلا
الاشقي الذي كذب وتولى » (١) اي عن الحق .

المعنى :

والعقب مؤخر القدم قال ثعلب : وزد على اعقابنا : أي نعقب بالشر بعد الخير
وكذلك رجم على عميه . وسميت العقوبة عقوبة لانها تنلو الذنب . والعقبة كرة بعد
كرة في الركوب والمشى . المعقبات : ملائكة الليل تعاقب ملائكة النهار . وعقب الانسان
ناله . والعقاب معروف والعقب أصلب من العصاب وامتن ، يعقب به الرماح .
والعقيب : الرجوع الى امر تريده . ومنه قوله تعالى : « ولم يعقب » (٢) ومنه
يفال عقب الليل النهار يعقبه . واعقب الرأي خبراً ، وأعقب عزه ذلاً أي ابدل به . والعقبة
طريق في الجبل . وعرو العقاب : الراية لشبهها بعقاب الطائر . واليعقوب ذكر القبيح
نشبه به الخيل في السرعة . لا معقب لحكمه أي لا راد لقضائه . والمعقب : الذي يتبع
الانسان في طلب حق . واصل الباب التلو .

المعنى :

والضمير في قوله « وان كانت كبيرة » يشمل رجوعه الى ثلاثة أشياء : القبلة
على قول ابن عامر . والتحويل على قول ابن عباس ، وبجاهد ، وقتادة . وهو الاقوى ،
لان القوم تغل عليهم التحويل لا نفس القبلة . وعلى قول ابن زيد الصلاة . وقوله :
« الكبيرة » قال الحسن : معناه ثقيله يعني التحويل الى بيت المقدس ، لان العرب لم
تكن قبلة احب اليهم من الكعبة . وقيل معناه عظيمة على من لم يعرف ما فيها من
وجوه الحكمة . فلما الذين هدى الله ، لان المعرفة بما فيها من المصلحة تسهل المشقة
فبصير بمرلة مالا يعتد بها ولذلك حسن الاستثناء بما يخرجهم منها .

وقوله : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » قيل في معناه اقوال :

اولها - قال ابن عباس وقتادة والربيع : لما حوت القبلة قال ناس : كيف باعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا الاولى . وقيل : كيف من مات من اخواننا قبل ذلك ، فأزل الله ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ .

الثاني - معناه قال الحسن : وانه لما ذكر ما عليهم من المشقة في التحويلة انبعض به بذكر ما لهم عنده من المثوبة وانه لا يضيع ما عملوه من الكلفة فيه . لان التذكير به يبعث على ملازمه الحق والرضا به .

الثالث - قال البلخي : انه لما ذكر انعامه عليهم بالنولية الى الكعبة ذكر سبب ذلك الذي استحقوه به وهو ايمانهم بما عملوه اولاً فقال : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » الذي استحقتم به تبليغ محبتكم في النوجه الى الكعبة .

اللفظ :

والاضاعة مصدر اضاع يضيع . وضاع الشيء يضيع ضاعة ، وضيعه تضييماً . قال صاحب العين : ضبعة الرجل حرفته . يقال : ما ضيعتلك اي ما حرفتك ، هذا في الضياع وضاع عمل فلان ضبعة ، وضياًعاً . وركبهم بضيعة ومضيعة . والضيعة والضياع معروف واصل الضياع الملاك .

وقوله : ﴿ ان الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ ان قيل : ما الذي اقتضى ذكر هذه الصفة ، قلنا الرؤوف بعباده الرحيم بهم لا يضيع عنده عمل عامل منهم ، فدل بالرافة والرحمة على التوفير عليهم فيما استحقوه دون التضيق لشيء منه . واما قدمت الرافة على الرحمة ، لان الرافة أشد مبالغة من الرحمة ليجري على طريقة التمديم - بما هو اعرف - مجرى اسماء الاعلام ثم إتباعه بما هو دون منه ليكون مجموع ذلك تعريفاً ألمع منه ، لو انفرد كل واحد عن الآخر كما هو في الرحمن الرحيم . فرؤوف على وزن فمول ، لغة اهل الحجاز على وزن فعل ، لغة غيرهم قال الانصاري (١) :

(١) هو كعب بن مالك الانصاري .

نطيع نبينا لنطيع رباً هو الرحمن كان بنا رؤفاً (١)

وقال حرير: يعني منعمين حقاً، كفعل الوالد الرؤوف الرحيم. والرأفة: الرحمة تقول رأف يرأف رأفة .

المعنى :

واستدل من قال الصلاة : الايمان بهذه الآية ، فقالوا : سمي الله الصلوة ايماناً - على تاويل ابن عباس ، وقتادة ، والسدي والريعي وداود بن ابي عاصم وابن زيد وسعيد بن المنذر وعمرو بن عبيد وواصل وجميع المعزلة . ومن خالفهم من المرجئة لا يسلم هذا التأويل ويقول : الايمان على ظاهره وهو التصديق ولا ينزل ذلك بقول من ليس قوله حجة ، لانهم ليسوا جميع المفسرين بل بعضهم ولا يكون ذلك حجة . واستدل الجبائي بهذه الآية على ان الشاهد هو الحاضر دون من مات ، بان قال : لو كان الرسول شاهداً على من مضى قبله أو من يأتي بعده ومن هو حاضر معه لم يكن لقوله ﴿ ويسكون الرسول عليكم شهداء ﴾ معنى . ويؤكد ذلك قوله ﴿ وكنت عليهم شهداء ما دمت فيهم ﴾ (٢) وقال غيره : قد يجوز ان يشهد العالم بما علم وان لم يحضره - وهو الاقوى - وهذه الآية فيها دلالة على جواز النسخ في الشريعة بل على وقوعه ، لانه قال ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها ﴾ فآخبر ان الجاعل لتلك القبلة كان هو تعالى ، وانه هو الذي نقله عنها وذلك هو النسخ ، فان قيل : كيف أضاف الايمان الى الاحياء وهم كانوا قالوا : كيف بمن مضى من اخواتنا قلنا يجوز ذلك على التغليب ، لان من عادتهم ان يغلبوا المخاطب على الغائب كما يغلبون المذكر على المؤنث تنبيهاً على الاكمل ، فيقولون : فعلنا بكما وبلغنا كما ، وان كان احدهما حاضراً والاخر غائباً ، فان قيل كيف جاز على اصحاب النبي صلى الله وآله الشك فيمن مضى من اخوانهم فلم يدروا انهم كانوا على حق في صلاتهم الى بيت المقدس ؟ قيل في ذلك : كيف اخواتنا لو ادركوا الفضل بالتوجه ، وانهم احبوا لهم ما احبوا لانفسهم . ويكون قال ذلك منافق بما فيه الرد على المخالفين المنافقين .

(١) اللسان « رأف » وروايته « ونطيع » بدل « لنطيع » في المطبوعة « رؤف »

بدل « رؤفاً » . (٢) سورة المائدة : آية ١٢٠ .

قوله تعالى :

« قَدْ نَرَى تَقْدُبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » (١٤٤) آية بلا خلاف .

القرائة :

قرأ ابن عامر ، وحزمة ، والكسائي ، وابو جعفر ، وروح « عما تعملون »
بالتاء . الباقون بالياء .

المرزول :

وقال قوم ان هذه الآية نزلت قبل التي تقدمتها : وهي قوله : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ ﴾

المعنى :

إن قبل لم قلب النبي (ص) وجهه في السماء ، قلنا عنه جوابان :
احدهما - انه كان وعد بالتحويل عن بيت المقدس ، وكان يفعل ذلك
انتظاراً وتوقفاً لما وعد به .

والثاني - انه كان يحبه بحبة الطباع ، ولم يكن يدعو به حتى ادركه فيه ،
لان الانبياء لا يدعون إلا بما أذن لهم فيه لئلا تكون المصلحة في خلاف ما سأله
فيكون في ردهم تنفر عن قبول قولهم . وهذا الجواب يروى عن ابن عباس ، وقتادة .
وقيل في سبب محبة التوجه الى الكعبة ثلاثة اقوال :

أولها - قال مجاهد : انه أحب ذلك ، لانها كانت قبلة ابراهيم - حكاة الزجاج -
انها احب ذلك استدعاء العرب الى الايمان .

اللغة:

وقوله: ﴿ قد نرى ﴾ فالرؤية هي ادراك الشيء من الوجه الذي يتبين بالبصر.
 وقوله: ﴿ قلب وجهك ﴾ التقلب والتحول والتصرف نظاراً: وهو التحرك في الجهات
 وقوله: ﴿ رضاها ﴾ تحبها. والرضا ضد السخط: وهو ارادة الثواب. والسخط
 ارادة الاتقام. وقوله: ﴿ شطر المسجد ﴾ اي نحوه، وتلقاه بلا خلاف بين اهل
 اللغة. وعليه المفسرون كابن عباس، ومجاهد، وابي العالبي، وقناة، والربيع،
 وابن زيد، وغيرهم. قال الشاعر:

وقد اظلمكم من شطر ثغركم هول له ظلم يغشاكم قطما

اي من نحو ثغركم وانشد ابن عبيدة الهذلي (١):

ان العسير بها داء مخامرها فشطرها نظر العينين محسور (٢)

وقال ابن احمر (٣):

تعدو بنا شطر جمع وهي عاقدة قد كارب العقدمن ابفادها الحقباء (٤)

وقال الحيائي: اراد بالشطرن النصف، كأنه قال: وجهك نصف المسجد،
 لان شطر الشيء: نصفه، فأمره ان يولي وجهه نحو نصف المسجد حتى يكون مقابل
 الكعبة. وهذا فاسد، لانه خلاف أقوال المفسرين، ولان اللفظ اذا كان مشتركاً
 بين النصف، وبين النحو ينبغي ألاّ يحمل على احدهما إلاّ بدليل. وعلى ما قلناه اجماع
 المفسرين، قال الزجاج: يقال: هؤلاء القوم شاطرونا دورهم، متصل بدورنا كما

(١) هو قيس بن العيزارة الهذلي. والعيزارة أمه واسم قيس بن خويلد بن كامل.

(٢) ديوانه: ٣٦١ والكامل لابن الاثير ١: ١٢، ٢: ٣، واللسان « شطر » في المطبوعة
 « العسير » بدل « العسير » و « مخامرها » بدل « مخامرها » و « مشورا » بدل « محسور »

(٣) في المطبوعة « الراحم » وهو تحريف.

(٤) سيرة ابن هشام ٢: ١١٩، والروض الانف ٢: ٣٨ والخزانة ٣: ٣٨، وجماز
 القرآن لابي عبيدة: ٦٠ في المطبوعة « كادت العقدمن العادها » بدل « كارب العقدمن ابفادها »
 وهو تحريف فاحش وقوله: جمع هي اسم مكان، ويسمى المزدلفة عاقدة: قد تكلف ذاتها بن
 تخذيها. كارب: اوشك، وكاد، وقارب، ودنا. اوقدت الناقة: اسرعت. الحقب: الخزام.

يقال هؤلاء ينساحوننا أي نحن نحومهم وهم نحونا . وقال صاحب العين شطر كل شيء نصفه وشطره : قسمه ونحوه ، ومنه المثل احلب احلب حلباً لك شطره اي نصفه . وشطرت الشيء جعلته نصفين ، وقد شطرت الشاة شطاراً : وهو ان يكون احد طستها اكثر من الآخر وان حلبا جميعاً ، ومزّل شطر : اي بعيد ، وشطر فلان على اهله : اي تركهم مراغماً أو مخالفاً . ورجل شاطر . وقد شطر شطورة ، وشطوراً وشطارة : وهو اعيا اهله حثاً . وأصل الشطر النصف .

المعنى :

وقال السدي المعنى بقوله ﴿ وان الذين أتوا الكتاب ﴾ هم اليهود . وقال غيره : هم احبار اليهود ، وعلماء النصارى غير انهم جماعة قليلة يجوز على مثلهم اظهار خلاف ما يبطون ، لان الجمع الكثير لا يتأتى ذلك منهم لما يرجع الى العادة ، وانه لم يحز بذلك مع اختلاف الدراعي ، وانما يجوز العناد على النفر القليل وقد مضى فيما تقدم نظير ذلك ، وان على ما نذهب اليه في الموافقة لا يمكن ان يكونوا عارفين بذلك إلا ان يكون نظيرهم لا يوجه وجوب المعرفة ، فاذا حصلت المعرفة عند ذلك فلا يستحقون عليه الثواب لان النبي (ص) يمنع منه ان يكونوا مستحقين للثواب الدائم ويكفرون فيستحقون العقاب الدائم والاجباط باطل ، فيؤدي ذلك الى اجتماع الاستحقاقين الدائمين وذلك خلاف الاجماع .

وعذه الآية ناسخة لفرض التوجه الى بيت المقدس قبل ذلك . وروي عن ابن عباس انه قال : اول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة . وقال قتادة : نسخت هذه الآية ما قبلها . وقال جعفر بن مبشر هذا مما نسخ من السنة بالقرآن - وهذا هو الاقوى - ، لانه ليس في القرآن مما يدل على تعبد به بالتوجه الى بيت المقدس . ومن قال : انها نسخت قوله تعالى : ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ قلنا له هذه ليست منسوخة بل هي مختصة بالنوافل - في حال السفر - فأما من قال : يجب على الناس ان يتوجهوا الى الميزاب الذي على الكعبة ويقصدوه ، فقوله باطل ، لانه خلاف

ظاهر القرآن . قال ابن عباس : البيت كله قبة — وهو قول جميع المفسرين . وروى بعض اصحاب الحديث : ان البيت هو القبلة وان قبلته بابه . وهذا يجوز . قال فلما ان يجب على جميع الخلق التوجه اليه ، فهو خلاف الاجماع .

وقوله : ﴿ حيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ روي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) ان ذلك في الفرض ، وقوله : ﴿ فأيما تولوا فثم وجه الله ﴾ في النافذة .

وروى عن ابن عباس وابي جعفر محمد بن علي : انه لما حول الى الكعبة انى رجل من عبد الاشهل من الانصار وهم قيام يصلون الظهر وقد صلوا ركعتين نحو بيت المقدس ، فقال : ان الله قد صرف رسوله نحو البيت الحرام ، فصرفوا وجوههم نحو البيت الحرام في بقية صلاتهم .

الاعراب :

وقوله : ﴿ حيثما كنتم ﴾ موضع كنتم جزم بالشرط ، وتقديره وحيث ماتكونوا ، والغاء جواب ولولا (ما) لم يحز الجزاء (بحيث) لخروجها عن نظارها ، بانه لا يستفهم بها ، ولان الاضافة لها كالصلة لغيرها ، وليست بصلة كصلة اخواتها . والهاء في قوله تعالى : ﴿ وانه للحق ﴾ على قول الجياني يعود الى التحويل . وقال الحسن : هي عائدة الى التوجه الى الكعبة ، لانه قبة ابراهيم ، والانبياء قبله .

المعنى :

و « الحق » وضع الشيء في موضعه اذا لم يكن فيه وجه من وجوه القبح . والغفلة : هي السهو عن بعض الاشياء خاصة واذا كان السهو عاماً فهو فوق الغفلة وهو السهو العام ، لان النائم لا يقال : انه غفل عن الشيء الا مجاز .

المعنى :

وقال عطا في قوله تعالى : ﴿ فولّ وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ قال : الحرم

كله مسجد . وهذا مثل قول أصحابنا أن الحرم قبله من كان فائياً عن الحرم من أهل الآفاق . واختلف الناس في صلاة النبي (ص) الى بيت المقدس فقال قوم : كان يصلي بمكة الى الكعبة ، فلما صار بالمدينة أمر بالتوجه الى بيت المقدس سبعة عشر شهراً ثم أعيد الى الكعبة . وقال قوم : كان يصلي بمكة الى بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينها ولا يصلي في غير المسكان الذي يمكن هذا فيه . وقال قوم : بل كان يصلي بمكة ، وبعد قدومه المدينة سبعة عشر شهراً الى بيت المقدس ، ولم يكن عليه ان يجعل الكعبة بينه وبينها ، ثم أمره الله بالتوجه الى الكعبة . ومن صلى الى غير القبلة لشبهة دخلت عليه ، ثم تبينه ، فإن كان الوقت باقياً أعاد الصلاة . وان خرج الوقت ، فإن كان صلى يمناً وشمالاً ، فلا إعادة عليه ، وإن صلى الى استدارها أعاد . وفيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف .

قوله تعالى :

﴿ وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبَلَتِكَ وَمَا أُنْتَبِئُ بِتَابِعِ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعِ قِبَلَةِ بَعْضٍ وَلَئِن آتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ لَئِنْ كُنَّا لَنظَّالِمِينَ ﴾ (١٤٥) آية بلا خلاف .

الاعراب :

اختلف النحويون في أن جواب - لئن - لم كان جواب (لو) فقال الاخفش ، ومن تبعه اجبت بجواب - لو ، لان الماضي وليها كما يلي لو فاجبت بجواب (لو) ودخلت كل واحدة منها على صاحبها قال الله تعالى : ﴿ ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون ﴾ (١) فجري مجرى ولو أرسلنا وقال ﴿ ولو انهم آمنوا واتقوا لمتوبة من عند الله ﴾ (٢) على جواب لئن . وقال سيويه وجميع اصحابه : ان معنى ﴿ لظلوا

من بعده يكفرون ﴿ ليظن ومعنى (لئن) غير معنى (لو) في قول الجماعة وإن قالوا إن الجواب متفق لانهم لا يدفعون أن معنى (لئن) أما يستقبل ومعنى (لو) : ما مضى وحقيقة معنى (لو) أنها يمتنع بها الشيء لامتناع غيره . كقولك لو أتيتني لا أكرمك أي لم تأتني فلم أكرمك ، فامتنع الا كرام ، لامتناع الا تيان . ومعنى (إن) (ولئن) إنما يقع بها الشيء لو قوع غيره تقول : إن تأتني أكرمك ، فلا كرام يقع بوقوع الا تيان . وقال بعضهم : إن كل واحدة منها على موضعها ، وإنما لحق في الجواب هذا التداخل ، لدلالة اللام على معنى القسم ، فجاء الجواب بجواب القسم ، فأنفي عن جواب الجزاء لدلالته عليه ، لان معنى لظنوا ليظنن وهذا هو معنى قول سيديويه . ويجوز أن تقول : إن أتيتني لم أحفك ، ولا يجوز أن تقول : إن أتيتني ما حفوتك ، لان (ما) منفصلة (ولم) كجزء من الفعل . ألا ترى أنه يجوز ان تقول : زيداً لم أضرب ، ولا يجوز زيداً ما ضربت . وإنما يجب الجزاء بالفعل أو الفاء ، فإذا تقدم لام القسم جاز ، فقلت لئن أتيتني ما حفوتك .

المعنى :

فان قيل : كيف قال ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ﴾ وقد آمن منهم خلق ؟ فلنا عن ذلك جوابان :

احدهما - قال الحسن : إن المعنى أن جميعهم لا يؤمن ، وهو اختيار الجبائي .

والثاني - أن ذلك مخصوص لمن كان معانداً من أهل الكتاب دون جميعهم الذين وصفهم الله ، فقال « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » اختاره البلخي والزجاج . وهذه الآية دالة على فساد قول من قال : لا يكون الوعيد بشرط ، وعلى فساد قول من قال بالموافاة ، وإن من علم الله أنه يؤمن لا يستحق العقاب أصلاً ، لأن الله تعالى علق الوعيد بشرط يوجب أن يسكون متى تحصل الشرط تحصل استحقاق العقاب ، وفيها دليل على فساد قول من قال : إن الوعيد لا يقع لمن علم أنه لا يعصي ، لأن الله تعالى علم من حال الرسول أنه لا يتبع أهواءهم ومع هذا يوعد إن اتبع أهواءهم . وفي الآية دلالة على

بطلان قول من قال : إن في المقدور لطفاً ، لو فعل الله بالكافر لآمن لاحالة ، من قبل أنه قيل في قوله ﴿ ولئن أنبت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ﴾ قولان :

أحدهما - أن المعاند لا ينفعه الدلالة لأنه عارف والآخر أنه لا لطف لهم فنتمسه ليؤمنوا ، وعلى القولين فيه دلالة على فساد قول أصحاب اللطف ، لأن مخرجه مخرج التنصل من التخليف عنهم ما يؤمنون عنده طوعاً ، فلو قال قائل وما في أن الآية لا يفهم في الإيمان لطف يفهم فيه لكان لا يسقط سؤاله . إلا بأن يقال : لا لطف لهم كما لا آية تفهمهم . وقوله : ﴿ ولئن أنبت أهواءهم ﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال :

أحدهما - ﴿ لئن أنبت أهواءهم ﴾ في المداراة لهم حرصاً على أن يؤمنوا ﴿ إنك إذا لمن الظالمين ﴾ لنفسك مع اعلامنا إياك : ﴿ انهم لا يؤمنون ﴾ . هذا قول أبي علي الجبائي .

الثاني - الدلالة على أن الوعيد يجب باتباع أهوائهم فيما دعوا اليه من قبلتهم ، وأنه لا ينفع مع ذلك عمل سلف ، لأنه ارتداد . والخطاب للنبي (ص) والمراد به كل من كان بتلك الصفة . كما قال : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ (١) وهذا قول الحسن ، والزجاج .

الثالث - ان معناه الدلالة على فساد مذاهبهم ، وتبكيبتهم ها . كما تقول : لئن قيل عنك أنه لحامر تريد به التبكيبت على فساد رأيه ، والتبويد من قبوله .

وقوله : ﴿ وما أنت بتابع قبلتهم ﴾ قيل في معناه أربعة أقوال :

أولها - أنه لما قال : ﴿ ولئن أنبت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم ﴾ على وجه المقالة كما تقول : ما هم بتاركي انكار الحق وما أنت بتارك الاعتراف به ، فيكون الذي جرت الكلام النقابل للكلام الاول ، وذلك حسن من كلام البلغاء .

الثاني - أن يكون المراد أنه ليس يمكنك استصلاحهم باتباع قبلتهم لاختلاف وجهتهم ، لان النصارى يتوجهون الى المشرق ، واليهود الى بيت المقدس ، فيبين الله تعالى : أن رضا الفريقين محال .

الثالث - أن يكون المراد حسم طمع أهل الكتاب من اليهود إذ كانوا طعموا في ذلك وظنوا انه يرجع الى الصلاة الى بيت المقدس ، وما جوا في ذكره .
الرابع - انه لما كان النسخ مجزأً قبل نزول هذه الآية ، فأنزل الله تعالى الآية ، ليرتفع ذلك التجوز .

وقوله : ﴿ وما بعضهم بتابع قبلة بعض ﴾ قيل في معناه قولان :

أحدهما - قال الحسن ، والسدي ، وابن زيد ، والحياطي : أنه لا يصير النصارى كلهم يهوداً ، ولا اليهود كلهم بصيرون نصارى أبداً ، كما لا يتبع جميعهم الاسلام . وهذا من الاخبار بالغيب .

وقال غيرهم : معناه إسقاط الاعتلال بأنه مخالفة لأهل الكتاب الذين ورثوا ذلك عن أنبياء الله بامرهم إياهم به ، فكلما جاز أن يخالف بين وجهتهم للاستصلاح جاز ان يخالف بوجهة ثالثة للاستصلاح في بعض الازمان .

وقد بينا حد الظلم فيما تقدم ، واعترضنا قول من قال : هو الضرر والقيبح الذي يستحق به الدّم من حيث أن ذلك ينقض بفعل الساهي ، والنائم ، والطفل ، والمجنون — اذا كان بصفة الظلم — فإنه يكون قبيحاً وان لم يستحقوا به ذمماً . ومن خالف في ذلك كان الكلام عليه في موضع آخر . على ان المخالف في ذلك ناقض ، فإنه قال : ان الكذب يقع من الصبي ويكون قبيحاً . وهذا اذا جاز . هلا جاز ان يقع منه الظلم ؟ فان قال : لان العقل للانسان البالغ ، يزجر الصبي عن ذلك بالتأديب . قلنا مثل ذلك في الظلم سواء .

قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ

فريقاً منهم • ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴿ (١٤٦) آية بلا خلاف

المعنى :

أخبر الله تعالى عن أهل الكتاب أنهم يعرفون النبي (ص) كما يعرفون أبناءهم، وأن جماعة منهم يكتمون الحق مع علمهم بأنه حق . وقيل في الحق الذي كتموه قولان :

أحدهما - قال مجاهد : كتموا عمداً (ص) ونبوته ، وهم يجحدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل .

والثاني - قال الربيع : أنهم كتموا أمر القبلة . وقوله ﴿ وهم يعلمون ﴾

يحتمل امرين :

أحدهما - يعلمون صحة ما كتموه . والثاني - يعلمون ما لمن دفع الحق من العقاب والذم .

و (الهاء) في قوله: ﴿ يعرفونه ﴾ عائدة - في قول ابن عباس ، وقتادة ، والربيع - على أن أمر القبلة حق . وقال الزجاج هي عائدة على أنهم يعرفون النبي (ص) وصحة أمره ، وثبوت نبوته ، وإنما قال : ﴿ وان فريقاً منهم ليكتمون الحق ﴾ وفي أول الآية قال : ﴿ يعرفونه ﴾ على العموم ، لان أهل الكتاب منهم من أسلم وأقرب ما يعرف فلم يدخل في جملة الكافرين . كعبد الله بن سلام ، وكعب الاحبار ، وغيرها ممن دخل في الاسلام .

والعلم والمعرفة واحد . وحده ما اقتضى سكون النفس . وإن فصلت ، قلت : هو الاعتقاد للشيء على ما هو به مع سكون النفس . وفصل الرماني بين العلم والمعرفة ، بأن قال : المعرفة هي التي يتبين بها الشيء من غيره على جهة التفصيل . والعلم قد يتميز به الشيء على طريق الجملة دون التفصيل كعلمك بان زيداً في جملة العشرة . وإن لم تعرفه بعينه وإن فصلت بين الجملة التي هو فيها ، والجملة التي ليس هو فيها . وهذا غير صحيح

لان المعرفة أيضاً قد يتميز بها الشيء على طريق الجملة ، فلا فرق بينها . فان قيل لم قال : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ! انهم ابناءهم في الحقيقة ، ويعرفون أن عمداً (ص) هو النبي المبشر به في الحقيقة ؟ قلنا التشبيه وقع بين المعرفة بالأبن في الحكم : وهي معرفة تميزه بها من غيره ، وبين المعرفة بالنبي المبشر به في الحقيقة ، فوقع التشبيه بين معرفتين . إحداهما أظهر من الاخرى .

قوله تعالى :

﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (١٤٧)

آية بلا خلاف .

الاعراب :

« الحق » مرتفع بأنه خبر ابتداء محذوف وتقدير ذلك الحق من ربك أو هو الحق من ربك . ومثله مرتت برجل كريم زيد : اي هو زيد ، ولو نصب كان جائزاً في العربية على تقدير إعلم الحق من ربك .

المعنى :

وقوله : « فلا تكونن من الممترين » معناه من الشاكين ذهب اليه ابن زيد ، والربيع ، وغيرهما من المفسرين . والامتراء الاستخراج . وقيل : الاستدرار . فكأنه قال : فلا تسكن من الشاكين فيما يلزمك استخراج الحق فيه . قال الاعشى :

تدرّ على اسـؤق الممترية بن ركضاً إذا ما السراب ارجحن (١)

يعني الشاكين في درورها ، لطول سيرها . وقيل : المستخرجين ما عندها . قال صاحب العين : المري مسحك ضرع الناقة . تمر بها بيدك لكي تسكن ، للحلب ، والريح تمرى السحاب مربياً . والمريّة من ذلك . والمريّة الشك . ومنه الامتراء ،

(١) ديوانه : ٢٣ رقم القصيدة : ٢ ، والاسان « رجحن » تدر - بضم الدال وتشديد الراء - تجري بسرعة . الممترين : الذين يغمزون خيلهم بساقهم . ارجحن السراب : ارتفع في المطبوعة « وكفأ » بدل « ركضاً » و « السحاب » بدل « السراب » .

والتمازي ، والمهارة ، والمرء . وأصل الباب الاستدرار . ويقال : بالشكر تَمَتَّرَى النعم اي تستدر . وقال الحسن ، والريبع ، والحياطي : معنى الآية « فلا تكونن من المعترين » في الحق الذي تقدم اخبار الله به من أمر القبلة ، وعناد من كتم النبوة وامتناعهم من الاجتماع على ما قامت به الحججة . وقال بعضهم : « لا تكونن من المعترين » في شيء يلزمك العلم به . وهو الاولى ، لانه أعم ، والخطاب وان كان متوجهاً الى النبي (ص) فالمراد به الامة كما قال تعالى : « يا أيها النبي إذا طلقتم » (١) وقال : « يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين » (٢) . وقال قوم : إن الخطاب له ، لأنه إنما لا يجوز عليه ذلك لملازمته أمر الله . ولو لم يكن هناك أمر لم يصح أن يلزم . والنون الثقيلة يؤكد بها الأمر والنهي ، ولا يؤكد بها الخبر ، لما كان الخبر يدل على كون الخبر به ، وليس كذلك الأمر والنهي ، والاستخبار ، لأنه لا يدل على كون المدلول عليه ، فألزم الخبر التأكيدي بالقسم وما يتبعه من جوابه ، واختصت هذه الاشياء بنون التأكيدي ليدل على اختلاف المعنى في المؤكد . ولما كان الخبر أصل الجمل أكد بأبلغ التأكيدي وهو القسم .

قوله تعالى :

﴿ وَ لِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مَوَّلِيَّهَا فَاَتَّبِعُوا الْخَيْرَاتِ إِنَّمَا تَكُونُوا بِأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . (١٤٨)
آية بلا خلاف .

الفراة :

قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم (مولاًها) . وروي ذلك عن ابن عباس ومحمد بن علي ، فجعلوا الفعل واقماً عليه . والمعنى واحد ، كذا قال الفراء .

المعنى :

وفي قوله : « ولكل وجهة هو موليها » أقوال :

أحدهما - قال مجاهد ، والربيع ، وابن زيد ، وابن عباس ، والسدي : أن لكل أهل ملة من اليهود والنصارى .

الثاني - قال الحسن : إن لكل نبي وجهة واحدة : وهي الاسلام وإن اختلف الاحكام كما قال : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » أي في شرائع الانبياء .

الثالث - قال قتادة : هو صلاتهم الى بيت المقدس ، وصلاتهم الى الكعبة .

الرابع - ان لكل قوم من المسلمين وجهة ، من كان منهم وراء الكعبة وقد أمها أو عن يمينها أو عن شمالها ، وهو الذي اختاره الحيائي . والوجهة قيل فيه قولان : أحدهما - انه قبلة . ذهب اليه مجاهد ، وابن زيد . الثاني قال الحسن : هو ما شرعه الله لهم من اسلام .

وفي (جهة) ثلاث لغات : وجهة ، وجهة ، ووجه . وإنما أتى لانه اسم لم يجيء على الفعل . ومن قال : جهة . قال المبرد : جاء به على قولهم وجهني ، ووجهته . ومعنى « موليها » مستقبلها - في قول مجاهد وغيره . كأنه قال : مول إليها ، لان ولي اليه نقيض ولي عنه . كقولك : انصرف اليه ، وانصرف عنه . وقوله « هو » عائد - على قول اكثر المفسرين - الى كل . وقال قوم يعود على اسم الله حكاهم الزجاج . و « الخيرات » هي الطاعات لله - على قول ابن زيد وغيره - وقوله : « يأت بكم الله جميعاً » يعني يوم القيامة - من حيث ما تم من بلاد الله - وهو قول السدي ، والربيع وقد روي « ولكل وجهة » مضاف غير منون - وذلك لا يجوز ، لانه يكون الكلام ناقصاً ، لا معنى له ولا فائدة فيه . وقوله : « استبقوا » يحتمل معنيين :

أحدهما - بادروا الى ما أمرتم به مبادرة من يطلب سبق اليه .

الثاني - قال الربيع : سارعوا الى الخيرات . وهو الاولى ، لانه أعم .

اللغة :

والاستباق ، والابتدار ، والاسراع نظائر . قال صاحب العين : السبق : المقدمة في الجري وفي كل أمر . تقول : له في هذا الامر سبقة ، وسابقة وسبق : أي سبق الناس اليه . والسبق الحظر الذي يوضع بين اهل السباق ، وجمعه اسباق . والتسابقان في رجل الطائر الجارح قيده من خيط أو سير . واصل الباب السبق : التقدم في الامر .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِمَنْفُورٍ ﴾ ﴿١٤٩﴾ آية بلا خلاف .

قيل في تكرار قوله تعالى : « فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » قولان : احدهما - أنه لما كان فرضاً ، نسخ ما قبله ، كان من مواضع التأكيد لينصرف الى الحال الثانية بعد الحال الاولى على يقين .

والثاني - أنه مقدم لما يأتي بعده ويتصل به ، فأشبه الاسم الذي تكرره لتخبر عنه باخبار كثيرة كقولك : زيد كريم ، وزيد عالم ، وزيد حلیم ، وما اشبه ذلك مما تذكره لتعلق الفائدة به وإن كانت في نفسها معلومة عند السامع ، ومعنى قوله « وإِنَّهُ لَلْحَقُّ » الدلالة على وجوب المحافظة - من حيث كان حقاً لله فيه طاعة - ، ومعنى قوله « وَمَا اللَّهُ بِمَنْفُورٍ » ما هنا الهديد كما يقول الملك لعبيده ليس يخفى علي ما أنتم فيه ، ومثله قوله : « إِنَّ رَبَّكَ لَبَلْرَّصَادٌ » (١) . والوجه الجارحة المخصوصة وقد حده الرماني بأنه صفيحة فيها محاسن تعرف بها الجملة ، وحيث مبنية على الضم ، لانها كالغاية تمامها الاضافة الى المفرد ، دون الجملة ، لها بمنزلة الصلة ، فحرت لذلك مجرى قوله « من قيل ومن بعد » . (٢)

قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ تُشْطِرُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَرُولُواُ وَجُوهَكُمْ شُطْرَهُ لِيَتَلَّأَ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمِمْ عَلَيَّمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ « ١٥٠ » آية بلا خلاف .

المعنى :

قبل في تكرار قوله : « ومن حيث خرجت » ثلاثة اقوال :

احدها - لاختلاف المعنى وإن اتفق اللفظ ، لأن المراد بالاول : من حيث خرجت منصرفاً عن التوجه الى بيت المقدس . « قول وجهك شطر المسجد الحرام » وأريد بالتالي أين كنت في البلاد ، فتوجه نحو المسجد الحرام مستقبلاً كنت لظهر الكعبة أو وجهها أو يمينها أو شمالها .

الثاني - لاختلاف المواطن التي تحتاج الى هذا المعنى فيها .

الثالث - لانه مواضع التأكيذ بالنسخ الذي نقلوا فيه من جهة الى جهة للتقرير والتثبيت . فان قيل هل في قوله تعالى : « وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » حذف منه (في الصلاة) أم هو مدلول عليه من غير حذف ؟ قيل : هو محذوف ، لأنه اجتزأ بدلالة الحال عن دلالة الكلام ، ولولم يكن هناك حال دالة لم يكن بد من ذكر هذا المحذوف إذا أريد به الافهام لهذا المعنى فأما قوله : « علم وحكيم . فانه يدل على المعلوم من غير حذف .

ومعنى قوله : « لئلا يكون للناس عليكم حجة » ها هنا . قيل فيه قولان :

احدهما - لا تعدلوا عما أمركم الله في التوجه الى الكعبة ، فيكون لهم عليكم حجة ، بأن يقولوا لو كنتم تعلمون أنه من عند الله ما عدتم عنه .

الثاني - لئلا يكون لأهل الكتاب عليكم حجة لو جاء على خلاف ما تقدمت به البشارة في الكتب السالفة من أن المؤمنين سيوجهون إلى الكعبة .

وموضع اللام من « لئلا » نصب والعامل فيه أحد شيئين : قولوا . والآخر ما دخل الكلام من معنى عرفتمكم ذلك . وهو قول الزجاج .

وقوله : « إلا الذين ظلموا منهم » قيل فيه أربعة أقوال :

أحدها - أنه استثناء منقطع ، و « إلا » بمنزلة (لكن) كقوله ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ (١) وقوله : ماله علي إلا التعدي ، والظلم ، كأنك قلت : لكن يتعدى ويظلم ، وتضع ذلك موضع الحق اللازم ، فكذلك لكن الذين ظلموا منهم ، فإنهم يتعلقون بالشبهة ، ويضعونها موضع الحجة . فلذلك حسن الاستثناء المنقطع قال النابغة :

لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بمن قول من قراع الكتاب (٢)

جعل ذلك عيبهم على طريق البلاغة ، وإن كان ليس بعيب . كأنه يقول : إن كان فيهم عيب فهذا ، وليس هذا بعيب ، فإذا ليس فيهم عيب ، فكذا إن كان على المؤمنين حجة ، فللظالم في احتجاجه ، ولا حجة له ، فليس إذا عليهم حجة .

القول الثاني - أن تكون الحجة بمعنى المحاجة ، والمجادلة ، كأنه قال : لئلا يكون للناس عليكم حجج إلا الذين ظلموا منهم ، فإنهم يحاجوكم بالباطل .

الثالث - ما قاله أبو عبيدة إن (إلا) ها هنا بمعنى الواو كأنه قال : لئلا يكون للناس عليكم حجة والذين ظلموا منهم . وإن ذكر ذلك الفراء ، والمسبرد قال الفراء : لا محجة إلا بمعنى الواو إلا إذا تقدم استثناء كما قال الشاعر :

ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة إلا دار مروان

(١) سورة النساء آية : ١٥٦ .

(٢) اللسان « قل » (وقرع) . طول السيف . كسر من حده . القرع : الضرب الشديد

الكتائب جمع كتيبة وهي فرقة من الجيش المصنف .

وانشد الاخفش :

وأرى لها داراً بأغدره السير دان لم يدرس لها رسم
إلا رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالد سُرحم (١)

يعني أرى لها داراً ورماداً . وكأنه قال في البيت الاول : ما بالمدينة دار إلا دار
الخليفة ودار مروان . وخالفه ابو العباس فلم يجز ان تكون (إلا) بمعنى الواو أصلاً .
الرابع — قال قطرب : يجوز الاضمار على معنى لئلا يكون للناس عليكم حجة
إلا على الذين ظلموا . وموضع الذين عنده خفض على هذا الوجه يجعله بدلا من الكاف
كأنه قيل في التقدير : لئلا يكون للناس على أحد حجة إلا الظالم . قال الرماني : وهذا
وجه بعيد لا ينبغي أن يتأول عليه ، ولا على الوجه الذي قاله ابو عبيدة والاختيار
القول الاول .

و أثبتت (الياء) في قوله « واخشوني » ها هنا ، وحذفت فيما عداه ، لانه
الاصل ، وعليه اجماع ها هنا . واما الحذف فللاجزاء بالسكسرة من الياء .
وقوله : « واخشوني » معناه واخشوا عقابي بدلالة الكلام عليه في الحال ، وإثما
ذكرم فقال « فلا تخشوم » لانه لما ذكرهم بالظلم ، والاستطالة بالخصومة والمنازعة
طيب بنفوس المؤمنين أي فلا تلتفتوا الى ما يكون منهم فان عاقبة السوء عليهم . وقال
قنادة ، والربيع : المعنى بالناس ها هنا أهل الكتاب . وقال غيرها : هو على العموم
— وهو الاقوى — وقال ابن عباس ، والربيع ، وقنادة : المعنى بقوله « الذين
ظلموا » مشركوا العرب . وقال قوم : هو على العموم — وهو الاولى — .
وقوله « لئلا » ترك الهمزة نافع . الباقون يهزون . ويلين كل همزة مفتوحة
قبلها كسرة . والحجة هي الدلالة . وهي البرهان .

قوله تعالى :

« كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزُكِّيكم ويُعلمكم »

الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون» (١٥١) -
آية بلا خلاف .

المعنى :

التشبيه بقوله ﴿ كما أرسلنا ﴾ يحتمل أمرين :

أحدهما - ان النعمة في أمر القبلة كالنعمة بالرسالة ، لان الله لطيف بعباده بها على ما يعلم من المصلحة ، ومحمود العاقبة .

الثاني - الذي أمر الله به كالنعمة بالرسالة فيما ينبغي ان يكون عليه من المنزلة في العظم والاخلاص لله ، كعظم النعمة . وهو على نحو قوله : ﴿ كما احسن الله اليك (١) والعرب تقول : الجزاء بالجزاء ، فسمي الاول باسم الثاني للمقابلة ، والتشبيه لكل واحد منها بالآخر .

الاعراب :

و (ما) في قوله : ﴿ كما ﴾ مصدرية . كأنه قال : كارسالنا فيكم ويحتمل أن تكون كافة قال الشاعر :

أعلاقة أم الوليد بعـ دما أفنان رأسك كالنغام الخلس (٢)

لأنه لا يجوز كما زيد يحسن اليك ، فأحسن الى أبنائه . والعامل في قوله ﴿ كما ﴾ يجوز أن يكون أحد أمرين :

أحدهما - الفعل الذي قبله : وهو قوله : ﴿ ولأنتم نعمتي عليكم ﴾ ﴿ كما أرسلنا فيكم ﴾ والقول الثاني - الفعل الذي بعده : وهو فاذا كروني ﴿ كما أرسلنا ﴾ . والأول

(١) سورة القصص آية : ٧٧ .

(٢) قائله المرار الاسدي ، وفي التشكيلة المرار النقمسي .

(٣) اللسان « عاق » و « نغم » و « فنن » العلاقة : الحب . أفنان خصل الشعر .

الغمام شجر ابيض . الخلس : الذي بين السواد والبياض : فكانه يقول : أحب بعد الشيب .

أحد قولي الفراء ، والزجاج واختاره الجياني . والثاني قول مجاهد والحسن ، وابن أبي
يحتج بأحد قولي الفراء ، والزجاج ، واختيار الزجاج . وقال الفراء : لا ذكروني
جوابان : احدهما - ﴿ كما ﴾ . والآخر - أذكركم ، لأنه لما كان يجب عليهم الذكـ
ليذكرهم الله برحمته ، ولما سلف من نعمته ، أشبه - من هذا الوجه - الجواب ، لأنه
يجب للثاني فيه بوجوب الأول .

المعنى :

وقوله : ﴿ يزكيبكم ﴾ معناه يعرضكم لما تكونوا به أزكيا من الأمر بطاعة
الله واتباع مرضاته . ويحتمل أيضاً أن يكون المراد : ينسبكم إلى أنكم أزكيا شهادة
لكم بذلك ، ليعرفكم الناس به ، وإنما قال : ﴿ الكتاب والحكمة ﴾ لاختلاف الفائدة
في الصفتين وإن كانتا لموصوف واحد . كقولك : هو العالم بالأمور القادر عليها .
ويحتمل أن يكون أراد بالكتاب : القرآن ، وبالْحِكْمَةَ : الوحي من السنة .

والكاف في قوله : ﴿ فيكم ﴾ خطاب للعرب - على قول جميع أهل التأويل .
وقوله : ﴿ وبلممكم ﴾ معناه مالا سبيل لكم إلى علمه إلا من جهة السمع ،
فذكرهم الله بالنعمة فيه . ويكون التعليم لما عليه دليل من جهة العقل تابعا للنعمة فيه .
ولا سيما إذا أوقع موقع اللطف .

ومعنى الارسال : هو التوجه بالرسالة والتحجيل لها ليؤدي الى من قصد ،
فالدلالة والرسالة جملة مضمنة بمن يصل اليه بمن قصد بالمخاطبة .
والتلاوة : ذكر الكلمة بعد الكلمة على نظام متسق في الرتبة .
والتزكية : النسبة الى الازدياد من الأفعال الحسنة التي ليست بمشوبة . ويقال
أيضاً على معنى التعريض لذلك بالاستدعاء اليه واللطف فيه .
والْحِكْمَةَ : هي العلم الذي يمكن به الأفعال المستقيمة .

قوله تعالى :

﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكَرَكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ (١٥٢)

آية بلا خلاف .

المعنى :

الذِّكْرُ المأمور به في الآية ، والموعود به ، قيل فيه أربعة أقوال :

أحدهما - قال سعيد بن جبير « اذكروني » بطاعتي « اذكركم » برحمتي .

الثاني - « اذكروني » بالشكر ﴿ اذكركم ﴾ بالثواب .

الثالث - ﴿ اذكروني ﴾ بالدعاء ﴿ اذكركم ﴾ بالاجابة .

الرابع - ﴿ اذكروني ﴾ بالتناء بالنعمة ﴿ اذكركم ﴾ بالتناء بالطاعة .

المغز :

والذِّكْرُ : حضور المعنى للنفس ، فقد يكون بالقلب ، وقد يكون بالقول ، وكلاهما يحضر به المعنى للنفس ، وفي اكثر الاستعمال يقال : الذِّكْرُ بعد النسيان ، وليس ذلك بموجب إلا ان يكون إلا بعد نسيان ، لان كل من حضره المعنى بالقول أو العقْد أو الحضور بالبال : ذاكر له - واصله التنبية على الشيء . فمن ذكّر ناسياً ، فقد تنبّه عليه . وإذا ذكرناه نحن فقد تنبّهنا عليه . والذِّكْرُ نقيض الاتي ﴿ وإنه لذكر لك ﴾ (١) أي شرف لك من النباهة والجلالة . والفرق بين الذِّكْرُ ، والخاطر . أن الخاطر : مرور المعنى بالقلب ، والذِّكْرُ قد يكون ثابتاً في القلب . وقد يكون بالقول .

الاعراب :

وقوله تعالى : ﴿ واشكروا لي ﴾ معناه اشكروا لي نعمتي فحذف ، لان حقيقة الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم . وقوله : ﴿ ولا تكفرون ﴾ فيه حذف ،

وتقديره : ولا تكفروا نعمتي ، لان الكفر هو ستر النعمة وجحدها . لاستر المنعم . وقولهم حمدت زيدا ، وذمت عمراً ، فلا حذف فيه وإن كنت إنما تحمد من اجل الفعل الحسن ، وتذم من اجل الفعل القبيح . كما أنه ليس في قولك : زيد متحرك حذف ، وإن كان إنما تحرك من أجل الحركة . وليس كل كلام دال على معني غير مذكور يكون فيه حذف ، لأن قولك زيد ضارب دال على مضروب ، وليس بمحذوف ، وكذلك زيد قاتل دال على مقتول ، وليس بمحذوف ، فالحمد للشيء دلالة على انه محسن ، والذم له دلالة على انه مميء . كقولك : نعم الرجل زيد ، وبئس الرجل عمرو ، وكذلك قولك : زيد المحسن ، وعمرو المميء ، ليس فيه محذوف ويقال : شكرتك ، وشكرت لك ، وإنما قيل شكرتك ، لانه أرفع اسم المنعم موقع النعمة ، فعدى الفعل بغير واسطة والاجود : شكرت لك النعمة ، لانه الاصل في الكلام ، والاكثر في الاستعمال . قال الشاعر (١) :

همُ جمعوا بؤسى ونعمى عليكم فهلاً شكرت القوم إذ لم تقاتل (٢)

ومثل ذلك نصحتك ، ونصحت لك ، وإمّا حذف (الياء) في الفواصل ؛ لانها في نية الوقف ، فلذلك قال ﴿ ولا تكفرون ﴾ بغير (ياء) وهي في ذلك كالفواني التي يوقف عليها بغير ياء كقول الاعشى :

ومن شانيء كاشف وجهه إذا ما انتسبت له أنكرن (٣)

يعني أنكرني فحذف الياء .

(١) نسبة ابو حيان في تفسيره ١ : ٤٤٧ : لعمر بن لجأ .

(٢) معاني القرآن للفراء : ١ : ٩٢ يقول : لماذا لم تشكر القوم الذين جمعوا لك النعم والبؤس وانت لم تقاتل .

(٣) ديوانه : ١٩ . رقم القصيدة ٢ . في المطبوعة « بلة » بدل « وجهه » و « ذكرت »

بدل « انتسبت » .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٥٣) آية واحدة بلاف خلاف .

اللفظ والمعنى :

الصبر هو حبس النفس عما تدعو اليه من الامور ، والصابر هو الحابس نفسه عما تدعو اليه مما لا يجوز له . وهو صفة مدح . ووجه الاستعانة بالصبر أن في توطين النفس على الأمور تسهلاً لها . واستشعار الصبر إنما هو توطين النفس . ووجه الاستعانة بالصلاة ما فيها من الذكر لله ، واستشعار الخشوع له ، وتلاوة القرآن وما فيه من الوعظ ، والتخويف ، والوعد ، والوعيد ، والجنة ، والنار ، وما فيه من البيان الذي يوجب الهدى ويكشف العمى . وكل ذلك داع الى طاعة الله ، وزاجر عن معاصيه ، فمن عاينها كان فيه المعونة على ما فيه المشقة من الطاعة . وأما الاستعانة فهي الأزيادة في القوة مثل من يريد أن يحمل مئة رطل فلا يتعباً له ذلك فإذا استعان بزيادة قوة تأتي ذلك ، وكذلك إن عاونه عليه غيره وعلى ذلك السبب والآلة ، لانه بمنزلة الزيادة في القوة . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ أي معهم بالمعونة ، والنصرة ، كما تقول : إذا كان السلطان معك ، فلا تقال من لقيت . وقد تكون (مع) في الكلام على معنى الاجتماع في المكان . وذلك لا يجوز عليه تعالى .

وفي الآية دلالة على أن الصلاة فيها لطف ، لان الله تعالى أمرنا بالاستعانة بها ، وتوضيحه قوله : ﴿ ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ﴾ (١) ولولا هذا النص ، لجوزنا أن يكون في غير ذلك . والذي يستعان عليه بالصبر والصلاة . قيل فيه قولان :

احدهما - طاعة الله ، كأنه قال استعينوا بهذا الضرب من الطاعة على غيره فيها .

والثاني - على الجهاد في سبيل الله ، لأعدائه .

الاعراب :

وموضع الذين رفع لا يجوز غير ذلك عند جميع النحويين إلا المازني ، فإنه أجاز يا أيها الرجل اقبل ، والعامل فيه ما يعمل في صفة المتأدي - عند جميع النحويين - إلا الأحفش ، فإنه يجعله صلة لأي ويرفعه بأنه خبر ابتداء محذوف ، كأنه قيل : يامن هم الذين آمنوا . إلا أنه لا يظهر المحذوف مع أي ، وإنما حمّله على ذلك لزوم البيان له ، فقال : الصلة تلزم ، والصفة لا تلزم . قال الرماني والوجه عندي أن تكون صفة بمنزلة الصلة في اللزوم ، وإنما لزم أي ها هنا في النداء ، لأن العرض بحرف التثنية وقع في موضع التثنية ، فلزم ، فلا يجوز أن تقول : نعم الذين في الدار ، لأن نعم إنما تعمل في الجنس الذي يكره إذا أضمر فسر بها .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقُولنَّ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ ۚ بَلْ أحياءٌ وَلَكنَّ

لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (١٥٤) آية بلا خلاف .

المعنى :

فان قيل : هل الشهداء أحياء على الحقيقة ، أم معناه أنهم سيجيئون وليسوا أحياء ؟ قلنا : الصحيح أنهم أحياء الى أن تقوم الساعة ، ثم يحييهم الله في الجنة ، لا خلاف بين أهل العلم فيه إلا قولاً شاذاً من بعض المتأخرين . والأول قول الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، والحلياني ، وابن الاخشاد ، والرماني ، وجميع المفسرين . والقول الثاني حكاه البلخي . يقال : ان المشركين كانوا يقولون : إن أصحاب محمد (ص) يقتلون نفوسهم في الحرب لا المعنى ، فأ نزل الله تعالى الآية . وأعلمهم أنه ليس الأمر على ما قالوه ، وأنهم سيجيئون يوم القيامة ويتابون ، ولم يذكر ذلك غيره . وقيل : ليس هم أمواتاً بالضلالة بل هم أحياء بالطاعة ، والهدى ، كما قال : ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه ﴾ (١)

فجعل الضلالة موتاً ، والهداية حياة . وقيل : معناه ليس هم أمواتاً باقظاع الذكر ، بل هم احياء ببقاء الذكر عند الله ، وثبوت الاجر عنده . واستدل ابو علي الجبائي على أنهم احياء في الحقيقة بقوله : ﴿ ولكن لا تشعرون ﴾ فقال : لو كان المعنى سيحيون في الآخرة ، لم يقل للمؤمنين المقربين بالبعث ، والنشور ﴿ ولكن لا تشعرون ﴾ لأنهم يملعون ذلك ، ويشعرون به . فان قيل : ولم خص الشهداء بأنهم احياء ، والمؤمنون كلهم في البرزخ احياء ؟ قيل يجوز أن يكونوا ذكروا اختصاصاً ، تشريهاً لهم . وقد يكون على جهة التقديم للبشارة بذكر حالهم في البيان لما يختصون به من أنهم يرزقون ، كما قال تعالى ﴿ بل احياء عند ربهم يرزقون ﴾ (١) . وإنما قيل للاجتهاد سبيل الله ، لأنه طريق الى ثواب الله تعالى .

اللفظ :

والموت : نقص بنية الحياة . والموت - عند من قال إنه معنى عرضي - ينافي الحياة منافاة التماقب . ومن قال : ليس بمعنى قال : هو عبارة عن فساد بنية الحياة . فأما الحياة ، فهي معنى بلا خلاف .

الاعراب :

وقوله : ﴿ أموات ﴾ رفع بانه خبر ابتداء محذوف ، كأنه قال : لا تقولوا هم أموات . ولا يجوز فيه النصب على قولك : قلت خيراً ، لأن الخبر في موضع المصدر كأنه قال : قلت قولاً حسناً . فأما قوله ﴿ ويقولون طاعة ﴾ (٢) فيجوز فيه الرفع والنصب في العربية : الرفع على منا طاعة : والنصب على نطيع طاعة والفرق بين (بل) و (لكن) ان (لكن) نفي لأحد الشئين ، وإثبات للآخر ، كقولك : ما قام زيد لكن عمرو ، وليس كذلك (بل) ، لأنها للأضراب عن الأول ، والإثبات للتاني ، ولذلك وقعت في الإيجاب كقولك : قام زيد بل عمرو . فأما اذا قصد المتكلم ، فأما هو ليدل

(١) سورة آل عمران آية : ١٦٩ . (٢) سورة النساء آية : ٨٠ .

على أن الثاني أحق بالآخبار عنه من الأول ، كقولك : قام زيد بل عمرو ، كأنه لم يعتد بقيام الأول .

اللفز :

والشعور : هو ابتداء العلم بالشيء من جهة المشاعر ، وهي الحواس ، ولذلك لا يوصف تعالى بأنه شاعر ، ولأنه يشعر ، وإنما يوصف بأنه عالم ويعلم . وقد قيل : إن الشعور إدراك مادق للطف الحسن مأخوذ من الشعر لدقته ، ومنه شاعر ، لأنه يفتن من إقامة الوزن وحسن النظم بالطبع لما لا يفتن له غيره .

المعنى :

فإن قيل : هل كون عقولهم إذا كانوا أحياء ، وكيف يجوز أن يصل اليهم ثوابهم مع نقصان عقولهم ؟ قيل الثواب لم يصل اليهم على كنهه وإنما يصل اليهم طرف منه . ومثلهم في ذلك مثل التام على حال جميلة في روضة طيبة يصل اليهم طيب ريحها ولذيذ نسيمها على نحو ما جاء في الحديث من انه يفصح له مد بصره ، ويقال له تم نومة العروس . وأما الذين قتلوا في سبيل الله ، فعلى ما ذكرناه من الاختصاص بالفضيلة . فإن قيل : كيف يجوز أن يكونوا أحياء - ونحن نرى جنتهم على خلاف ما كانت عليه في الدنيا . ؟ قيل : إن النعيم إنما يصل الى الروح وهي الحية ، وهي الانسان ، دون الجثة - والجثة كالجنة واللباس لصيانة الأرواح . ومن زعم ان الانسان هذه الجثة المعروفة وجعل الجنة جزء منها فإنه يقول : يلطف أجزاء من الانسان توصل اليه النعيم ، وإن لم يكن الانسان بكأله على نحو ما ذكرنا أن النعيم لا يصل اليه نفسه .
قوله تعالى :

« وَتَلْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ وَبَشَرِ الصَّابِرِينَ » (١٥٥) .

الخطاب بهذه الآية متوجه الى اصحاب النبي (ص) - على قول عطاء ، والربيع

وابن علي ، والرمانى ، ولو قيل : أنه خطاب لجميع الخلق ، لكان ايضاً صحيحاً ، لأن ذلك جاز في جميعهم .

اللفظ :

والابتلاء في الاصل : الطلب لظهور ما عند القادر على الأمر من خير أو شر . والابتلاء ، والاختبار ، والامتحان ، بمعنى واحد ، والابتلاء بهذه الأمور المذكورة في الآية بأمر مختلف . فالخوف هو انزاج النفس لما يتوقع من الضرر ، وكان ذلك لقصد المشركين لهم بالمدارة . والجوع كان لفقرهم وتشاغلهم بالجهاد في سبيل الله عن المعاش . ونقص الأموال لانقطاع بالجهاد عن العمارة . والأفْس بالقتل في الحرب مع رسول الله (ص) . والجوع ضد الشبع . يقال جاع يجوع جوعاً ، وأجاعه إجابة ، وجوعه تجويعاً ، وتجوّع تجوّعاً . قال صاحب العين : الجوع اسم جامع للمخمصة ، والمجاعة : عام فيه جوع . والنقص تقيض الزيادة . قال صاحب العين : النقص الحسران في الحظ . تقول نقص نقصاً ، وانتقص انتقاصاً ، وتناقص تناقصاً ، ونقصه تنقيصاً ، واستنقص استنقاصاً ، وتنقصه تنقصاً . والنقصان يكون مصدرأ أو إسمأ ، كقولك : نقصانه كذا : أي قدر الذاهب . ونقص الشيء ، ونقصته ، ودخل عليه نقص : في عقله ودينه . ولا يقال : نقصان . والنقيصة : الوقيصة في الناس . والنقيصة انتقاص حق ذي الرحم . وتنقصه تنقصاً : اذا تناول عرضه . واصل الباب النقص الحظ من النمام . والمال معروف . وأموال العرب أنعامهم . ورجل مال : أي ذو مال . ونال : أي ذو نوال . وتقول : تمول الرجل ، ومول غيره . واصل الباب المال المعروف . والثمرة : أفضل ما تحمله الشجرة .

المعنى :

ووجه المصلحة في ذلك هو ما في ذلك من الامور المزعجة الى الاستدلال والنظر في الادلة الدالة على النبوة ، وليعلم ايضاً انه ليس فيما يصيب الانسان من شدة في الدنيا ما يوجب نقصان منزلته . ففي ذلك ضروب العبرة . فان قيل إذا كان الله

قد فعل الابتلاء بهذه الاشياء ، والمشركون أوقعوها بالمؤمنين ففي ذلك إيجاب فعل من فاعلين . قلنا : لا يجب ذلك ، لان الذي يفعله الله تعالى غير الذي يفعله المشركون ، لأن علينا ان نرضى بما فعله الله ونسخط بما فعله المشركون ، وليس يقدررون على شيء مما ذكر في الآية ، ولسكنهم يقدررون على التعريض له بما هو محرم عليهم ، وقبيح منهم .

الاعراب :

وفتحت الواو في لنبلونكم لامرين :
احدها - للعلّة التي فتحت الراء في لتنصرنكم (١) وهو أنه بني على الفتحة ، لانها أخف إذ استحق البناء على الحركة كما استحق (يا) في النداء حكم البناء على الحركة .

الثاني - أنه فتح لالتقاء الساكنين إذ كان قبل معتلا لا يدخله الرفع .

المعنى :

وأما قال : « بشيء » من الخوف ولم يقل : بأشياء لامرين :
احدها - لثلاثتهم بأشياء من كل واحد ، فيدل على ضروب الخوف ، ويكون الجمع كجمع الاجناس للاختلاف ، فقدر : شيء من كذا ، وشيء من كذا ، وأغنى المذكور عن المحذوف .

والتاني - أنه وضع الواحد في موضع الجمع للابهام الذي فيه ك (من) .
والابتلاء بما ذكر لا بد ان يكون فيه لطف في الدين ، وعض في مقابلته ، ولا يحسن فعل ذلك لمجرد العوض - على ما ذهب اليه قوم - . فان قيل : الابتلاء بأمر القبلة وغيره من عبادات الشرع هل يجري مجرى الألم - عند المصيبة ؟ قلنا : لا ، بلا خلاف ها هنا ، فانه لا بد ان يكون فيه لطف في الدين فان (٢) كان فيه

(١) في المطبوعة « لنفربنكم » وهو شاطط .

(٢) والاصح « وان كان » بدل « فان كان »

خلاف في الألم ، لأن هذه طاعات يستحق بها الثواب . وبالأخص بها - إذا كانت واجبة - يستحق العقاب ، فلا يجزي مجرى الألم المحض . والصبر واجب كوجوب العدل الذي لا يجوز عليه الانقلاب - في الشرع - إذ الصبر حبس النفس عن الفبيح من الأمر ، وقد بينا فيما مضى ابتلاء الله تعالى العالم بالعواقب ، فإن المراد بذلك أنه يعامل معاملة المبتلي ، لأن العدل لا يصح إلا على ذلك ، لأنه لو أخذهم بما يعلم أنه يكون منهم ، قبل أن يفعلوه ، لكان ظلماً وجوراً ، فبين الله بعد ، أنه يعاملهم بالحق دون الظلم .

والوقوف على قوله : ﴿ وبشر الصابرين ﴾ حسن ، وقال بعضهم : لا يحسن . وذلك غلط ، من حيث كانت صفة مدح ، وعامل الصفة في المدح غير عامل الموصوف ، وإنما وجب ذلك ، لأن صفة صابر صفة كصفة تقي ، كما قال الله تعالى : ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ (١) .

والجوع : الحاجة إلى الغذاء ، وتختلف مراتبه في القوة والضعف . وقد يقال : جوع كاذب ، لأنه يتخيل به الحاجة إلى الغذاء لبعض الأمور العارضة من غير حقيقة .

وقوله تعالى : ﴿ وبشر الصابرين ﴾ فالتبشير في الأصل هو الإخبار بما يسر ، أو نعمة ، يتغير له الشره ، غير أنه كثر استعماله فيما يسر . والصبر المحمود هو حبس النفس عما قبح من الأمر .
قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾
(١٥٦) آية بلا خلاف .

المعنى :

في قوله : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ إقرار لله بالعبودية ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ فيه إقرار

بالبعث والنشور ، وإن مآل الامر يصير إليه ، وإنما كانت هذه اللفظة تعزية عن المصيبة ، لما فيها من الدلالة على أن الله يجزها (١) ان كانت عدلا ، وينصف من فاعلها إن كانت ظلماً . وتقديره ﴿ إنا لله ﴾ تسليماً لأمره ورضاً بتقديره . ﴿ وإنا إليه راجعون ﴾ ثقة بأننا إلى العدل نصير .

اللفظ :

والمصيبة هي المشقة الداخلة على النفس ، لما يلحقها من مضرة ، وهي من الاصابة ، لأنها يصيبها بالبليّة . ومعنى الرجوع الى الله : الرجوع الى انفراده بالحكم كما كان أول مرة لأنه قد ملأ قوماً في الدنيا شيئاً من الضر ، والنفع لم يكونوا يملكونه ، ثم يرجع الأمر الى ما كان إذا زال تملك العباد .

وأصل الرجوع هو مصير الشيء الى ما كان ، ولذلك يقال : رجعت الدار الى فلان إذا اشتراها مرة ثانية . والرجوع والعود ، والمصير نظائر .

وفي الآية معنى الامر لانها مدح عام ، لكل من كان على تلك الصفة بتلك الحصلة . وأجاز الكسائي والقراء في ﴿ إنا لله ﴾ الامالة ، ولا يجوز ذلك في غير اسم الله ، مثل قولك : إنا لزيد ، لا يجوز إمالته ، وإنما جاز الامالة مع اسم الله الكثرة الاستعمال حتى صارت بمنزلة الكلمة الواحدة ، وإنما لم يجز الامالة في غير ذلك ، لأن الحروف كلها وما جرى مجراها لا يجوز فيها الامالة مثل (حتى) و (لكن) و (بما) وما شبه ذلك ، لأن الحروف بمنزلة بعض الكلمة من حيث امتنع فيها التصريف الذي يكون في الأسماء والأفعال .

قوله تعالى :

﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم

المهتدون ﴾ (١٥٧) آية بلا خلاف .

﴿ أو آتئك ﴾ إشارة إلى الصابرين الذين وصفهم الله في الآية الأولى .

وقيل في معنى الصلاة ثلاثة أقوال :

أحدها - أنها الدعاء ، كما قال الأعشى :

وصلّى على دّنها وارتمم (١)

أي دعا لها .

والثاني - أنها مشتقة من الصلوى مكتنفاً ذنب الفرس أو الناقة ،

فسميت الصلاة - في الشرع - بذلك ، لرفع الصلوة في الركوع والسجود . الثالث -

قال الزجاج : إن أصلها اللزوم من قوله ﴿ تصلى ناراً حامية ﴾ (٢) أي تلزمها ،

والصلاة من أعظم ما يلزم من العبادة . وقال قوم : معنى الصلاة ها هنا : الثناء الجميل .

وقيل : بركات الدعاء ، والثناء يستحق دائماً ، ففيه معنى اللزوم ، وكذلك الدعاء يدعا

به مرة بعد مرة ، ففيه معنى اللزوم . والمصلي من الخيل الذي يلزم أثر السابق .

ومعنى ﴿ المهتدين ﴾ يعني إلى الحق الذي به ينال الثواب ، والسلامة من

العقاب . والرحمة : الانعام على المحتاج ، وكل واحد يحتاج إلى نعمة الله . والاهتداء :

الإصابة لطريق الحق وهو الإصابة للطريق المؤدي إلى النعمة .

قوله تعالى :

﴿ إن الصّفا والمرّوة من شعائر الله فمن حجّ البيت أو اعتمر -

فلا جناح عليه أن يطّوف بهما ومن تطوّع خيراً فإن الله شاكر عليم ﴾

(١٥٨) آية بلا خلاف .

الفردة :

قرأ حمزة والكسائي ﴿ ومن يطوع ﴾ بالياء ، وتشديد الطاء ، والواو ،

وسكون العين . الباقيون بالياء على فعل ماض .

(١) ديوانه : ٣٥ ، رقم القصيدة : ٤ واللسان « صلا » وقد مر البيت في ١ : ٥٦ - ١٩٣ .

(٢) سورة الغاشية آية : ٤ .

المفرد:

الصفا - في الاصل - الحجر الاملس مأخوذ من الصفو . قال المبرد : الصفا : كل حجر لا يخلط غيره ، من طين أو تراب يتصل به حتى يصير منه ، وإنما اشتقاقه من صفا يصفو - إذا خلص - وهو الصافي الذي لا يكدره شيء يشوبه . وقيل واحد الصفا : صفا . وقيل بل هو واحد يجمع اصفاء أو صفى - وأصله من الواو - ، ولأنك تقول - في تثنيته : صفوان ، ولأنه لا يجوز فيه الامالة .

والمروة في الاصل: هي الحجارة الصلبة اللينة . وقيل : الصفا: الصغير ، والمروة : لغة في المرو . وقيل انه جمع مثل تمر وتمر ، قال ابو ذؤيب :

حتى كأنني للحوادث مروة (١)

والمرؤ : نبت . والاصل الصلابة . والنبت سمي بذلك لصلابة بزره . والصفاء والمرؤة : هما الجبلان المعروفان بالحرم ، وهما من الشمار ، كما قال الله تعالى .
والشمار : المعالم للاعمال ، فشمار الله : معالم الله التي جعلها مواطن للعبادة ، وهي اعلام متعبداته من موقف ، أو مسمى ، أو منحرج ، وهو مأخوذ من شعرت به : أي علمت ، وكل معلم لعبادة من دعاه ، أو صلاة ، أو أداء فريضة ، فهو مشعر لتلك العبادة ، وواحد الشعائر شعيرة ، فشمار الله اعلام متعبداته قال السكيت بن زيد :

نقتلهم جيلا فجيلا راهم شعائر قربان بهم تتقرب (٢)

والحج : قصد البيت بالعمل المنشروع من الاحرام ، والطواف ، والوقوف بعرفة والسعي بين الصفا والمروة . واشتقاقه من الحج الذي هو القصد - على وجه التكرار والتردد قال الشاعر (٣) :

(١) ديوانه ٣ . من تصيدة الباردة في رثاء اولاده . ونجزة :

بصفا المشرق كل يوم يقرع

ويرى « المشرق » وهو سوق الطائف . المرؤة : الضخمة . والمشرق : الناسك بمنى يصف الشاعر نفسه بأمره من كثرة الحوادث : أصبح كالسخر في مكان نمر بها الناس كثيراً وقرنها واحد بعد الآخر .

(٢) « اللسان » شعر « والهاشميات : ٢١ » « ٣ » هو أنجيل السمدي ، وهو مخضرم .

وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون بسب الزبرقان المزعفرا (١)

يعني يكثرون التردد اليه بسؤدد . وقال آخر :

يحج مأمومة في قمرها لجف (٢)

وأما العمرة في الأصل فهي الزيارة وهي ها هنا زيارة البيت بالعمل المشروع : من طواف الزيارة والأحرام . وأخذت العمرة من العارة لان الزائر للمكان يعمره بزيارته له ، وقوله : ﴿ فلا جناح عليه ﴾ . فالجناح هو الميل عن الحق ، وأصله من جنح إليه جنوحاً إذا مال اليه . قال صاحب العين : الاجناح : الميل . اجنحت هذا فأجتجح أي املته قال . وقوله : ﴿ وإن جنحوا للسلم فأجنح لها ﴾ (٣) أي مالوا إليك لصلح فحل إليهم . وجناحا الطائر : بداه ، وبدا الانسان : جناحاه . وجناحا المسكر جانباه ، وجناحا الوادي : مجريان عن يمينه وشماله . وجنحت الأبل في السير إذا أسرعت . وإنما قيل للاضلاع جوائح ، لاعتواجها . وجنحت السفينة إذا مالت في أحد شقيها . وكل مائل إلى شيء فقد جنح إليه ﴿ ولا جناح عليكم ﴾ أي ميل إلى مأمم . وكل ناحية : جناح ، ومر جنح من الليل أي قطعة نحو نصفه . وأصل الباب الميل . والطواف : الدور حول البيت . ومنه الطائف : الدائر بالليل . والطائفة الجماعة كالحلقة الدائرة . ويطوف أصله يتطوف ، فادغمت التاء في الطاء ، لانها من مخرجها ، والطاء

« ١ » البيان والتبيين ٣ : ٩٧ واللسان (سب) (حجج) (زبرق) حل بالمسكان حلولا : اذا نزل القوم به . يحجون يكثرون الاختلاف اليه . (سب الزبرقان) الزبرقان بن بدر الفزاري وهو من سادات العرب . وقيل ان سب : است : وقيل عمامة . المزعفر المصبوغ بالزعفران . يقول يكثرون الذهاب الى هذا الرجل الذي يصبغ عمامته ، أو استه بالزعفران . وهذا هجاء له .

« ٢ » اللسان (حجج) (لجف) ومجزء :

فاست الطيب تذاها كالمغاريد

يحج : يزور أو يكشف . مأمومة : شجة في أم الرأس . في قمرها : في أقصاه . لجف : حفر . فاست : فيل . المغاريد : صمغ معروف يوضع على الجرح .

يقول يرى شجة في أم الرأس يخاف من رؤيتها ويجزع ، فيصفر من هولها .

« ٣ » سورة الانفال آية : ٦٢ .

أقوى بالجهر منها. والفرق بين الطاعة والتطوع : ان الطاعة موافقة الارادة في الفريضة والنافلة . والتطوع التبرز بالنافلة خاصة . واصلمها الطوع الذي هو الايقاد .

المعنى :

وإما قال ﴿ فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ وهو طاعة ، من حيث أنه جواب لمن توهم أن فيه جناحاً ، لصنمين كانوا عليه : احدها إساف ، والآخر نائلة ، في قول الشعبي ، وكثير من أهل العلم . وروى ذلك عن ابى جعفر وابى عبد الله (ع) وكان ذلك في عمرة القضاء ولم يكن فتح مكة بعد ، وكانت الاصنام على حالها حول الكعبة وقال قوم : سبب ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بينها ، فسكره المسلمون ذلك خوفاً أن يسكون من أفعال الجاهلية ، فأزل الله تعالى الآية . وقال قوم عكس ذلك : أن أهل الجاهلية كانوا يكرهون السعي بينها ، فظن قوم أن في الاسلام مثل ذلك ، فأزل الله تعالى الآية . وجملة أن في الآية ردّاً على جميع من كرهه ، لاختلاف أسبابه . والطواف بينها فرض عندنا في الحج والعمرة ، وبه قال الحسن وعائشة وغيرهما ، وهو مذهب الشافعي ، وأصحابه . وقال أنس بن مالك ، وروى عن ابن عباس : أنه تطوع وبه قال ابو حنيفة ، وأصحابه ، واختاره الجياني . وعندنا ان من ترك الطواف بينها متعمداً ، فلا حج له حتى يعود فيسمى ، وبه قالت عائشة ، والشافعي . وقال ابو حنيفة ، وأصحابه ، والنوري : إن عاد ، فحس ، وإلا جيره بدم ، وقال عطاء ، ومجاهد يجزيه ولا شيء عليه . وقوله تعالى : ﴿ ومن تطوع خيراً ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال :

أولها « من تطوع خيراً » اي بالحج أو العمرة بعد الفريضة . الثاني - « ومن تطوع خيراً » أي بالطواف بهما عند من قال إنه نقل . الثالث - « من تطوع خيراً » بعد الفرائض ، وهذا هو الأولى ، لانه أعم . وفي الناس من قال : وهو الجياني ، وغيره : إن التقدير فلا جناح عليه ألا يطوف بهما كما قال : « بين الله لكم أن تضلوا » ومعناه ألا تضلوا وكما قال : « أن تقولوا يوم القيامة » (١) . ومعناه الا تقولوا .

وقال آخرون : إن ذلك لا يجوز وهو اختيار الرائي . وهو الصحيح ، لأن الحذف يحتاج الى دليل . ومعنى القرائتين واحد لا يختلف .

ووصف الله تعالى بأنه شاكر مجاز ، لأن الشاكر في الأصل هو المظهر للانعام ، والله لا يلحقه المنافع ، والمضار - تعالى عن ذلك - ومعناه ها هنا المجازي على الطاعة بالثواب ، وخروج اللفظ مخرج التلطف - نأياً على الاحسان اليهم ، كما قال « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً » (١) والله لا يستقرض من عوز ، لكن تلطف في الاستدعاء كأنه قال : من ذا الذي يعمل عمل المقرض ، بأن قدم فيما أخذ أضعاف ما قدم في وقت فقره وحاجته الى ذلك فكذلك ، كأنه قال : « من تطوع خيراً فإن الله » بعامله معاملة الشاكر ، يحسن المجازاة ، وإيجاب المكافاة . والفرق بين التطوع والفرض أن الفرض يستحق بتركه الذم والعقاب ، والتطوع لا يستحق بتركه الذم ، ولا العقاب . وروي عن جعفر بن محمد : أن آدم نزل على الصفا ، وحواه على المروة ، فسمى المروة باسم المرأة .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّائِعُونَ ﴾ (١٥٩) آية بلا خلاف .

المعنى :

قيل في المعنى بهذه الآية قولان :

احدهما - قال ابن عباس ، ومجاهد ، والزيح ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ،

واختاره الجبائي ، وأكثراهل العلم : انهم اليهود ، والنصارى : مثل كعب بن الاشرف وكعب بن أسيد ، وابن سوريا ، وزيد بن تابوه ، وغيرهم من علماء النصارى الذين كتموا أمر محمد (ص) ، ونبوته : وهم يجدونه مكتوباً في التوراة والانجيل مبيناً فيها .
والثاني - ذكر البلخي : أنه تناول لكل من كتم ما أنزل الله وهو أعم ، لأنه يدخل فيه أو كلك وغيرهم ، وروى عن ابن عباس أن جماعة من الأنصار سألوا نقرأ من اليهود عما في التوراة ، فكتموهم اياه ، فأنزل الله عزوجل « إن الذين يكتمون » الآية . وإنما نزل فيهم هذا الوعيد ، لان الله تعالى علم منهم الكتمان ، وعموم الآية يدل : على أن كل من كتم شيئاً من علوم الدين ، وفعل مثل فعلهم في عظم الجرم أو أعظم منه ، فإن الوعيد يلزمه ، وأما ما كان دون ذلك ، فلا يعلم بالآية بل بدليل آخر . وقد روي عن النبي (ص) أنه قال : من سئل عن علم يعلمه ، فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار . وقال ابو هريرة : لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم وتلا « إن الذين يكتمون ما أنزل الله » الآية ، فهذا تغليب للحال في كتمان علوم الدين .

وكتمان الشيء اخفاؤه مع الداعي الى اظهاره ، لانه لا يقال لمن أخفى مالا يدعوا الى اظهاره داع : كاتم . والكتاب الذي عني هاهنا قيل التوراة . وقيل كل كتاب أنزله الله . وهو أليق بالعموم . وقال الزجاج : هو القرآن ، واستدل قوم بهذه الآية على وجوب العمل بخبر الواحد من حيث أن الله تعالى توعد على كتمان ما أنزله ، وقد بينا في اصول الفقه أنه لا يمكن الاعتماد عليه ، لأن غاية ما في ذلك وجوب الاظهار ، وليس إذا وجب الاظهار وجب القبول ، كما أن على الشاهد الواحد يجب إقامة الشهادة وإن لم يجب على الحاكم قبول شهادته ، حتى ينضم اليه ما يوجب الحكم بشهادته ، وكذلك يجب على النبي (ص) إظهار ما حملة ، ولا يجب على أحد قبوله حتى يقترن به المعجز الدال على الصدق ، ولذلك نظائر ذكرناها . على أن الله تعالى بين أن الوعيد إنما توجه على من كتم ما هو بينة وهدى وهو الدليل ، فمن أين أن خبر الواحد بهذه المنزلة ، فإذا لادلالة في الآية على ما قالوه ، والبينات والهدى هي الادلة

وهما بمعنى واحد، وإنما كرر لاختلاف لفظها. وقيل: إنه أراد بالبينات الحجج الدالة على نبوته (ص) وبأهدى إلى ما يؤديه إلى الخلق من الشرائع، فعلى هذا لا تكرار.

المعنى:

واللعن في الاصل الابعاد على وجه الطرد قال الشماخ:

ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين (١)

أراد مقام الذئب اللعين. واللعين في الحكم: الابعاد - من رحمة الله - بإيجاب العقوبة، فلا يجوز لمن مالا يستحق العقوبة. وقول الفائل: لعنه الله دعاء، كأنه قال: أبعده الله، فإذا لعن الله عبداً، فعناه الاخبار بأنه أبعده من رحمته.

المعنى:

والمعنى بقوله ﴿يلعنهم اللاعنون﴾ قيل فيه أربعة أقوال:

احدها - قال قتادة، والربيع، واختاره الحياتي، والرماني، وغيرها: انهم الملائكة والمؤمنون - وهو الصحيح - ، لقوله تعالى في وعيد الكفار ﴿أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين﴾ (٢) فلعنة اللاعنين كلعنة الكافرين.

الثاني - قال مجاهد، وعكرمة: إنها دواب الأرض، وهو انها تقول منعنا القطر لمعاصي بني آدم.

الثالث - حكاه الفراء أنه كل شيء سوى الثقلين الانس والجن، رواه عن

ابن عباس.

الرابع - قاله ابن مسعود: أنه إذا تلاعن الرجلان رجعت اللعنة على المستحق لها، فإن لم يستحقها واحد منهم رجعت على اليهود الذين كتموا ما أنزل الله. فإن قيل: كيف يجوز على قول من قال: المراد به البهائم اللاعنون، وهل يجوز على قياس ذلك الذاهبون؟ قلنا لما أضيف إليها فعل ما يعقل عوملت معاملة ما يعقل كما قال تعالى ﴿والشمس والقمر رأيتهم لي

(١) مر تخريجها في ١ : ٣٤٣ من هذا الكتاب (٢) سورة البقرة آية : ١٦١

ساجدين ﴿ (١) ﴾ فإن قيل : كيف يجوز إضافة اللعن إلى ما لا يعقل من البهيمه والجماد؟
 قيل : لأمرين أحدهما - لما فيه من الآية التي تدعوا إلى لعن من عمل بمصية الله .
 والثاني - أن تكون البهائم تقول على جهة الإلهام لما فيه من الاعتبار .

قوله تعالى :

«إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ
 وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» (١٦٠) آية بلا خلاف .

المعنى :

استثنى الله تعالى في هذه الآية من جملة الذين يستحقون اللعنة من تاب ، وأصلح ،
 وبين . واختلفوا في معنى « بينوا » فقال أكثر المفسرين ، كقنادة ، وابن زيد ،
 والبلخي ، والحلياني ، والرماني : إنهم بينوا ما كتموه من البشارة بالنبي (ص) ، وقال
 بعضهم : بينوا التوبة ، وإصلاح السريرة بالأظهار لذلك . وإنما شرط مع التوبة
 الإصلاح ، والبيان ليرفع الإيهام بأن التوبة مما سلف من الكتمان يكفي في
 إيجاب الثواب .

ومعنى قوله تعالى ﴿ أتوب عليهم ﴾ أقبل توبتهم . والأصل في أتوب أفعل التوبة
 إلا أنه لما وصل بحرف الإضافة دل على أن معناه أقبل التوبة ، وإنما كان لفظه مشتركا
 بين فاعل التوبة ، والقابل لها ، للترتيب في صفة التوبة إذ وصف بها القابل لها ، وهو
 الله وذلك من إنعام الله على عباده ، لئلا يتوهم بما فيها من الدلالة على مقارفة الذنب
 أن الوصف بها عيب ، فلذلك جعلت في أعلا صفات المدح ، والتوبة هي الندم الذي يقع
 موقع التنصل من الشيء وذلك بالتحسر على موافقته ، والعزم على ترك معاودته إن أمكنت
 المعاودة . واعتبر قوم المعاودة إلى مثله في القبح . وهو الأقوى . لاجتماع الامة على سقوط
 العقاب عندها ، وما عداها فمختلف فيه . فإن قيل : ما الفائدة في هذا الاخبار ، وقد

علمنا أن العبد متى تاب لا بد أن يتوب الله عليه ؟ قلنا أما على مذهبنا ، فهذه فائدة واضحة : وهو أن إسقاط العقاب عندها ليس بواجب عقلا ، فإذا أخبر بذلك أفادنا ما لم نكن عالمين به ، ومن خالف في ذلك قال : وجه ذلك أنه لما كانت توبة مقبولة وتوبة غير مقبولة صحت الفائدة بالدلالة على أن هذه التوبة مقبولة . ومعنى قبول التوبة حصول الثواب عليها وإسقاط العقاب عندها .

و ﴿ التواب ﴾ فيه مبالغة إما لكثرة ما يقبل التوبة وإما لأنه لا يرد تائباً منيباً أصلاً . وقبول التوبة بمعنى إسقاط العقاب عندها ، غير واجب عندنا عقلا . وإنما علم ذلك سمياً ، وتفضلاً ، من الله تعالى على ما وعد به بالاجماع على ذلك . وقد بينا في شرح الجمل في الأصول أنه لا دلالة عقلية عليه ، ووصفه نفسه بالرحيم عقيب قوله ﴿ التواب ﴾ دلالة على أن إسقاط العقاب عند التوبة تفضل منه ورحمة من جهته . ومن قال : إن الفعل الواجب نعمة إذا كان منعماً بسببه كالثواب ، والعوض ، فإنه لما كان منعماً بالتكليف وبالآلام التي يستحق بها الاعراض ، جاز أن يقال في الثواب والعوض أنه تفضل وإن كانا واجبين ، فقوله باطل ، لأن ذلك إنما قلنا في الثواب للضرورة ، وليس هاهنا ضرورة تدعو إلى ذلك . وإصلاح العمل هو إخلاصه له من قبيح يشوبه ، والتبيين هو التعريض للمعلم الذي يمكن به صحة التمييز .

الاعراب :

وموضع الذين نصب على أنه استثناء من موجب . و (إلا) حقيقتها الاستثناء . ومعنى ذلك الاختصاص بالشيء دون غيره كقولك : جائي القوم إلا زيداً فقد اختصاصت زيداً بأنه لم يجيء ، وإذا قلت ما جاءني إلا زيد ، فقد اختصاصت زيداً بأنه جاء ، وإذا قلت ما جاءني زيد إلا راكباً فقد اختصاصت به هذه الحال دون غيرها من المشي والعدو ، وما أشبه ذلك . قوله تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ كَعْنَةُ

اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ « ١٦١ » آية بلاخلاف .

المعنى :

إن قبل : كيف يلعن الكافر كافراً مثله وهو الظاهر في قوله ﴿ والناس أجمعين ﴾ ؟
قبل عنه ثلاثة أجوبة :

أولها - أنه يلعنه الناس أجمعون يوم القيامة كما قال تعالى ﴿ ثم يوم القيامة يكفر
بعضكم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً ﴾ (١) وهو قول أبي العالية .

الثاني - قال السدي : انه لا يمتنع أحد من لعن الظالمين ، فيدخل في ذلك
لعن الكافر لأنه ظالم .

الثالث - يراد به لعن المؤمنين خصوصاً ، ولم يمتد بغيرهم كما يقال : المؤمنون هم
الناس ، وهو قول قتادة والربيع ، هذا إذا حمل على أن اللعن في دار الدنيا ، لأن
من المعلوم أن أهل ملة لا يلعن أهل ملته .

الفراة :

وحكي عن الحسن أنه قرأ « والملائكة » رفعاً ويكون ذلك على حمله على معنى يلعنهم
الله والملائكة والناس أجمعون . كما تقول : عجبت من ضرب زيد ، وعمرو - بالرفع -
وهذه قراءة شاذة لا يمول عليها لأن الاعتمادا عليه الجمهور . ولا يجوز رفع « أجمعين »
وحده ما هنا لأن هذه اللفظة لا تكون إلا تابعة ، وليس في الكلام مظهر ولا مضمحل
تتبعه على ذلك ، وإنما الحمل على المعنى بمنزلة إعادة معنى العامل الأول ، كأنك قلت :
ويلعنهم الملائكة والناس أجمعون .

المعنى :

والكافر ما يستحق به العقاب الدائم عندما ، وعند من خالفنا في دوام عقاب
فساق أهل الصلاة انه ما يستحق به العقاب الدائم الكثير ، ويتعلق به أحكام مخصوصة ،

وسواء كان الكفر في تشبيه الله تعالى بخلقه أو في تجريدته في أفعاله أو الرد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو ما كان أعظم منه في القبح . واللعنة: الأبعاد من الرحمة على ما بيناه مع إيجاب العقوبة ، ويجري ذلك من الناس على وجه الدعاء ، ومن الله على وجه الحكم ، وإِنما قال : ﴿ وما تواروا وهم كفار ﴾ وكل كافر ، فهو ملعون في حال كفره وإن لم يكن ممن يوافق بالكفر للدلالة على خلودهم في النار إذا ما تواروا على غير توبة ، وقد دل على ذلك ما بيناه في الآية الثالثة ، وإِنما أكد بأجمعين ليرتفع الاحتمال ، والايهام قبل أن ينظر في تحقيق الاستدلال ، ولهذا لم يحز الأخصش رأيت أحد الرجلين كليهما ، وأجاز رأيتها كليهما ، لأنك إذا ذكرت الحكم مقروفاً بالدليل عليه ، أزلت الإيهام للفساد ، وإذا ذكرته وحده فقد يتوهم عليك الغلط في المقصد بقولك : أحد الرجلين ، لما ذكرت التثنية وذكرت أحداً كنت بمزلة من ذكر الحكم ، والدليل عليه فإما ذكر التثنية في رأيتها ، فبمزلة ذكر الحكم وحده . وواحد الناس إنسان في المعنى ، فأما في اللفظ ، فلا واحده ، وهو ككفر ، ورهط مما يقال : إنه اسم للجمع . قوله تعالى :

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ (١٦٢)

آية بلا خلاف .

المعنى :

والهاء في قوله « فيها » عائدة على اللعنة في قول الزجاج . وقال أبو العالية . هي عائدة إلى النار ، ومعنى قوله ﴿ ولا هم ينظرون ﴾ على قول أبي العالية رفع لايهام الاعتذار كما قال : ﴿ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ (١) لثلاث يتوهم أن التوبة والانسابة هناك تنفع . والخلود في اللعنة يحتمل أمرين أحدهما - إستحقاق اللعنة بمعنى أنها تحق عليهم أبداً والثاني - في عاقبة اللعنة : وهي النار التي لا تنفى ، وإِنما قال : ﴿ لا يخفف ﴾

مع أنهم مخلدون، لأن التخفيف قد يكون مع الخلود ، بان يقل المعاون ما يفعل ، فأراد الله أن يبين أنه يقع الخلود ، ويرتفع التخفيف .

الاعراب :

وخالد بن نصب على الحال من الماء والميم في عليهم ، كقولك : عليهم المال صاغرين ، والمائل فيه الاستقرار في عليهم .

اللفظ :

والخلود : اللزوم أبداً ، والبقاء : الوجود وقتين فصاعداً ، ولذلك لم يجز في صفات الله خالد ، وجاز باق ، ولذلك يقال : أخذ الى قوله : أي لزم معنى ما أتى به ، ومنه قوله تعالى ﴿ ولكنه أخذ الى الارض ﴾ (١) أي مال اليها ميل اللازم لها ، كما أنه قيل الخلد فيها .

والفرق بين الخلود والدوام أن الدوام : هو الوجود في الأول ، ولا يزال . واذا قيل دام المطر ، فهو على المبالغة ، وحقيقته لم يزل من وقت كذا الى وقت كذا ، والخلود هو اللزوم أبداً . والتخفيف : هو النقصان من المقدار الذي له اعتماد . والعذاب : الألم الذي له امتداد . والانظار : الامهال قدر ما يقع النظر في الخلاص ، واصل النظر الطلب ، فالنظر بالعين : الطلب بالعين ، وكذلك النظر بالقلب أو باليد أو بغيرها من الحواس ، وتقول أنظر الثوب أين هو . والفرق بين العذاب والايلام . ان الايلام قد يكون بجزء (٢) من الألم في الوقت الواحد . والعذاب له استمرار من الألم في أوقات ، ومنه العذب ، لاستمراره في الخلق (٣) . والعذبة ، لاستمرارها بالحركة (٤) .

(١) سورة الاعراف آية : ١٧٥ (٢) في المطبوعة (مجز)

(٣) وفي مجمع البيان (ومنه العذاب لاستمراره بالخلق) والصحيح ما ذكره الشيخ ، لان المقصود منه : عذوبة الماء ونحوه ، ولا يكون ذلك الا في الخلق .

(٤) العذبة التي تستمر بالحركة : خرقة النائحة .

قوله تعالى :

« وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ » (١٦٣) آية

بلاخلاف .

المعنى :

يوصف تعالى بأنه واحد على أربعة أوجه أو لها - إنه ليس بذوي أبعاد ولا يجوز عليه الانقسام. الثاني - واحد في استحقاق العبادة. الثالث - واحد لا نظير له ولا شبيهه. الرابع - واحد في الصفات التي يستحقها لنفسه ، فهو قديم ، وقادر لا يمجزه شيء ، وعالم لا يخفى عليه شيء ، فكل هذه الصفات يستحقها وحده ، والواحد شيء لا ينقسم عدداً كان أو غيره ، ويجري على وجهين : على الحكم ، وعلى جهة الوصف ، فالحكم كقولك : الجزء واحد ، والوصف كقولك : إنسان واحد ، ودار واحدة . ومعنى إله أنه يحق له العبادة ، وغلط الرمانى ، فقال : هو المستحق للعبادة ، ولو كان كما قال لما كان تعالى إلهاً فيما لم يزل ، لأنه لم يفعل ما يستحق به العبادة . ومعنى ماقلناه : أنه قادر على ما إذا فعله استحق به العبادة . وقيل معنى إله أنه منعم بما يستحق به العبادة ، وهذا باطل لما قد بيناه ، ولا يجوز أن يحيا أحد من الخلق بالآلهية ، لأنه يستحيل أن يقدر أحد سوى الله على ما يستحق به العبادة من خلق الأجسام ، والقدرة ، والحياة ، والشهوة ، والنفاد ، وكمال العقل ، والحواس وغير ذلك ، فلا تصح الآلهية إلا له ، لأنه القادر على ما عددناه ، والآية تنصل بما قبلها وبما بعدها ، فاتصالها بما قبلها ، كاتصال الحسنة بالسيئة ، لتمحو أثرها ، وتحذر من موائمتها ، لأنه لما ذكر الشرك ، وأحكامه أتبع ذلك بذكر التوحيد وأحكامه ، واتصالها بما بعدها كاتصال الحكم بالدلالة على صحته ، لأن ما ذكر في الآية التي بعدها حجة على صحة التوحيد . فان قيل : كيف يتصل الوصف بالرحمة بما قبله ؟ قلنا ، لأن العبادة تستحق بالنعمة التي هي في أعلى مرتبة ، ولذلك يولغ في الصفة بالرحمة ، ليدل على هذا المعنى .

الاعراب :

و (هو) في موضع رفع ، ولا يجوز النصب ، ورفعه على البدل من موضع (لا) مع الاسم ، كقولك : لا رجل إلا زيد كأنك قلت : ليس إلا زيد - فيما تريد من المعنى - إذا لم يعتد بغيره ، ولا يجوز النصب على قولك : ما قام احد إلا زيدا ، لان البدل يدل على أن الاعتماد على الثاني ، والمعنى ذلك ، والنصب يدل على أن الاعتماد في الاخبار إنما هو على الاول ، وقوله تعالى : ﴿ لا إله إلا هو ﴾ إثبات لله تعالى وحده وهو بمنزلة قولك : الله إله وحده ، وإنما كان كذلك لأنه القادر على ما يستحق به الالهية ، ولا يدل على النفي في هذا الخبر من قبل أنه لم يدل على إله موجود ، ولا معدوم سوى الله عز وجل ، لكنه نقيض لقول من ادعى إلهام مع الله . وإنما النفي اخبار بعدم شيء كما أن الاثبات اخبار بوجوده .

قوله تعالى :

﴿ إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون ﴾ (١٦٤) آية واحدة بلا خلاف .

القراءة :

قرأ نافع ، وابن كثير ، وابو عمرو ، وابن عاصم ، وابن عامر ﴿ الرياح ﴾ على الجمع . الباقيون على التوحيد ، ولم يختلفوا في توحيد ما ليس فيه ألف ولا ميم .

المعنى :

لما أخبر الله تعالى الكفار بأن إلههم إله واحد لا ثاني له ، قالوا : ما الدلالة

على ذلك ؟ فقال الله عز وجل : ﴿ إن في خلق السماوات والارض ﴾ الآية الى آخرها .
 ووجه الدلالة من الآية ﴿ أن في خلق السماوات والارض ﴾ يدل على أن
 لها خالق ، لا يشبهها ولا تشبهه ، لانه لا يقدر على خلق الاجسام إلا القديم القادر
 لنفسه الذي ليس بجسم ، ولا عرض ، إذ جميع ذلك محدث ولا بد له من محدث ليس
 بمحدث ، لاستحالة التسلسل . وأما ﴿ الليل والنهار ﴾ ، فيدلان على عالم مدبر من جهة
 أنه فعل محكم ، متقن ، واقع على نظام واحد ، وترتيب واحد ، لا يدخل شيئاً من
 ذلك تفاوت ، ولا اختلاف .

وأما ﴿ الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ﴾ فتدل على منعم دبر ذلك
 لمنافع خلقه ، ليس من جنس البشر ، ولا من قبيل الاجسام ، لان الاجسام يتعذر عليها
 فعل ذلك .

وأما الماء الذي ينزل من السماء ، فيدل على منعم به يقدر على التصريف فيما يشاء
 من الأمور ، لا يعجزه شيء .

وأما ﴿ إحياء الارض بعد موتها ﴾ ، فيدل على الانعام بما يحتاج اليه العباد .
 وإحياءها : إخراج النبات منها ، وأنواع الثمار ﴿ وبث فيها من كل دابة ﴾ دال على
 ان لها صناعاً مخالفاً لها منعماً بأنواع النعم . ﴿ وتصريف الرياح ﴾ يدل على الاقتدار
 على ما لا يتأتى من العباد ولو حرصوا كل الحرص ، واجتهدوا كل الاجتهاد ، لأنه
 إذا ذهب جنوباً مثلاً ، فاجتمع جميع الخلق على أن يقلبوها شمالاً أو صياً أو دبوراً ،
 لما قدروا على ذلك ، ولا تمكنوا على رده من الجهة التي يجيء منها .

وأما ﴿ السحاب المسخر ﴾ فيدل على أنه يمسه القديم ، والذي لا شبه له ولا
 نظير ، لأنه لا يقدر على تسكين الأجسام النقال بغير علاقة ولا دطامة إلا الله تعالى ،
 وكذلك لا يقدر على تسكين الارض كذلك إلا القادر لنفسه ، فهي تدل
 على صانع غير مصنوع قديم لا يشبهه شيء ، قادر لا يعجزه شيء ، عالم لا يخفى عليه شيء ،
 حي لا يموت واحد ليس كمنه شيء ، سميع بصير ﴿ لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات

ولا في الأرض ﴿١﴾ (١) لأن صفات النقص لا تجوز عليه تعالى . ويدل على أنه منعم بما لا يقدر غيره على الانعام بمثله (٢) ، أنه يستحق بذلك العبادة دون غيره .

اللفظ: واللفظ كقولنا: لا يقدر غيره على الانعام بمثله ، أي لا يقدر غيره على العبادة بمثله .

والخلق هو الاحداث للشيء على تقدير من غير احتذاء على مثال ، ولذلك لا يجوز إطلاقه إلا في صفات الله ، لأنه ليس أحد - جميع أفعاله على ترتيب من غير احتذاء على مثال - إلا الله تعالى . وقد استعمل الخلق بمعنى المخلوق كما استعمل الرضى بمعنى المرضي ، وهو بمنزلة المصدر ، وليس معنى المصدر معنى المخلوق ، واختلف أهل العلم فيه إذا كان بمعنى المصدر ، فقل قوم : هو الارادة له . وقال آخرون : إياه هو على معنى مقدر ، كقولك : وجود وعدم ، وحدث وقدم ، وهذه الاسماء تدل على معنى مقدر للبيان عن المعاني المختلفة وإلا قلنا معنى بما هو الموصوف في الحقيقة . وإنما جمعت السماوات ووحدت الأرض ، لأنه لما ذكرت السماء بأنها سبع في قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾ (٣) وقوله : ﴿ خلق سبع سموات ﴾ (٤) جمع لثلاث يوم التوحيد معنى الواحدة من هذه السبع . وقد دل مع ذلك قوله ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ (٥) على معنى السبع ، ولكنه لم يجر على جهة الافصاح بالتفصيل في اللفظ . ووجه آخر : وهو أن الأرض لتشاكلها تشبه الجنس الواحد ، كالرجل ، والماء الذي لا يجوز جمعه إلا أن يراد الاختلاف ، وليس تجري السماوات بجري الجنس ، لأنه دبر في كل سماء أمرها . والتقدير الذي هو حقها .

وفي اشتقاق قوله ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ قولان :

أحدهما - من الخلف ، لأن كل واحد منها يخلف صاحبه على وجه المعاقبة له .
والثاني - من اختلاف الجنس كاختلاف السواد والبياض ، لأن أحدهما لا يسد مسد الآخر في الإدراك . والمختلفان مالا يسد أحدهما مسد الآخر فيما يرجع الى ذاته .

﴿ ١ ﴾ سورة ساء آية : ٣ ﴿ ٢ ﴾ في المطبوعة (مثله)

﴿ ٣ ﴾ سورة البقرة آية : ٢٩ ﴿ ٤ ﴾ سورة الطلاق آية : ١٢ ، وسورة الملك آية : ٣

﴿ ٥ ﴾ سورة الطلاق آية : ١٢

والنهار : إتساع الضياء ، وأصله الاتساع ، ومنه قول الشاعر : (١)

ملكك بها كني فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها (٢)

أي أوسعت ، ويصلح ان يكون من النهر أي جعله كالنهر . والنهر أوسع مجاري الماء ، فهو أوسع من الجدول ، والساقية . وإنما جمعت الليلة ، ولم يجمع النهار لأن النهار بمنزلة المصدر ، كقولاك : الضياء ، يقع على الكثير والقليل ، فأما الليلة ، فمخرجها مخرج الواحد من الليل على أنه قد جاء جمعه على وجه الشذوذ . قال الشاعر :

لولا التزبدان هلكنا بالضمر تريد ليل وتريد بالنهر (٣)

والفلك : السفن يقع على الواحد ، والجمع بلفظ واحد ، ومنه قوله : ﴿ في الفلك المشحون ﴾ (٤) ومنه ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ﴾ (٥) والفلك : فلك السماء . قال الله تعالى : ﴿ كل في فلك يسبحون ﴾ (٦) . وكل مستدير فلك ، والجمع أفلاك وقال صاحب العين : قيل : اسم للدوران خاصة . وقيل : بل اسم لأطواق سبعة فيها النجوم . وفلكك الجارية إذا استدار ثديها . والفلكة : فلكة المنزل معروف . وفلكة الجدي ، وهو قضيب يدار على لسانه ثلاثا يرضع . وأصل الباب الدور ، والفلك السفينة لأنها تدور بالماء أسهل دور . وإنما جعل الفلك للواحد ، والجمع بلفظ واحد ، لأن فعل وفعل (٧) يشتركان كثيراً : العرب ، والعرب ، والعجم ، والله جهم ، والبخل والبخل .

« ١ » هو قيس بن الحظيم .

« ٢ » اللسان (نهر) ملكك : شددت وقوت . أنهرت فتقها : وسعت حتى جعلته نهراً . يصف طعنة ، تشبهاً أولاً بالنهر ثم تشبهاً بالنافذة بقوله : يرى قائم ...) وهذا في غاية المبالغة . « ٣ » اللسان (نهر) ، وتهذيب الألفاظ : ٤٢٢ ، والمخصص ٩ : ٥١ . ورواية اللسان ، والمخصص « لمتنا » بدل « هلكنا » الضمر - بضم الميم ، وسكونها - أنزال ، وخاق العطن ، والضمر هنا : الجوع ، لأن المعنى لولا تريد الليل وتريد النهار لمتنا جوعاً . والتريد : خبز يبل في ماء اللحم وغيره .

« ٤ » سورة يس آية : ٤١ « ٥ » سورة هود آية : ٣٧

« ٦ » سورة الانبياء آية : ٣٣ ، وسورة يس آية : ٤٠

« ٧ » فعل الاولى - بفتح الفاء والعين - والثانية - بضم الفاء وسكون العين - ، وكذلك

كل ما مثل به من الكلمات المتفقة في المادة في هذا الموضع .

ومن قال في أسد : أسد . قال في فلك : فلك ، فجمعه على فعل . وإنما أنت الفلك إذا أريد به الجمع ، كقولك : السفن التي تجري في البحر .

وقوله : ﴿ وما أنزل الله من السماء ﴾ يعني من نحو السماء عند جميع المفسرين . وقال قوم : السماء تقع على السحاب ، لأن كل شيء علا فوق شيء ، فهو سماء له . فإن قيل : هل السحاب بخارات تصعد من الأرض ؟ قلنا ذلك جائز لا يقطع به ، ولا مانع أيضاً من صحته من دليل عقل ، ولا سمع . والسماء : السقف ، فسماء البيت سقفه قال تعالى : ﴿ وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً ﴾ (١) فالسما المعروفة سقف الأرض . وأصل الباب السمو : وهو العلو . والسماء : الطبقة العالية على الطبقة السفلى إلا أنها صارت بمنزلة الصفة على السماء المعروفة : وهي التي من أجل السمو كانت عالية على الطبقة السفلى . والأرض الطبقة السفلى . يقال : أرض البيت وأرض الغرفة ، فهو سماء لما تحته من الطبقة ، وأرض لما فوقه ، وقد صار الاسم كالعلم على الأرض المعروفة . وإنما يقع على غيرها بالإضافة .

والليل هو الظلام المعاقب للنهار . وقد يقال لما لا يصل إليه ضوء الشمس : هو الليل وإن كان النهار موجوداً . والبحر : هو الخرق الواسع الماء الذي يزيد على سعة النهر . والمنفعة : هي اللذة ، والسرور وما أدى إليها . أو إلى كل واحد منها . والنفع ، والخير ، والحظوظ ، وقد تكون المنفعة بالآلام إذا أدت إلى لذات . والاحياء : فعل الحياة . وحياة الأرض : عمارتها بالنبات ، وموتها إخراجها بالجفاف الذي يمتنع معه النبات . والبث : التفريق ، وكل شيء بثثنه ، فبثت الأرض ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كالأغراس المبثوث ﴾ (٢) ، وتقول : ابثت الجراد في الأرض ، وتقول : بثته سري ، و'بثته إذا أطلعته عليه . والبث : ما يجده (٣) الرجل من كرب ، أو غم في نفسه ، ومنه قوله : ﴿ أشكو بني وحزني إلى الله ﴾ (٤) . وأصل الباب التفريق . وقال صاحب العين : كل شيء مما خلق الله يسمى دابة مما يدب ، وصار بالعرف اسماً

« ١ » سورة الانبياء آية : ٣٢

« ٢ » في المطبوعة « ما يجده »

« ٣ » سورة يوسف آية : ٨٦

« ٤ » سورة يوسف آية : ٨٦

لما يركب ، ويقولون للبرذون : دابة وتصغيرها دويبة . ودب الحمل يدب ديبه . ودب الشراب بالإنسان ديباً . ودب القوم إلى العدو أي مشوا على هبتهم لم يشرعوا . والدبابة تتخذ في الحروب ، ثم يدفع إلى أصل حصن فينقبون وهم في جوف الدبابة (١) والدب : نوع من السباع ، والانتى دبه . والدبة لزوم حال الرجل في فعاله . ركب فلان دبة فلان ، وأخذ بدبته أي عمل بعمله .

وقوله تعالى : ﴿ وتصريف الرياح ﴾ التصريف والتقلب والتدليك نظائر . وتصريف الرياح تصرفها من حال إلى حال ، ومن وجه إلى وجه ، وكذلك تصرف الحيول ، والسيول ، والأمور . وصرف الدهر تقلبه ، والجمع صروف . والتصريف : اللين إذا سكنت رغوته . وقال بعضهم : لا يسمى صرفاً حتى يتصرف به الضرع . والتصريف صرف الفحل بناه حتى يسمع لذلك صوت ، وكذلك صرف البكرة . وعز صارف : إذا أرادت الفحل . والصرف : صبغ أحمر ، قال الاصمعي : هو الذي يصبغ به الشرك . والصرف : فضل الدرهم على الدرهم في الجودة . وكذلك بيع الذهب بالفضة ، ومنه اشتق إسم الصيرفي ، لتصريفه أحدهما في الآخر . والصرف : النافلة . والعدل : القريضة . والصرفة : منزل من منازل القمر : كوكب إذا طلع قدام الفجر ، فهو أول الخريف ، وإذا غاب من طلوع الفجر ، فذاك أول الربيع . والصرف : الشراب غير مزوج . والصرفان تمر معروف ، أوزنه وأجوده . وأصل الباب : القلب عن الشيء . والسحاب : مشتق من السحب وهو حرك الشيء على وجه الأرض ، تسحبه سحباً كما تسحب المرأة ذيلها ، وكما تسحب الريح التراب ، وسمي السحاب سحباً ، لا تسحابه في السماء وكل منجر منسحب .

والتسخير ، والتذليل ، والتمهيد نظائر . تقول : سخّر الله لفلان كذا إذا سهله له ، كما سخّر الرياح لسليمان . وسخرت الرجل تسخيراً إذا اضطهدته ، فكلفته عملاً بلا أجر . وهي السخرة ، وسخّر منه إذا استهزأ به ، قال الله تعالى ﴿ فيسخرنن

منهم سخر الله منهم ﴿ ١ ﴾ وقال ﴿ فاتخذتموهم سخرياً ﴾ (٢) من الاستهزاء ،
وسخرياً من تسخير الحول وما اشبهه . واصل الباب : اتسخير : التذليل .

المعنى :

وقيل في تصرف الرياح قولان : احدها - هبوبها شمالاً وجنوباً
وصبا ودبوراً . والثاني - قيل مجبؤها بالرحمة مرة وبالعذاب أخرى . وهو قول قتادة .
وقوله : ﴿ لقوم يعقلون ﴾ فيه قولان : احدها - أنه عام لمن استدل به ،
ومن لم يستدل من العقلاء . والثاني - أنه خاص لمن استدل به كما قال : ﴿ إنما أنت
منذر من يخشاها ﴾ (٣) وكما قال ﴿ هدى للمتقين ﴾ (٤) لما كانوا عم الذين اهتدوا
بها وخشوا عند مجيئه أضيف إليهم وإنما أضيفت الآيات الى العقلاء لاسرهم : أحدها -
لأنها نصبت لهم . والثاني - لأنها لا يصح أن يستدل بها سواهم .

المعنى :

قال ابو زيد : قال القيسيون : الرياح أربع : الشمال ، والجنوب ، والصبا ، والدبور .
فأما الشمال عن يمين القبلة والجنوب عن شمالها والصبا والدبور متقابلتان ، فالصبا من قبل المشرق
والدبور من قبل المغرب . وإذا جاءت الرياح بين الصبا والشمال ، فهي النكباء التي لا يختلف
فيها . والتي بين الجنوب والصبا ، فهي الجرياء ، وروى ابن الاعرابي عن الاصمعي ،
وغيره : ان الرياح أربع : الجنوب ، والشمال ، والصبا ، والدبور . قال ابن الاعرابي :
كل ريح بين ريحين ، فهي نكباء . قال الاصمعي : إذا انحرفت واحدة منهن ، فهي
نكباء ، وجمعها نكب . فلما مهبهن ، فإن ابن الاعرابي قال : مهب الجنوب من مطلع
سهيل الى مطلع الثريا ، والصبا من مطلع الثريا الى بنات نعش ، والشمال من بنات نعش
الى مسقط النسر الطائر ، والدبور من مسقط النسر الطائر الى مطلع سهيل ، والجنوب ،
والدبور لها هيف . والهيف : الريح الحارة ، والصبا ، والشمال : لاهيف لهما . وقال

﴿ ١ ﴾ - سورة التوبة آية : ٨٠ ﴿ ٢ ﴾ - سورة المؤمنون آية : ١١١

﴿ ٣ ﴾ - سورة النازعات آية : ٤٥ ﴿ ٤ ﴾ - سورة البقرة آية : ٢

الأصمعي : ما بين سهيل الى طرف بياض الفجر : جنوب . وما بان انهما هما ، يستقبلهما من الغرب : شمال ، وما جاء من وراء البيت الحرام فهو دبور ، وما جاء قبالة ذلك ، فهو صبا . وتسمى الصبا قبولا ، لأنها تستقبل الدبور ، وتسمى الجنوب الازيب ، والنعامي . وتسمى الشمال محوة ولا تصرف ، لأنها تمحو السحاب وتسمى الجرياء ، وتسمى مسما ، وتسمى الجنوب اللاقح . والشمال حائلا ، وتسمى ايضا عقبا ، وتسمى الصبا عقبا ايضا . قال الله تعالى : « وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم » (١) وهي التي لا تفتح السحاب . والذاريات التي تذر التراب ذروا .

ومن قرأ بلفظ الجمع ، فلأن كل واحدة من هذه الرياح مثل الاخرى في دلائها على التوحيد وتسخيرها لنفع الناس . ومن وحد أراد به الجنس كما قالوا أهلك الناس الدينار ، والدرهم .

قوله تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ . (١٦٥) آية بلا خلاف

الفراءة :

قرأ نافع وابن عامر ، وأبو جعفر من طريق النهرواني « ولو ترى » بالتاء . الباكون بالياء . وقرأ أبو جعفر ، ويعقوب « إن القوة لله ، وإن الله » بكسر الهمزة فيهما . الباكون بفتحهما . وقرأ ابن عامر وحده « إذ يرون » بضم الياء . والباكون بفتحها .

اللفز :

الانداد ، والامثال ، والاشباه نظائر ، والانداد (٢) واحدها نداء . وقيل

« ١ » سورة الذاريات آية : ٤١ . « ٢ » في المطبوعة (الانداد) ساطة .

الاضداد . وأصل التذ المثل المناوي والمراد به هنا قال قتادة ، والربيع ، ومجاهد ، وابن زيد ، وأكثر المفسرين آلهتهم التي كانوا يعبدونها . وقال السدي : رؤساؤهم الذين يطيعونهم طاعة الأرباب من الرجال . وقوله تعالى « يحبونهم » فالمحبة هي الإرادة إلا أن فيها حذفاً ، وليس ذلك في الإرادة فإذا قلت : أحب زيداً معناه أريد منافعه أو مدحه ، وإذا أحب الله تعالى عبداً فمعناه أنه يريد ثوابه وتعظيمه ، وإذا قال : أحب الله معناه أريد طاعته واتباع أوامره ، ولا يقال : أريد زيداً ، ولا أريد الله ولا إن الله يريد المؤمن ، فاعتيد الحذف في المحبة ، ولم يعتمد في الإرادة . وفي الناس من قال : المحبة ليست من جنس الإرادة ، بل هي من جنس ميل الطبع ، كما تقولون : أحب ولدي أي يميل طبعي إليه ، وذلك مجاز ، بدلالة أنهم يقولون : أحببت أن أفعل بمعنى أردت أن أفعل . وضد الحب البغض . وتقول : أحبه حباً ، وتحب تحبباً ، وحببه تحببياً ، وتحابا تحاباً . والمحبة : الحب . والحب واحده حبة من بر ، أو شمير ، أو عنب . أو ما أشبه ذلك . والمحبة بزور البقل . وحبة القلب ثمرته . والحب : الجرة الضخمة . والحب القرط من حبة واحدة . وحباب الماء : فقاقيعه . والحباب الحبة . وأحب البعير إجاباً : إذا برك ، فلا يشور ، كالحران في الخيل ، قال أبو عبيدة : ومنه قوله تعالى « أحببت حب الخير عن ذكر أبي » (١) أي لصقت بالأرض حب الخير ، حتى تأتيني الصلاة . وأصل الباب : الحب ضد البغض .

المعنى :

وقوله : « كحب الله » قيل في هذه الإضافة ثلاثة أقوال : أحدها - كحبيكم الله . والثاني - كحبيهم الله . والثالث - كحب الله الواجب عليهم لا الواقع منهم ، كما قال الشاعر :

فلستُ مسلماً ما دمت حياً على زيد بتسليم الأمير (٢)

« ١ » سورة ص آية : ٣٢ .

« ٢ » البيان والتبيين ٤ : ٥١ ، ومعاني القرآن للفراء ١ : ١٠٠ ، وأمثالي الشريف

المرتضى ١ : ٢١٥ . ولم نعرف قائله .

أي مثل تسليمي على الامير . فان قيل : كيف يحب المشرك - الذي لا يعرف
انه - شيئاً كعبه لله ؟ قلنا من قال : إن الكفار يعرفون الله قال : كعبه لله .
ومن قال : هم لا يعرفون الله - على ما يقوله أصحاب الموافاة - قال : معناه كعب
المؤمنين لله أو كالحب الواجب عليهم .

وقوله تعالى : « والذين آمنوا أشد حبا لله » قيل في معناه قولان :

أحدهما - « أشد حبا لله » للاخلاص له من الاشرار به

والثاني - لانهم عبدوا من يملك الضر والنفع ، والثواب ، والعقاب ، فهم أشد
حبا لله بذلك ممن عبد الأوثان .

الاعراب :

ويجوز فتح « أن » من ثلاثة أوجه ، وكسرهما من ثلاثة أوجه - مع

القراءة بالياء - :

أولها - يجوز فتحها بايقاع الفعل عليها بمعنى المصدر . وتقديره « ولو يرى
الذين ظلموا إذ يرون العذاب » قوة الله وشدة عذابه .

الثاني - أن يفتح على حذف اللام كقولك : لأن القوة لله .

الثالث - على تقدير لرأوا أن القوة لله ، على الاتصال بما حذف من الجواب .

والأول من الكسر على الاستئناف . الثاني - على الحكاية مما حذف من

الجواب كأنه قيل : لقالوا إن القوة لله جميعاً . الثالث - على الاتصال مما حذف من

الحال ، كقولك : يقولون : إن القوة لله .

ومن قرأ بالتاء ، يجوز ايضا في الفتح ثلاثة أوجه . وفي الكسر ثلاثة أوجه :

أول الفتح - على البدل ، كقولك : ولو ترى الذين ظلموا أن القوة لله عليهم ،

وهو معنى قول الفراء . الثاني - لأن القوة لله . الثالث - أرأيت أن القوة لله . قال

أبو علي الفارسي : من قرأ بالتاء لا يجوز أن تنصب أن إلا بالفعل المحذوف - في

الجواب . وأما البدل فلا يجوز ، لأنها ليست « الذين ظلموا » ولا بعضهم ولا مشتملة

عليهم ، هذا إن جعل الرؤية من رؤية البصر . وإن جعلها من رؤية القلب ، فلا يجوز ايضاً ، لأن المفعول الثاني في هذا الباب هو الأول في المعنى ، وقوله تعالى : « إن القوة لله » لا يكون الذين ظلموا ، فلم يبق بعد ذلك إلا أنه ينتصب بفعل محذوف . والكسر مع التاء مثل الكسر مع الياء . واختار الفراء - مع الياء - الفتح ، ومع التاء الكسر ، لأن الرؤية قد وقعت على الذين ، وجواب لو محذوف ، كأنه قيل : لرأوا مضره اتخذهم للأنداد ، ولرأوا أمراً عظيماً لا يحصر بالاولهام . وحذف الجواب ، يدل على المبالغة ، كقولك : لو رأيت الشياطين تأخذ فلاناً .

والضمير في قوله « يتخذ » عائد على لفظ من . وفي قوله يحبونهم على معنى من ، لأن من مبهم ، فمرة يحمل الكلام منها على اللفظ ، وأخرى على المعنى ، كما قال : « ومن يقنت منسكن لله ورسوله وتعمل صالحاً » (١) - بالتاء ، والياء - حملاً لمن على اللفظ والمعنى .

واتصلت الآية بما قبلها اتصال انكار ، كأنه قال : أبعد هذا البيان والأدلة القاهرة على وحدانيته ، يتخذون الأنداد من دون الله .

ومن قرأ قوله « ولو ترى » - بالتاء - جعل الخطاب للنبي (ص) والمراد به غيره ، كما قال : « يا أيها النبي إذا طلقتم النساء » (٢) . والذين على هذا في موضع نصب . ومن قرأ بالياء يكون الذين في موضع رفع بأنهم الفاعلون .

وقوله « جميعاً » نصب على الحال ؛ كأنه قيل : إن القوة لله ثابتة لله في حال اجتماعها . وهي صفة مبالغة بمعنى إذا رأوا مقدرات الله فيما تقدم الوعيد به ، علموا أن الله قادر لا يعجزه شيء .

والشدة قوة العقيد ، وهو ضد الرخاوة . والقوة والقدرة واحد . و (ترى) في قوله تعالى : « ولو ترى » من رؤية العين بدلالة أنها تعدت الى مفعول واحد ، لأن التقدير ولو ترون أن القوة لله جميعاً أي ولو يرى الكفار ذلك .

« ١ » - سورة الاحزاب آية : ٣١ .

« ٢ » - سورة الاطلاق آية : ١ .

ومن قرأ - بالتاء - يقوى انها المتعدية الى مفعول واحد ، ويدل على ذلك ايضاً قوله « إذ يرون العذاب » ، وقوله : « وإذا رأى الذين ظلموا العذاب » « فلا يخفف عنهم » ، فتعدى الى مفعول واحد . فان قيل : كيف قال : « ولو يرى الذين ظلموا » وهو أمر مستقبل ، وإذ لما مضى ؟ قيل : إنما جاء على لفظ الماضي لإرادة التقريب في ذلك ، كما جاء « وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب » (١) وعلى هذا جاء في هذا المعنى أمثلة الماضي كقوله : « ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة » (٢) . هكذا ذكره أبو علي الفارسي قال : وعلى هذا المعنى جاء في مواضع كثيرة في القرآن ، كقوله تعالى « ولو ترى إذ وقفوا على ربهم » (٣) « ولو ترى إذ وقفوا على النار » (٤) « ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم » (٥) « ولو ترى إذ فزعوا ، فلا فوق » (٦) « ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة » (٧) . كذلك هذه الآية .

قوله تعالى :

إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت

سبلهم الأسباب (١٦٦) آية واحدة بلا خلاف

الاعراب واللغز :

العامل في (إذ) قوله تعالى : « وإن الله شديد العقاب إذ تبرأ الذين كأنه

قيل وقت تبرأوا .

والتبرأ : التباعد للعداوة ، فإذا قيل تبرأ الله من المشركين معناه باعدهم من

رحمته ، وكذلك إذا تبرأ الرسول منهم معناه باعدهم - للعداوة - عن منازل من

« ١ » سورة النحل آية : ٧٧ .

(٣) - سورة الانعام آية : ٣٠ .

(٢) - سورة الاعراف آية : ٥٠ .

(٥) - سورة سبأ آية : ٣١ .

(٤) - سورة الانعام آية : ٢٧ .

(٧) - سورة الانفال آية : ٥١ .

(٦) - سورة سبأ آية : ٥١ .

لا يحب له الكراهة .

والتبره في أصل اللغة ، والتزيل ، والتقصي نظائر . وضد التبره التولي .
والاتباع : طلب الاتفاق في مكان ، أو مقال ، أو فعال ، فإذا قيل اتبعه
ليلحقه ، فمعناه ليتفق معه في المكان ، وإذا تبره في مذهبه أو في سيره أو غير ذلك
من الأحوال ، فمعناه طلب الاتفاق .

و « اتبعوا » ظمت الألف فيه لضمة الثالث ، وضمة الثالث لما لم يسم فاعله ،
لأنه إنما يضم له أول المتحرك من الفعل فيما بني عليه ، والـف الوصل لا يعتد به ، لأنه
وصلة إلى التكلم بالساكن فإذا اتصل بمتحرك ، استغني عنه .

المعنى :

والمعنى بقوله : « الذين اتبعوا » رؤساء الضلالة من الانس . وقال قوم : هم
من الجن . وقيل : من الجميع . والأول - قول قتادة ، والربيع ، وعطاء . والثاني -
قول السدي .

وقوله تعالى : « وتقطعت بهم الأسباب » فالتقطع : التباعد بعد الاتصال .
والسبب : الوصلة إلى التعمد بما يصلح من الطلب . ومعنى الأسباب هاهنا . قيل فيه
ثلاثة أنوال :

أحدها - قال مجاهد ، وقتادة ، والربيع ، وفي رواية عن ابن عباس : هي
الوصلات التي كانوا يتواصلون عليها .

الثاني - روي عن ابن عباس : أنها الأرحام التي كانوا يتقاطعون بها .
الثالث - قال ابن زيد : الأعمال التي كانوا يوصلونها . وقال الجبائي : تقطعت
بهم أسباب : النجاة .

المعنى :

والسبب : الحبل . والسبب : ما تسببت به من رحم ، أو يد ، أو دين . ومنه
قوله : « فليرتقوا في الأسباب » (١) . تقول العرب . إذا كان الرجل ذا دين :

ارتقا في الأسباب . والسب : الشتم . والسب : القطع . والسب : الشقة البيضاء من الثياب ، وهي السبيبة (١) ، ومضت سبة من الدهر أي ملاوة . والسب : الوتد . والسبابة : ما بين الوسطى والابهام . والتسبب : التوصل الى ما هو منقطع عنك . ويقال : تسبب يتسبب تسبباً ، واستبوا استبأياً ، وسبب تسببياً ، وسأبه متسابة . قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَخَّطْنَا لَهُمْ عَنَّا كِسْفَ الْبُرْجَانِ بِمَا كَانُوا كَانُوا
مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِبَارِحِينَ مِنْ
النَّارِ (١٦٧) آية بلا خلاف .

المعنى :

المعنى بقوله : « وقال الذين اتبعوا » هم الذين تبرءوا منهم : ساداتهم الذين اتبعوهم « لو أن لنا كرة » يعني رجعة الى دار الدنيا ، قال الأخطل : ولقد عطفن على فزارة عطفة كرم النسيح وجلن تم مجالا (٢) فالعامل في « لو أن » محذوف ، كأنه قال : لو صح أن لنا كرة ، لأن (لو) في التمني ، وغيره تطلب الفعل . وإن شئت قدرته : لو ثبت أن لنا كرة .

اللفظ :

والكفر نقبض الفر تقول : كرى يكر كراً ، وكرة ، وتكرر تكرراً ، وكرر

« ١ » وفي لسان العرب (سب) السب ، والسبيبة : الشقة ، وخس بعضهم به الشقة البيضاء .

« ٢ » ديوانه : ٤٨ ، ونقائض جرير والأخطل : ٧٩ . في المطبوعة (المسيح) بدل (المنسيح) وفي الديوان (قدارة) بدل (فزارة) . وفزارة : ابن ذبيان بن غنيس . والمنسيح : قدح لاحظ له في الميسر . والمنسيح اسم رجل من بني أسد من بني مالك . ومعنى البيت : لغد هاجنهم في الحرب بشدة ومراس مثل ما يهاجم المنسيح .

تكريراً ، وتكراراً . والكرة والكرة متقابلان . والكر والرجع والقتل نظائر في اللغة قال صاحب العين : الكر الرجوع عن الشيء ومنه التكرار . والكر الحبل الغليظ . وقيل : الشديد القتل . والكرير صوت في الخلق . والكرير : نهر . والكرة : سبرقين وتراب ، يدق ، ويجلا به الدروع .

وقوله « فتتبره منهم » فالتبره والانفصال واحد ، ومنه برى من مرضه : اذا انفصل منه بالعافية . ومنه برى من الدين براءة . وبرى الله من الخلق .

الاعراب :

وانتصب « فتتبره » على أنه جواب التمني - بالفاء - كأنه قال : لو كان لنا كرة فتتبره أ (١) وكما عطف للفعل على تأويل المصدر ، نصب باضمار (أن) . ولا يجوز اظهارها .

المعنى :

وقوله : « كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات » وذلك لانقطاع الرجاء من كل واحد منهما . وقيل ايضاً : كما أراهم العذاب يريهم أعمالهم حسرات عليهم . وذلك ، لأنهم أيقنوا بالهلاك في كل واحد منهما . والعامل في الكاف يريهم . والأعمال التي يرونها حسرات قيل فيها ثلاثة أقوال :
أحدها - المعاصي يتحسرون عليها لم عملوها .

الثاني - الطاعات يتحسرون عليها لم لم يعملوها ، وكيف ضيعوها ، ومثله « زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون » (٢) أي أعمالهم التي فرضناها عليهم ، أو ندينناهم اليها .

« ١ » في المطبوعة نسختين احدهما نفس الآية ، وهذا لا يجوز مع قوله كأنه ، لأن التشبيه يقتضي التباين المشبه ، والمشبه به حتى يكون بينهما اتينية ، والنسخة الثانية (كان لنا كرة ورفقتبراً) وهذه ليس فيه معنى محصل ، فلا بد أن تكون خطأ ، وفي مجمع البيان (ليت لنا كروراً فتتبروا) وبدل تلى صحة ما أثبتنا تنمة الجملة . والمخطوطة هنا ناقصة بعض الاوراق .
« ٢ » سورة النمل آية : ٤ .

وروي عن أبي جعفر (ع) أنه قال : هو الرجل يكتسب المال ، ولا يعمل فيه خيراً ، فبرئه من يعمل فيه عملاً صالحاً ، فيرى الأول ما كسبه حسرة في ميزان غيره . فان قيل : لو جاز أن تضاف الأعمال التي رغبوا فيها ، ولم يفعلوها بأنها أعمالهم لجاز أن يقال : الجنة دارهم وحوار العين أزواجهم لأنهم عرضوا لها ! قلنا لا يجب ذلك ، لأننا إنما حملنا على ذلك للضرورة . ولو سمي الله تعالى الجنة بأنها دارهم لتأولنا ذلك ، ولسكن لم يثبت ذلك ، فلا يقاس على غيره .

الثالث - الثواب : فان الله تعالى يريهم مقادير الثواب التي عرضهم لها لو فعلوا الطاعات فيتحسرون عليه - لم فرطوا فيه - والقول الأول قول الربيع ، وابن زيد ، واختيار الجبائي ، وأحد قولي البلخي . والثاني قول عبد الله ، والسدي ، وأحد قولي البلخي . وهو كما تقول الانسان أقبل على عملك وأعقدت عليه عملاً قلت في عملك ، والذي أقوله : ان الكلام يحتمل أمرين : فلا ينبغي أن يقطع على واحد منهما إلا بدليل إلا ان الأول أقوى ، لانه الحقيقة . والله أعلم بمراده .

اللفظ :

والحسرات : جمع الحسرة ، وهي أشد من الندامة . والفرق بينهما وبين الارادة ان الحسرة تتعلق بالماضي خاصة ، والارادة تتعلق بالمستقبل ، لان الحسرة انما هي على ما فات بوقوعه أو يتقضي وقته . وانما حركت السين ، لانه اسم على فعلة اوسطه ليس من حروف العلة ، ولو كان صفة لقلت : صعبات فلم يحرك ، وكذلك جوزات وبيضات . وانما حرك الاسم ، لانه على خلاف الجمع السالم ، إذ كان كان انما يستحقه ما يعقل .

والحسرة والندامة نظائر ، وهي نقيض الغبطة . وتقول : حسرت العمامة عن رأسي إذا كشفتها . وحسرت عن ذراعيه حسراً ، وانحسرت انحساراً ، وحسرت تحسيراً . والحاسر في الحرب الذي لا درع عليه ، ولا مغفر . وحسرت يحسرت حسرة وحسراً : إذا كمد على الشيء الغائت (١) ، وتلهف عليه . وحسرت الناقة حسوراً : إذا أعييت .

« ١ » في المطبوعة (إذا كمد على الشيء الغائب) وهو تحريف .

وحسر البصر اذا كلَّ عن البصر : والمحسرة : المكنتة . والظير يتحسر : اذا خرج من ريشه العتيق الى الحديث . وأصل الباب الحسر : الكشف .

وفي الآية دلالة على انه كان فيهم قدرة على البراءة منهم ، لانهم لو لم يكونوا قادرين لم يجز أن يتحسروا على ما فات ، كما لا يتحسر الانسان لم لم يصعد الى السماء ، ولا من كونه في الارض .

قوله تعالى :

يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا
خطوات الشيطان لأنه لكم عدو مبين (١٦٨) آية بلا خلاف .

القرأة :

قرأ نافع ، وأبو عمر ، وحزمة ، وخلف ، وأبو بكر إلا البرجمي ، والبرزي إلا ابن مراح والريبي إلا الولي « خطوات » بسكون الطاء حيث وقع . الباقون بضمها .

اللفز :

الأكَل : هو البلع عن مضغ ، وبلع الحاصل ليس بأكل في الحقيقة ، وقد قيل :
النعام يأكل الخمر ، فأجروه مجرى فلان يأكل الطعام . ويقال : مضغه ولم يأكله .
والحلل : هو الجائز من أفعال العباد ، مأخوذ من أنه طلق ، لم يعقد بحظر . والمباح
هو الحلل بعينه ، وليس كل حسن حللا ، لأن أفعاله تعالى حسنة ولا يقال : انها
حلل ؛ إذ الحلل اطلاق في الفعل لمن يجوز عليه المنع . وتقول : حل يحل حللا ،
وحل يحل حلولا ، وحل العقدة حلا ، وأحله إحلالا ، واستحل استحلالا ، وتحل
تحللا . واحتل احتلا ، وتحالوا تحالا ، وحاله محالة ، وحلله تحليلا ، وانحل انحلالا ، وحل العقدة
يحله حلا ، وكل جامد أذبتة فقد حللته ، وحل بالمكان اذا نزل به ، وحل الدين محلا ،
وأحل من إحرامه وحل ، والحل : الحلل . ومن قرأ « يحلل » معناه ينزل ومن قرأ « يحل »
معناه يحب ، وحلت عليه العقوبة أي وجبت . والحلال الجدي الذي يشق عن بطن

أمه ، ونحلة اليمين ، منه قول الشاعر : (١)

تحفي التراب بأضلاف ثمانية في أربع مسهن الأرض تحليل (٢)
 أي هين . والحليل ، والحليلة : الزوج والمرأة سميا بذلك ، لأنهما يحلان في
 موضع واحد . والحلة : أزار ، ورداء برد ، وغيره . لا يقال حلة حتى يكون ثوبين .
 والاحليل مخرج اللبن من الضبي ، والفرس ، وخلف الناقة ، وغيرها ، وهو مخرج
 البول من الذكر . وأصل الباب : الحل نقيض العقد ، ومنه أحل من إحرامه ، لأنه
 حل عقد الاحرام بالخروج منه . ونحلة اليمين أخذ أقل القليل ، لأن عقدة اليمين
 تنحل به .

والطيب : هو الخالص من شائب ينغص ، وهو على ثلاثة أقسام :

الطيب المستلذ ، والطيب الجائر ، والطيب الطاهر ، كقوله تعالى : « فتيّموا
 صعيدياً طيباً » (٣) أي طاهرآ . والاصل واحد ، وهو المستلذ إلا أنه يوصف به
 الصاهر ، والجائر تشبيهاً إذا ما يزجر عنه العقل أو الشرع ، كالذي تكرهه النفس في
 الصرف عنه ، وما تدعو اليه بخلاف ذلك . وتقول : طاب طيباً ، واستطاب استطابة ،
 وطايبه مطايبة ، وتطيب تطيباً . وتطيبه تطيبياً ، والطيب : الحلال والنضيف ، والظهور ،
 من الطيب . وأصل الباب : الطيب خلاف الخبيث .

والخطوة : بعد ما بين قدمي الماشي . والخطوة المرة من الخطو : وهو نقل
 قدم الماشي . وتقول : خطوة ، وخطوة واحدة . والاسم : الخطوة ، وجمعها خطى ،
 وقوله تعالى : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان » أي لا تتبعوا آثاره ولا تقتدوا به .
 وأصل الباب الخطو : نقل القدم قدماً . والعدو : المباعد عن الخير الى الشر . والولي
 نقيضه .

« ١ » هو عبدة بن الطيب .

« ٢ » اللسان احن في المطبوعة (خني) بدل (تحفي) والاصلاب بدل (الاضلاف)

« ٣ » - سورة النساء آية : ٤٢ ، وسورة المائدة آية : ٧ .

المعنى :

وإنما قال : « حلالاً طيباً » فجمع الوصفين ، لاختلاف الفائدتين : إذ وصفه بأنه حلال يفيد بأنه طلق . ووصفه بأنه طيب مفيد أنه مستلذ إما في العاجل وإما في الآجل . و « خطوات الشيطان » هاهنا قيل فيه خمسة أقوال : فقال ابن عباس : أعماله . وقال مجاهد ، وقتادة : خطاياه ، وقال السدي : طاعتكم إياه . وقال الخليل : إثاره . وقال قوم : هي الندور في المعاصي . وقال الجبائي : ما يتخطى بهم إليه بالأمر والترغيب . وروي أن هذه الآية نزلت ، لما حرم أهل الجاهلية من تقيف ، وخزاعة ، وبني مدلج من الانعام ، والحرث : البحيرة والسائبة والوصيلة ، فنهى الله تعالى عما كانوا يفعلونه ، وأمر المؤمنين بخلافه . والاذن في الحلال يدل على حظر الحرام على اختلاف ضرور به ، وأنواعه ، فحملها على العموم أولى . والآن كل ، والمنافع في الأصل للناس فيها ثلاثة أقوال : فقال قوم : هي على الحظر . وقال آخرون : هي على الإباحة . وقال قوم : هي على الوقف . وحكى الرماني : أن فيهم من قال : بعضها على الحظر ، وبعضها على الإباحة . وقد بينا ما عندنا في ذلك في أصول الفقه إلا أن هذه الآية دالة على إباحة المآكل إلا ما دل الدليل على حظره . (١) وقوله : « انه لكم عدو مبين » في وصف الشيطان معناه أنه مظهر العداوة بما يدعوا إليه من خلاف الطاعة لله التي فيها النجاة من الهلاك ، والفوز بالجنة .

قوله تعالى :

لَئِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا

تَعْلَمُونَ (١٦٩) آية واحدة بلا خلاف .

اللفظ :

الأمر من الشيطان هو دعاؤه الى الفعل ، فأما الأمر في اللغة ، فهو قول

« ١ » كل لغة حظر في الاسطر المتقدمة فانها في المطبوعة « خطر » . والمخطوطة ناقصة في هذا الموضع . والصحيح ما ثبتناه لمقابته بالحلال .

القائل لمن هو دونه : إفعال . وإذا كان فوقه سمي ذلك دعاء ، ومسألة . وهل يقتضي الأمر الإيجاب ، أو الندب ، ذكرناه في أصول الفقه ، فلا نطول بذكره ها هنا .
والسوء : كل فعل قبيح يزجر عنه العقل أو الشرع ، ويسمى ما تنفر عنه النفس سوء ، تقول : ساءني كذا يسوءني سوء . وقيل إنما سمي القبيح سوء ، لسوء عاقبته ، لأنه يلتذ به في العاجل ، ولا يخلوا المكلف من الزجر عن القبيح إما عقلاً ، أو شرعاً ، ولو خلا منه لكان معرفتي بالقبيح ، وذلك لا يجوز .

والسوء في الآية قيل فيه قولان : قال السدي : هو المعاصي . وقال غيره : ما يسوء الفاعل : يعني ما يضره . والمعنى قريب من الأول ، والأول هو الصحيح .
والفحشاء : هو العظيم الفبوح في الفعل ، وكذلك الفاحشة . وقيل المراد به : الزنا من الفجور ، عن السدي . والفحشاء : مصدر فحش فحشاً ، كقولك : ضره ضراً وسره سرّاً وسراً . والفحشاء ، والفاحشة ، والقبيحة ، والسيدة نظائر ، ونقيضها الحسنة .
تقول : فحش فحشاً ، وأفحش إفحاشاً ، وتفاحش تفاحشاً ، وفحش تفحيشاً ، واستفحش استفحاشاً ، وكل من تجاوز قدره فهو فاحش . وأفحش الرجل : إذا قال فحشاً ، وكل شيء لم يكن موافقاً للحق ، فهو فاحشة . قال الله تعالى : « إلا أن يأتين بفاحشة مبينة » (١) يعني بذلك خروجها من بيتها بغير إذن زوجها المطلق لها . وقال تعالى « وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » (٢) والقول : كلام له عبارة تنهى عن الحكاية ، وذلك ككلام زيد ، يمكن أن يأتي عمرو بعبارة عنه تنهى عن الحكاية له فيقول : قال زيد كذا وكذا ، فيكون قوله : قال زيد ، يؤذن أنه يحكى بهده كلام ، وليس كذلك إذا قال : تكلم زيد لأنه لا يؤذن بالحكاية .

والعلم : ما اقتضى سكون النفس . وقيل : هو تبين الشيء على ما هو به

للمدرك له .

(١) سورة الطلاق آية : ١ .

(٢) سورة النحل آية : ٩٠ .

المعنى :

فان قيل : كيف يأمرنا الشيطان ونحن لا نراه ، ولا نسمع كلامه ! قلنا : لما كان الواحد منا يجرد من نفسه معنى الأمر بما يجرد من الدعاء الى المعصية ، والمنازعة في الخطيئة ، وكان ما نجده من نفوسنا من الدعاء ، والاغواء إنما هو بأمر الشيطان الذي دلنا الله عليه ، وحذرنا منه ، صحّ إخبار الله بذلك . فان قيل : اذا كان الله عز وجل يوصل معنى أمره لنا الى نفوسنا ، فما وجه ذلك في الحكمة ، وهو لو أمر من غير إيصال معنى الأمر لم يكن في ذلك مضرة ؟ قلنا . في ذلك أكبر النعمة لأن التكليف لا يصح إلا مع منازعة الى الشيء المنهي عنه ، فكان ذلك من قبل عدوّ ، يحذره ، أولى من أن يكون المنازعة من قبل ولي يستنصحه . وفي ذلك المصلحة لنا بالتمريض بالشواب الذي يستحقه بالخائفة له ، والطاعة لله تعالى ، كما أن في خلقه مصلحة من هذه الجهة ، واذا كان إنما أفهمنا ذلك لنجتنبه ، فهو كتعليم شبهة ملحد ، لنعلم حلها .

وفي الآية دلالة على بطلان قول من قال : إن المعارف ضرورة ، لأنها لو كانت ضرورة ، لما جاز أن يدعوهم الى خلافها ، كما لا يدعوهم الى خلاف ما هم مضطرون اليه من أن السماء فوقهم ، والأرض تحتهم ، وما جرى مجراه مما يعلم ضرورة لأن الدعاء الى ذلك يجري مجرى الدعاء الى خلق الأجسام ، وبعث الأموات ، لا يدخل تحت مقدور القدرة . وقد استدل نفاة القياس ، والقول بالاجتهاد بهذه الآية بأن قالوا : القول بالاجتهاد والقياس قول بغير علم ، وقد نهى الله عن ذلك فيجب أن يكون ذلك محظوراً ، ومذهبننا وإن كان المنع من القول بالاجتهاد ، فليس في هذه الآية دلالة على ذلك ، لأن الخصم أن يقول : اذا دلني الله تعالى على العمل بالاجتهاد ، فلا أعمل أنا به إلا بالعلم ، ويجري ذلك مجرى وجوب العمل عند شهادة الشاهدين ، والعمل بقول المقومين في أروش الجنائيات ، وقيم المتلفات ، وجهات القبلة ، وغير ذلك من الأشياء التي هي واقعة على الظن شرط ، والعمل وانف على الدليل الموجب للعلم

عنده ، فلا يكون في الآية دلالة على ذلك . وقد بينا ما نعتمده في بطلان القول بالاجتهاد والرأي - في أصول الفقه - فلا وجه لذكره هاهنا .

قوله تعالى :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَمْعَلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)
آية واحدة بلا خلاف .

ألفينا ، وصادفنا ، ووجدنا بمعنى واحد ، والأب ، والوالد واحد .

الاعراب :

وقوله تعالى : « أولو كان » هي واو العطف ، دخلت عليها حرف الاستفهام ، والمراد به - التوبيخ والتقريع ، فهي ألف التوبيخ . ومثل هذه الألف (١) « أتم إذا ما وقع » (٢) و « أفلم يسيروا في الأرض » (٣) . وإنما جعلت ألف الاستفهام للتوبيخ ، لأنه يقتضي ما الاقرار به فصيحة عليه ، كما يقتضي الاستفهام الاخبار ، مما يحتاج اليه .

المعنى :

والمعنى : إنهم يقولون ، هذا القول « وإن كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » . والفرق بين دخول الواو ، وسقوطها في مثل هذا الكلام ، أنك إذا قلت : اتبعه ولو ضرك ، فمعناه اتبعه على كل حال ولو ضرك ، وليس كذلك إذا قال : اتبعه لو ضرك ، لأن هذا خاص ، والأوون عام ، فأما دخلت الواو لهذا المعنى .

« ١ » في المطبوعة (الوار) .

« ٢ » سورة بونس آية : ٥١ .

« ٣ » سورة يوسف آية : ١٠٩ ، وسورة الحج آية : ٤٦ ، وسورة المؤمن آية : ٨٢ .

وسورة محمد آية : ١٥ .

ومعنى قوله : « لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » يحتمل شيئين :

أحدهما - لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يهتدون إليه .

والثاني - على الشتم والذم ، كما يقال : هو أعمى اذا كان لا يبصر طريق الحق

- على الذم - هذا قول البلخي . والأول قول الجبائي .

وفي الآية دلالة على بطلان قول أصحاب المعارف ، لأنها دلت على أنهم كانوا

على ضلال في الاعتقاد .

والضمير في قوله : « هم » قيل فيه ثلاثة أقوال :

أحدها - انه يعود على (من) في قوله : « ومن الناس من يتخذ من دون

الله أنداداً » .

والثاني - انه يعود على (الناس) من « يا أيها الناس كلوا مما في الأرض

حلالاً طيباً » فعدل عن المخاطبة الى الغيبة ، كما قال تعالى : « حتى اذا كنتم في الفلك

وجرین بهم بريح طيبة » . (١)

الثالث - انه يعود على الكفار ، إذ جرى ذكركم ، ويصلح أن يعود اليهم

وإن لم يجز ذكركم ، لأن الضمير يعود على المعلوم ، كما يعود على المذكور . وقال ابن

عباس : إن النبي (ص) دعا اليهود من أهل الكتاب الى الاسلام ، فقالوا : بل نتبع

ما وجدنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلم وخيراً منّا ، فأنزل الله عز وجل « واذا قيل

لهم اتبعوا ما أنزل الله » الآية .

و « وألفينا » في الآية معناه وجدنا - في قول قتادة - قال الشاعر : (٢)

فألفيته غير مستعب ولا ذاكر الله إلا قليلاً (٣)

« ١ » - سورة يونس آية : ٢٢

« ٢ » هو أبو الأسود الدؤلي .

« ٣ » دوانه : ٤٩ ، والأذاني ١١ - ١٠٧ ، وشرح شواهد المغني : ٣١ ، واللسان

(غتب) وهو من أبيات قلها في امرأة كان يجاس إليها بالبصرة ، فقالت له : هل لك أن تزوجني ؟

فاني امرأة صناع الكف ، حسنة التدبير قانعة باليسور ، فتزوجها ثم وجدتها على خلاف ما قلت ،

نخاتته وأسرت في ماله ، وأمنت سره ، فردها الى أهلها ، وأنشد الأبيات ، فقالوا : بلى والله

يا أبا الأسود ، فقال : هذه صاحبكم ، واني أحسن أستر ما أنكرت من أمرها ، ثم سلها اليهم .

والاتباع : طلب الاتفاق في المقال أو الفعال . أما في المقال ، فإذا دعا الى شيء استجيب له . وأما في الفعال ، فإذا فعل شيئاً ، فعلت مثله .
والعقل مجموعة علوم بها يتمكن من الاستدلال بالشاهد على الغائب . وقال قوم : هو قوة في النفس يمكن بها ذلك . والاهتداء الاصابة لطريق الحق بالعلم .
وفي الآية حجة عليهم من حيث أنهم اذا جاز لهم أن يتبعوا آباءهم فيما لا يدرون أحق هو أم باطل ، فلم لا يجوز اتباعهم مع العلم بأنهم مبطلون . وهذا في غاية البطلان .
وفيها دلالة على فساد التقليد ، لأن الله تعالى ذمهم على تقليد آباءهم ، ووبخهم على ذلك . ولو جاز التقليد لم يتوجه إليهم توبيخ ، ولا لوم ، والأمر بخلافه .
قوله تعالى :

وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعَاءَ
وَنِدَاءَ صُغَّرَ بِكُمْ عَمِي فَهَمَّ لَا يَعْقِلُونَ (١٧١) آية بلا خلاف .

المعنى :

التشبيه في هذه الآية يحتمل ثلاثة أوجه من التأويل :

أحدها - وهو أحسنها وأقربها الى الفهم ، وأكثرها في باب الفائدة - ما قاله أكثر المفسرين كابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، والريبع ، واختاره الزجاج ، والفراء ، والطبري ، والجبائي ، والرماني . وهو المروي عن أبي جعفر (ع) إن مثل الذين كفروا في دعائم إياهم ، « كمثل الذي ينطق » أي الناقع في دعائه . المنعوق به من البهائم التي لا تفهم كالابل ، والبقر ، والغنم ، لأنها لا تعقل ما يقال لها ، وإنما تسمع الصوت . والحذف في مثل هذا حسن . كقولك لمن هو سيء الفهم : أنت كالخمار ، وزيد كالأسد : أي في الشجاعة ، لأن المعنى في أحد الشيعتين أظهر ، فيشبهه بالآخر ليظهر بظهوره ، وهذا باب حسن البيان .

الثاني - حكاه البلخي ، وغيره : إن مثل الذين كفروا في دعائم آلهتهم من

الاوئان كمثل الناعق في دعائه ما لا يسمع ، بتعالى ، وما جرى مجراه من الكلام ، وذلك أن البهائم لا تفهم الكلام ، وإن سمعت النداء ، والدعاء ، وأقصى أحوال الأصنام أن تكون كالبهائم في أنها لا تفهم ، فإذا كان لا يشكل عليهم أن من دعا البهائم بما ذكرناه جاهل ، فهم في دعائهم الحجارة أولى بالجهل وصفة النعم .

الثالث - قال ابن زيد : إن مثل الذين كفروا في دعائهم آلتهم كمثل الناعق في دعائه الصدى في الجبل ، وما أشبهه ، لأنه لا يسمع منه إلا دعاء ونداء ، لأنه إذا قال : يا زيد ، سمع من الصدى يا زيد ، فيتخيل إليه أن مجيباً أجابه ، وليس هناك شيء ، فيقول : يا زيد ، وليس فيه فائدة ، فكذلك يتخيل إلى المشركين أن دعاءهم للأصنام يستجاب ، وليس لذلك حقيقة ، ولا فائدة . وإنما رجحنا الوجه الأول ، لما بيناه من حسن الكلام ، ولأنه مطابق للسبب الذي قيل : إنها نزلت في اليهود ، فإنهم لم يكونوا يعبدون الأصنام ، ولا يليق بهم الوجه الثاني ، فإذا ثبت ذلك ، ففيه ثلاثة أوجه من الحذف :

أولها - « ومثل الذين كفروا » في دعائك لهم كمثل الناعق في دعائه المنعوق به . والثاني - « ومثل الذين كفروا » في دعائهم الاوئان كمثل الناعق في دعائه الأنعام . الثالث - مثل وعظ الذين كفروا كمثل نعق الناعق بما لا يسمع ، وهذا من باب حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه كقول الشاعر : (١)

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل (٢)

والتقدير على مخافة وعل . فان قيل : كيف قوبل الذين كفروا - وهم المنعوق به - بالناعق ، ولما تقابل المنعوق به بالمنعوق به - في ترتيب الكلام - أو الناعق بالناعق ؟ قيل للدلالة على تضمين الكلام تشبيه اثنين باتنين : الداعي للإيمان للمدعو

« ١ » هو نابغة بني ذبيان .

« ٢ » ديوانه : ٩٠ ، واللسان (خوف) ، ومجاز القرآن : ٦٥ ، وأمالي الشريف المرتضى ١ : ٢٠٢ ، ٢١٦ . الوعل : تيس الجبل يتجصن بوزره من الصياد . (ذي المطار) - يفتح الميم - : اسم جبل . وعاقل : قد عقل في رأس الجبل . في المطبوعة (لقد) بدل (وقد) ورواه اللسان (بنى) بدل (في ذي) .

من الكفار بالداعي الى المراد للمدعو من الانعام ، فلما أريد الايجاز أبقى ما يدل على ما أتى ، فأبقى في الأول ذكر المدعو ، وفي الثاني ذكر الداعي ، ولورتب على ما قال السائل ، لبطل هذا المعنى . وزعم أبو عبيدة ، والفراء : أنه يجري مجرى المقلوب الذي يوضع فيه كلمة مكان كلمة ، كأنه وضع الناقق مكان المنعوق به ، وأنشد :

كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم (١)

والمعنى كما كان الرجم فريضة الزناء ، وكما يقال : أدخلت القلنسوة في رأسي ، وإنما هو أدخلت رأسي في القلنسوة قال الشاعر :

إن سراجاً لكريم مفخره تحلى به العين إذا ما تجهره (٢)

والمعنى يحلى بالعين ، فجعله تحلى به العين . والاقوى أن يكون الأمر على ما بيناه من المعنى الذي دعا الى الخلاف في الحذف ، ليدل بما بقي على ما أتى .

اللفظ :

قال صاحب العين : نطق الراعي بالغنم ينطق نطقاً إذا صاح بها زجراً ، ونطق الغراب نطقاً ، ونطقاً إذا صاح . والناعقان : كوكبان من كواكب الجوزاء : رجلها اليسرى ومنكبتها الايمن ، وهو الذي يسمى الهنعة ، وهما أضواء كوكبين في الجوزاء . وأصل الباب الصباح ، والنداء : مصدر نادى مناداة ، ونداء ، وتنادوا تنادياً ، وندى ندى ، وتندى تندياً . والنداء ، والدعاء ، والسؤال نظائر ، قال صاحب العين : الندى له وجوه من المعنى : ندى الماء ، وندى الخير ، وندى الشر ، وندى الصوت ، وندى الخصر . فأما ندى الماء ، فمنه ندى المطر ، أصابه ندى من طل ، ويوم ندى ، فأرض ندية . والمصدر منه الندة ، والندى ما أصابه من الببل ، وندى الخير هو المعروف ، تقول : أندى علينا فلان ندى كثيراً ، وإن يده لندية بالمعروف ، وندى

« ١ » البيت للتابعة الحمدي . اللسان (زنا) ، وأمالى الشريف المرتضى ١ : ٢١٦ ،

ومعاني القرآن للفراء ١ : ١٣١ ، ٩٩ .

« ٢ » اللسان (حلا) . وأمالى الشريف المرتضى ١ : ٢١٦ . في المطبوعة (جلاله)

بدل (تحلا به) . تجهره : تنظر اليه نظرة إعجاب وتقدير .

الصوت : بمد مذهبه ، وندى الخصر : صيحة جريه ، واشتق النداء في الصوت من ندى ناداه أي دعاه بأرفع صوته : ناداه به . والندوة الاجتماع في النادي ، وهو المجلس ، ندى القوم يندون ندواً اذا اجتمعوا ، ومنه دار الندوة ، وأصل الباب الندى : البلبل ، وندى الجود كندى الغيث .

المعنى :

ومعنى « صم بكم عمي فهم لا يعقلون » أي صم عن إستماع الحججة ، بكم عن التكلم بها ، عمي عن الإبصار لها ، وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي . والاعمى : من في بصره آفة تمنعه من الرؤية . والاصم : من كان في آله سمعه آفة تمنعه من السمع . والابكم : من كان في لسانه آفة تمنعه من الكلام . وقيل : إنه يولد كذلك ، والخرس قد يكون لعرض يتجدد .

وأجاز الفراء النصب في « صم » على النتم ، والاجود الرفع على ما عليه القراء ، وتقديره عم صم .

وفيه دلالة على بطلان قول من زعم : أنهم لا يستطيعون سماعاً على الحقيقة ، لأنه لا خلاف أنهم لم يكونوا صماً لم يسمعوا الأصوات ، وإنما هو كما قال الشاعر :

أصمَّ عما ساءه سميع (١)

وفيه دلالة على بطلان قول من قال : إن المعرفة ضرورة ، لأنهم لو كانوا عالمين ضرورة لما استحقوا هذه الصفة .

وقال عطا : نزلت هذه الآية في اليهود ، ومعنى ينطق بصوت قال الأخطل :

فانطق بضأنك يا جرير فانما منتمك نفسك في الخلاء ضلالاً (٢)

والدعاء : طلب الفعل من المندعو ، والأولى أن يعتبر فيه الرتبة ، وهو أن

« ١ » اللسان (صمم) ، (سم) .

« ٢ » ديوانه : ٥٠ ، ونقائض جرير والأخطل : ٨١ ، واللسان (نطق) وطبقات لغول الشعراء : ٤٢٩ ، وبجاز القرآن : ٦٤ ، يقول : إنما أنت راعي غنم وليس لك حظ في هذا الأمر الذي منتمك نفسك به ، فارجع الى غنمك ، فأمرها وانهاها ، واترك الحرب ، وانشاد الشعر .

يكون فوق الداعي . والسمع : إدراك الصوت . والمثل : قول سائر يدل على أن
سبيل الثاني سبيل الاول .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا
لِلَّهِ إِن كُنْتُمْ لِعِبَادِهِ تُعْبِدُونَ (١٧٢) آية بلا خلاف .

المعنى :

هذا الخطاب يتوجه الى جميع المؤمنين ، وقد بينا أن المؤمن هو المصدق بما
وجب عليه ، ، ويدخل فيه الفساق بأفعال الجوارح ، وغيرها ، لأن الايمان لا ينفي
الفسق - عندنا - . وعند المعتزلة : إنه خطاب لمجتنبي الكبائر ، وإنما يدخل فيه
الفساق على طريق التبعية ، والتغليب ، كما يغلب المذكر على المؤنث في قولك : الامام
والعبيد جازني ، وقد بينا فيما تقدم أن أفعال الجوارح لا تسمى إيماناً - عند أكثر
المرجئة ، وأكثر أصحابنا - وإن بعضهم يسمي ذلك إيماناً ، لما رووه عن الرضا
(ع) . وإيمان مأخوذ من أمان العقاب - عند من قال : إنه تناول مجتنبي الكبائر -
وعند الآخرين من أمان الخطأ ، في الاعتقاد الواجب عليه . وفي المخالفين من يجعل
الطاعات الواجبات ، والنوافل من الايمان . وفيهم من يجعل الواجبات فقط إيماناً ،
ويسمي النوافل إيماناً مجازاً .

وقوله « كَلُوا » ظاهره ظاهر الأمر ، والمراد به الاباحة ، والتخيير ، لأن
الأكل ليس بواجب إلا أنه متى أراد الأكل ، فلا يجوز أن يأكل إلا من
الحلال الطيب ، ومتى كان الوقت وقت الحاجة فانه محمول على ظاهره في باب الأمر :
سواء قلنا : إنه يقتضي الايجاب أو الندب .

وفي الآية دلالة على النهي عن أكل الخبيث - في قول البلخي ، وغيره -
كأنه قيل : كَلُوا من الطيب دون الخبيث ، كما لو قال : كَلُوا من الحلال ، لكان ذلك

دالاً على حظر الحرام - وهذا صحيح فيما له ضد قبيح مفهوم . فأتما غير ذلك ، فلا يدل على قبح ضده : لأن قول القائل ، كل من زيد ، لا يدل على أن المراد تحريم ما عداه ، لأنه قد يكون الغرض البيان لهذا خاصه ، والآخر موقوف على بيان آخر ، وليس كذلك ما ضده قبيح ، لأنه قد يكون من البيان قبيح ضده . والطيبات قدمنا معناها فيما تقدم ، وأن المراد بذلك الخالص من شائب ينغص ، وإن كان لا يخلو شيء من شائب ، لكنه لا يعتد به في الوصف بأنه حلال طيب ، ولو كان في الطعام ما ينغصه لجاز وصفه بأنه ليس بطيب .
والرزق قد بينا فيما مضى : أنه ما لا يحيى الانتفاع به على وجه لا يكون لأحد منعه منه .

وقوله : « واشكروا لله » فالشكر : هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التمجيم ، ويكون ذلك عن وجهين : (١)

أحدهما - الاعتراف بالنعمة - متى ذكرها - للنعيم بالاعتقاد لها .
الثاني - الطاعة بحسب جلاله النعمة ، فالأول لازم في كل حال من أحوال الذكر ، والثاني إنما يلزم في الحال التي يحتاج فيها إلى القيام بالحق ، واقتضى ذكر الشكر هاهنا ما تقدم ذكره من الانعام في جعل الطيب من الرزق ، للانتفاع ، واستدفاع المضار ، وذكر الشرط هاهنا إنما هو وجه المظاهرة في الحجاج ولما فيه من حسن البيان دون أن يكون ذلك شرطاً في وجوب الشكر ، وتلخيص الكلام إن كانت العبادة لله واجبة عليكم بأنه إلهكم ، فالشكر له واجب عليكم بأنه محسن إليكم .
وأما العبادة ، فهي ضرب من الشكر ، لأنها غاية ليس وراءها شكر ، ويقترن به ضرب من الخضوع . ولا يستحق العبادة إلا الله ، لأنها تستحق باصول النعم من الحياة ، والقدرة ، والشهوة ، والنفاد ، وأنواع المنافع ، ويقدر من النعم لا يواريه

« ١ » في المطبوعة هنا تكرر الوجه الأول كله . والظاهر أنه تسطير من الناسخ وإنما حذفناه لعدم وجوده في المخطوطة ولا في مجتمعي البيان . لأن مجتمعي البيان ناقلي المطالب بمخالفته ، ولم يكرر .

نعمة منعم ، فلذلك اختص الله تعالى باستحقاقها .

قوله تعالى :

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَحُلْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ
اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
(١٧٣) آية بلا خلاف .

الفرازة

قرأ نافع وابن عامر ، وابن كثير ، والكسائي - بضم نون - « فمن اضطر »
الباقون بكسرها .

اللفظ والاعراب :

لفظة إنما تفيد إثبات الشيء ، ونفي ما سواه كقول الشاعر :

وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي (١)

ومعناه لا يدافع غيري ، وغير من هو مثلي ، وهو قول الزجاج ، والفراء ،
والرمانى ، والطبري ، وأكثر أهل التأويل . وإنما كانت لا إثبات الشيء ، ونفي ما سواه ،
من قبل أنها لما كانت (إن) للتأكيد ، ثم ضم إليها (ما) للتأكيد أيضاً ، أكدت
(إن) من جهة التحقيق للشيء ، وأكدت (ما) من جهة نفي ما عداه ، فكأنك
إذا قلت : إني بشر ، فالمعنى أنا بشر على الحقيقة ، فإذا قلت : إنما أنا بشر ، فقد
ضمت إلى هذا القول ما أنا إلا بشر .

وتقدير قوله تعالى : « إنما حرّم عليكم الميتة » ما حرّم عليكم إلا الميتة . ولو
كانت (ما) بمعنى الذي ، لكتبت مفصولة (٢) ، ومثله قوله تعالى : « إنما الله

« ١ » قاله المرزوق ، تلخيص المفتاح أو مختصر المعاني لتفتراني (باب القصر) وهو :

أنا الذائد الحامي الديار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

« ٢ » في المطبوعة (مفعوله) .

إِلَّاهَ وَاحِدًا (١) أَي لَا إِلَهَ إِلَّا وَاحِدٌ ، وَمِثْلُهُ « إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ » (٢) أَي لِأَنَّذِيرٍ إِلَّا أَنْتَ (٣) وَمِثْلُهُ إِنَّمَا ضَرَبْتَ أَخَاكَ أَي مَا ضَرَبْتَ إِلَّا أَخَاكَ .

فَإِذَا نَبَتْ ذَلِكَ ، فَلَا يَجُوزُ فِي الْمَيْتَةِ إِلَّا النَّصْبُ ، لِأَنَّ (مَا) كَافَةٌ (٤) وَمَعْنَاهُ تَحْرِيمُ الْمَيْتَةِ ، وَتَحْلِيلُ الْمَذْكِيِّ ، وَلَوْ كَانَتْ مَا بِمَعْنَى الَّذِي ، لَمَكَانَ يَجُوزُ فِي الْمَيْتَةِ الرَّفْعُ . وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَيْتِ ، وَالْمَيْتَةِ قِيلَ فِيهِ قَوْلَانِ :

أَحَدُهُمَا - قَالَ أَبُو عَمْرٍو : مَا كَانَ قَدَمَاتٍ ، فَهُوَ بِالتَّخْفِيفِ مِثْلُ « يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ » (٥) . وَمَا لَمْ يَمْتِ بِالتَّثْقِيلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » (٦) . وَوَجْهٌ ذَلِكَ أَنَّ التَّثْقِيلَ لَمَّا كَانَ هُوَ الْأَصْلُ كَمَا كَانَ أَقْوَى عَلَى التَّصْرِيفِ فِي مَعْنَى الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ .

و [الثَّانِي] قَالَ قَوْمٌ : الْمَعْنَى وَاحِدٌ ، وَإِنَّمَا التَّخْفِيفُ لِمُثَلِّبِ الْبَاءِ عَلَى الْكُسْرَةِ ، قَالَ الشَّاعِرُ : (٧)

لَيْسَ مِنْ مَاتَ فَاسْتِرَاحَ بِمَيْتِ إِنَّمَا الْمَيْتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ (٨)
فَجَمَعَ بَيْنَ اللَّغَتَيْنِ :

« ١ » - سُوْرَةُ النَّسَاءِ آيَةٌ : ١٧ .

« ٢ » - سُوْرَةُ الرَّعْدِ آيَةٌ : ٨ .

« ٣ » - هَكَذَا فِي النَّسْخِ كَمَا فِي بَعْضِ الْبَيَانَاتِ أَيْضًا ، وَالصَّحِيحُ (مَا أَنْتَ إِلَّا مُنذِرٌ) وَهُوَ مِنْ بَابِ قَصْرِ الْمَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ ، وَهُوَ الَّذِي يَقْتَضِيهِ الْمَقَامُ ، وَعِبَارَةٌ الْمَتْنِ مِنْ بَابِ قَصْرِ الصِّفَةِ عَلَى الْمَوْصُوفِ .

« ٤ » - فِي الْمَطْبُوعَةِ (كَأَنَّهُ) بِدَلِّ (كَافَةٌ) وَمَعْنَى كَافَةٌ : أَي قَدْ كَفَتْ (أَنْ) عَنْ الْمَعْمَلِ بِالْجُمْلَةِ الَّتِي بَعْدَهَا ، وَإِذَا كَانَتْ (أَنْ) مَكْفُوفَةً تَعَيَّنَ نَصْبُ (الْمَيْتَةِ) بِـ (حَرَمِ) ، وَإِذَا كَانَتْ أَنْ حَامِلَةً فِي الْجُمْلَةِ تَكُونُ « مَا » اسْمَ مَوْصُولٍ بِمَعْنَى الَّذِي ، وَهِيَ اسْمُ « أَنْ » . وَالْمَيْتَةُ خَبَرُ « أَنْ » فَيَتَعَيَّنُ الرَّفْعُ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ كَمَا يَتَعَيَّنُ النَّصْبُ عَلَى الْأَوَّلِ .

« ٥ » - سُوْرَةُ الْأَنْعَامِ آيَةٌ : ٩٥ . سُوْرَةُ يُونُسَ آيَةٌ : ٣١ . سُوْرَةُ الرُّومِ آيَةٌ : ١٩ .

« ٦ » - سُوْرَةُ الزُّمَرِ آيَةٌ : ٣٠ .

« ٧ » - هُوَ عَدِيُّ بْنِ الرَّعْلَاءِ .

« ٨ » - اللَّسَاتُ « مَيْتٌ » وَشَرَحَ شَوَاهِدَ الْمَغْنِيِّ : ١٣٨ . وَمَعْجَمُ الشُّعْرَاءِ : ٢٥٣ .

وغيرها كثير .

المعنى :

قوله : « وما أهل به لغير الله » قيل في معناه قولان :
أحدهما - قال الربيع ، وابن زيد ، وغيرهما من أهل التأويل : معناه ذكر
غير اسم الله عليه .
والثاني - قال قتادة ، ومجاهد : ما ذبح لغير الله .

اللفظ :

والاهلال على الذبح : هو رفع الصوت بالتسمية ، وكان المشركون يسمون
الأوثان ، والمسلمون يسمون الله . ويقال : انهل المطر انهلالاً وهو شدة انصبابه ،
وتهلل السحاب برفقه أي تلاًلاً ، وتهلل وجهه اذا تلاًلاً ، وتهلل الرجل فرحاً .
والهلال غرة القمر ، لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته بالتكبير ، والمحرم يتهلل
بالأحرام ، وهو أن يرفع صوته بالتلبية ، ويهلل الرجل : يكبر اذا نظر الى الهلال .
وهل البعير تهليلاً اذا تقوس كتقوس الهلال ، وسمي به الذكر ، لأن الهلال ذكر .
وثوب هل أي رقيق مشبه بالهلال في رفته . والتهليل : الفرع . واستهل الصبي اذا
بكى حين يولد . والهلال : الحية الذكر ، لأنه يتقوس ، وسمي به الذكر ، لأن
الهلال ذكر .

« فمن اضطر » من كسر النون فلا لتقاء الساكنين ، ومن ضمها أتبع الضمة
الضمة في الطاء . وقرأ أبو جعفر بكسر الطاء .

والاضطرار : كل فعل لا يمكن المفعول به الامتناع منه ، وذلك كالجوع
الذي يحدث للإنسان ، ولا يمكنه الامتناع منه . والفرق بين الاضطرار ، والاجاء
أن الاجاء تتوفر معه الدواعي الى الفعل من جهة الضر أو النفع ، وليس كذلك
الاضطرار .

وأكثر المعسرين على أن المراد في الآية المجاعة . وقال مجاهد : ضرورة
إكراه . والأولى أن يكون محمولا على العموم إلا ما خصه الدليل .

« ولحم الخنزير » قال صاحب العين يقال : رجل لحم اذا كان أكل اللحم .
وييت لحم : يكثر فيه اللحم . وألحمت القوم اذا قتلتهم وصاروا لحمًا . والملحمة :
الحرب ذات القتل الشديد . واستلحمت الطريق اذا اتسع . واللحمة : قرابة النسب .
واللحمة ما يسد به بين السديين من الثوب . واللحام : ما يلحم به صدع ذهب أو
فضة أو حديد حتى يلتحم ، ويلتئم . وكل شيء كان متبايناً ثم تلازم ، فقد التحم .
وشجة متلاحمة إذا بلغة اللحم . وأصل الباب الزوم ، فنه اللحم للزومه بعضه بعضاً .

المعنى :

وقوله : « غير باغ ولا عاد » قيل في معناه ثلاثة أقوال : أولها - « غير باغ »
اللذة « ولا عاد » سد الجوع وهو قول الحسن ، وقادة ، ومجاهد ، والريبع ،
وابن زيد . والثاني - ما حكاه الزجاج « غير باغ » في الافراط « ولا عاد » في
التقصير . والثالث - « غير باغ » على إمام المسلمين « ولا عاد » بالمعصية طريق
المحققين ، وهو قول سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وهو المروي عن أبي جعفر ، وأبي
عبدالله (ع) قال الرماني : وهذا القول لا يسوغ ، لأنه تعالى لم يسمح لأحد قتل
نفسه بل حظر عليه ذلك ، والتعريض للقتل قتل في حكم الدين ، ولأن الرخصة إنما
كانت لأجل المجاعة المتلفة ، لا لأجل الخروج في طاعة ، وفعل إباحة . وهذا
الذي ذكره غير صحيح لأن من بنى على إمام عادل فأدى ذلك الى تلفه ، فهو
المعرض نفسه للقتل ، كما لو قتل في المعركة ، فانه المهلك لها ، فلا يجوز لذلك استباحة
ما حرم الله ، كما لا يجوز له أن يستبقي نفسه بقتل غيره من المسلمين ، وما قاله من
أن الرخصة لمكان المجاعة ، لا يسلم إطلاقه ، بل يقال : إنما ذلك للمجاعة التي لم يكن هو
المعرض نفسه لها ، فأما إذا عرض نفسه لها ، فلا يجوز له استباحة المحرم ، كما قلنا
في قتل نفس الغير ، ليدفع عن نفسه القتل . وأصل البغي : الطلب من قو لهم : بغي
الرجل حاجته بغيرها بغيرها قال الشاعر :

لا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ بَغَا . الخبير تعقاد التمام (١)

إِنِ الْأَشْأَمُ كَالْأَيَا مِنْ وَالْأَيَامُنُ كَالْأَشْأَمِ (٢)

والبغاه : طلب الزنا . وإنما اقتضى ذكر المغفرة هاهنا أحد أمرين :
أحدهما - النهي عما كانوا عليه من تحريم ما لم يحرمه الله من السائبة ، والوصيلة ،
والحام ، فوعد الله بالمغفرة عند التوبة ، والانابة الى طاعة الله فيما أباحه أو حظره .
الثاني - إذا كان يغفر المعصية ، فهو لا يواخذ بها ، جعل فيه الرخصة ، ولا
يجوز أن يقع في موضع غير (إلا) لأنها بمعنى النفي هاهنا ، ولذلك عطف عليها
بـ (لا) لأنها في موضع (لا) . فأما (إلا) فمنها في الأصل الاختصاص لبعض
من كل ، وليس هاهنا كل يصلح أن يحض منه . « غير باغ » منصوب على الحال
وتقديره لا باغياً ، ولا عادياً . والقدر المباح من الميتة عند الضرورة ما يمسك الرمق
فقط - عندنا - وفيه خلاف ذكرناه في خلاف الفقهاء .

قوله تعالى :

لَنْ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ
ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ
اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) آية بلاخلاف .

المعنى :

المعنى بهذه الآية أهل الكتاب باجماع المفسرين إلا أنها متوجهة - على قول
كثير منهم - الى جماعة قليلة منهم ، وهم علماءهم الذين يجوز على مثلهم كتمان ما علموه ،
فأما الجمع الكثير منهم الذين لا يجوز على مثلهم ذلك لاختلاف (٣) دواعيهم ، فلا
« ١ » اللسان « عقد » في المطبوعة « لا يمنك » بدل « لا يمنك » ولم يستقم

به الوزن .

« ٢ » اللسان « شام » وروايته « فاذا » بدل « ان » .

« ٣ » في المطبوعة « لا خلاف » .

يجوز . والذي كتموه قيل فيه قولان :

قال أكثر المفسرين : إنهم كتموا أمر النبي (ص) بأن حرفوه عن وجهه في التأويل ، هذا إذا حمل على الجماعة الكثيرة . وإن حمل على القليلة منهم ، يجوز أن يكونوا كتموا نفس التنزيل أيضاً .

الثاني - قال الحسن : كتموا الأحكام ، وأخذوا الرشا على الأحكام ، والكتاب على القول الأول : هو التوراة ، وعلى الثاني يجوز أن يحمل على القرآن وسائر الكتب .

وقوله : « ويشترون به ثمناً قليلاً » ليس المراد به أنهم إذا اشتروا به ثمناً كثيراً كان جائزاً . وإنما المقصد كلما يأخذونه في مقابلاته من حطام الدنيا ، فهو قليل ، كما قال « ويقتلون النبيين بغير حق » (١) وكما قال « ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به » (٢) وإنما أراد أن قتل النبيين لا يكون إلا بغير حق ، وإن من ادعى مع الله إلهاً آخر لا يقوم له عليه برهان . وكما قال الشاعر :

على لاجب لا يهتدى بمناره

والمعنى لا لاجب هناك ، فيهتدى به ، لأنه لو كان ، لاهتدى به .

وقوله تعالى « ما يأكلون في بطونهم إلا النار » معناه على قول الربيع ، والحسن ، والحيائي ، وأكثر المفسرين : الأجر الذي أخذوه على الكتبتان ، سمي بذلك ، لأنه يؤديهم إلى النار ، كما قال في أكل مال اليتيم ظمناً « إنما يأكلون في بطونهم ناراً » (٣) وقال بعضهم : إنما يأكلون في جهنم ناراً جزاء على تلك الأعمال ، والأول أحسن . فإن قيل إذا كان الأكل (٤) لا يكون إلا في البطن ، فامعنى قوله « في بطونهم » ؟ قلنا عنه جوابان :

أحدهما - إن العرب تقول : جعت في غير بطني وشبعت في غير بطني ، إذا

« ١ » سورة آل عمران آية : ٢١ .

« ٢ » سورة المؤمنون آية : ١١٧ .

« ٣ » في المطبوعة « الأول » .

« ٤ » سورة النساء آية : ٩ .

جاع من يجري جوعه مجرى جوع نفسه ، فذكر ذلك لأزالة اللبس .
والثاني - انه لما استعمل المجاز بالاجراء على الرشوة اسم النار ، حقق بذكر
البطن ، ليدل على أن النار تدخل أجوافهم .

اللفظ :

والبطن : خلاف الظهر . والبطن : الغامض من الارض . والبطن من العرب :
دون القبيلة . وعرفت هذا الأمر ظاهره ، وباطنه أي سره وعلايته . ورجل بطين :
عظيم البطن . ومبطن : خميض البطن . وفلان بطاتي دون إخواني . أي الذي أبطنه
أمري . واستبطنت أمر فلان : إذا وقتت على دخلته . ويقال في المثل : البطنة تذهب
العظنة ، وبطن الشيء بطوناً إذا غمض . والبطن حزام الرّاحل . والبطين : نجم وهو
بطن الحمل . وأصل الباب البطون : خلاف الظهور .

المعنى :

وقوله تعالى : « ولا يكلمهم » قيل في معناه قولان :

أحدهما - لا يكلمهم بما يحبون ، وإنما هو دليل على الغضب عليهم ، وليس
فيه دليل على أنه لا يكلمهم بما يسوءهم ، لأنه قد دلّ في موضع آخر ، فقال
« فلنستلن الذين أرسل اليهم ولنستلن المرسلين » (١) وقال « ربنا أخرجنا منها
فإن عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون » (٢) وهذا قول الحسن ،
وواصل ، وأبي علي .

الثاني - لا يكلمهم أصلاً ، فتحمل آيات المسائلة على أن الملائكة تسألهم بأمر
الله ويتأول قوله « اخسئوا فيها ولا تكلمون » على أن الحال دالة على ذلك . وإنما
دلّ نفي الكلام على الغضب - على الوجه الاول - من حيث أن الكلام وضع في الأصل

« ١ » - سورة الاعراف آية : ٥ .

« ٢ » - سورة المؤمنون آية : ١٠٨ - ١٠٩ .

للفائدة ، فلما انتفى على جهة الحرمان للفائدة ، دلّ على الغضب ، ولا يدخل في ذلك الكلام للغم والايلام .

وقوله : « ولا يزكّيههم » معناه لا يبني عليهم ، ولا يصفهم بأنهم أزكّياه . ويحتمل أن يكون المراد لا يتقبل أعمالهم تقبل الأعمال الأزكّياه .

والاشتراء هو الاستبدال بالثمن العوض ، فلما كانوا هؤلاء استبدلوا بذنبيهم الثمن القليل ، قيل فيهم : إنهم اشتروا به تمناً قليلاً . والثمن هو العوض من العين ، والورق . والفلة هو نقصان المقدار عن مقدار غيره ، لانه يقال : هو قليل بالاضافة الى ما هو أكثر منه ، وكثير بالاضافة الى ما هو أقل منه .

والكلام ما انتظم من حرفين فصاعداً من هذه الحروف المعقولة : إذا وقع ممن يصح منه أو من قبيله للفائدة . وقال الرماني : الكلام ما كان من الحروف دالاً بتأليفه على معنى ، قال وأصله من الآثار وهي كالعلامات الدالة ، والكلم أي الجراح . وما ذكرناه أولى ، لأن هذا ينتقض بالمهمل من الكلام ، فانه لا يفيد وهو كلام حقيقة .

قوله تعالى :

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْمَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ
فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّسَارِ (١٧٥) آية واحدة بلاخلاف .

المعنى :

معنى « اشتروا الضلالة بالهدى » استبدلوا ، لأن أصل الشراء الاستبدال ، وليس يقع في مثله إشكال ، فأما قولهم : استبدل بالجارية غيرها ، فلا يجوز أن يقال بدلاً منه : اشترى ، لأنه يلتبس . والضلالة التي اشتروها بالهدى : كفرهم بالنبي (ص) وجحدهم لنبوته استبدلوه بالإيمان به ، وهم وإن لم يقصدوا أن يضلوا بدلاً من أن يهتدوا فقد قصدوا الكفر بالنبي (ص) بدلاً من الإيمان به ، وذلك ضلال

بدلاً من هدى ، فقد قصدوا الضلال بدلاً من الهدى ، وإن لم يقصدوه من وجهه أنه ضلال . ولا يجوز أن يقول : قصدوا أن يضلوا . لأنه يؤم أنهم قصدوه من هذا الوجه ، كما ينبغي علموا أنهم يضلون غير أنهم علموه من هذا الوجه ، ويجوز قصدوا الضلال ، وعلموا الضلال ، لأنه لا ينبغي على هذا الوجه وإنما علموه ، وقصدوه من وجه آخر ، وهو جحدهم محمداً (ص) بدلاً من التصديق به .

وقوله تعالى « فما أصبرهم على النار » الفاء معناها معنى الجواب ، لأن الكلام المتقدم قد تضمن معنى من كان بهذه الصفة ، « فما أصبرهم على النار » فعومل معاملة المعنى الذي تضمنه حتى كأنه قد لفظ به . والعجب لا يجوز على القديم تعالى ، لأنه عالم بجميع الأشياء ، لا يخفى عليه شيء . والتعجب يكون مما لا يعرف سببه . وإنما الغرض - من الآية - أن يداننا على أن الكفار حلوا محل من يتعجب منه ، فهو تعجب لنا منهم . وقد قيل في معنا (ما) في قوله « فما أصبرهم على النار » قولان : أحدهما - قال الحسن ، وقتادة ، ومجاهد : إنها للتعجب . والثاني - قال ابن عباس ، وابن جريج ، وابن زيد والسدي : إنها للاستفهام . وقيل في معنا « أصبرهم » أربعة أقوال :

أحدها - ما أجرأهم على النار ، ذهب إليه الحسن وقتادة . والثاني - قال مجاهد : ما أعلمهم بأعمال أهل النار . وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) . والثالث - حكاه الزجاج : ما أبقام على النار ، كما تقول : ما أصبره على الحبس . والرابع - ذكره الفراء : ما صبرهم على النار أي حبسهم عليها . وقال الكسائي : هو استفهام على وجه التعجب . قال أبو العباس : المبرد : هذا حسن كأنه توبيخ لهم وتعجب لنا ، مثل قولك للذي وقع في هلكة ما اضطررك إلى هذا ، إذا كان غنياً عن التعرض للوقوع في مثلها . يقال : أصبرت السبع ، والرجل ، ونحوه إذا نصبت له لما يكره . وقال الخطيئة :

قلتُ لها أصبرها جاهداً ويحك أمثال طريف قليل : (١)

« ١ » اللسان (صبر) . الضمير في أصبرها ما تدعى النفس ، وكأنه يقول : احبس نفسك على الجهاد .

معناه أزمها ، واضطرها . فأما التمعجب ، فمثل قوله « قتل الانسان ما أكفره »
(١) أي قد حلّ محلّ ما يتمعجب منه . وقيل : ما أصبرك على كذا بمعنى ما أجراك
قال أبو عبيدة : هي لغة يمانية .

واشتق أصبر بمعنى أجراً من الصبر الذي هو حبس النفس ، لأن بالجرهه يصبر
على الشدة . فأما القول الآخر : فحبسوا أنفسهم على عمل أهل النار ، بدوامهم عليه ،
وانهما كهم فيه . وحكى الكسائي عن قاضي اليمن عن بعض العرب ، قال لخصمه :
ما أصبرك على الله أي على عذاب الله تعالى .
قوله تعالى :

ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في
الكتاب لفي شقاقٍ بعيدي (١٧٦) آية واحدة .

الاعراب :

ذلك رفع بالابتداء ، أو بأنه خبر الابتداء وهو إشارة الى أحد ثلاثة أشياء :
أولها - قال الحسن : ذلك الحكم بالنار . الثاني - ذلك العذاب . الثالث -
ذلك الضلال .

وفي تقدير خبر ذلك ثلاثة أقوال : [الاول] - قال الزجاج : ذلك الأمر ،
أو الأمر ذلك ، فحذف لدلالة ما تقدم من الأمر بالحق . فكأنه قال : ذلك الحق .
واستغنى عن ذكر الحق لتقدم ذكره في الكلام . الثاني - ذلك معلوم « بأن الله نزل
الكتاب بالحق » فقد تقدم ذكر ما هو معلوم بالتنزيل ، فحذف لدلالة الكلام عليه .
الثالث - ذلك العذاب لهم « بأن الله نزل الكتاب بالحق » وكفروا به ، فتكون
الباء في موضع الخبر . ويحتمل ذلك أن يكون رفعاً على ما بينا . ويحتمل أن يكون
نصباً على فعلنا ذلك ، لأن في الكلام ما يدل على (فعلنا) .

المعنى :

ومعنى الكتاب هاهنا قيل: إنه التوراة . وقال الجبائي : إنه القرآن ، وغيره .
وهو أعم فأئدة .

وقال بعضهم : إن المراد بالأول التوراة ، وبالثاني القرآن . ومعنى الاختلاف
هاهنا يحتمل أمرين :

أحدهما - قول الكفار في القرآن . ومنهم من قال : هو كلام السحرة . ومنهم
من قال : كلام يعلمه . ومنهم من قال : كلام يقوله الثاني - اختلاف اليهود والنصارى
في التأويل ، والتزويل من التوراة ، والإنجيل ، لأنهم حرفوا الكتاب ، وكنتموا
صفة محمد النبي (ص) وجحدت اليهود الإنجيل والقرآن .

قوله تعالى : « لفي شقاق بعيد » فيه قولان :

أحدهما - بعيد عن الالفة بالاجتماع على الصواب . الثاني - بعيد : من الشقاق ،
لشهادة كل واحد على صاحبه بالضلال . وكلاهما قد عدل عن السداد . ومن ذهب الى
أن المعنى ذلك العذاب « بأن الله نزل الكتاب بالحق » قدر فكفروا به ، وجعله
مخدوفاً . ومن ذهب الى أن المعنى : ذلك الحكم بدلالة « أن الله نزل الكتاب بالحق »
لم يجعله مخدوفاً .

والمعنى بالذين اختلفوا على قول السدي : اليهود ، والنصارى . وقال غيره :
هم الكفار من عبدة الاوثان ، وغيرهم من أهل الضلال . وهو الاولى ، لأنه أعم .

الاعراب :

وإنما كسرة (إن) الثانية لالحاق اللام الخبر ، وهي لام الابتداء ، فأخرت
الى الخبر وكسرت معها (إن) لأنها للاستئناف ايضاً . فأما (أن) المفتوحة فاسم يعمل
فيه عوامل الاعراب كما يعمل في الأسماء . وإنما كسرت (إن) في قوله تعالى : « وما
أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام » « ١ » لا لالحاق اللام ، ولكن

لدخول (إلا) على جملة مستأنفة في التقدير . كأنه قيل: إلا هم يأكلون الطعام . ولو قلت ما ظننت إلا إنك لخارج لكسرت لأجل اللام .

المغزى :

والاختلاف : الذهاب على جهة التفريق في الجهات . وأصله من اختلاف الطريق . تقول : اختلفنا الطريق ، فجاء هذا من هاهنا ، وجاء ذلك من هناك ، ثم قيل في الاختلاف في المذاهب تشبيهاً في الاختلاف في الطريق من حيث أن كل واحد منهم على تقيض ما عليه الآخر من الاعتقاد . فأما الاختلاف في الأجناس ، فهو ما لا يسد واحد منهما مسد الآخر ، فيما يرجع إلى ذاته ، كالسواد والبياض ، وغيرها .

والشقاق : انحياز كل واحد عن شق صاحبه للعداوة له . وهو طلب كل واحد منهما ما يشق على الآخر ، لأجل العداوة . والمشاقة مثله .

قوله تعالى :

ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن
البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين
وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم
لماذا عاهدوا والصابرين فى البأس والضراء وحين البأس أولئك
الذين صدقوا وأولئك هم المتقون (١٧٧) آية واحدة بلا خلاف .

الفراة :

قرأ حفص الأهبيرة ، وحمة « ليس البر » بنصب الراء . الباقر برفعها .
وقرأ نافع ، وابن عامر « ولكن البر » بتخفيف النون ، ورفع الراء .

النزول :

قيل : إن هذه الآية نزلت لما حولت القبلة ، وكثير الخوض في نسخ تلك الفريضة ، عمار كأنه لا يراعى بطاعة الله إلا التوجه للصلاة ، فأ نزل الله تعالى الآية ، وبين فيها أن البرّ ما ذكره فيها ، ودل على أن الصلاة إنما يحتاج إليها لما فيها من المصلحة الدينية ، وإنه إنما يأمر بها ، لما في علمه أنها تدعو إلى الصلاح ، وتصرف عن الفساد ، وإن ذلك يختلف بحسب الأزمان ، والأوقات .

المعنى :

وقوله : « ليس البرّ » قيل فيه قولان : أحدهما - ذكره ابن عباس ، ومجاهد : أنه « ليس البرّ » كله في التوجه إلى الصلاة بل حتى يضاف إلى ذلك غيره من الطاعات التي أمر الله تعالى بها . والثاني - قاله قتادة ، والربيع واختاره الجبائي : أنه « ليس البرّ » ما عليه النصراني من التوجه إلى المشرق ، أو ما عليه اليهود من التوجه إلى المغرب « ولكن البرّ » ما ذكره الله تعالى في الآية ، وبينه . وقوله : « ولكن البرّ من آمن » قيل فيه ثلاثة أقوال :

أولها - « ولكن البرّ » برّ « من آمن بالله » فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه ، واختاره المبرد ، لقوله « ليس البرّ أن تولوا » وقال النابغة :

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعلٍ في ذي المطارة عاقل (١)
يعني مخافة وعل . وقالت الخنساء :

ترتع ما غفلت حتى إذا ادّكرت فأنما هي إقبال وإدبار (٢)
معناه إنما هي مقبلة تارة ، ومدبرة أخرى ، فبالغ ، فجعلها إقبالا وإدباراً ،

« ١ » مر نخريجه في ٢ : ٧٨ .

« ٢ » اللسان (قبل) في المطبوعة (غفت) بدل (غفلت) وفي مجمع البيان (مارتمت) .
الرتع : الأكل في شرم ، ورتعت المواشي : أكلت ما شأت وجاءت وذهبت . ادكرت : تذكرت .

وقال متمم : (١)

لعمري ! وما دهري بتأبين هالك ولا جزءاً مما أصاب فأوجما (٢)
معناه ولا ذى جزع .

الوجه الثاني - ولسكن ذا البر من آمن بالله . الثالث - ولسكن البار من آمن بالله ، فجعل المصدر في موضع اسم الفاعل . وقد بينا في ماضى حقيقة الايمان والخلاف فيه ، فلا معنى لاعادته .

والضمير في قوله : « على حبه » يحتمل أن يكون عائداً على حب المال ، ويحتمل أن يكون عائداً على حب الايمان ، قال عبدالله بن مسعود : على حب المال ، لأنه يأمل العيش ويخشى الفقر . وأما على حب الايمان ، فوجهه ألا تدفعه وأنت متسخط عليه كاره . ويحتمل وجهاً ثالثاً : وهو أن يكون الضمير عائداً على الله ، ويكون التقدير على حب الله ، فيكون خالصاً لوجهه ، وقد تقدم ذكر الله تعالى في قوله « من آمن بالله » . وهو أحسنها . والآية تدل على وجوب إعطاء مال الزكاة بلا خلاف ، وتدل ايضاً - في قول الشعبي ، والجبائي - على وجوب غيره مما له سبب وجوب كالاتفاق على من نجب عليه نفقته ، وعلى من يجب عليه سد رمقه إذا خاف التلف ، وعلى ما يلزمه من التذور ، والكفارات ، ويدخل فيها ايضاً ما يخرج به الانسان على وجه التطوع ، والقربة الى الله ، لأن ذلك كله من البر .

وابن السبيل : هو المنقطع به إذا كان مسافراً محتاجاً وإن كان غنياً في بلده ، وهو من أهل الزكاة .

وقيل : إنه الضيف ، والأول قول مجاهد ، والثاني قول قتادة . وإنما قيل : ابن السبيل : بمعنى ابن الطريق ، كما قيل للطير : ابن المساء ، لملازمته إياه ، قال ذو الرمة :

« ١ » هو متمم بن نورة .

« ٢ » اللسان (أين) ، (دهر) ليس من طائفة تأبين الاموات ، ومدحهم بعد موتهم ، ولست أجزع من المصيبة .

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابنُ ماءٍ محاق (١) والسائلين معناه : والطالبيين للصدقة ، لأنه ليس كل مسكين يطلب .
وقوله : « وفي الرقاب » قيل فيه قولان : أحدهما - عتق الرقاب . والثاني - المكاتبين . ويفني أن تحمل الآية على الامرين ، لأنها تحتمل الامرين ، وهو اختيار الجبائي ، والرماني .

اللغة :

والمرابطة : المراعاة . والرقبة : الانتظار . والرقيب : المشرف على القوم لحراستهم . والرقيب : الحافظ . وتقول : رقبته أرقبه رقباً ، وراقبته مراقبته ، وارتقبته ارتقاباً ، وتراقبوا تراقباً ، وترقب ترقباً . والرقوب : الأرملة التي لا كاسب لها ، لأنها ترقب معروفاً أو صلة . والرقبة مؤخر أصل العنق . وأعتق الله رقبته ، ولا يقال عتقه . والرقيب ضرب من الحيات خبيث . والرقوب : المرأة التي لا يعيش لها ولد . والرقيب : النجم الذي يتبين من المشرق ، فيغيب رقبته من المغرب .

المعنى :

وقوله تعالى : « ذوي القربة » قيل أراد به قرابة المعطي ، اختاره الجبائي ، لقول النبي (ص) لفاطمة بنت قيس ، لما قالت : يارسول الله إن لي سبعين مثقالاً من ذهب ، فقال : اجعلها في قرابتك . وقال (ع) لما سئل عن أفضل الصدقة ، فقال : جهد المقل على ذي القرابة الكاشح . ويحتمل أن يكون أراد به قرابة النبي (ص) . كما قال : « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » (٢) وهو قول أبي جعفر ، وأبي عبد الله (ع) وقوله : « في البأساء والضراء وحين البأس » قال قتادة :

« ١ » ديوانه : ٤٠١ ، واللسان (عسف) . وردت اعتسافاً : سرت بدون تدبير ، ولا معرفة للطريق ، بل اقتحمت اقتحاماً . والثريا : جملة من النجوم تشبه نطف العنب . شبه الثريا بالطير الضاق فوق رأسه وهو على الماء .
« ٢ » سورة الشورى آية : ٢٣ .

البأساء : البؤس ، والفقر . والضراء : السقم ، والوجع . ومنه قوله : « مسني الضر »
 (١) . وحين البأس : حين القتال . وقال ابن مسعود : البأساء : الفقر . والضراء :
 السقم . وإنما قيل : البأساء في المصدر ولم يقل منه أفعل ، لأن الأصل في فعلاء أفعل
 للصفات التي للألوان ، والعيوب . كقولك أحمر ، وحمراء . وأعور ، وعوراء . فأما
 الأسماء التي ليست بصفات ، فلا يجب ذلك فيها . وعلى ذلك تأولوا قول زهير :
 فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم تُرضع فتتظلم (٢)
 وأنكر ذلك قوم ، لأنه لم يصرف أشأم . وقالوا إنما هو صفة وقعت موقع
 الموصوف كأنه قال : غلمان أسوأ أشأم ، فلذلك قالوا إنما المعنى الخلة البأساء ، والخلة الضراء .
 « والموفون بعهدهم » رفع عطفاً على « من آمن » . ويحتمل أن يكون
 رفعاً على المدح ، وتقديره : وهم الموفون ، ذكره الزجاج . والصابرين نصب على
 المدح ، كقول الشاعر :

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
 وذا الرأي حين تغم الأمور بذات الصليل وذات اللجم (٣)

ويحتمل أن يكون نصب بفعل مضمر ، وتقديره وأعني الصابرين . ويحتمل
 أن يكون عطفاً على قوله : « وآتى المال على حبه ذوي القربى » « والصابرين »
 فعلى هذا يجب أن يكون رفع « الموفين » على المدح للضمير الذي في صلة (من) ،
 لأنه لا يجوز بعد العطف على الموصوف ، العطف على ما في الصلة . وهذا الوجه
 ضعيف ، لأنه يؤدي إلى التكرار ، لأنهم دخلوا في قوله : « والمساكين وابن

(١) سورة الانبياء آية : ٨٣ .

(٢) ديوانه : ٢٠ من معلقته الفريدة ، من أبياته في صفة الحرب . الضمير في (فتنتج)
 حائد الى الحرب ، وقد مر ذكرها في أول الأبيات . (أشأم) : أي شلدان شؤم .
 (٣) معان القرآن للفرانج : ١٠٥ : ١٠٥ ، وأما الشريف المرتضى ١ : ٢٠٥ ، والآنصاف :
 ١٩٥ ، وخزانة الأدب : ٢١٦ . القرم : السيد المقدم في المعرفة ، والتجارب السكتية هي فرقة
 من الجيش . المزدحم : هو المكان الذي يجتمع به الناس كثيراً ، وتنسابق على التقدم فيه ، والمقصود
 منه هنا ساحة الحرب تغم الأمور أي تضيق عليهم . الصليل : صوت السيوف . وذات اللجم : الخيل

السبيل والسائلين » فيجب أن يحمل قوله : « والصابرين » على من لم يذكر ، ليكون فيه فائدة . وإن كان ذلك وجهاً مليحاً .

والقراءة بالرفع أجود ، وأقوى ، لأنه اسم (ليس) مقدم قبل الخبر لفائدة في الخبر ، ولأنه قرأ « ليس البر » بأن « ذكره الفراء .

وقوله : « أولئك الذين صدقوا » معناه الذين جمعوا العمل بهذه الخصال الموصوفة : هم الموصوفون بأنهم صدقوا على الحقيقة ، لأنهم عملوا بموجب ما أقرّوا به . « أولئك هم المتقون » يعني اتقوا - بفعل هذه الخصال - نار جهنم .

واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن المعنى بها أمير المؤمنين (ع) ، لأنه لا خلاف بين الأمة أن جميع هذه الخصال كانت جامعة فيه . ولم تجتمع في غيره قطعاً ، فهو مراد بالآية بالاجماع . وغيره مشكوك فيه غير مقطوع عليه . وقال الزجاج ، والفراء : هذه الآية تتناول الأنبياء المعصومين ، لأنهم الذين يجمعون هذه الصفات .

الاعراب :

ومن قرأ « ليس البر » بالرفع ، جعل البر اسماً ، وجعل (أن) في موضع نصب ، ومن نصب جعل « أن تولوا » في موضع رفع ، وقدم الخبر . ومثله قوله تعالى : « ما كان حجتهم إلا أن قالوا » (١) « وما كان قولهم » (٢) « وما كان جواب قومه » (٣) . « فكان عاقبتهما » (٤) وما أشبه ذلك .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ
بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ
بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ لَهُ لِيهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى

« ٢ » - سورة آل عمران آية : ١٤٧ .

« ١ » - سورة الجاثية آية : ٢٤ .

« ٤ » - سورة الحشر آية : ١٧ .

« ٣ » - سورة الاعراف آية ٨١ .

بعد ذلك فله عذاب أليم (١٧٨) آية بلا خلاف .

معنى قوله : كتب : فرض . وأصل الكتب : الخط الدال على معنى الفرض .
وقيل : لأنه ، مما كتبه الله في اللوح المحفوظ على جهة الفرض ، قال الشاعر : (١)

كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جر الذبول (٢)

وقال النابغة الجعدي :

يا بنت ممي كتاب الله أخرجني عنكم فهل امنعن الله ما فعلا (٣)

ومنه الصلاة المكتوبة أي المفروضة . فإن قيل : كيف قيل : كتب عليكم
بمعنى فرض ، والأولياء مخيرون : بين القصاص ، والعتو ، وأخذ الدية ؟ قلنا عنه
جوابان :

أحدهما - انه فرض عليكم ذلك إن اختار أولياء المقتول القصاص . والفرض
قد يكون مضيقاً ويكون مخيراً فيه . والثاني - فرض عليكم ترك مجاوزة ما حد لكم
الى التعدي فيما لم يجعل لكم .

اللفظ :

والقصاص : الأخذ من الجاني مثل ما جنى ، وذلك لأنه تال لجنايته . وأصله
التلو ، من قص الأثر : وهو تلو الأثر . والقصاص ، والمقاصة ، والمعاوضة ، والمبادلة
نظائر . يقال : قصّ يقصّ قصاً ، وقصصاً . وأقصه به إقصاصاً . واقتصّ اقتصاصاً .
وتقا صوا تقاصاً . واستقص : اذا طلب القصاص استقصاصاً . وقاصه مقاصصة
وقصاصاً . وقصّ الشيء بالمقص يقصه قصاً . وقص الحديث يقصه قصصاً . وكذلك
قص أثره قصصاً : اذا اقتنى أثره . والقص والقصص : عظم الصدر من الناس ،

« ١ » هو عمر بن أبي ربيعة ، أو عبد الله بن الزبير الأسدي

« ٢ » ديوان عمر ، والبيان ، والتبيين ٢ : ٢٣٦ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٥٤ ،

وتاريخ الطبري ٧ : ١٥٨ ، وانساب الاشراف ٥ : ٢٦٤ . والاغاني ٩ : ٢٢٩ .

« ٣ » اللسان (كتب) . ، وأساس البلاغة (كتب) والمقاييس ٥ : ١٥٩ . ورواية الأساس

(اخري) بدل (أخرجني) .

وغيرهم . والقصة : الخصلة من الشعر . والقصة من القصص معروفة . والقصة الجبس .
والقصاص : التقاص من الجراحات والحقوق شيء بشيء . والقصيص : نبات يذبت
في أصول الكمامة . واقصت الشاة ، فهي مقصّ إذا استبان ولدها . وأصل
الباب التلوّ .

وقوله تعالى : « الحرّ بالحرّ » فالحرّ نقيض العبد ، والحر من كل شيء .
أعتقه . والحرّ : ولد الحية ، وولد الطيبة ، وفرخ الحمام . واحرار البقول : ما يؤكل
غير مطبوخ . والحرّ : نقيض البرد ، حرّ النهار يحرّ حرّاً . والحرير : ثياب من إبريسم .
والحريرة : دقيق يطبخ باللبن . والحرة : أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت
بالنار . وتحرير الكتابة : إقامة حرروفها . والحرورية : منسوب الى حرور : قرية
كان أول مجتمعهم بها ، فالمحرر المختص بخدمة الكنيسة ماعاش ، ومنه قوله « ما في
بطني محرراً » (١) وأصل الباب الحرّ خلاف البرد . ومنه الحرير ، لأنه يستدفأ به .
قوله : « من عني له من أخيه شيء » معناه ترك ، من عنت المنازل إذا تركت
حتى درست . والعفو عن المعصية : ترك العقاب عليها . وقيل : معنى العفو هاهنا ترك
القود بقبول الدية من أخيه ، فالأخ يجمع أخوة إذا كانوا لأب ، وإذا لم يكونوا
لاب ، فهم أخوان ، ذكر ذلك صاحب العين ، ومنه قوله : « فاصلحوا بين أخويكم »
(٢) ومنه الاخاء ، والتأخي . والأخوة قرابة الأخ . والتأخي اتخاذ الأخوان .
وبينهما إغاء وأخوة . وآخيت فلاناً موآخاة ، وإغاء . وأصل الباب الأخ من
النسب ، ثم شبه به الاخ من الصداقة .

المعنى :

والهاء في قوله : « من أخيه » تعود الى أخي المقتول - في قول الحسن - .
وقال غيره : تعود الى أخي القاتل ، فإن قيل : كيف يجوز أن تعود الى أخي القاتل
وهو في تلك الحال فاسق ؟ قيل عن ذلك ثلاثة أجوبة :

« ١ » سورة آل عمران آية : ٣٥ .

« ٢ » سورة الحجرات آية : ١٠ .

أحدهما - إنه أراد أخوة النسب ، لا في الدين ، كما قال « وإلى عاد أخاهم هوداً » (١) . والثاني - لأن القاتل قد يتوب فيدخل في الجملة ، وغير النائب على وجه التغليب . الثالث - تعريفه بذلك على أنه كان أخاه قبل أن يقتله ، كما قال : « إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن » (٢) يعني الذين كانوا أزواجهن . وقال جعفر بن مبشر عن بعضهم : إن هذه الآية منسوخة بقوله « النفس بالنفس » (٣) قال : وليست عندي كذلك ، لأن الله تعالى إنما أخبرنا أنه كتبها على اليهود قبلنا ، وليس في ذلك ما يوجب أنه فرض علينا ، لأن شريعتهم منسوخة بشريعتنا . والذي أقوله : إن هذه الآية ليست منسوخة ، لأن ما تضمنته معمول عليه ولا ينافي قوله تعالى : « النفس بالنفس » لأن تلك عامة ، ويمكن بناء تلك على هذه ، ولا تناقض ولا يحتاج إلى أن ينسخ إحداها بالأخرى . وقال قتادة : نزلت هذه الآية ، لأن قوماً من أهل الجاهلية كانت لهم حولة (٤) على غيرهم من أهل الجاهلية ، فكانوا يتعدون في ذلك ، فلا يرضون بالعبد إلا الحر ، ولا بالمرأة إلا الرجل ، فنهاهم الله تعالى عن ذلك .

وقوله : « فأتباع بالمعروف » يعني العافي ، وعلى المعفو عنه « أداء إليه باحسان » وبه قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، والشمي ، والربيع ، وابن زيد ، وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) . وقال قوم : هما على المعفو عنه . والاعتداء هو القتل بعد قبول الدية على قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، والربيع ، وابن زيد ، وهو المروي عن أبي جعفر ، وأبي عبد الله (ع) . وقال بعضهم « من اعتدى » بعد البيان في الآية ، فقتل غير قاتل وليه أو بعد قبول

« ١ » سورة الاعراف آية : ٦٤ ، -سورة هود آية : ٥٠ .

« ٢ » سورة البقرة آية : ٢٣٢ .

« ٣ » سورة المائدة آية : ٤٨ .

« ٤ » الحولة : هي المنكر ، ويمكن أن يكون معناه الملق الذي حل أجله ، ويكون المعنى لهم عليهم حق قصاص حال ، وعلى الأول لهم عليهم قود بمنكر قد فعلوه ، ويريدون الإقتصاص منهم .

الدية « فله عذاب أليم » وهذا أيضاً جيد تحتمله الآية .

الاعراب :

وقوله : « فاتباع » رفع بأنه إبتداء لخبر محذوف ، كأنه قيل : فحكاه اتباع ، أو فعلية اتباع . وكان يجوز النصب في العربية . على تقدير فليتبع اتباعاً ، ولم يقرأ به .

اللفظ :

والاداء ، قال الخليل : أدّى فلان يؤدّي ما عايه إداء وتأدية . ويقال : فلان أدّى للامانة من غيره . والأداة من أدوات الحرب . وأصل الباب التأدية تبليغ الغاية .

المعنى :

وقوله تعالى : « تخفيف من ربكم » معناه : أنه جعل لسلم القصاص ، أو الدية ، أو العفو ، وكان لأهل التوراة قصاص ، وعفو ، ولأهل الانجيل عفو ، أو دية . ويجوز قتل العبد بالحر ، والأثني بالذكر إجماعاً ، ولقوله : « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليله سلطاناً » (١) ولقوله : « النفس بالنفس » (٢) . وقوله : في هذه الآية « الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والأثني بالأثني » لا يمنع من ذلك ، لأنه تعالى لم يقل : ولا يقتل الأثني بالذكر ، ولا العبد بالحر . فإذا لم يكن ذلك في الظاهر ، فما تضمنته الآية معمول به ، وما قلناه مثبت بما تقدم من الأدلة . فأما قتل الحر بالعبد ، فنحن نالاجوز ، وبه قال الشافعي ، وأهل المدينة . وقال أهل العراق : يجوز . ولا يقتل والدبولد عندنا ، وعند أكثر الفقهاء . وعند مالك يقتل به على بعض الوجوه . وأما قتل الوالدة بالولد ، فنحن نالاجوز . وعند جميع الفقهاء أنها جارية مجرى

الأب . فأما قتل الولد ، بالوالد فيجوز إجماعاً . ولا يقتل مولى بعبده . ويجوز قتل الجماعة بواحد إجماعاً إلا أن عندنا يردّ فاضل الدية ، وعندهم لا يرد شيء على حال . وإذا اشترك بالغ مع طفل . أو مجنون في قتل ، فعندنا لا يسقط الفود عن البالغ ، وبه قال الشافعي . وقال أهل العراق : يسقط . ودية القصاص في قود النفس الف دينار ، أو عشرة آلاف درهم ، أو مائة من الإبل ، أو مأتان من البقر ، أو الف شاة ، أو مأتان حلة . ولا يجبر القاتل على الدية - عندنا - . وإن رضي ، فهي عليه في ماله . وقال الحسن : يجبر على العفو عن القصاص ، والدية على العاقلة . والقتل بالحديد صمداً يوجب الفود إجماعاً . فأما غير الحديد ، فكل شيء يغلب على الظن أن مثله يقتل فإنه يجب الفود عندنا ، وعند أكثر الفقهاء . والذي له العفو عن القصاص كل من يرث الدية إلا الزوج ، والزوجة . وهم لا يستثنون بها إلا أبا حنيفة : قال : إذا كان للمقتول ولد صغير وكبار ، فلكبار أن يقتلوا ، ويحتج بقاتل علي (ع) . وقال غيره : لا يجوز حتى يبلغ الصغير . وعندنا أن لهم ذلك إذا ضمنوا حصّة الصغير من الدية إذا بلغوا ، ولم يرضوا بالقصاص . وإذا اجتمع مع القصاص حدود ، فإن كان حدّ لله ، فالقتل يأتي عليه . وإن كان حق لآدمي كحدّ القذف ، أقيم عليه الحد ثم يقتل . وقال أهل المدينة : القتل يأتي على الكل . ويقتل الرجل بالمرأة إذا ردّ أولياؤها نصف الدية . وخالف جميع الفقهاء في ذلك . وما قلنا ، قول علي (ع) وقول الحسن البصري . وشرح مسائل الديات ذكرناها في النهاية ، والمبسوط ، لا يقتضي ذكرها ها هنا .

قوله تعالى :

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

(١٧٩) آية بلا خلاف .

المعنى :

أكثر المفسرين على أن قوله : « ولكم في القصاص حياة » المراد به القصاص

في القتل . وإنما كان فيه حياة من وجهين :

أحدها - ما عليه أكثر المفسرين كجاهد ، وقتادة ، والربيع ، وابن زيد : أنه إذا هم الإنسان بالقتل فذكر القصاص ، ارتدع ، فكان ذلك سبباً للحياة .

الثاني - قال السدي : من جهة أنه لا يقتل إلا القاتل دون غيره . خلاف فعل الجاهلية الذين كانوا يتفانون (١) بالطوائل ، والمعنيان جميعاً حسنان . وقال أبو الجوزاء : معناه أن القرآن (٢) حياة بالقصاص ، أراد به القرآن . وهذا ضعيف ، لأنه تأويل خلاف الاجماع ، ولأنه لا يليق بما تقدم ، ولا يشاكله ، وهو قوله : « كتب عليكم القصاص في القتلى » ، فكأنه قال بعده ولكم فيه حياة . ونظير هذه الآية قولهم : القتل أنفى للقتل . وبينهما من التفاوت في الفصاحة ، والبلاغة ما بين السماء والأرض وقيل : الفرق بينهما من أربعة أوجه :

أحدها - أنه أكثر فائدة . وثانيها - أنه أوجز في العبارة . وثالثها - أنه أبعد عن الكرامة بتكرير الجملة . ورابعها - أنه أحسن تأليفاً بالحروف المتلازمة .

أما كثرة الفائدة ، ففيه ما في قولهم : (القتل أنفى للقتل) وزيادة معان حسنة : منها إبانة العدل ، لذكره القصاص . ومنها إبانة الغرض المرغوب فيه ، لذكر الحياة . ومنها الاستدعاء بالرغبة والرغبة لحكم الله به .

وأما الإيجاز في العبارة ، فإن الذي هو نظير (القتل أنفى للقتل) قوله تعالى : « في القصاص حياة » وهو عشرة أحرف . والأول أربعة عشر حرفاً . وأما بعد التكلف ، فهو أن في قولهم : (القتل أنفى للقتل) تكرير غيره أبلغ منه . ومتى كان التكرير كذلك ، فهو مقصر في باب البلاغة . وأما الحسن بتأليف الحروف المتلازمة ، فهو مدرك بالحس ، وموجود باللفظ ، فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة ، لبعدها الهمزة من اللام . وكذلك الخروج من الصاد

« ١ » في المطبوعة « يتغابون » .

« ٢ » هكذا في المطبوعة ولم أجد قول لأبي الجوزاء في هذا الموضع في ما حفرني من التفاسير ، ولم أجد في كتب اللغة القصاص بمعنى القرآن ، إلا أن يكون - بفتح القاف -

الى الحاء. أعدل من الخروج من الألف الى اللام . فباجماع هذه الأمور التي ذكرناها كان أبلغ منه وأحسن . وإن كان الأول حسناً بليغاً وأخذ هذا المعنى بعض الشعراء ، فقال :

أبلغ أبا مالك عني مغفلة وفي العتاب حياة بين أفوام (١)

وهذا وإن كان حسناً ، فبينه وبين لفظ القرآن : ما بين أعلى الطبقة وأدناها . وأول ما فيه أنه استدعاء الى العتاب . وذلك استدعاء الى العدل . وفي هذا إبهام . وفي الآية بيان عجيب .

اللفظ :

وقوله : « يا أولى الأبواب » فالأبواب : العقول وهو مأخوذ من النخلة على وجه التشبيه به . واللب : العقل . لب الرجل يلب : إذا صار ليبياً . ولب بالمكان ، وألب به لياً ، وإلباباً : إذا أظلم به . ولب كل شيء خالصة . قال صاحب العين : اللب : البال . تقول : الأمر منه في لب رخى أي في بال رخى . واللبب من الرمل : شبيه حقف بين معظم الرمل ، وجلد الأرض . وتلبب بالثياب إذا جمعها . ويشبهه به المتسلح بالسلاح . واللببة من الصدر : موضع القلادة . والتلبيب : جمع ما في موضع اللبب من ثياب الرجل . تقول : أخذ فلان بتلايب فلان . وأصل الباب لب الشيء : داخله : الذي تركبه القشرة ، وتلزمه . ومنه لبيك وسعديك أي ملازمة لأمرك وإسماعداً لك .

المعنى :

وقوله تعالى : « لعلكم تتقون » قد بينا فيما مضى أن لعل معناه لكي . وقيل

في معناه هاهنا قولان :

« ١ » اللسان (غلال) أنشده بن بري . مغفلة : رسالة محمولة من بلد الى بلد . والعتاب هو الملاومة ولا يكون الا بين اثنين فصاعداً . وإنما قال : حياة ، لأنه يخفف من الغيظ ، وقد يبطل العتاب حرباً يقتل فيها الألوفاً . فكأنه يقول ارضل هذه الرسالة التي هي عتاب ، والعتاب حياة لنومي ولنفوسك .

[الأول] لكي تتقوا القتل بالخوف من الفصاص . ذكره ابن زيد .
الثاني - قال الجبائي ، وغيره : لتتقوا ربكم باجتنب معاصيه . وهذا أهم
فائدة ، لأنه يدخل فيه اتقاء القتل ، وغيره .

وفي الآية دلالة على فساد قول المجبرة ، لأن فيها دلالة على أنه أنعم على جميع
العقلاء ، ليتقوا ربهم ، وفي ذلك دلالة على أنه أراد منهم التقوى وإن عصوا ، وإنما
خص الله تعالى بالخطاب أولي الالباب ، لأنهم المكلفون بالمأمورين ، ومن ليس بعاقل
لا يصح تكليفه ، ولا يحسن ، فلذلك خصهم بالذكر .

قوله تعالى :

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا
الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠)

آية بلا خلاف .

المعنى :

هذا ابتداء قصة ، ولا بد فيه من واو العطف ، بأن يقال : وكتب ، لأنه حذف
اختصاراً وقد بينا فيما مضى : أن معنى كتب فرض . وهاهنا معناه الحث والترغيب
دون الفرض ، والایجاب . وفي الآية دلالة على أن الوصية جائزة للوارث ، لأنه قال
لوالدين ، والأقربين . والوالدان وارثان بلا خلاف إذا كانا مسلمين حرّين غير
قاتلين . ومن خص الآية بالكافرين ، فقد قال : قولاً بلا دليل ، ومن ادعى نسخ
الآية فهو مدع لذلك ، ولا يسلم له نسخها . وبمثل ما قلناه قال محمد بن جرير الطبري
سواء ، فإن ادعوا الاجماع على نسخها ، كان ذلك دعوى باطلة ونحن نخالف في
ذلك . وقد خالف في نسخ الآية طاووس ، فانه خصها بالكافرين ، لمكان الخبر ولم
يحملها على النسخ . وقد قال أبو مسلم محمد بن بحر : إن هذه الآية مجملة ، وآية
الموارث مفصلة ، وليست نسخاً ، فمع هذا الخلاف كيف يدعى الاجماع على نسخها .

ومن ادعى نسخها ، لقوله (ع) : لا وصية لوارث ، فقد أبعد ، لأن هذا اولاً
خبر واحد لا يجوز نسخ القرآن به إجماعاً . وعندنا لا يجوز العمل به في تخصيص
عموم القرآن . وادعواؤهم أن الامة أجمعت على الخبر دعوى عارية من برهان . ولو
سلمنا الخبر جاز أن نحملة على أنه لا وصية لوارث فيما زاد على الثلث ، لأننا لو خلدنا
وظاهر الآية لأجزنا الوصية بجميع ما يملك للوالدين والاقربين ، لكن خص ما زاد
على الثلث لمكان الاجماع .

فأما من قال : إن الآية منسوخة بآية الميراث فقوله بعيد عن الصواب . لأن
الشيء إنما ينسخ غيره : إذا لم يمكن الجمع بينهما ، فأما إذا لم يكن بينهما تناف ولا
تضاد بل أمكن الجمع بينهما ، فلا يجب حمل الآية على النسخ ، ولا تنافي بين ذكر
ما فرض الله للوالدين وغيرهم من الميراث ، وبين الأمر بالوصية لهم على جهة الخصوص ،
فلم يجب حمل الآية على النسخ . وقول من قال : حصول الاجماع على أن الوصية
ليست فرضاً يدل على أنها منسوخة باطل ، لأن إجماعهم على أنها لا تفيد الفرض ،
لا يمتنع من كونها مندوباً إليها ومرغباً فيها ، ولا أجل ذلك كانت الوصية للوالدين ،
والاقربين الذين ليسوا بوارث ثابتة بالآية ولم يقل أحد أنها منسوخة في خبرهم (١) .
ومن قال : إن النسخ من الآية ما يتعلق بالوالدين ، وهو قول الحسن والضحاك ،
فقد قال قولاً يناهني ما قاله مدعي نسخ الآية - على كل حال - ومع ذلك فليس
الأمر على ما قال ، لأنه لا دليل على دعواه . وقال طاووس : إذا وصى لغير ذي
قرباة لم تجز وصيته . وقال الحسن : ليست الوصية إلا للاقربين وهذا الذي قالاه
عندنا وإن كان غير صحيح ، فهو مبطل قول من يدعي نسخ الآية . وإنما قلنا أنه
ليس بصحيح ، لأن الوصية لغير الوالدين ، والاقربين عندنا جائزة . ولا خلاف
بين الفقهاء في جوازها . والوصية لا تجوز بأكثر من الثلث إجماعاً ، والأفضل أن
يكون بأقل من الثلث ، لقوله (ع) والثلث كثير ، وأحق من وصي له من كان

أقرب الى الميت إذا كانوا فقراء - بلا خلاف - وإن كانوا أغنياء، فقال الحسن وعمرو بن عبيد : هم أحق بها . وقال ابن مسعود ، وواصل الأحقّ بها الأوجع ، فالأوجع من القرابة .

وقوله تعالى : « إن ترك خيراً » يعني مالا . واختلفوا في مقداره الذي يجب الوصية عنده ، فقال الزهري : كلما وقع عليه اسم مال من قليل أو كثير . وقال ابراهيم النخعي : الف درهم الى خمسمائة . وروي عن علي (ع) أنه دخل على مولى لهم في مرضه ، وله سبع مائة درهم أو ستائة ، فقال : ألا أوصي ، فقال : لا إنما قال الله تعالى : « إن ترك خيراً » وليس لك كبير مال . وبهذا نأخذ ، لأن قوله حجة عندنا .

الاعراب :

والوصية في الآية مرفوعة بأحد أمرين :

أحدهما - ب (كتب) ، لأنه لم يسم فاعله الثاني - أن يكون العامل فيه الابتداء وخبره للوالدين ، والجملة في موضع رفع على الحكاية بمنزلة قيل لكم : الوصية للوالدين . وقيل في إعراب (إذا) والعامل فيه قولان : أحدهما - كتب على معنى إذا حضر أحدكم الموت أي عند المرض . والوجه الآخر قال الزجاج ، لأنه رغب في حال صحته أن يوصي ، فتقديره كتب عليكم الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف في حال الصحة قائلين : إذا حضرنا الموت فلفلان كذا .

المعنى :

المعروف هو العدل الذي لا يجوز أن ينكر ولا حيف فيه ولا جور والحضور وجود الشيء ، بحيث يمكن أن يدرك . وليس معناه في الآية إذا حضره الموت أي إذا عاين الموت ، لأنه في تلك الحال في شغل عن الوصية . لكن المعنى كتب عليكم أن توصوا وأنتم قادرون على الوصية ، فيقول الانسان : إذا حضرني الموت أي إذا أنامت ، فلفلان كذا .

والحق هو الفعل الذي لا يجوز إنكاره . وقيل ما علم صحته سواء كان قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً وهو مصدر حق يحق حقاً وانتصب في الآية على المصدر وتقديره أحق حقاً وقد استعمل على وجه الصفة ، ، بمعنى ذي الحق ، كما وصف بالعدل « على المتقين » معناه على الذين يتقون عقاب الله باجتناب معاصيه ، وامثال أوامره .

قوله تعالى :

فمن بدله بعد ما سمعه فانما إثمه على الذين يُبدلونه إن الله سميعٌ عليمٌ (١٨١) آية بلا خلاف .

الهاء في قوله : « فمن بدله » عائدة على الوصية . وإنما ذكر حملها على المعنى ، لأن الإيصاء والوصية واحد . والهاء في قوله : « فانما إثمه » عائدة على التبديل الذي دل عليه قوله : « فمن بدله » . وقال الطبري : الهاء تعود على محذوف ، لأن عودها على الوصية المذكورة لا يجوز ، لأن التبديل إنما يكون لو وصية الموصي . فأما أمر الله عز وجل بالوصية ، فلا يقدر هو ، ولا غيره أن يبده . قال الرماني : وهذا باطل ، لأن ذكر الله الوصية إنما هو لو وصية الموصي ، فكأنه قيل : كتب عليكم وصية مفروضة عليكم ، فاهاء تعود إلى الوصية المفروضة التي يفعلها الموصي .

وقوله تعالى : « فمن بدله » فالتبديل : هو تغيير الشيء عن الحق فيه . فأما البديل ، فهو وضع شيء مكان آخر . ومن أوصى بوصية في ضرار فبدها الوصي ، لا يأثم . وقال ابن عباس : من وصى في ضرار لم تجز وصيته لقوله « غير مضار » (١) . والوصي إذا بدل الوصية لم ينقص من أجر الموصي شيء ، كما لو لم تبدل ، لأنه لا يجازى أحد على عمل غيره ، لكن يجوز أن يلحقه منافع الدماء ، والاحسان الواصل إلى الموصي له ، على غير وجه الأجر له ، لكن على وجه الجزاء لغيره ممن وصل إليه ذلك الاحسان ، فيكون ما يلحق المحسن إليه من ذلك أجراً له ، يصح

بما يصل إلى المحسن إليه من المنفعة . وفي الآية دلالة على بطلان مذهب من قال : إن الطفل يمدب بكفر أبويه ، لأن الله تعالى بين وجه العدل في هذا . وقياس العدل في الطفل ذلك القياس ، فمن هناك دل على الحكم فيه . وفيها أيضاً دلالة على بطلان قول من يقول : إن الوارث إذا لم يقبض دين الميت أنه يؤخذ به في قبره أو في الآخرة ، لما قلنا من أنه دل على أن العبد لا يؤخذ بمجرد غيره وأن لا إثم عليه بتبديل غيره . وكذلك لو قضى عنه الوارث من غير أن يوصي به الميت لم يزل عقابه بقضاء الوارث عنه إلا أن يتفضل باسقاطه عنه .

وقوله تعالى : « إن الله سميع عليم » معناه سميع لما قاله الموصي من العدل ، أو الجنف ، عليم بما يفعله الوصي من التبديل أو التصحيح ، فيكون ذكر ذلك داعياً إلى طاعته .

قوله تعالى :

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بِيَدِهِمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨٢) آية بلا خلاف .

الفراة

قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحفص عن عاصم « موص » بالتخفيف . الباقر بالتشديد . وهما لغتان : وصى ، وأوصى بمعنى واحد .

المعنى :

فان قيل : كيف قال « فمن خاف من موص » لما قد وقع ، والخوف إنما يكون لما لم يقع ؟ قيل فيه قولان :

أحدهما - إنه خاف أن يكون قد زل في وصيته ، فالخوف للمستقبل ، وذلك الخوف هو أن يظهر ما يدل على أنه قد زل ، لأنه من جهة غالب الظن .
والثاني - لما اشتمل على الواقع ، وما لم يقع جاز فيه « خاف » ذلك فيأمره

بما فيه الصلاح ، وما وقع رده الى العدل بعد موته . والجنف : الجور ، وهو الميل عن الحق . وقال الحسن : هو أن يوصي من غير القرابة ، قال : فمن أوصى لغير قرابته ردّ الى أن يجعل للقرابة الثلثان ، ولمن أوصى له الثلث . وهذا باطل عندنا ، لأن الوصية لا يجوز صرفها عن من وصي له . وإنما قال الحسن ذلك لقوله إن الوصية للقرابة واجبة . وعندنا إن الامر بخلافه على ما بيناه .

اللفظ :

وقال صاحب العين : الجنف : الميل في الكلام والأمر كلها . تقول : جنف علينا فلان ، وأجنف في حكمه ، وهو مثل الحيف إلا أن الحيف من الحاكم خاصة ، والجنف عام ، ومنه قوله تعالى : « غير متجانف » (١) أي متمايل : متعمد . ورجل أجنف : في أحد شقيه ميل على الآخر . وقال ابن دريد : جنف يحنف جنفاً إذا صدّ عن الحق وأصل الباب : الميل عن الاستواء . قال الشاعر في الجنف :

هم المولى وإن جنفوا علينا وإنا من لقائهم لزور (٢)

المعنى :

وإذا جنف الموصي في وصيته ، فللوصي أن يردّها الى العدل ، وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) . وبه قال الحسن ، وقتادة ، وطاووس . وقال قوم ، واختاره الطبري : إن قوله « فمن خاف من موصل » في حال مرضه الذي يريد أن يوصي فيه ، ويعطي بعضاً ، ويضر ببعض ، فلا إثم أن يشير عليه بالحق ، ويرده الى الصواب ويسرع في الاصلاح بين الموصي ، والورثة ، والموصى له حتى يكون الكل راضين ،

« ١ » سورة المائدة آية : ٣ .

« ٢ » قاله حاصر الحنفي ، من بني خصفة ، ابن قيس عيلان ، بحجاز القرآن لابي عبيدة : ٦٦ ، ٦٧ ، ومشكل القرآن : ١١٩ ، واللسان (جنف) (ولي) . قوله : هم المولى : أي هم أبناء عمنا ، أقدم المفرد مقام الجمع ، أراد الموالى . وإن جنفوا : وإن جاروا ومالوا عن الحق . والزور : جمع أذور ، وهو الغضب والانحراف . يقول : هم أبناء عمنا وإن مالوا عن الحق وأنا لتكره لقائم .

ولا يحصل جنف ، ولا ظلم ، ويكون قوله « فأصلح بينهم » يريد فيما يخاف من حدوث الخلاف فيه - فيما بعد - ويكون قوله « فمن خاف » على ظاهره ، فيكون مترقباً غير واقع . وهذا قريب أيضاً ، غير أن الأول أصوب ، لأن عليه أكثر المفسرين ، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) . وإنما قيل للمتوسط بالاصلاح ليس عليه إثم ولم يقل فله الأجر على الاصلاح ، لأن المتوسط إنما يجري أمره في الغالب على أن ينقص صاحب الحق بمض حقه بسؤاله إياه ، فاحتاج الى أن يبين الله لنا أنه لا إثم عليه في ذلك اذا قصد الاصلاح . والذي اقتضى قوله « غفور رحيم » انه اذا كان يغفر المعصية ، فانه لا يجوز أن يوآخذ بما ليس بمعصية مما بين أنه لا إثم عليه .

والضمير في قوله « بينهم » عائد على معلوم بالدلالة عليه عند ذكر الوصي ، والاصلاح ، لأنه قد دلّ على الموصى لهم ومن ينازعهم وأنشد الفراء - في مثل « فأصلح بينهم » :

أعمى إذا ما جارتني خرجت حتى يوارى جارتني الخدر
ويصمّ عمّا كان بينهما سمعي وما بي غيره وقر (١)
أراد بينهما وبين زوجها ، وإنما ذكرها وحدها ، وأنشد أيضاً :

وما أدري إذا يممت وجهاً أريد الخير أيها يليني
هل الخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي لا يأتليني (٢)

فكفى في البيت الأول عن الشر ، وإنما ذكر الخير وحده . وقيل : بل يعود

« ١ » أمالي الشريف المرتضى ١ : ٣٤ ، ١٢٣ . أعمى : أي أشف بصري . والضمير في بينهما عائد على الزوج والزوجة . يقول لا أنظر الى جارتني الا وهي مسترة ولا أبوح بسرهما مع زوجها وكل ما أسمع منهما فأجمل نفسي كأنني لم أسمع .
« ٢ » لم أجد هذين البيتين فيما حضرني من المصادر . في المطبوعة « هل » ساطعة ، « أنهما » بدل « أيهما » .

على مذکور ، هم الوالدان والأقربون .

والضمير في قوله « فلا إثم عليه » عائد على الوصي - في قول الحسن -
ويجوز أن يعود على المصلح المذكور في (من) .

وقوله تعالى : « جنفاً » وإنما يريد بالجنف : الميل عن الحق عن جهة الخطأ ،
لأنه لا يدري أنه لا يجوز ، والاثم : أن يتعمد ذلك ، وهو معنى قول ابن عباس ،
والحسن ، والضحاك ، والسدي . وروي ذلك عن أبي جعفر . والجنف في الوصية :
أن يوصي الرجل لابن ابنته ، وله أولاد . أو يوصي لزوج بنته ، وله أولاد ، فلا
يجوز رده على وجه عندنا . وخالف فيه ابن طاووس ، وكذلك إن وصى للبعيد
دون القريب لا ترد وصيته . وخالف فيه الحسن .

قوله تعالى :

يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين
من قبلكم لعلكم تهتدون (١٨٣) آية بلا خلاف .

هذه الآية ظاهرها يتوجه الى من كان على ظاهر الايمان . فأما الكافر ، فلا
يعلم بهذا الظاهر أنه مخاطب بالصيام . وقوله « كتب » معناه فرض على ما بيناه
فيما مضى .

المعنى :

والصيام ، والصوم : مصدر صام يصوم صوماً قال النابغة :

خيل صيام وخيل غير صائمة
تحت العجاج وخيل تملك اللججا (١)

وقال صاحب العين : الصوم ، والصمت واحد كقوله تعالى « إني نذرت الرحمن
صوماً » أي صمتاً . والصوم قيام بلا عمل . صام الفرس على أريه : اذا لم يملف .

« ١ » ديوانه : ١٠٦ « ملحق » ، واللسان « صوم » ، « تلك » وهو من تصيدته
الشهيرة التي أولها :

بانت سعاد وأوسى جباها انجذما

وصامت الريح : اذا ركبت . وصامت الشمس : حين تستوي في منتصف النهار .
وصامت الفرس : موقفه . والصوم ذرق النعام . والصوم : شجر . وأصل الباب :
الامسك ، فالصوم : الصمت ، لأنه إمساك عن الكلام .

المعنى :

والصوم في الشرع هو الامسك عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممن
هو على صفات مخصوصة في زمان مخصوص . ومن شرط انعقاده النية .
وقوله « كما كتب على الذين من قبلكم » قيل فيه ثلاثة أقوال : أحسنها :
انه كتب عليكم صيام أيام ، كما كتب عليهم صيام أيام . وهو اختيار الجبائي ، وغيره ،
ويكون الصيام رفماً ، لأنه ما لم يسم فاعله ، ويكون موضع (كما) نصب على المصدر .
والمعنى فرض عليكم فرضاً كالذي فرض على الذين من قبلكم . ويحتمل أن
يكون نصباً على الحال من الصيام . وتقديره كتب عليكم مفروضاً أي في هذه الحال .
والثاني - ما قاله الشعبي ، والحسن : انه فرض علينا شهر رمضان كما فرض شهر
رمضان على النصارى . وإنما زادوا فيه وحوّلوه الى زمان الربيع .

والثالث - ما قاله الربيع ، والسدي : إنه كان الصوم من العتمة إلى العتمة
لا يحل بعد النوم مأكل ، ولا مشرب ، ولا منسكح ، ثم نسخ . والأول هو المعتمد .
وقال مجاهد . وقتادة : المعنى بالذين من قبلكم أهل الكتاب .

وقوله « لعلمكم تهتدون » أي لعلمكم تتقون المعاصي بفعل الصوم - في قول
الجبائي - وقال السدي : لتتقوا ما حرم عليكم من المأكل والمشرب . وقالت فرقة :
معناه لتكونوا أتقياء بما لطف لكم في الصيام ، لأنه لو لم يلفظ به لم تكونوا أتقياء .
وإنما قلنا : الأول هو المعتمد ، لأنه يصح ذلك في اللغة ، إذا كان فرض عليهم
صيام أيام كما علينا صيام أيام وإن اختلف ذلك بالزيادة والنقصان .

قوله تعالى :

أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ
مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ

تَطَوُّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) آية واحدة بلا خلاف .

الفراة :

قرأ ابن عامر ، ونافع « فدية طعام مساكين » على إضافة الفدية وجمع المساكين . الباقر « فدية » منون « طعام مسكين » على التوحيد . والقراءتان متقاربتا المعنى ، لأن المعنى لكل يوم يفطر طعام مسكين . والقراءتان يفيدان ذلك .

الاعراب :

قوله تعالى : « أياماً معدودات » منصوب بأحد شيئين : أحدهما - على الظرف ، كأنه قيل : الصيام في أيام معدودات . وهو الذي اختاره الزجاج . الثاني - أن يكون قد عدي الصيام إليه كقولك : اليوم صمته . وقال الفراء : هو مفعول ما لم يسمى فاعله كقولك : أعطي زيد المال . وخالفه الزجاج ، قال ، لأنه لا يجوز رفع الأيام ، كما لا يجوز رفع المال . وإذا كان المفروض في الحقيقة هو الصيام دون الأيام ، فلا يجوز ما قاله الفراء إلا على سعة في الكلام .

وقال عطاء ، وقتادة : الأيام المعدودات كانت ثلاثة أيام من كل شهر ، ثم نسخ . وكذلك روي عن ابن عباس . وقال ابن أبي ليلى : المعنى به شهر رمضان وإنما كان صيام ثلاثة أيام من كل شهر تطوعاً .

وقوله تعالى : « فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام آخر » ارتفع عدة على الابتداء ، وتقديره فعليه عدة من أيام آخر . وروي عن أبي جعفر (ع) أن شهر رمضان كان صومه واجباً على نبي دون أمته . وإنما أوجب على أمة نبينا محمد (ص) فحسب . وإنما قال « آخر » ولا يوصف بهذا الوصف إلا جمع المؤنث التي كل واحدة أتى - والأيام جمع يوم وهو مذكر - حملا له على لفظ الجمع ، لأن الجمع يؤنث كما يقال جاءت الأيام ومضت الأيام . و « آخر » لا يصرف ، لأنه

معدول عن الألف واللام ، لأن نظائرهما من الصفر والكبر لا يستعمل إلا بالألف واللام ، لا يجوز نسوة صفر ، ويجوز في العربية « فعدة » على معنى ، فليعد عدة من أيام أخر بدلا مما أفطر .

المعنى :

وهذه الآية فيها دلالة على أن المسافر ، والمريض يجب عليهما الإفطار ، لأنه تعالى أوجب عليهما القضاء مطلقاً ، وكل من أوجب القضاء بنفس السفر والمرض أوجب الإفطار وداود أوجب القضاء ، وخير في الإفطار ، فإن قدرُوا في الآية فأفطر ، كان ذلك خلاف الآية ، وبوجوب الإفطار في السفر قال عمر بن الخطاب ، وعبد الله ابن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو هريرة ، وعروة ابن الزبير ، وأبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ، وروى سعيد بن جبير عن قتادة عن جابر بن زيد عن ابن عباس : قال : الإفطار في السفر عزيمة . وروى يوسف ابن الحكم ، قال : سألت ابن عمر عن الصوم في السفر قال : أرأيت لو تصدقت على رجل بصدقة فردها عليك ألا تغضب ، فإنها صدقة من الله تصدق بها عليكم ، وروى عبد الملك بن حميد قال قال أبو جعفر : كان أبي لا يصوم في السفر وينهى عنه ، وروى عن عمر ، أن رجلاً صام في السفر ، فأمره أن يعمد صومه ، وروى عطاء عن المحرز بن أبي هريرة قال : كنت مع أبي في سفر في شهر رمضان ، فكنت أصوم ويفطر ، فقال أبي أما أنك إذا أقت قضيت ، وروى عاصم مولى قومه : أن رجلاً صام في السفر فأمره عروة أن يقضي ، وروى الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف قال قال رسول الله (ص) : الصائم في السفر كالمفطر في الحضر . وروى عن معاذ أن النبي (ص) قدم المدينة ، فكان يصوم عاشوراء ، وثلاثة أيام من كل شهر ثم نسخ ذلك بشهر رمضان في قوله : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام » واختار الطبري هذا الوجه قال ، لأنه لم ينقطع العذر برواية صحيحة أنه كان ها هنا صوم متعمد به فذمخه الله بشهر رمضان .

المغز :

وأصل السفر الكشف تقول : سفر يسفر مفرأ ؛ اذا كشف . وأسفر لونه إسفاراً ، وأسفرت الابل : اذا انكشفت داهية اسفاراً . وسافر سفرأ ، وسفرت الريح السحاب إذا قشعته قال العجاج :

سفر الشمال الزبرج المزبرجا (١)

الزبرج السحاب الرقيق ، ومنه السفر ، لأنه يظهر به ما لم يكن ظهر ، وينكشف به ما لم يكن انكشف ، والسفرة طعام السفر ، وبه سميت الجلدة التي يحمل فيها الطعام سفرة ، والمسفرة : المبكسة ، والسفير الداخل بين اثنين للصلح ، والسفير : ورق الشجر إذا سقط ، وسفر فلان شعره اذا استأصله عن رأسه ، ومنه قوله تعالى : « وجوه يومئذ مسفرة » (٢) أي مشرقة مضيئة « والصبح اذا أسفر » (٣) اذا أضاء . والاسفار جمع سفر « بأيدي سفرة » (٤) أي كتبة .

وقوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه » يقال : طاق يطوق طوقاً وطاقة وهي الفرة ، وأطاقه إطاقه ايضاً إذا قوي عليه ، وطوقه تطويقاً : ألبسه الطوق ، وهو معروف من ذهب كان أو فضة كأنه يكسبه قوة بما يعطيه من الجلالة ، وكل شيء استدار فهو طوق ، كطوق الرحا الذي يدير القطب مشبه بالطوق المعروف في الصورة ، وتطوقت الحية على عنقها : أي صارت كالطوق فيه ، والطاقة : شعبة من ريجان أو شعر ونحو ذلك ، والطاق : عقد البناء حيث ما كان ، والجمع الأطواق ، وذلك لقوته . وطوقه الأمر إذا جعله كالطوق في عنقه .

المعنى :

قال الحسن وأكثر أهل التأويل : إن هذا الحكيم كان في المراضع ، والحوامل ، والشيخ

« ١ » اللسان (سفر) ، (زبرج) . سفر : كشف . الشمال : ربيع الشمال .
الزبرج - بكسر الزاء وسكون الباء وكسر الراء - : السحاب الرقيق فيه حمرة ، وقيل : النمر بسواد وحمرة في وجهه . وقيل : هو الخفيف الاحمر .

« ٢ » سورة عبس آية : ٣٨ . « ٣ » سورة المدثر آية : ٣٤ .

« ٤ » سورة عبس آية : ١٥ .

الكبير ، ففسخ من الآية المراضع ، والحوامل وبقى الشيخ الكبير . وقال أبو عبد الله (ع) ذلك في الشيخ الكبير يطعم لكل يوم مسكيناً . منهم من قال : نصف صاع ، وهم أهل العراق . وقال الشافعي : مد عن كل يوم . وعندنا إن كان قادراً فمدان ، وإن لم يقدر إلا على مد أجزاء . وقال السدي : لم يذبح ، وإنما المعنى وعلى الذين كانوا يطيقونه .

وقوله تعالى : « فمن تطوع خيراً » يعني أطعم أكثر من مسكين في قول ابن عباس ، وعمل برّاً في جميع الدين في قول الحسن ، وهو أعم فائدة . ومنهم من قال : من جمع بين الصوم ، والصدقة ذهب إليه ابن شهاب . والماء في قوله يطيقونه - عند أكثر أهل العلم - عائدة على الصوم ، وهو الأقوى ، وقال قوم : عائدة على الفداء ، لأنه معلوم وإن لم يجر له ذكر . والمعنى بقوله « الذين يطيقونه » قيل فيه ثلاثة أقوال :

أولها - أنه سائر الناس من شاء صام ، ومن شاء أفطر وافتدى لكل يوم إطعام مسكين حتى نسخ ذلك - في قول ابن عباس ، والشعبي .

الثاني - قال الحسن وعطا : إنه في الحامل ، والمرضع ، والشيخ الكبير ، ففسخ من الآية الحامل ، والمرضع ، وبقى الشيخ الكبير . وقال السدي : إنه فيمن كان يطيقه إذا صار إلى حال المعجز عنه . « ومن » في قوله : « فمن تطوع » الظاهر ، والأليق أنها للجزاء . ويحتمل أن تكون بمعنى الذي . وما روي في الشواذ من قراءة من قرأ « يطوقونه » قيل فيه قولان :

أحدهما - يكلفونه على مشقة فيه ، وهم لا يطيقونه لصعوبته .

الثاني - أن يكون معناه يلزمونه ، وهم الذين يطيقونه ، فيؤول إلى معنى واحد . ومن قرأ « فدية طام مساكين » على إضافة الفدية ، وجمع المساكين : عن ابن عاصم ونافع ، فإن معنى قراءته تؤول إلى قراءة من يتون « فدية طعام مسكين » ،

لأن المعنى : لكل يوم يفطر طعام مسكين . والأول يفيد هذا أيضاً ، لأنه إذا قيل :
إطعام مساكين للأيام بمعنى لكل يوم مسكين ، صار المعنى واحداً .
وفي الآية دلالة على بطلان قول المجرة : إن القدرة مع الفعل ، لأنه لو كانت
الاستطاعة مع الفعل الذي هو الصيام ، لسقطت عنه الفدية . لأن إذا صام لم يجب
عليه فدية .

وقوله : « وإن تصوموا خيراً لكم » رفع (خير) ، لأنه خير المبتدأ .
وتقديره وصومكم خيراً لكم ، كأن هذا مع جواز الفدية ، فأما بعد النسخ ، فلا يجوز
أن يقال : الصوم خير من الفدية مع أن الإفطار لا يجوز أصلاً .
قوله تعالى :

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ
وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى
مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) آية واحدة بلا خلاف .

الفرارة :

قرأ أبو بكر عن عاصم « ولتكمّلوا » بتشديد الميم . الباقر بتخفيفها . قال
أبو العباس : أكلت وكلمات بمعنى واحد إلا أن في التشديد مبالغة . ومن قرأ
بالتخفيف فلقوله « اليوم أكلت لكم دينكم » (١) .

اللفظ :

الشهر : معروف ، وجمعه : الأشهر . والشهور والشهرة : ظهور الأمر في

شنة . وشهرت الحديث أظهرته . وشهر فلان سيفه : اذا انتضاه . والم شهر : الذي أتى عليه شهر . وأشهرت المرأة : اذا دخلت في شهر ولادتها . وأنان شهيرة : أي عريضة ضخمة . والمشاهرة : المعاملة شهراً بشهر . وسمى الشهر شهراً ، لاشتهاره بالهلال . فأصل الباب الظهور .

وقال ابن دريد : الرمض : شدة وقسع الشمس على الرمل وغيره ، والأرض رمضاء . ورمض يومنا رمضاً : اذا اشتد حره . ورمضان من هذا اشتقاقه ، لأنهم سموا الشهر بالازمنة التي فيها ، فوافق رمضان أيام رمض الحر ، وقد جمعا رمضان ، رمضانات . قال صاحب العين : والرمض حرقة غيظ تقول : أرمضني هذا الأمر ، ورمضت له . والرمض : مطر يكون قبل الخريف . وأصل الباب شدة الحر .

الاعراب :

وشهر رمضان رفع لأحد ثلاثة أشياء :

أولها - أن يكون خبر ابتداء محذوف يدل عليه « أياماً معدودات » وتقديره

هي شهر رمضان .

الثاني - على ما لم يُسم فاعله ، ويكون بدلا من الصيام ، وتقديره « كتب

عليكم الصيام » « شهر رمضان » .

الثالث - أن يكون مبتدأ وخبره « الذي أنزل فيه القرآن » ويجوز في العربية

شهر رمضان بالنصب من وجهين : أحدهما - صوموا شهر رمضان . والآخر - على

البدل من أيام .

المعنى :

وقوله « أنزل فيه القرآن » قيل في معناه قولان :

أحدهما - قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن : إن الله تعالى أنزل

جميع القرآن في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ، ثم أنزل على النبي (ص) بعد ذلك

نجوماً . وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) .

والثاني - أنه ابتداء إنزاله في ليلة القدر من شهر رمضان . فإن قيل كيف يجوز أنزاله كله في ليلة ، وفيه الاخبار عما كان ، ولا يصلح ذلك قبل أن يكون ؟ قلنا : يجوز ذلك في مثل قوله : « ولقد نصركم الله بيدرو وأنتم أذلة » (١) وقوله : « لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » (٢) على إذا كان وقت كذا أنزل « لقد نصركم الله » كما قال تعالى « ونادى أصحاب الجنة » (٣) أي إذا كان يوم القيامة « نادى أصحاب الجنة أصحاب النار » .

الاعراب :

وقوله تعالى : « هدى للناس » موضعه نصب على الحال ، كأنه قال : أنزل فيه القرآن هادياً للناس . ولا يحتمل سواه ، لقوله « ويذنات من الهدى » .

المغز :

والقرآن إشتقاقه قرأ يقرأ قراءة ، وأقرأه إقرأ . وقال صاحب العين : رجل قاره : أي عابده ناسك ، وفعله التقري والقراءة ، وأقرأت المرأة : إذا حاضت . وقرات الناقسة : إذا حملت . والفراً : الحيض ، وقد جاء بمعنى الطهر . وأصل الباب الجمع ، لقولهم : ما قرأت الناقسة سلاقط : أي ما جمعت رحمها على سلاقط . وفلان قرأ ، لأنه جمع الحروف بعضها الى بعض . والفراء الحيض ، لاجتماع الدم في ذلك الوقت . والفرقان : هو الذي يفرق بين الحق ، والباطل . والمراد به القرآن هاهنا .

المعنى :

وقوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » قيل في معناه قولان :

« ١ » - سورة آل عمران آية : ١٢٣ . « ٢ » - سورة التوبة آية : ٢٦ .

« ٣ » - سورة الاعراف آية : ٤٣ .

أحدهما - من شاهد منكم الشهر مقيماً. والثاني - من شهدته بان حضره ، ولم
يغب ، لانه يقال : شاهد : بمعنى حاضر . وشاهد : بمعنى مشاهد . وروي عن ابن
عباس ، وعبيدة السلماني ، ومجاهد : وجماعة من المفسرين ، ورووه عن علي (ع)
أنهم قالوا : من شهد الشهر بأن دخل عليه الشهر ، كره له أن يسافر حتى يمضي ثلاث
وعشرون من الشهر إلا أن يكون واجباً كالخج ، أو تطوعاً كالزيارة ، فإن لم يفعل ،
وخرج قبل ذلك كان عليه الافطار ، ولم يحزه الصوم .

وقوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ناسخ الفدية - على قول من
قال بالتخيير - وناسخ للفدية ايضاً في المراضع والحوامل - عند من ذهب اليه - وبقي
الشيخ الكبير ، له أن يطعم ، ولم ينسخ . وعندنا أن المرضعة والحامل اذا خافا على
ولدهما أفطرتا وكفرتا ، وكان عليهما القضاء فيما بعد اذا زال العذر . وبه قال جماعة
من المفسرين ، كالطبري وغيره .

وقوله : « ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » قد بينا أنه
يدل على وجوب الافطار - في السفر - ، لأنه أوجب القضاء بنفس السفر ، والمرض .
وكل من قال ذلك أوجب الافطار . ومن قدر في الآية أو على سفر فأفطر فعدة من
أيام أخر ، زاد في الظاهر ما ليس فيه . فان قيل : هذا كقوله « فمن كان منكم
مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام » (١) ومعناه خلق . قلنا : إنما قدرنا
هناك خلق للاجماع على ذلك ، وليس هاهنا إجماع ، فيجب أن لا يترك الظاهر ،
ولا يزد فيه ما ليس فيه .

اللغة :

وقوله تعالى : « يريد الله بكم اليسر » قال صاحب العين : الارادة : أصلها
الواو ، لأنك تقول : راودته على أن يفعل كذا وكذا ، سراودة . ومنه راد ،
يرود ، رواداً ، فهو رايد بمعنى الطالب شيئاً . ويقال أرود فلان إرواداً : إذا رفق

في مشي أو غيره . ومنه رويداً فلاناً : أي أهله يتفصح منصرفاً . ومنه ارتاد ارتياداً كقولك : طلب طلباً ، والرود : الميل . وفي المثل (الرائد لا يكذب أهله) أي الطالب صلاحهم لا يكذبهم ، لأنه لو كذبهم غشهم . وأصل الباب الطلب . والارادة بمنزلة الطلب للمراد ، لأنها كالسبب له .

واليسر ضد العسر . يقال : أيسر إيساراً ، ويسره تيسيراً ، وتيسر تيسراً ، وتيسر تيسراً ، واستيسر استيساراً . واليسار : اليد اليسرى . واليسار : الغنى ، والسعة . واليسر : الجماعة الذين يجتمعون على الجزور في اليسر ، والجمع : الايسار . وفرس حسن التيسور : اذا كان حسن السمن (١) . وأصل الباب السهولة .

والعسر ضد اليسر . وعسر الشيء عسراً . ورجل عسر بين العسر . ورجل أعسر : يعمل بشماله . وأعسر الرجل إعساراً : اذا افتقر . والعسير الناقة التي اعتاصت فلم تحمل من سنتها . وبغير عسران اذا ركب قبل أن يُراض . وأصل الباب الصعوبة . وقوله تعالى : « ولتكلوا العدة » يقال : كمل يكمل كمالاً ، وأكمل إكمالاً ، وتكامل تكاملاً ، وكلمه تكميلاً ، واستكمل استكمالاً ، وتكمل تكملاً . وأصل الباب الكمال ، وهو التمام .

الاعراب :

وعطف باللام في قوله تعالى : « ولتكلوا العدة » على أحد أمرين :

أحدهما - عطف جملة على جملة ، لأن بعده محذوفاً ، كأنه قال : ولتكلوا العدة شرع ذلك أو أريد . ومثله قوله تعالى : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين » (٢) أي أريناه . هذا قول الفراء .

الثاني - أن يكون عطفاً على تأويل محذوف دل عليه ما تقدم من الكلام ، لأنه لما قال : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » دل على أنه فعل ذلك ليسهل عليكم ، فجاز « ولتكلوا العدة » عطفاً عليه . قال الشاعر :

« ١ » حسن ساقطة من المطبوعة ، السن - بكسر السين وفتح الميم .

« ٢ » سورة الانعام آية : ٧٥ .

يارب غير آيين مع البلى

ومشجج أما سواء قذاله

إلا رواكد جرهن هباء

فبداوغيب ساره المعزاء (١)

فعطف على تأويل الكلام الأول كأنه قال : بها رواكد ، ومشجج . وهذا قول الزجاج وهو الأجود ، لأن العطف يعتمد على ما قبله ، لا على ما بعده . وعطف الظرف على الاسم في قوله : « ومن كان مريضاً أو على سفر » جائز ، لأنه معنى الاسم ، وتقديره أو مسافراً ، ومثله قوله : « دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً » كأنه قال مضطجماً أو قائماً أو قاعداً .

المعنى :

واليسر المذكور في الآية : الافطار في السفر - في قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك .

والعسر : الصوم فيه وفي المرض . والعدة : المأمور باكلها ، والمراد بها : أيام السفر ، والمرض الذي أمر بالافطار فيها . وقال الضحاك ، وابن زيد : عدة ما أفطروا فيه .

وقوله « ولتكبروا الله » المراد به تكبير ليلة الفطر عقيب أربع صلوات : المغرب ، والعشاء الآخرة ، وصلاة الغداة ، وصلاة العيد - على مذهبننا . وقال ابن عباس ، وزيد بن أسلم ، وسفيان ، وابن زيد : التكبير يوم الفطر .

وفي الآية دلالة على فساد قول المجبرة من ثلاثة أوجه :

أحدها - قوله « هدى للناس » فعمّ بذلك كل إنسان مكلف ، وهم يقولون ليس يهدى الكفار .

« ١ » اللسان (شجج) ذكر البيت الثاني فقط . غير : بدل . آيين جمع آية وهي العلامة . والرواكد هي حجارة توضع تحت القدر . مشجج : مضروب . قذال : مجسع عظم الرأس . بدا ظهر وبان . ساره : جميعه . المعزاء : الأرض الصلبة ذات الحجارة . يقول رب لا تترك لهن علامة ، وانهن جميعاً سوى حجارة الموتى ، ومكبرات الرأس ، واجعل أرضهن صلبة وفيها حجارة قد رماها العدو حتى غطت عليهن جميعاً .

الثاني - قوله تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » والمجبرة تقول : قد أراد تكليف العبد ما لا يطيق مما لم يعطه عليه قدرة ، ولا يعطيه ، ولا عسر أعسر من ذلك .

الثالث - لو أن إنساناً حمل نفسه على المشقة الشديدة التي يخاف معها التلف في الصوم لمرض شديد لكان عاصياً ، ولكان قد حمل نفسه على العسر الذي أخبر الله أنه لا يريد به العبد . والمجبرة تزعم أن كلما يكون من العبد من كفر أو عسر أو غير ذلك من أنواع الفعل يريد به الله .

مسائل من أعظم الصوم

يجوز قضاء شهر رمضان متتابعاً ، ومتفرقاً ، فالتتابع أفضل . وبه قال مالك ، والشافعي . وقال أهل العراق : هو بخير . ومن أفطر في شهر رمضان متعمداً بالجماع في المرجح لزمه القضاء ، والكفارة - عندنا - والكفارة : عتق رقبة ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً . وبه قال أبو حنيفة ، والشافعي . وقال مالك هو بالخيار . وفي أصحابنا من قال بذلك . والإطعام لكل مسكين نصف صاع - عندنا - وبه قال أبو حنيفة ، فإن لم يقدر فسد . وبه قال الشافعي ، ولم يعتبر المعجز . فإن جامع ناسياً ، فلا شيء عليه . وقال مالك : عليه القضاء . ومن أكل متعمداً أو شرب في نهار شهر رمضان لزمه القضاء ، والكفارة - عندنا - وهو قول أبي حنيفة ومالك . وقال الشافعي : لا كفارة عليه ، وعليه القضاء . والناسي لا شيء عليه - عندنا - وعند أهل العراق ، والشافعي . وقال مالك عليه القضاء . ومن أصبح جنباً متعمداً من غير ضرورة لزمه - عندنا - القضاء والكفارة . وقال ابن حبان عليه القضاء استحباباً . وقال جميع الفقهاء لا شيء عليه . ومن ذرعه القيء ، فلا شيء عليه ، فإن تعمدته كان عليه القضاء . وبه قال أبو حنيفة والشافعي ومالك . وقال الأوزاعي : إن غلبه ، فعليه القضاء بلا كفارة . وإن

استدعاه فعليه القضاء ، والكفارة . ومن أكل حصى أو نوى متمعداً فعليه القضاء ،
والكفارة . وبه قال مالك والأوزاعي . وقال أهل العراق : عليه القضاء بلا كفارة .
وقال ابن حبي لا قضاء ولا كفارة .

وإذا احتلم الصبي يوم النصف من شهر رمضان صام ما بقي ، ولا قضاء عليه
فيما مضى ، ويمسك بقية يومه تأديباً ، فإن أفطر فيه فلا قضاء عليه . وبه قال أهل
العراق . وقال مالك : أحب الي أن يقضي ذلك اليوم ، وليس بواجب . وقال
الأوزاعي : يصوم ما بقي ، ويقضى ما مضى منه .

وحكم الكافر إذا أسلم حكم الصبي إذا احتلم في جميع ذلك . والمجنون ، والمغنى
عليه في الشهر كله لا قضاء عليه - عندنا - بدلالة قوله تعالى : « فن شهد منكم الشهر
، فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » وإنما أراد من شهد الشهر
وهو ممن يتوجه إليه الخطاب ، والمجنون والمغنى عليه ليس بعاقل يتناوله الخطاب .
وقوله « ومن كان مريضاً أو على سفر » المراد به إذا كان مريضاً عاقلاً ، يشق عليه
الصوم ، أو يخاف على نفسه منه ، فيلزمه « عدة من أيام أخر » . وقال أهل العراق :
إن لم يفق المجنون في جميع الشهر ، فلا قضاء عليه ، وإن أفلق في بعضه فعليه قضاؤه كله .
وأما المغنى عليه في الشهر كله ، فعليه قضاؤه ، لأنه بمنزلة المريض . وقال
حسن بن صالح ، ومالك : المجنون ، والمغنى عليه سواء ، عليه قضاء الشهر كله إن
جن في الشهر كله ، وأغنى عليه فيه . وقال الأوزاعي : المجنون ، والمغنى عليه
سواء ، لا قضاء على واحد منهما ما مضى من الشهر ، ويقضى ما بقى منه ، فإن أفاق
بعد ما خرج الشهر كله فلا قضاء عليه . وهذا مثل ما قلناه . وقال الشافعي : يقضى
المغنى عليه ، ولا يقضى المجنون .

والحامل ، والمرضع ، والشيخ الكبير إذا أفطروا ، قال أهل العراق : في
الحامل ، والمرضع ، يخافان على ولدهما : يفطران ، ويقضيان يوماً مكانه ، ولا صدقة
عليهما ، ولا كفارة ، وبه قال قوم من أصحابنا . وقال مالك الحامل تقضي ، ولا
تطعم والمرضع : تقضي ، وتطعم لكل يوم مداً . وقال الشافعي في رواية المزني :

عليهما القضاء في الوجّهين ، وتطعم لكل يوم مدّاً ، وهو مذهبنا ، والمعمول عليه .
وفي رواية البرزنجي عن الشافعي مثل قول مالك . والشيخ الكبير الذي لا يطبق
الصوم يفطر ويتصدق مكان كل يوم نصف صاع في قول أهل العراق ، وهو مذهبنا .
وقال الشافعي : مدّاً لكل يوم . وقال مالك : يفطر ولا صدقة عليه . والسفر الذي
يوجب الافطار : ما كان سفراً حسناً ، وكان مقداره ثمانية فراسخ : أربعة وعشرين
ميلاً . وعند الشافعي : ستة عشر فرسخاً . وعند أبي حنيفة : أربعة وعشرون فرسخاً .
وقال داود : قليله ، وكثيره يوجب الافطار . والمرض الذي يوجب الافطار :
ما يخاف معه التلف أو الزيادة المفرطة في مرضه . وروي أنه كل مرض لا يقدر معه
على القيام بمقدار صلاته ، وبه قال الحسن ، وعبيدة السلماني ، وفي ذلك خلاف بين
الفقهاء ذكرناه في الخلاف .

ومن قال : إن قوله تعالى : « ولتكلوا العدة » يدل على أن شهر رمضان
لا ينقص أبداً ، فقد أبد من وجهين :
[الاول] ، لأن قوله « ولتكلوا العدة » معناه ولتكلوا عدة الشهر سواء
كان الشهر تاماً أو ناقصاً .

والثاني - أن ذلك راجع الى القضاء ، لأنه قال عقيب ذكر السفر ، والمرض :
« فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكلوا العدة » يعني
عدة ما فاته ، وهذا بين .

قوله تعالى :

وإذا سألك عبادي عني فاني قريبٌ أُجيبُ دعوةَ الدّاعِ إذا
دعانِ فلا يَسْتَجيبوا لي ولِيؤْمِنوا بي لعلّهم يَرشُدونَ (١٨٦) آية
بلا خلاف .

النزول :

روي عن الحسن : أن سائلاً سأل النبي (ص) أقرب ربنا فتناجيه أم بعيد فتناجيه ، فنزلت الآية . قال قتادة : نزلت جواباً لقوم سألوا النبي (ص) كيف تدعو .

المعنى :

وقوله تعالى : « وإذا سألك عبادي غني فأني قريب أجيب » معناه : إن اقتضت المصلحة إجابته ، وحسن ذلك ، ولم تكن فيه مفسدة (١) . فأما أن يكون قطعاً لكل من يسأل فلا بد أن يجيبه . فلا . على أن الداعي لا يحسن منه السؤال إلا بشرط ألا يكون في إجابته مفسدة ، لاله ، ولا لغيره ، وإلا كانت الدعاء قبيحاً . ولا يجوز أن يقيد الاجابة بالمشيئة بأن يقول : إن شئت ، لأنه بصير الوعد به لا فائدة فيه ، فمن أجاز ذلك فقد أخطأ . فان قيل : إذا كان لا يجيب كل من دعا ، فما معنى الآية ؟ قلنا معناه أن من دعا - على شرائط الحكمة التي قدمناها ، واقتضت المصلحة إجابته - أجيب لا محالة ، بان يقول : اللهم إفعل بي كذا إن لم يكن فيه مفسدة لي أو لغيري في الدين (٢) أو دنوبي . هذا في دعائه .

وفي الناس من قال : إن الله وعد باجابة الدعاء عند مسألة المؤمنين دون الكفار ، والفاسقين . والمعتمد هو الاول . فان قيل : إذا كان ما تقتضيه الحكمة لا بد أن يفعل به ، فلا معنى للدعاء اقلنا عنه جوابان :
أحدهما - أن ذلك عبادة كسائر العبادات . ومثله قوله : « رب احكم بالحق » .
والثاني - انه لا يمتنع أن تقتضي المصلحة إجابته اذا دعا . ومتى لم يدع لم تقتض الحكمة إجابته .

فان قيل : هل يجوز أن تكون الاجابة غير ثواب ؟ قلنا فيه خلاف . قال

« ١ » في المطبوعة « ثمة » .

« ٢ » هكذا في المطبوعة والأولى أن يكون « في أمر ديني » .

أبو علي لا يكون إلا ثواباً ، لأن من أجابه الله ، يستحق المدح في دين المسلمين ، فلا يجوز أن يجيب كافراً ، ولا فاسقاً . وكان أبو بكر بن الأُخْشَاد يُخْبِرُ ذلك في العقل على وجه الاستصلاح له . وهذا الوجه أقرب إلى الصواب .

والدعاء : طلب الطالب للفعل من غيره . ويكون الدعاء لله على وجهين :

أحدهما - طلب في مخرج اللفظ ، والمعنى على التعظيم والمدح ، والتوحيد : كقولك : يا الله لا إله إلا أنت ، وقولك : ربنا لك الحمد .

الثاني - الطلب لأجل الغفران أو عاجل الانعام كقولك : اللهم اغفر لي وارحمي ، وارزقي ، وما أشبه ذلك .

وقوله : « فإني قريب » قيل في معناه قولان :

أحدهما - إني قريب الاجابة : سريع الاجابة ، فجاز ذلك لمشاكلته معنى قريب لسريع .

الثاني - قريب - ، لأنه يسمع دعاءهم كما يسمعه القريب المسافة منهم ، فجاز لفظة قريب ، فحسن البيان بها . فأما قريب المسافة ، فلا يجوز عليه تعالى ، لأنه من صفات المحدثات .

اللفظ :

وقوله « أحيب دعوة الداعي إذا دعاني » فالاجابة من الجواب ، وهو القطع . يقال : جاب البلاد يجوب جوباً اذا قطع . ومنه قوله تعالى : « وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » (١) أي قطعوه . وأجاب الله دعاهه إجابة ، وأجاب فلان عن السؤال جواباً . وأجاب الظلام اذا قطعه . واستجاب له استجابة . وجاوبه مجاوبته ، وتجاوب تجاوباً ، وانجاب السحاب : اذا انقشع . وأصل الباب القطع ، فاجابة السائل : القطع بما سأل ، لأن سؤاله على الوقف أيكون أم لا يكون .

الاعراب :

وقوله تعالى « فليستجيبوا لي » هذه لام الأمر ، لا بد منها للغائب . وأما للحاضر (١) ، فيجوز فيه إثباتها وإسقاطها . كقولك قم ولتقم . والأصل فيها أن تكون مكسورة . ويجوز فيها السكون إذا اتصلت بحرف واحد كالفاء فأما ثم ، فالوجه معها الكسر ، لأنها منفصلة . وإنما جاز فيها السكون دون لام كي ، لأنه لما كان عملها التسكين جاز فيها ، لا يذانه بعملها .

المعنى :

وقال أبو عبيدة : استجاب ، وأجاب بمعنى واحد . وأنشد لكمب بن سعد الغنوي :

وداع دعايا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب (٢)
 أي لم يجبه . وقال المبرد : هذا لا يجوز ، لأن في الاستجابة معنى الاذعان ، وليس ذلك في الاجابة . وقوله « لعلهم يرشدون » في لعل جوابان :
 أحدهما - ليرشدوا ، فتكون دالة على العوض في الاجابة ، من الله تعالى للعبد .
 الثاني - على الرجاء والطمع ، لأن يرشدوا ، ويكون متعلقاً بفعل العباد .
 والرشد : نقيض الغي . يقال : رشد يرشد رشداً ، ورشيد رشدرأ ، وأرشده إرشاداً واسترشد إسترشاداً ، وهو لرشدة خلاف لونية . وأصل الباب إصابة الخبير ، منه الارشاد : الدلالة على وجه الإصابة للخبير . وروى عن أبي عبدالله (ع) أنه قال :
 « وليؤمنوا بي » أي وليتحققوا أنني تادى على إعطائهم ما سألوا .

قوله تعالى :

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ مِّنْ لِّبَاسٍ

« ١ » في المطبوعة « قلنا الماضر » وهو تحريف .

« ٢ » أمالي القالي ٣ : ١٥١ . والأصميات : ١٤ ، واللسان « جوب » وهو من تصيدة

برني بها أخاه أبا المغوار .

لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَبَّ
عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ
وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ
الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَّامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ
وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧) آية واحدة بلا خلاف .

المعنى :

الرفث الجماع هاهنا بلا خلاف ، وفي قراءة ابن مسعود « فلا رفوث » ،
وقيل : أصله فاحش القول فكأنى به عن الجماع قال المعجاج :

عن الالف ورفث التكلم (١)

والرفث والترفث : قول الفحش يقال رفث رفث رفثاً . وروى عن أبي جعفر
وأبي عبد الله (ع) كراهية الجماع في أول ليلة من كل شهر ، إلا أول ليلة من شهر
رمضان لمكان الآية والآشبه أن يكون المراد بليلة الصيام ليالي الشهر كله . وإنما
ذكر بلفظ التوحيد ، لأنه اسم جنس يدل على التكثير .

ومعنى قوله : « هن لباس لكم » أنهن يصرن بمنزلة اللباس ، كما قال النابغة

الجمعدى :

« ١ » ديوانه : ٥٩ من رجز له طويل ، حمد فيه الله وحمده بقوله :

فأحمد الله العلي الأعظم ذي الجبروت والجلال الانغم

الى أن قال :

ورب أسراب حجيج كظم عن الالف ورفث التكلم

والاسراب : الغطيم من القفا أو الظباء أو الشاء أو النساء . يقصد به الحججاج . والكظم
- بفتح الكاف والفاء - السكوت عن الكلام وجس النفس في الصدر . الفاء : مالا يعتد به من
الكلام . رفث التكلم : عطف بيان على الالف .

إذا ما الضجيج تني عطفه تثنت عليه فكانت لباساً (١)
 وقال قوم : معناه هنّ سكن لكم ، كما قال : « وجعلنا الليل لباساً » (٢)
 أي سكناً . واللباس الثياب التي من شأنها أن تستر الأبدان ، ويشبه بها الأغشية
 فيقال لبّس السيف بالحلية .

وقوله تعالى : « علم الله إنكم كنتم تختانون أنفسكم » معناه أنهم كانوا لما حرم عليهم
 الاجتماع في شهر رمضان بعد النوم : خالفوا في ذلك فذكروا الله بالنعمة في الرخصة التي
 نسخت تلك الفريضة . فان قيل : أليس الخيانة انتقاض الحق على جهة المساترة ،
 فكيف يساتر نفسه ؟ قلنا عنه جوابان :

أحدهما - أن بعضهم كان يساتر بعضاً فيه فصار كأنه يساتر نفسه ، لأن ضرر
 النقص والمساترة داخل عليه .

الثاني - أنه يعمل عمل المساتر له فهو يعمل لنفسه عمل الخائن له .
 ويقال : خانه يخونه خوناً وخيانة ، وخونه تخويناً ، واختانه اختياناً ، وتخونه
 تخوناً ، والتخون : التنقص ، والتخون : تغيير الحال إلى مالا ينبغي « وخيانة
 الاعين » : (٣) مشاركة النظر إلى مالا يحل . وأصل الباب منع الحق .
 وقوله تعالى : « فتاب عليكم » أي قبل توبتكم على ما بيناه فيما تقدم . وقوله
 تعالى : « وعفا عنكم » فيه قولان :

أحدهما - غفر ذنبكم . الثاني - أزال تحريم ذلك عنكم ، وذلك عفو عن تحريمه
 عليهم . وقوله تعالى : « فالآن باسروهم » أي جامعوهن ، ومعناه الإباحة دون
 الأمر ، والمباشرة إلصاق : البشرة بالبشرة ، وهي ظاهر أحد الجالدين بالآخر .
 وقوله تعالى : « وابتغوا ما كتب الله لكم » قيل في معناه قولان :
 أحدهما - قال الحسن ، وغيره : يعني طلب الولد .

« ١ » الشعر والشعراء : ٢٢٥ ، ومجاز القرآن لابن عبيدة : ٦٧ . وتأويل مشكل القرآن :

١٠٧ ، وفي بعضها (تداعت) بدل (تثنت) .

« ٣ » سورة المؤمن آية : ١٩ .

« ٢ » سورة عم آية : ١٠ .

الثاني - قال قتادة : يعني الحلال الذي يدينه الله في الكتاب ، والابتغاء : الطلب للبغيه ، وقوله « وكلوا واشربوا » إباحة للأكل والشرب « حتى يتبين » أي يظهر ، والتبين : تميز الشيء الذي يظهر للنفس على التحقيق « الخيط الأبيض من الخيط الأسود » يعني بياض الفجر من سواد الليل . وقيل : خيط الفجر الثاني مما كان في موضعه من الظلام . وقيل النهار من الليل ، فأول النهار طلوع الفجر الثاني ، لأنه أوسع ضياء . قال أبو داود (١) .

فلما أضاءت لنا سدفه ولاح من الصبح خيط أنارا (٢)

وروي عن حذيفة ، والأعمش ، وجماعة : أن الخيط الأبيض : هو ضوء الشمس ، وجملوا أول النهار طلوع الشمس ، كما أن آخره غروبها بلا خلاف في الغروب . وأكثر المفسرين على القول الأول ، وعليه جميع الفقهاء ، لا خلاف فيه بين الأمة اليوم .

اللغة :

والخيط في اللغة معروف يقال : خاط يخيط خياطة ، فهو يخيط ، وخيطه تخييطاً . والخيط : القطيع من النعام . ونعامه خيطاه : قيل : خيطها طول فصبتها ، وعنقها . وقيل : اختلاط سوادها ببياضها ، وكلاهما محتمل ، فالأول ، لأنه كالخيط الممدود . والثاني - لأنه كاختلاط خيوط بياض بسود . والخيط الابر . ونحوها مما يخاط به . والابيض نقيض الاسود . والبياض ضد السواد يقال : أبيض ، وابيض بيضاً . ويبيضه تبييضاً ، وتبيض تبيضاً . وبيضة الطير ، وبيضة الحديد ، وبيضة الاسلام مجتمعه ، وابتاضوهم أي استأصلوهم ، لأنهم اقتلعوا بيضهم وأصل الباب البياض . واسود ، واسواد أسوداداً ، وسوده تسويداً ، وتسود تسوداً ، وسواده

١ « هو أبو داود : الإباري .

٢ « اللسان (خيط) والأسميات : ٢٨ ورواية الأسميات (غير أنارا) في المطبوعة (شدوة) بدل (سدفه) ومعناها متقارب ، لأن السدفه : حلقة الليل في لغة نجد ، والصوف في لغة قيس . وهي أيضا اختلاط ضوء والظلمة جميعاً .

سواداً : أي ساد سواداً ، لأن الخفاء فيه كخفاء الشخص في سواد الليل . وسواد العراق : سمي به لكثرة الماء ، والشجر الذي تسود به الأرض . وسواد كل شيء شخصه . والأسود من الحبة يجمع أساود . وسويداء القلب ، وسوداؤه دمه الذي فيه في قول : ابن دريد . وقيل حبة القلب ، لأنه في سواد من الظلمة . وساد سؤدداً ، فهو سيد ، لأنه ملك السواد الأعظم ، والمسود : الذي قد ساد غيره .

المعنى :

وقوله « من الفجر » يحتمل معنيين :

أحدهما - أن يكون بمعنى التبعيض ، لأن المعنى من الفجر ، وليس الفجر كله .
هذا قول ابن دريد .

الثاني - بمعنى تبين الخيط ، كأنه قال : الخيط الذي هو الفجر .

وقوله : « ثم أنموا الصيام الى الليل » قد بينا حقيقة الصيام فيما مضى . والليل هو بعد غروب الشمس ، وعلامة دخوله على الاستظهار سقوط الحمرة من جانب المشرق ، وإقبال السواد منه ، وإلا فإذا غابت الشمس مع ظهور الآفاق في الأرض المبدوطة وعدم الجبال ، والروابي ، فقد دخل الليل .

وقوله تعالى : « ولا تبشروهن » قيل في معناه قولان هاهنا :

قال ابن عباس ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم : أراد به الجماع .
وقال ابن زيد ، ومالك : أراد الجماع ، كلما كان دونه من قبله ، وغيرها .
وهو مذهبنا .

وقوله تعالى : « وأنتم عاكفون في المساجد » فالاعتكاف - عندنا - هو اللبث في أحد المساجد الأربعة : المسجد الحرام أو مسجد النبي (ص) أو مسجد الكوفة أو مسجد البصر ، للعبادة من غير اشتغال بما يجوز تركه من أمور الدنيا . وله شرائط - ذكرناها في كتب الفقه - وأصله اللزوم . قال الطرماح :

فبات بنات الليل حولي عكفاً عكوف البواكي بينهن صريم (١)
وقال الفرزدق :

ترى حولهن المعتفين كأنهم على صنم في الجاهلية عكف (٢)
اللفظ :

وقوله تعالى : « تلك حدود الله » . فالحدّ على وجوه :
أحدها - المنع ، يقال : حدّه عن كذا حدّاً أي منعه . والحدّ حدّ الدار .
والحدّ الفرض من حدود الله أي فرائضه ، الحدّ الجلد الزاني ، وغيره . والحدّ : حد
السيف ، وما أشبهه . والحد في الحلق : الحدة . والحدّ : الفرق بين الشيطان . والحد
منتهى الشيء . وحد الشراب : صلابته . وإحداد المرأة على زرجها : امتناعها من
الزينة والطيب . وإحداد السيف : إشحاذه . وإحداد النظر إلى الشيء التحديق
إليه . والحديد معروف ، وصانعه الحداد . والحداد السجان . والاستحداد حلق
الشيء بالحديد . وحادته : عاصيته ، ومنه قوله تعالى « ان الذين يحادون الله
ورسوله » (٣) وأصل الباب المنع . والحدّ : نهاية الشيء التي تمنع أن يدخله
ما ليس منه ، وأن يخرج عنه ما هو منه .

أعظم الاعتكاف :

ولا يجوز الاعتكاف إلا بصوم ، وبه قال أبو حنيفة ، وأصحابه ، ومالك ابن
أنس . وقال الشافعي يصح بلا صوم ، وبه قال الحسن إلا أن يشترط . وعندنا

« ١ » ديوانه : ١٥٣ ، واللسان (بني) وروايته (نزل) بدل « فبات » و « قتيل »
بدل « صريم » . بنات الليل : الهوم . وقيل الاحلام . والأول أولى في هذا . كأنه يقول : ان
الهوم تراكت علي . كتراكم النساء على القتيل .

« ٢ » ديوانه : ٥٦١ ، والنقائض : ٥٦٣ . في المطبوعة « العقين » بدل « المعتمين »
والمعتنون : الذين جاؤا يطلبون الرزق ، يصفهم : جمعاً قد وقفوا ينتظرون الطعام والعطاء متلهفين .
وهو ليس بدم لهم بل مدح بالمعطي لهم .

« ٣ » - سورة المجادلة آية ٥ ، ٢٠ .

لا يكون أقل من ثلاثة أيام ، وبه قال أهل المدينة . وقال أهل العراق : الاعتكاف جائز في كل مسجد يصلى فيه جماعة . وقال مالك : لا إعتكاف إلا في موضع يصلى فيه الجمعة من المصر . وقال أهل العراق : المرأة تعتكف في مسجد بيتها . وقال مالك : لا تعتكف إلا في مسجد جماعة . وقال الشافعي : المرأة والعبد يعتكفان ، وكذلك المسافر حيث شاءوا . وقد بينا ما عندنا في ذلك . ولا فرق بين الرجل والمرأة فيه . وقال مالك : لا يكون الاعتكاف أقل من عشرة أيام . وعند أهل العراق يكون يوماً .

ومسائل الاعتكاف قد بيناها في النهاية ، والمبسوط في الفقه ، فلا نطول بذكرها . والمختلف فيها ذكرناه في مسائل الخلاف .

سبب النزول :

وقيل أن هذه الآية نزلت في شأن أبي قيس بن صرمه ، فكان يعمل في أرض له ، فأراد الأكل ، فقالت امرأته : يصلح لك شيئاً فغلبت عيناه ، ثم قدمت إليه الطعام ، فلم يأكل ، فلما أصبح لاقى جهداً ، فأخبر رسول الله (ص) بذلك ، فنزلت هذه الآية .

وروي أن عمرأ أراد أن يوقع زوجته في الليل ، فقالت : إني نمت فظن أنها تعتل عليه ، فوقع عليها ، ثم أخبر النبي (ص) بذلك من الغد ، فنزلت الآية فيها .

المعنى :

وقوله تعالى : « كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » يعني ما بين لهم من الأدلة على ما أمرهم به ، ونهاهم عنه ، لكلي يتقوا معاصي ، وتعدى حدوده التي أمرهم الله بها ، ونهاهم عنها ، وأباحهم إياها . وفي ذلك دلالة على أنه تعالى : أراد التقوى من جميع الناس : الذين بين لهم هذه الحدود . وروي عن أبي عبد الله (ع) أنها نزلت في خوات بن جبير مثل قصة أبي قيس بن صرمه . وأنه كان ذلك يوم

الخدق . وروي عن أبي جعفر (ع) حديث أبي قيس سواء .

قوله تعالى :

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ
لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨) آية

المعنى :

قوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » قيل في معناه قولان :
أحدهما - أن يكون ذلك على جهة الظلم ، نحو الخيانة ، والسرقه ، والغصب ،
ويكون التقدير لا يأكل بعضكم أموال بعض بالباطل كأكل مال نفسه بالباطل ،
ومثله « ولا تلمزوا أنفسكم » (١) ومعناه لا يلمز بعضكم بعضاً . وقوله : « ولا تقتلوا
أنفسكم » (٢) والمعنى لا يقتل بعضكم بعضاً .

الثاني - لا تأكلوه على وجه الهزء واللب ، مثل ما يوجد في القمار والملاهي
ونحوها ، لأن كل ذلك من أكل المال بالباطل . وقال أبو جعفر (ع) « لا تأكلوا
أموالكم بينكم بالباطل » يعني باليمين الكاذبة يقتطمون بها الأموال ، وقال أبو
عبدالله (ع) : علم الله أنه سيكون في هذه الأمة حكام يحكمون بخلاف الحق ،
فنهى الله المؤمنين أن يتحاكموا إليهم ، وهم يعلمون أنهم لا يحكمون بالحق .

وقوله تعالى : « وتدلوا بها إلى الحكام » فالحكم هو الخبر الذي يفصل به
بين الخصمين يمنع كل واحد من منازعة الآخر . وقيل في معناه قولان :
أحدهما - قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة : إنه الوديعة وما تقوم به يدينة .
الثاني - قال الجبائي : في مال اليتيم الذي في يد الأوصياء ، لأنه يدفعه إلى

١ « سورة الحجرات آية : ١١ .

٢ « سورة النساء آية : ٢٨ .

الحاكم إذا طوب به ، ليفتطمع بعضه ، ويقوم له في الظاهر حجة .

اللفظ :

يقال أدلى فلان بالمال الى الحاكم إذا دفعه إليه . وأدلى فلان بحقه وحجته :
إذا هو احتج بها وأحضرها ، ودلوت الدلو في البئر أدلوها : إذا أرسلتها في البئر ،
وأدليتها إدلاء : إذا انتزعتها من البئر ، ومنه قوله تعالى : « فأدلى دلوه » (١) أي
انتزعها . وقال صاحب العين : أدليتها إذا أرسلتها أيضاً . وأدلى الانسان شيئاً في
مهوى ، وبثدلى هو بنفسه . والدالية معروفة .

الاعراب :

وموضع « تدلو » يحتمل أمرين :
أحدهما - أن يكون جزمًا على النهي ، وعطفًا على قوله : « لا تأكلوا » .
والثاني - أن يكون نصبًا على الظرف ، ويكون نصبها باضمار أن كقول الشاعر :
لا تنه عن خلق وتأني مثله عار عليك إذا فعلت عظيم (٢)
لا تجمع بينهما . والأول أجود .

المعنى :

وقيل في اشتقاق « تدلو » قولان : أحدهما - أن التعلق بسبب الحكم
كتعلق الدلو بالسبب الذي هو الحبل . والثاني - أنه يمضي فيه من غير تثبت ، كضئ
الدلو في الارسال من غير تثبت . والباطل هو ما تعلق بالشيء على خلاف ماهو به ،
خيراً كان أو اعتقاداً أو تخيلاً أو ظناً . والفريق : القطعة الممزولة من الشيء .
والاثم الفعل الذي يستحق به الذم .
وقوله : « وأنتم تعلمون » معناه إنكم تعلمون أن ذلك التفريق من المال

« ١ » - سورة يوسف آية : ١٩ .

« ٢ » - مخرجها في ١ : ١٩٠ .

ليس بحق لكم لأنه أشد في الزجر . وفي الآية دلالة على أن تفرقة الحاكم بشهادة الزور غير جائزة ، ولا يستباح به النكاح لأحد الشاهدين كما لا يحل ذلك في المال .

قوله تعالى :

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ
وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى
وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩) آية
واحدة بلا خلاف .

القراءة :

البيوت والسيوح والغيوب والجيوب - بكسر أولها - شامي والكسائي ،
والأعشى لا يكسرون ، الغيوب ، ويكسرهما حمزة ، ويحجي إلا الجيوب . ويكسرهما
ابن كثير إلا الجيوب والغيوب . وابن فليح يكسرهما كلها . وقالون يكسر منها
البيوت فقط . وأبو عمرو يضمها كلها .

المعنى :

الأهلة جمع هلال وسمي الهلال ، لرفع الصوت بذكره عند رؤيته ، ومنه
أهل بالحج : إذا رفع الصوت بالتلبية . واختلف أهل العلم الى كم يسمى هلالا ، فقال
قوم : يسمى ليلتين هلالا من الشهر . ومنهم من قال : يسمى هلالا ثلاث ليال ، ثم
يسمى قرآ . وقال الأصمعي : يسمى هلالا حتى يحجر . وتحجيره : أن يستدير
بخطه دقيقة . ومنهم من قال : يسمى هلالا حين يبهر ضوهه سواد الليل ، فإذا غلب
ضوهه ، سمي قرآ . وذلك لا يكون إلا في الليلة السابعة . وقال الزجاج : يسمى هلالا
ليلتين . واسم القمر الزبرقان ، واسم دارته الهالة . والفخت اسم ضوهه ، أو ظلمته
علي خلاف فيه . واسم ظله السمير . ومنه قيل : سمار الذين يتحدثون بالليل . وإنما

اقتصر في جمعه على أهلة ، وهو لا دنى العدد ، دون الفعل الذي هو للجمع الكثير ، استثنائاً له في التضعيف ، كما قالوا ، فيما ليس بمضعف : حمار وأحمره وحمير .

المعنى :

فإن قيل عما كان وقع السؤال من حال الأهلة قيل عن زيادتها ونقصانها ، وما وجه الحكمة في ذلك ، فأجيب بأن مقاديرها تحتاج إليه الناس في صومهم ، وفطرمهم ، وحجهم وعدد نسائهم ، ومحل ذنوبهم ، وغير ذلك . وفيها دلالة واضحة على أن الصوم لا يثبت بالعدد ، وأنه يثبت بالهلال ، لأن العدد لو كان سراعى ، لما أحيل في مواقيت الناس في الحج على ذلك بل أحيل على العدد .

اللفظ :

وقوله تعالى : « قل هي مواقيت » والميقات : هو مقدار من الزمان ، جعل عاملاً لما يقدر من العمل ، ومنه قوله تعالى : « إلى يوم الوقت المعلوم » (١) والتوقيت : تقدير الوقت . وقت توقيتاً ، ومنه قوله تعالى : « وإذا الرسل أقتت » (٢) وكما قدرت غاية ، فهو موقت . والميقات : منتهى الوقت ، ومنه قوله تعالى : « فتم ميقات ربه » (٣) فالآخرة ميقات الخلق . والاهلال : ميقات الشهر . وإنما لم يصرف مواقيت ، وصرف قوارير ، لأن قوارير فاصلة في رأس آية ، فصرفت لتجري على طريقة واحدة في الآيات ، كالتقوافي ، وليس ذلك تنوين الصرف .

المعنى

وقوله تعالى « وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البرّ من اتقى » قيل في معناه وجهان :
أحدهما - « ولكن البرّ من اتقى » كما قلنا في قوله « ولكن البرّ من آمن بالله » .

« ١ » - سورة الحجر آية : ٣٨ ، - سورة ص آية ٨١ .

« ٢ » - سورة المرات آية : ١١ . « ٣ » - سورة الاعراف آية : ٤١ .

والثاني - على وقوع المصدر موقع الصفة ، كأنه قال : ولكن البار « من آمن بالله » . وقيل في معنى الآية قولان :

أحدهما - أنه كان قوم من الجاهلية إذا أحرموا ، نقبوا في ظهر بيوتهم نقباً ، يدخلون منه ، ويخرجون ، فنهوا عن التدنّين بذلك ، وأمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها . في قول ابن عباس ، والبراء ، وقتادة ، وعطاء . و [الثاني] - قال قوم ، واختاره الجبائي : إنه مثل ضرب به الله لهم . « وأتوا البيوت من أبوابها » أي أتوا البرّ من وجهه الذي أمر الله به ، ورغب فيه ، وهذا الوجه حسن .

وروى جابر عن أبي جعفر محمد بن علي (ع) في قوله : « وليس البرّ بأن تأتوا البيوت » الآية ، قال : يعني أن يأتي الأمر من وجهه أي الأمور . وروى أبو الجارود عن أبي جعفر (ع) مثل قول ابن عباس سواء . وقال قوم : أراد بالبيوت النساء ، لأن المرأة تسمى بيتاً على ما بيناه فيما مضى ، فكأنه نهي عن إتيان النساء في أديارها ، وأباح في قبلهنّ . والأولان أقوى وأجود .

والباب : هو المدخل ، تقول منه : بوبّ تبويباً إذا جعله أبواباً . والبواب : الحاجب ، لأنه يلزم الباب . والبابة القطعة من الشيء كالباب من الجملة .

فإن قيل أي تعلق لقوله : « وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها » بسؤال القوم عن الأهلّة ؟ قلنا : لأنه لما بين ما فيه من وجه الحكمة ، اقتضى لتعلموا على أمور مقدّره ، ولتجري أموركم على استقامة فانما البرّ أن تطيعوا أمر الله .

ومن كسر (الباء) من البيوت ، فلاستثقال الخروج من الضم إلى الياء . ومن ضم غيوب وكسر البيوت ، فلأن الغين لمسا كان مستعلياً ، منع الكسر ، كما منع الإمالة .

وأما الحجج ، فهو قصد البيت الحرام ، لإداء مناسك مخصوصة بها في وقت مخصوص . والبرّ : النفع الحسن . والظهر : الصفيحة المقابلة لصفيحة الوجه .

وقوله : « واتقوا الله لعلكم تفلحون » يعني واتقوا ما نهاكم الله عنه ،

وزهدكم فيه ، لكي تملحوا بالوصول الى ثوابه الذي ضمنه للمتقين .

قوله تعالى :

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) آية بلا خلاف .

المعنى :

القتال هو المقاتلة ، وهو محاولة الفاعل لقتل من يحاول قتله ، والتقاتل محاولة كل واحد من المتعادين قتل الآخر . والخطاب بقوله « وقاتلوا » متوجه الى المؤمنين . ولو قال : « تقاتلوا » لكان أمراً للفريقين . وذهب الحسن ، وابن زيد ، والربيع ، والجبائي : الى أن هذه الآية منسوخة ، لأنه قد وجب علينا قتال المشركين وإن لم يقاتلونا بقوله « اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » (١) وقوله : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » (٢) . وروي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعمر بن عبدالعزيز : أنها غير منسوخة . وقال بعضهم : أمروا بقتال المقاتلين دون النساء . وقيل : إنهم أمروا بقتال أهل مكة . والأولى حمل الآية على عمومها إلا من أخرجه الدليل .

وقوله « تعتدوا » قيل فيه ثلاثة أقوال : أحدها - لا تعتدوا بالقتال بقتال من لم تؤمروا بقتاله . الثاني - لا تعتدوا الى النساء ، والصبيان ، ومن قد أعطيتهم الأمان . الثالث - لا تعتدوا بالقتال على غير الدين . فان قيل : إذا كان الاعتداء في قتال من لم يقاتلهم فكيف يجوز أن يؤمروا به فيما بعد ؟ قيل : إنما كان اعتداء من أجل أنه مجاوزة لما حده الله لهم مما فيه الصلاح للعباد ، ولم يكن فيما بعد على ذلك ، فجاز الأمر به .

وقوله : « في سبيل الله » يعني دين الله ، وهو الطريق الذي يدينه للعباد ، ليسلكوه على ما أمرهم به ودعاهم إليه .

وقوله : « لا يحب المعتدين » معناه لا يريد نوابهم ، ولا مدحهم ، كما يحب نواب المؤمنين . وقد بينا فيما مضى أن المحبة هي الارادة . وإنما قلنا إنها من جنس الارادة ، لأن الكراهة تنافيا ، ولا يصح إجتماعهما ، ولأنها تتعلق بما يصح حدوده لا كالارادة ، فلا يصح أن يكون محباً للإيمان كارهاً له ، كما بينا في أن يكون مریداً له وكارها . وتعلق المحبة بأن يؤمن ، كتعلق الارادة بأن يؤمن . وإنما اعتيد في المحبة الحذف ، ولم يعتمد ذلك في الارادة ، فيقال : الله يحب المؤمن ، ولا يقال : الله يريد المؤمن . وقوله : « لا يحب المعتدين » ظاهره يقتضي أنه يسخط عليهم ، لأنه على وجه الذم لهم إذ لا يجوز أن يطلق على من لا ذنب له من الاطفال ، والمجانين .

والاعتداء مجاوزة الحق . وأصله المجاوزة ، يقال : عدا اذا جاوز حده في

الاسراع .

وروي عن أئمتنا (ع) . أن قوله تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله » ناسخ لقوله : « كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » (١) وكذلك قوله : « واقتلوهم حيث نفقتموهم » (٢) ناسخ لقوله « ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاعهم » (٣) .

قوله تعالى :

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ نَفَقْتُمُوهُمْ وَآخِرِ جُوهِهِمْ مِنْ حَيْثُ أُخْرِجُواكُمْ
وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى
يُقَاتِلُواكُمْ فِيهِ فَاذْفَأُوا كَيْفَ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١)
آية واحدة بلا خلاف .

« ٢ » - سورة البقرة آية : ١٩١ .

« ١ » - سورة النساء آية : ٩٠ .

« ٣ » - سورة الاحزاب آية : ٤٨ .

الفرادة :

قرأ حمزة ، والكسائي ، « ولا تقتلوهم » « حتى يقتلوكم » « فان قتلوكم » كله بغير ألف . الباقيون بألف في جميع ذلك .

المعنى :

والمعنى لا تبدؤهم بقتل ولا قتال حتى يبدؤكم . إلا أن القتل نقض بنية الحياة ، والقتال محاولة القتل ممن يحاول القتل .

وقوله : « واقتلوهم » أمر للمؤمنين بقتل الكفار « حيث ثقفتوهم » .

الاعراب :

ويجوز في حيث ثلاثة أوجه : ضم الثاء ، وفتحها ، وكسرها ، فالضم لشبهها بالغاية ، نحو قبل وبعد ، لأنه منع الاضافة الى المفرد مع لزوم معنى الاضافة له ، فجرى لذلك مجرى قبل وبعد في البناء على الضم ، ولا يجب مثل ذلك في (إذ) لأنها مبنيّة على الوقف ، كما أن (مذ) لا يجب فيها ما يجب في منذ . والفتح ، لأجل الياء ، كما فتحت (أين ، وكيف) والكسر فعلى أصل الحركة ، لالتقاء الساكنين . وإنما كتبت بغير ألف - في الثلاث والكلام (٢) في المصحف للإيجاز ، كما كتبوا الرحمن بلا ألف . وكذلك صالح وخالد ، وما أشبهها ، من حروف المدّ واللين ، لقوتها على التغيير .

اللفظ :

وقوله « ثقفتوهم » تقول : ثقفته أتقفه ثقفاً : اذا ظفرت به ، ومنه قوله : « فأما ثقفتهم في الحرب » (١) وثقفت الشيء ثقافة : اذا حدقته ، ومنه اشتقاق الثقافة بالسيف ، وقد ثقف ثقافة فهو ثقف . والثقاف حديدة تكون مع الفواس ، والرماح يقوم بها المعوج . وثقف الشيء ثقفاً : إذا لزم ، وهو ثقف اذا كان سريع

« ١ » سورة الانفال آية : ٥٨ . « ٢ » هكذا في المطبوعة . وفي العبارة سقط .

التعلم . وثقفته تثقيفاً : إذا قومته . وأصل الباب : التثقيف التقويم .

المعنى :

وقوله « والفتنة أشد من القتل » قال الحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، والربيع ، وابن زيد ، وجميع المفسرين : إنها الكفر . وأصل الفتنة الاختبار ، فكأنه قال : والكفر الذي يكون عند الاختبار أعظم من القتل في الشهر الحرام ووجه قراءة من قرأ « ولا تقتلوه عند المسجد الحرام حتى يقتلوه فيه » أنه جاء في كلام العرب إذا قتل بعضهم ، قالوا : قتلنا ، فتقديره حتى يقتلوا بعضهم .

ومعنى قوله « وأخرجوهم من حيث أخرجوكم » أي أخرجوهم من مكة كما أخرجوكم منها . وروى أن هذه الآية نزلت في سبب رجل من الصحابة قتل رجلاً من الكفار في الشهر الحرام ، فمأبوا المؤمنين بذلك فبين الله تعالى أن الفتنة في الدين أعظم من قتل المشركين في الشهر الحرام وإن كان محظوراً لا يجوز .

قوله تعالى :

فان انتهوا فان الله غفور رحيم (١٩٢)

معنى قوله تعالى : « فان انتهوا » يعني عن كفرهم بالتوبة منه ، في قول مجاهد ، وغيره من المفسرين . والانتهاه الامتناع يقال : نهى نهياً ، وأنهى إنهاءً ، وتناهى تناهياً ، والنهي الزجر عن الفعل بصيغة (لا تفعل) والأمر الدعاء الى الفعل بصيغة (افعل) مع اعتبار الرتبة . والنهي الغدير يكون له الحاجز يمنع الماء أن يفيض ، فالنهي بمنزلة المنع . ونهاية الشيء غايته . ونهية الوند : الفرض ، وهو الحز في رأسه الذي يمنع الحبل أن ينسلخ ، لأنه ينهاه عن ذلك . والنهي : جمع نهية . وهي العقل . والتنهية وجمعها تناهي ، وهي مواضع تهبط . ويتناهى إليها ماء السماء . والانهاء إبلاغ الشيء نهايته . وفي الآية دلالة على أنه يقبل توبة القاتل عمداً ، لأنه بين أنه يقبل توبة المشرك ، وهو أعظم من القتل ، ولا يحسن أن يقبل التوبة من الأعمى ، ولا يقبل من الأقل ، فان قيل فما معنى جواب الشرط ، والله غفور

رحيم وإن لم ينتهرا ، الجواب : إن معناه فإن الله غفور لهم رحيم بهم ، ويجوز فإن الله يغفر لهم ، لأنه غفور رحيم ، واختصر الكلام لدلالة ما تقدم على أنه في ذكرهم وإن الذي اقتضى انتهاءهم إنما هو ذكر المغفرة لهم ، فكان الدلالة عليها بغير إفصاح عنها أحسن لما في ذلك من الإيجاز ، والاحالة على الاستدلال للمكين الأشعار المتضمن الكلام ، والمغفرة : تغطيه الذنب بما يصير به بمنزلة غير الواقع في الحكم .

قوله تعالى :

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا
فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) آية .

المعنى :

هذه الآية ناسخة للأولى التي تضمنت النهي عن القتال عند المسجد الحرام حتى ييدهوا بالقتال فيه ، لأنه أوجب قتالهم على كل حال حتى يدخلوا في الإسلام في قول الجبائي ، والحسن ، وغيره ، وعلى ما حكىناه عن ابن عباس ، وعمر ابن عبد العزيز : أن الأولى ليست منسوخة ، فلا تكون هذه ناسخة بل تكون مؤكدة ، والفتنة الشرك في قول ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد ، والربيع ، وابن زيد ، وهو المروي عن أبي جعفر (ع) . وإنما سمي الكفر فتنة ، لأن الكفر يؤدي إلى الهلاك كما تؤدي الفتن إلى الهلاك ، ولأن الكفر إظهار الفساد عند الاختبار ، والفتنة إنما هي الاختبار . والدين هاهنا قيل في مناه قولان :

أحدهما - الأذعان لله بالطاعة كما قال الأعشى :

هو دان الرباب إذ كرهه الدَّ بنِ دراكا بغزوة وصيال (١)

« ١ » ديوانه : ١١ ، رثم النصيدة ١ . قيل : إنه قلها في مدح الأسود بن المنذر اللخمي أخي النعمان بن المنذر لأمه ، وأم الأسود من تيم الرباب . وقيل : إنه قلها في مدح المنذر بن الأسود لما شز الحايقين ، أسداً وذبيان ، ثم أثار على - رهط الأعشى - بني ساعدة بن ضبة بن نعلبة وكان الأعشى غائباً ، فلما قدم وجد الحبي مباحاً فأثامه ، فأنشده ، وسأله أن يهبه الأسرى ، ففعل .

والثاني - الاسلام دون الكفر . وأصل الدين العادة في قول الشاعر : (١)

تقول إذا درأت لها وضيني أهذا دينه أبدأ وديني (٢)

وقال آخر :

كدينك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بما سل (٣)

وقد استعمل بمعنى الطاعة في قوله تعالى : « ما كان لياخذ أخاه في دين

الملك » (٤) واستعمل بمعنى الاسلام ، لأن الشريعة فيه يجب أن تجري على عادة

قال الله تعالى : « إن الدين عند الله الاسلام » (٥) .

وقوله : « فان انتهوا » معناه امتنعوا من الكفر وأذعنوا بالاسلام ، « فلا

عدوان إلا على الظالمين » أي فلا قتل عليهم ، ولا قتل إلا على الكافرين المقيمين على

الكفر ، وسمي القتل عدواناً مجازاً من حيث كان عقوبة على العدوان ، والظلم ، كما

قال : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » (٦) وكما قال « جزاء سيئة سيئة مثلها » (٧)

وكما قال : « وإن عاقبتم فعاقبوا » (٨) وحسن ذلك لازدواج الكلام ، ومزاوجته

هاهنا على المعنى ، لأن تقديره « فان انتهوا » عن العدوان ، « فلا عدوان إلا على

الظالمين » . فان قيل : أيجوز أن تقول لا ظلم إلا على الظالمين كما جاز « لا عدوان

إلا على الظالمين » ؟ قلنا : على القياس لا يجوز ، لأن ذلك مجاز ، والمجاز لا يقاس

عليه - عند المحصلين - لئلا تلتبس الحقيقة بالمجاز . وإنما جاز في المزاوجة ، لأن الكلام

- والرباب - بكسر الراء - بنو عبد مناة بن أد ، وم تيم وعدي وعوف وثور ، اجتمعوا

فتحالفوا مع بني عمهم ضبة تيم بن أد ، فجاءوا برب (تمر مطبوخ) فغسوا أيديهم فيه ،

فسموا الرباب .

وقوله : دان للرباب أي أذهم وحلمهم على الطاعة . وقوله : دراكا أي تتابعا .

« ١ » هو المثقب العبدى .

« ٢ » اللسان (دين) ، (درأ) ، (وضن) وروايته (دأبه) بدل (دينه) . ردأت

لها وضيني : أي وضعت عنها جهاها ، والوضين هو المنسوج من أي شيء كان .

« ٣ » لم أجد هذا البيت فيما حضرني من المصادر .

« ٤ » سورة يوسف آية : ٧٦ . « ٥ » سورة آل عمران آية : ١٩ .

« ٦ » سورة البقرة آية : ١٩٤ . « ٧ » سورة الشورى آية : ٤٠ .

« ٨ » سورة النحل آية : ١٢٦ .

منه أبلغ ، وأبلغ ، كما قال عمرو بن شاس الأسدي :

جزينا ذوى العدوان بالأمس فرضهم قصاصاً سواء حذوك النعل بالنعل (١)
وأصل الظلم الانتقاص . إمن قوله تعالى « ولم تظلم منه شيئاً » (٢) وحقيقة
ما قدمنا ذكره من أنه ضرر محض لا نفع فيه يوفي عليه عاجلاً ولا آجلاً ولا هو
واقع على وجه المدافعة .

قوله تعالى :

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۗ فَمَنْ
اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤) آية واحدة بلا خلاف .

أشهر الحرم أربعة : رجب ، وهو فرد وثلاثة أشهر سرد : ذو القعدة ، وذو
الحجة ، والمحرم . والمراد هاهنا : ذو القعدة ، وهو شهر الصّدّام الحديبية . وإنما
سمي الشهر حراماً ، لأنه كان يحرم فيه القتال ، فلو أن الرجل يلقى قاتل أبيه أو
ابنه لم يعرض له بسبيل وسمي ذو القعدة ، لعودهم فيه عن القتال .

الاعراب :

والشهر مساقع بالابتداء ، وخبره بالشهر الحرم ، وتقديره : قتال الشهر الحرم
أي في الشهر الحرم ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ويحتمل أن يكون
تقديره : الشهر الحرم على جهة العوض لما فات من الحج في السنة الأولى .

المعنى :

وقوله : « والحرمات قصاص » قيل في معناه قولان :

أحدهما - « الحرمات قصاص » بالمراغمة بدخول البيت في الشهر الحرم . قال

« ١ » تفسير الطبري ٣ : ٥٧٣ .

« ٢ » سورة الكهف آية ٣٣ .

مجاهد : لأن قريشاً نخرت بردها رسول الله (ص) - يوم الحديبية - محرماً - في ذي القعدة - عن البلد الحرام ، فأدخله الله عز وجل مكة في العام المقبل في ذي القعدة ، ففضى عمرته ، وأقصه بما حيل بينه وبينه يوم الحديبية ، وهو معنى قول قتادة ، والضحاك ، والربيع ، وابن زيد .

وروي عن ابن عباس ، وأبي جعفر محمد بن علي (ع) مثله .

والقول الثاني - « والحرمات قصاصاً » بالقتال في الشهر الحرام أي لا يجوز للمسلمين إلا قصاصاً . وقال الحسن : إن مشركي العرب قالوا لرسول الله (ص) : أنهيت عن قتالنا في الشهر الحرام ، قال نعم ، فأراد المشركين أن يغزوه في الشهر الحرام ، فيقاتلوه ، فأنزل الله تعالى : « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاصاً » أي إن استحلوا منكم في الشهر الحرام شيئاً ، فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم . وبه قال الزجاج ، والجبائي .

وإنما جمع الحرمات لأحد أمرين : أحدهما - إنه يريد حرمة الشهر ، وحرمة البلد ، وحرمة الاحرام .

الثاني - كل حرمة تستحل ، فلا يجوز إلا على وجه المجازاة . وفي الناس من قال : إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : « قاتلوا المشركين كافة » (١) وقال آخرون ليست منسوخة ، لأنه يجوز اجتماعه مع تلك الفريضة - وهو الأولى - لأنه لا دلالة على نسخها .

والحرام : هو القبيح الممنوع من فعله . والحلال : المطلق المأذون فيه . والقصاص الأخذ للمظلوم من الظالم ، من أجل ظلمه إياه . فان قيل : كيف جاز قوله : « إن الله لا يحب المعتدين » مع قوله « فاعتدوا عليه » (٢) قلنا الثاني ليس باعتداء على الحقيقة ، وإنما هو على وجه المزاجه ، ومعناه المجازات على ما بينا . والمعتدي مطلقاً لا يكون إلا ظالماً لضرر قبيح ، وإذا كان مجازاً فانما يفعل ضرراً

« ١ » سورة التوبة آية : ٣٧ .

« ٢ » سورة البقرة آية : ١٩٤ .

حسناً . فان قيل : كيف قال بمثل ما اعتدى عليكم ، والأول جور ، والثاني عدل ؟ قلنا ، لأنه مثله في الجنس وفي مقدار الاستحقاق ، لأنه ضرر ، كما أن الأول ضرر ، وهو على مقدار ما يوجب الحق في كل جرم .

وقيل إنّ عدا، واعتدى لغتان بمعنى واحد ، ومثله قرب واقتراب ، وجلب واجتلب . وقال قوم : في افتعل مبالغة ليس في فعل .

ومعنى قوله : « واعلموا أن الله مع المتقين » يعني بالنصرة لهم ، كأنه قال : « إن الله مع المتقين » بالنصرة أو إن نصره الله معهم . وأصل (مع) المصاحبة في المكان أو الزمان .

قوله تعالى :

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ
وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) آية بلا خلاف .

المعنى :

أمر الله تعالى جميع المكلفين المتمكنين من الاتفاق في سبيل الله : أن ينفقوا في سبيله ، وسبيل الله ؛ هو كل طريق شرعه الله تعالى لعباده ، ويدخل فيه الجهاد ، والحج ، وعمارة القناطر ، والمساجد ، ومعاونة المساكين ، والأيتام ، وغير ذلك ، والاتفاق : هو إخراج الشيء عن ملك مالكه إلى ملك غيره ، لأنه لو أخرجه إلى هلاك لم يسم إتفاقاً .

وقوله تعالى : « وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ » معناه لا تطرحوا أنفسكم في الهلاك ، بأن فعلوا ما يؤدي إليه . وحقيقة الالتقاء تصير الشيء إلى جهة السفلى . وإنما يقال : ألقى عليه مسألة مجازاً ، كما يقال : طرح عليه مسألة .

الاعراب :

والباء في قوله بأيديكم يحتمل وجهين : أحدهما - أن تكون زائدة كقولك

تعلقت زيدا ، وتعلقت بزيدا وجذبت الثوب ، وجذبت بالثوب ، وعلمته ، وعلمت به .
قال الشاعر :

ولقد ملأت على نصيب جلده بمساءة إن الصديق يعاتب (١)

والمراد ملأت جلده مساءة . والثاني - أن يكون على أصل الكلام من وجهين :
أحدهما - أن كل فعل متعد إذا كني عنه أو قدر على المصدر دخلته الباء ،
كقولك ضربته ثم تكني عنه فتقول فعلت به . والآخر أن تقول : أوقعت الضرب به
فجاء على أصل الأفعال المتعدية .

والوجه الآخر : أنه لما كان معناه : لا تهلكوا أنفسكم بأيديكم ، فدخلت الباء
ليدل على هذا المعنى ، وهو خلاف أهلك نفسه بيد غيره .

المعنى :

وقيل في معنى الآية وجوه : أحدها - قال الحسن ، وقتادة ، ومجاهد ،
والضحاك ، وهو المروي عن حذيفة ، وابن عباس : إن معناها « لا تلقوا بأيديكم
إلى التهلكة » بالامتناع من الانفاق في سبيل الله . الثاني - ما روي عن البراء ابن
عازب ، وعبيدة السلماني : لا تركبوا المعاصي باليأس من المغفرة . الثالث - ما قال
البلخي ، من أن معناها : لا تتقحموا الحرب من غير نكاية في العدو ، ولا قدرة على
دفاعهم . الرابع - ما قاله الجبائي لا تسرفوا في الانفاق الذي يأتي على النفس .
والأولى حمل الآية على عمومها في جميع ذلك .

اللفظ :

والتهلكة ، والهلاك واحد . وقيل : التهلكة : ما أهلكهم الله عنده . وأصل
الهلاك الضياع ، وهو مصدر ضاع الشيء بحيث لا يدري أين هو ، ومنه يقال للكافر :
هالك ، وللميت : هالك ، وللمعذب : هالك . والهلوك : المهواة البعيدة ، لأن الذي
يهوي فيها هالك . والهلوك : الفاجرة . والهلوك : المتحيرة ، تشبيهاً بالهلوك : الفاجرة

« ١ » لم أجد هذا البيت إلا في مجمع البيان دروايته (يعاقب) بدل (يعاتب) .

التي تمايل في مشيتها ، تقول : هلك بهلك هلكا ، وهلاكاً ، وأهلكه إهلاكاً ، وتهاك
تهاكاً ، واهتلك اهتلاكاً : إذا أتى نفسه في المهالك . واستهلكه استهلاكاً ، وانهلك
انهلاكاً . إذا حمل نفسه على الأمر الصعب . والهالكي : الحداد . وأصل ذلك أن
بني الهالك بن عمر ، كانوا قبونا ، فسمي بذلك كل قين : هالكياً . والتهلكة : كلما كان
عاقبه الى الهلاك . والهاك : الفقير الذي بمضيعة .

والاحسان : هو الافضال الى المحتاج ، في قول زيد بن أسلم . وحد الاحسان
هو إيصال النفع الحسن إلى الغير ، وليس المحسن من فعل الفعل الحسن ، لأن الله
تعالى يفعل العقاب وهو حسن ، ولا يقال : إنه محسن به ، ولا يسمى مستوفي الدين
محسناً ، وإن كان حسناً ، فإن أطلق ذلك في موضع ، فعلى وجه المجاز . وإنما اعتبرنا
أن يكون النفع حسناً ، لأن من أُرصل نفعاً قبيحاً الى غيره لا يقال : إنه محسن
اليه . وقد بينا حقيقة المحبة ، فيما مضى ، فلا وجه لاعادته ، ومحبة الله للمحسنين : إرادة
الثواب بهم والمنفعة لهم . وقال عكرمة : أحسنوا الظن بالله يراكم . وقال ابن زيد :
أحسنوا بالعود على المحتاج « إن الله يحب المحسنين » وروى عن أبي عبدالله (ع)
أنه قال : لو أن رجلاً أنفق ما في يديه في سبيل من سبل الله ما كان أحسن ولا وفق
لقوله « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » يعني
المقتصدين .

قوله تعالى :

وَأْتِمُوا الْحِجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ
الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ
مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ
مُسَاكٍ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحِجَّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ
فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحِجَّ وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ

عَشْرَةَ كَامِلَةً ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَأَتَقُوا
اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦) آيَةٌ وَاحِدَةٌ بِلَا خِلَافٍ .

المعنى :

وروي عن الشعبي : أنه قرأ « والعمرة لله » رفماً ، وذهب إلي أنها ليست
واجبة ، كما قال أهل العراق . وعندنا ، وعند الشافعي : أنها واجبة ، كوجوب الحج .
والقرآن كلهم على النصب ، والعمرة عطفاً على قوله « وَأَتَمُّوا الْحَجَّ » وتقديره ،
وَأَتَمُّوا الْعُمْرَةَ لِلَّهِ . وأمر الله تعالى جميع من توجه إليه ووجوب الحج أن يتم الحج
والعمرة . وقيل في إتمام الحج والعمرة أقوال :

أحدها - أنه يجب أن يبلغ آخر أعمالها بعد الدخول فيها وهو قول مجاهد ،
وأبي العباس المبرد ، وأبي علي الجبائي .

والثاني - قال سميد بن جبير ، وعطاء ، والسدي : إن معناه إقامتهما إلى آخر
ما فيهما ، لأنهما واجبان .

الثالث - قال طاووس : أتمامهما إفرادهما .

الرابع - قال قتادة : الاعتمار في غير أشهر الحج . وأصح الأقوال الأول .
والحج هو القصد إلى البيت الحرام ، لاداء مناسك مخصوصة بها في أوقات
مخصوصة . ومناسك الحج تشمل على المفروض ، والمسنون . والمفروض يشمل على
الركن ، وغير الركن ، فأركان الحج أولاً : النية ، والاحرام ، والوقوف بعرفة ،
والوقوف بالمشر ، وطواف الزيارة ، والسعي بين الصفا والمروة . والفرائض التي ليست
بأركان : التلبية ، وركعتا طواف الزيارة ، وطواف النساء ، وركعتا الطواف له .
والمسنونات : الجهر بالتلبية واستلام الأركان ، وأيام منى ، ورمي الجمار ، والحلق أو
التقصير ، والأضحية إن كان مفرداً . وإن كان متمتعاً فإلهدي واجب عليه ، وإلا
فالصوم الذي هو بدل عنه ، وتفصيل ذلك ذكرناه في النهاية ، والمبسوط ، والجلل
والعقود ، لا تطول بذكره . وفي هذه المناسك خلاف كثير - بين الفقهاء - ذكرناه

في مسائل الخلاف .

والعمرة واجبة كوجوب الحج ، وبه قال الحسن ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وعطاء ، وابن جبير ، وعمرو بن عبيد ، وواصل بن عطاء ، والشافعي . وقال إبراهيم النخعي ، والشعبي ، وسعيد بن جبير ، وأهل العراق : إنها مستنونة . وعن ابن مسعود فيه خلاف ، فمن قال : إنها غير واجبة قال : لأن الله تعالى أمر باتمام الحج والعمرة ، ووجوب الاتمام لا يدل على أنه واجب قبل ذلك ، كما أن الحج المتطوع به يجب إتمامه وإن لم يجب الدخول فيه ، قالوا : وإنما علينا وجوب الحج بقوله تعالى : « والله على الناس حج البيت » (١) . وهذا ليس بصحيح ، لأننا قدينا أن معنى أنموا الحج والعمرة أقيموا ، وهو المروي عن علي (ع) وعن علي بن الحسين مثله ، وبه قال مسروق ، والسدي .

والعمرة هي الزيارة في اللغة . وفي الشرع عبارة عن زيارة البيت لاداء مناسك مخصوصة أي وقت كان من أيام السنة . وأفعال العمرة الواجبة : النية ، والاحرام ، والطواف ، والصلاة عند المقام ، والسعي بين الصفا والمروة ، وطواف النساء . وفي بعض ذلك خلاف ذكرناه في الخلاف .

وقوله « فان أحصرتم » فيه خلاف ، قال قوم : فان منعكم خوف ، أو عدو ، أو مرض ، أو هلاك بوجه من الوجوه ، فامتنعتم لذلك . وقال آخرون : إن منعكم حابس قاهر . فالأول قول مجاهد ، وقتادة ، وعطاء ، وهو المروي عن ابن عباس . وهو المروي في أخبارنا . والثاني ذهب إليه مالك بن أنس . فالأول أقوى لما روي في أخبارنا ، ولأن الاحصار هو أن يجعل غيره بحيث يمتنع من الشيء . وحصره منعه ، ولهذا يقال : حصر العدو ، ولا يقال : أحصر .

اللغة :

واختلف أهل اللغة في الفرق بين الاحصار ، والحصر ، فقال الكسائي ،

وأبو عبيدة ، وأكثر أهل اللغة : إن الإحصار المنع بالمرض ، أو ذهاب النفقة .
والحصر بحبس العدو . وقال الفراء : يجوز كل واحد منهما مكان الآخر . وخالف
في ذلك أبو العباس ، والزجاج ، واحتج المبرد بنظائر ذلك . كقولهم حبسه أي جمعه
في الحبس وأحبسه أي عرّضه للحبس ، وقتله : أوقع به القتل ، وأقتله : عرّضه للقتل ،
وقبره : دفنه في القبر ، وأقبره : عرّضه للدفن في القبر ، فكذلك حصره : حبسه أي
أوقع به الحصر ، وأحصره : عرّضه للحصر . ويقال : أحصره إحصاراً : إذا منعه ،
وحصره بحصره حصرأ إذا حبسه ، وحصر حصرأ : إذا عي في الكلام . وحصره
محاصرناً : إذا ضيق عليه في القتال . والحصر الضيق . هذا حصر شديد . والحصر:
الذي لا يبوح بسرّه ، لأنه قد حبس نفسه عن البوح به . والحصر : الملك . والحصر:
المحبس ، ومنه قوله تعالى : « وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً » (١) والحصور:
الذي لا إربة له في النساء . والحصور : الغيوب المحجّم عن الشيء . والحصر البخيل
لحبسه رفته ، وأصل الباب : الحبس .

الاعراب :

وقوله : « فما استيسر من الهدى » موضع (ما) رفع ، كأنه قال : فعلية
« ما استيسر من الهدى » . ويجوز النصب وتقديره : فليهدى ما استيسر من الهدى .
والرفع أقوى لكثرة نظائره ، كقوله « ففدية من صيام » وقوله « فمعدة من أيام
آخر » (٢) وقوله « فصيام ثلاثة أيام » .

المعنى :

وفي معنى « ما استيسر » خلاف ، فروي عن علي (ع) ، وابن عباس ،
والحسن ، وقتادة : أنه شاء . وروي عن ابن عمر ، وعائشة : أنه ما كان من الأبل
والبقر دون غيره ، ووجه التيسر على ناقة دون ناقة ، وبقرة دون بقرة . والأول
هو المعمول عليه عندنا .

اللغة :

وفي اشتقاق الهدى ، وأصله قولان :

أحدهما - أنه من الهدية ، يقال منه : أهديت الهدية إهداء ، وأهديت الى البيت الهدى إهداء ، فعلى هذا يكون هدياً لأجل التقرب به الى الله باخلاص الطاعة فيه ، على ما أمر به .

الثاني - من هديته هدى : اذا سقته الى طريق الرشاد ، وواحد الهدى هدية ، وروى أبو عبيدة عن أبي عمرو : أنه لا يعرف له نظير إلا جدية السرج وجدى ، وقال المبرد : وهو مطرد في الأجناس ، كتمر وتمر ، وشرية وشري ، وهو الخنظل . وقوله « ولا تحلقوا رؤوسكم » معناه لا تزيلوا شعور رؤوسكم : يقال حلق يحلق حلقاً ، وحلق تحليفاً ، والحلق انحلاقاً . والحلق : مجرى الطعام ، والشراب في المري . والحلقة : حلقة القوم ، وحلقة الحديد ، والحلقة السلاح ، ويقال أيضاً بالتخفيف . وحلق الطائر في الهواء إذا ارتفع ، وهوى من حلق أي من علو الى سفلى . وحلق ضرع الناقة إذا ارتفع لبنها . وحلق المنية ، وجاء بالحلق اذا جاء بالمال الكثير . والحلق : محلق الشعر كالموسى . وحلق الأرض مجاريها في أوديتها . والحلق : موضع حلق الرأس بمعنى . وأصل الباب الاستمرار .

والرؤوس جمع رأس يقال : رأس يرأس رأسه ، وترأس ترأساً ، ورأسه ترئيساً . والرأس أعلى كل شيء ، والرؤاسي العظيم الرأس فوق قدره ، وكلبنة رؤس : وهي التي تساور رأس الصيد . وسحابة رأيسة : وهي التي تتقدم السحاب . ورجل مرهوس إذا أصابه البرسام في رأسه . ورأس فلان فلاناً إذا ضربه على رأسه . وأصل الباب الرأس .

وقوله : « حتى يبلغ الهدى محله » معناه حتى ينتهي إليه ، يقال : بلغ يبلغ بلوغاً ، وأبلغه إبلاغاً ، وبلغه تبليغاً ، وبالغ مبالغة ، وتبالغ تبالغاً ، وتبلغ تبلاغاً ، وبلغ الرجل بلاغة اذا صار بليغاً . والبليغة : القوت . وأصل الباب البلوغ ، وهو

الانتباه ، فنه البلاغة ، لأنها تبلغ بالمعنى الى القلب .

المعنى

وقيل في محل الهدي قولان: أحدهما - ما روى عن ابن عباس ، وابن مسعود ، والحسن ، وعظا : أنه الحرم فاذا ذبح به يوم النحر أحل .

والثاني - قال مالك: إنه الموضع الذي صدّ فيه ، وهو المكان الذي يحلّ نحره فيه قال ، لأن النبي (ص) نحر الهدي ، وأمر أصحابه فنحروا بالحديبية . وعندنا : أن الأول حكم المحصر بالمرض ، والثاني حكم المحصور بالعدو ، وروي أيضاً أن محله منى إن كان في الحج ، وإن كان في العمرة فمكة .

وقوله تعالى : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه » فالأذى كل ما تأذيت به . ورجل آذ إذا كان شديد التأذي تقول : آذى بأذى أذى . وأصله الضرر بالشيء ، وروي أصحابنا أن هذه الآية نزلت في إنسان يعرف بكعب بن عجرة . وروي أيضاً ذلك أصحاب التأويل في أنه كان قد قتل رأسه فأنزل الله فيه هذه الآية ، لكنها محمولة على جميع الأذى .

وقوله « ففدية من صيام أو صدقة أو نسك » فالذي رواه أصحابنا أن الصيام ثلاثة أيام أو صدقة ستة مساكين . وروي عشرة مساكين . والنسك شاة . وفيه خلاف بين المفسرين . وروي عن كعب بن عجرة الانصاري ، ومجاهد ، وعلقمة ، وإبراهيم ، والربيع ، واختاره الجبائي : مثل ماقلناه : إن الصوم ثلاثة أيام والإطعام لستة مساكين . وقال الحسن وعكرمة : صوم عشرة أيام أو إطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع بلا خلاف . ولم يختلفوا في النسك أنه شاة . والنسك : جمع نسيكة ، ويجمع أيضاً نسائك ، كصحيفة وصحائف وصحف .

وقوله « فاذا أمنتم » معناه أمنتم أن يحصركم العدو أو أمنتم المرض « فمن تمتع بالعمرة الى الحج » ، ففرض التمتع - عندنا - هو اللازم لكل من لم يكن من حاضري المجد الحرام ، وحدث حاضري المسجد الحرام : من كان على إثني عشر ميلاً

من كل جانب الى مكة ، ثمانية وأربعين ميلاً ، فما خرج عنه فليس من الحاضرين ، لا يجوز له مع الامكان غير التمتع ، وعند الضرورة ، يجوز له القران والافراد . ومن كان من حاضري المسجد الحرام ، لا يجوز له التمتع ، وإنما فرضه القران أو الافراد على ما تفسره في القران والافراد ، وسياق التمتع أن يحرم من الميقات في أشهر الحج وهي : شوال ، وذو القعدة ، وعشر من ذي الحجة ، ثم يخرج الى مكة ، فيطوف بالبيت ، ويسعى بين الصفا والمروة ، ويقصر ، ثم ينشئ إحراماً آخر بالحج من المسجد الحرام ، ويخرج الى عرفات ، ويقف هناك ، ويبيض الى المشعر ، ويغدوا منها الى منى ، ويقضى مناسكه هناك ، ويدخل في يومه الى مكة ، فيطوف بالبيت طواف الزيارة ، ويسعى بين الصفا والمروة ، ويطوف طواف النساء ، وقد أحل من كل شيء . ويعود الى منى ، فيبيت ليلتيها ، ويرمي الجمار في ثلاثة أيام - على ما شرحناه في النهاية ، والمبسوط - وفي بعض ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف . وللمفسرين في التمتع أربعة أقوال : فالأول رواه أنس بن مالك : أن النبي (ص) أهل بعمره وحجة ، وسموه قارناً ، وأنكر ذلك ابن عمر ، والثاني روى ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وعطاء ، واختاره الجبائي : وهو أن يعتمر في أشهر الحج ثم يأتي مكة ، فيطوف ، ويسعى ، ويقصر ثم يقيم حلالاً الى يوم التروية ، أو يوم قبله ، فيهل فيه بالحج من مكة ، ثم يحج . وهذا مثل ما قلناه سواء . وقال البلخي : إن هذا الضرب كرهه عمر ، ونهى عنه ، وكرهه ابن مسعود . الثالث - هو الناسخ للحج بالعمرة رواه جابر بن عبد الله ، وأبو سعيد الخدري : أن رسول الله (ص) أمرهم - وقد أهلوا بالحج ، لا ينوون غيره - أن يعتمروا ثم يحلوا الى وقت الحج . هذا عندنا جائز أن يفعل . وروي عن أبي ذر : أنها كانت لأصحاب النبي (ص) خاصة . وكذلك يقولون : إن عمراً أنكروا هذه المتعة .

الرابع - قال ابن الزبير : إن المحصر اذا دخل مكة بعد فوات الحج ، تمتع بالعمرة ، لأنه يحل بها الى وقت الحج ، وكذلك من اعتمر في غير أشهر الحج ثم حج تلك السنة ، فهو المتمتع ، ولا هدي عليه . وهذا عندنا فاسد بما قدمناه .

وقوله تعالى : « فاستيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعت » فالهدي واجب على المتمتع بلا خلاف ، لظاهر التنزيل ، على خلاف فيه أنه نسك أو جبران ، فعندنا أنه نسك ، وفيه خلاف . فان لم يجد الهدي ولا ثمنه ، صام ثلاثة أيام في الحج ، وعندنا أن وقت صوم الثلاثة أيام : يوم قبل التروية ، ويوم التروية ، ويوم عرفة ، فان صام في أول العشرة جاز ذلك رخصة . وإن صام يوم التروية ويوم عرفة قضى يوماً آخر بعد التشريق فان قاته يوم التروية صام بعد القضاء من التشريق ثلاثة أيام متتابعات . وروي عن ابن عباس ، وابن عمر ، والحسن ، ومجاهد : أنه يجوز ما بين إحرامه في أشهر الحج الى يوم عرفة . واستحبوا أن يكون يوماً قبل التروية ، ويوم عرفة . ووقت صوم السبعة أيام إذا رجع الى أهله ، وبه قال عطاء ، وقتادة . وقال مجاهد : إذا رجع عن حجه في طريقه . فأما أيام التشريق ، فلا يجوز صومها عندنا ، وبه قال جماعة من المفسرين ، واختاره الجبائي ، لنهي النبي (ص) عن صوم أيام التشريق . وروي عن ابن عمر ، وعائشة جواز ذلك .

وقوله : « تلك عشرة كاملة » اختلفوا في معناه ، فقال الحسن ، والجبائي ، وهو المروي عن أبي جعفر (ع) أن المعنى كاملة من الهدي أي اذا وقعت بدلا منه ، استكملت ثوابه .

الثاني - ما ذكره الزجاج ، والبلخي أنه لازالة الابهام لثلاثاً يظن أن (الواو) بمعنى (أو) فيكون كأنه فصيام ثلاثة أيام في الحج أو سبعة أيام اذا رجعت ، لأنه اذا استعمل (أو) بمعنى (الواو) جاز أن يستعمل (الواو) بمعنى (أو) كما قال : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » والمراد « أو » فذكر ذلك لارتفاع اللبس .

والثالث - قاله المبرد : إنه أعاد ذلك للتأكيد قال الشاعر :

ثلاث واثنتان فهن خمس وسادسة تميل الى شمام (١)

« ١ » في مجمع البيان نسبة الى جرير ولم أجده في ديوانه . في المطبوعة « شمام » بدل « شمام »
« واثنتان » بدل « اثنتان » .

اللفظ:

وتقول: نثلت القوم أنثلتهم، فأنا نالتهم، وربما قالوا: نثلت الرجلين أي صرت لهما ثالثاً. والثالث جزء من ثلاثة. والمثلث: شكل على ثلاثة أضلاع. وانثلوث: ما أخذ ثلثه. والثلاثاء: اليوم الثالث من الأحد. والثلاثي: ما نسب إلى ثلاثة أشياء، وأصله الثلاثة من العدد.

وأهل الرجل: زوجته. والمتأهل: المتزوج. وأهل الرجل: أخص الناس به. وأهل البيت: سكانه. وأهل الإسلام: من تدين به. وأهل القرآن: من يقرأه، ويقوم بحقوقه. وأهلته لهذا الأمر أي جعلته أهلاً له. والأهلي: خلاف البري. وقولهم مرحباً وأهلاً أي اختصاصاً بالتحية، والتكرمة.

المعنى:

وقد بينا أن (أهل حاضري المسجد الحرام) من كان من بينه وبينها إتنا عشر ميلاً من أربع جوانبها. وقال ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما: إنهم أهل الحرم، فروي في أخبارنا أيضاً ذلك. وقال مكحول، وعطاء: من بين مكة، والمواقيت. وقيل: هم أهل الحرم، ومن قرب منزله منها، كأهل عرفة، ذهب إليه الزهري ومالك.

اللفظ:

وقوله تعالى: «واعلموا أن الله شديد العقاب» تقول: عقب الشيء يعقب بمعنى خلف بعد الأول. وأعقب إعقاباً، وتعقب الرأي تعقباً. «والمأقبة للمعتقين» (١) أي الآخرة. ونزاد على أعقابنا أي نعقب بالشر بعد الخير. والعقبة: ركوب أعقبه المشي. «له معقبات» (٢): ملائكة الليل تخلف ملائكة النهار. وعقب الانسان:

«١» سورة الاعراف آية: ١٢٧.

«٢» سورة الرعد آية: ١٢.

نسله ، وعقبة ، مؤخر قدمه . والعقبة : المصعد في الجبل . والعقب : الصعب . والعقاب : الطائر . واليعقوب : ذكر القبيح . « ولا معقب لحكه » أي لا راد لقضائه . وأصل الباب : العقب : الخلف بعد الأول .

قوله تعالى :

الحج أشهر معلومات فمن فرّضَ فيهنّ الحجّ فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ في الحجّ وما تفعلوا من خيرٍ يعلمه اللهُ وزودوا فانّ خيرَ الزادِ التقوى والتقوى يا أولي الألبابِ (١٩٧) آية بلا خلاف .

القراءة :

قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو « فلارفت ولا فسوق » بالرفع ، « ولا جدال » بالنصب . الباقر بن النصب فيهنّ تقدير الآية : أشهر الحجّ أشهر معلومات ، حذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه . وأشهر الحجّ - عندنا - شوال ، وذو القعدة ، وعشر من ذي الحجة ، على ما روي عن أبي جعفر (ع) وبه قال ابن عباس ، وابن عمر ، وإبراهيم ، والشعبي ، ومجاهد ، والحسن ، واختاره الجبائي . وقال عطاء ، والربيع ، وابن شهاب ، وطاووس : أشهر الحجّ - شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة . وروي ذلك في أخبارنا ، وإنما كانت هذه أشهر الحجّ ، لأن الاحرام بالحج لا يصح أن يقع إلا فيها - بلا خلاف - وعندنا - أن الاحرام بالعمرة التي يتمتع بها لا يقع أيضاً إلا فيها . ومن قال : إن جميع ذي الحجة من أشهر الحجّ ، قال : لأن جميع ذي الحجة يصح أن يقع فيه شيء من أفعال الحجّ ، مثل صوم الثلاثة أيام ، فإنه يصح أن يقع في جميع ذي الحجة ، وكذلك يصح أن يقع ذبح الهدي فيه . وقال قوم : إن المعنى واحد في قول الفريقين . وقال آخرون : هو مختلف من حيث أن الثاني معناه : أن العمرة لا ينبغي أن تكون في الأشهر الثلاثة على الكمال ، لأنها أشهر الحجّ ، والأول على أنها لا ينبغي أن تكون في شهرين وعشر من الثالث ،

فقد روي عن ابن عمر: ان تفصلوا بين الحج والعمرة ، فتجعلوا العمرة في غير أشهر الحج ، أتم حج أحدكم وأتم لعمرة . وروي ذلك عن القاسم بن محمد عن ابن شهاب عن عبدالله ، وابن سيرين . وقد بينا مذهبنا في ذلك . فان قيل كيف جم - مع شهرين ، وعشرة أيام ثلاثة أشهر ؟ قلنا : لأنه قد يضاف الفعل الى الوقت وإن وقع في بعضه . ويجوز أن يضاف الوقت اليه كذلك ، كقولك : صليت صلاة يوم الجمعة ، وصلاة يوم العيد وإن كانت الصلاة في بعضه . ويقال أيضاً : قدم زيد يوم كذا ، وخرج يوم كذا وإن كان قدومه أو خروجه في بعضه ، فكذلك جاز أن يقال : شهر الحج ذو الحجة ، وإن كان في بعضه ، وإنما يفرض فيهن الحج ، بأن يحرم فيهن - بالحج - بلا خلاف - أو بالعمرة التي يتمتع بها بالحج - عندنا خاصة - وفي الاحرام بالحج وافقنا فيه ابن عباس ، والحسن ، وقتادة . وقال ابن عمر ، ومجاهد : إنما يفرض فيهن - بالتلبية . وقال بعض المتأخرين : يفرض بالعزم على أعمال الحج .

الاعراب :

ولا يجوز نصب أشهر - في العربية - على ما بيناه من المعنى من أن تقديره أشهر « الحج أشهر معلومات » أو وقت « الحج أشهر معلومات » وقد أجازوا الحج شهر ذي الحجة ، لأنه معرفة كما تقول العرب : المسلمون جانب ، والكفار جانب بالرفع ، فاذا أضافوا نصبوا ، فقالوا : المسلمون جانب أرضهم ، والكفار جانب بلادهم . وإنما جاز ذلك ، لأن النكرة لما جاءت على شرط الخبر : في كونه نكرة من حيث كانت الفائدة فيه ، رفعت بأنها خبر الابتداء فلما صارت معرفة ، والخبر يطلب النكرة نصبت ليصح تقدير الاستقرار الذي هو نكرة كأنك قلت : الكفار مستقرون جانب بلادهم ، ففائدة الأول من جانب ، وفائدة الثاني في مستقر .

المعنى :

وقوله تعالى : « فلا رفث » فالرفث هاهنا - عند أصحابنا - كناية عن الجماع وهو قول ابن مسعود ، وقتادة . وأصله الافشاش في النطق كما قال السجّاج :

عن الأفا ورفث التكلم (١)

وقيل الرفث بالفرج : الجماع ، وباللسان : المواعدة للجماع ، وبالعين : الغمز للجماع . وقال ابن عباس ، وابن عمر وعطاء : المراد هاهنا : المواعدة للجماع ، والتعريض للنساء به . وقال الحسن : الجماع ، والتعرض له بمواعدة أو مداعبة كله رفث .

وقوله تعالى : « ولا فسوق » روى أصحابنا : أنه أراد الكذب . والأولى أن تحمله على جميع المعاصي التي نهى المحرم عنها ، وبه قال ابن عمر . وقال الحسن : المعاصي نحو القذف وشبهه ، وقال ابن عباس ومجاهد وعطاء : هو جميع المعاصي مثل ما قلناه . وقال بعضهم لا يجوز أن يكون المراد إلا ما نهى عنه المحرم هاهنا ، مما هو حلال له في غير الاحرام ، لاختصاصه بالنهي عنه وهذا غلط ، لأنه تخصيص للعموم بلا دليل ، وقد يقول القائل : ينبغي أن تقيّد لسانك في رمضان لكلا يبطل صومك ، فيخصه بالذكر لعظم حرمة .

وقوله : « ولا جدال في الحج » فالذي رواه أصحابنا : أنه قول : لا والله وبلى والله صادقاً ، وكاذباً . وللمفسرين فيه قولان :

أحدهما - قال ابن عباس ، وابن مسعود ، والحسن : أنه لا مرء بالسباب والأعصاب على جهة المحك ، والهجاء .

الثاني - قال مجاهد والسدي : إنه لا جدال في أن الحج قد استدار (٢) في ذي الحجة ، لأنهم كانوا يفسون الشهور فيقدمون ويؤخرون ، فربما اتفق في غيره .

اللغة :

وأما اشتقاقه في اللغة فالجدال والمجادلة ، والمنازعة ، والمشاجرة ، والمخاصمة

« ١ » من تخرجه في ٢ : ١٣٢ .

« ٢ » في المطبوعة (استداد) ومعنى استدار : أي يدور معه كيف دار .

واحد ، وتقول : جدات الجبل أجدله وأجدله جدلا : إذا فتلته ، وجدالت الرجل مجادلة وجدالا : إذا خاصمت ، وتجادلا تجادلا . وجدلته تجديلا : إذا ألقيته على الأرض . وتجدل تجدلا وتجدل أنجدالا . والجديل : زمام البعير . والجداول : نهر صغير . والمجدل : الفصر . والجذالة : الأرض ذات الرمل الرقيق . والأجدل : الصقر ، وكل مفتول : مجدول . وغلام جادل : إذا ترعرع واشتد . والجديلة : شريحة الحمام . ورجل أجدل المنكب : فيه تطأطؤ ، بخلاف الاشراف من المناكب . وأصل الباب : الفتل ، والجداول : القتال .

الاعراب :

ومن نصب (الثلاثة) أخرج اللفظ مخرج عموم النفي للمبالغة في معنى النفي . ومن رفع بعضاً ونصب بعضاً ، فلاختلاف المعنى ، لأن الأول على معنى النهي ، والثاني بمعنى الاخبار عن زمان الحجج : قد استدار في ذي الحجة ، فكان أحق بالنصب ، لعموم النفي . فأما الأول ، فقد يقع من الخطأ ، فلا يصح فيه عموم النفي . هذا قول النحويين . والصحيح أن السكك معناه النهي ، وإن خرج مخرج النفي ، والاخبار . والمراد به النهي بلا خلاف .

المعنى :

وقوله تعالى : « وما تفعلوا من خير يعلمه الله » معناه « وما تفعلوا من خير يجازكم الله العالم به ، لأن الله عالم على كل حال ، إلا أنه جعل « يعلمه » في موضع مجازيه للمبالغة في صفة العدل ، لأنه يعاملكم معاملة من يعلمه إذا ظهر منكم ، فيجازي به ، وذلك تأكيد أن الجزاء لا يكون إلا بالفعل دون ما يعلم أنه يكون منهم قبل أن يفعلوه .

وقوله : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » قيل في معناه قولان : أحدهما - قال الحسن ، وفتادة ، ومجاهد : أن قوماً كانوا يرمون بازوادهم ، ويتسمون بالمتوكلة ، فقيل لهم تزودوا من الطعام ، ولا تلقوا كلكم على الناس ،

وخير الزاد مع ذلك التقوى .

والثاني - « تزودوا » من الأعمال الصالحات « فان خير الزاد التقوى » ، فذكر ذلك في الحج ، لأنه أحق شيء بالاستكثار من أعمال البر فيه ، والزاد : الطعام الذي يتخذ للسفر . والمزود : وعاء يحمل فيه الزاد . وكل من انتقل بخير من عمل أو كسب ، فقد تزود منه تزوداً .

وقوله : « واتقون يا أولي الألباب » يعني ياذوي العقول ، لأن اللب العقل ، وإنما سمي لباً لأنه أفضل ما في الانسان . وأفضل كل شيء لبه .

قوله تعالى :

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَكِن الضَّالِّينَ (١٩٨) آية واحدة بلا خلاف .

هذه الآية فيها تصريح بالاذن في التجارة ، ونحوها في حال الاحرام ، لأنهم كانوا يتحرّجون بذلك في صدر الاسلام ، على قول ابن عباس ، وابن عمر ، ومجاهد ، وعطاء ، والحسن ، وقتادة ، وهو المروي عن أبي جعفر ، وأبي عبدالله (ع) .

الغزة والاعراب :

والجناح هو الجرح في الدين ، وهو الميل عن الطريق المستقيم ، وأصله الميل - على ما مضى القول فيه - .

وقوله : « فاذا أفضتم من عرفات » يعني دفعتم من عرفة الى المزدلفة عن اجتماع ، كفيض الأناء عن امتلائه ، تقول : فاض الماء يفيض فيضاً : إذا انصب عن امتلاء ، وأفاض إفاضة في الحديث : إذا اندفع فيه . واستفاض الخبر إذا شاع . والافاضة لضرب بالنداح . وفيض الصدر بما فيه : البوح به . والافاضة : امتلاء الحوض حتى يفيض . ورجل فيأض : جواد . ودرع مفاضة ، وفيوض إذا كانت واسعة (١) .

وفيض البصرة : نهرها . وأصل الباب : الفيض : الانصباب عن الامتلاء .
 و « عرفات » صرفت وإن كان فيها التعريف ، والتأنيث ، لأنها على حكاية
 الجمع ، كما يجب أن يحكى المذكر إذا سمي به الجمع ، ويجوز فيها ترك الصرف تشبيهاً
 بالواحد فيسقط التنوين ويسقط الاعراب كما كان في الجمع كقول امرء القيس :
 تنورُتها من أذرعاتٍ وأهلها ييثرب أدنى دارها نظرٌ عالي (١)
 والأول اختيار النحويين ، وقد أجاز بعضهم فتح الناء بغير تنوين على قياس
 طلحة ، وأنشدوا البيت على ثلاثة أوجه (أذرعات) - منوناً مكسوراً - ومجروراً بلا
 تنوين - ومفتوحاً بلا تنوين - . وأنكر الزجاج الوجه الثالث .
 والمشرع هو معلم المتعبد . وقال المبرد : المشرع - بفتح الميم والعين - مكان
 المشرع ، كالمدخل لمكان الدخول . والمشرع - بكسر الميم - الحديدية التي يشعربها
 أي يعلم بها . فكسرت ، لأنها آلة كالخرز ، والمقطع ، والمخيطة . وقال : الكسائي :
 لا فرق بين الفتح والكسر .

المعنى :

و « المشرع الحرام » هو المزدلفة : وهو جمع بلا خلاف . وسميت عرفات
 عرفات ، لأن إبراهيم (ع) عرفها بما تقدم له من النعمت لها ، والوصف ، على ما روي
 عن علي (ع) وابن عباس . وقال عطاء ، والسدي ، وقد روي ذلك في أخبارنا :
 أنها سميت بذلك ، لأن آدم وحواء اجتمعا فيه ، فتعارفا بعد أن كانا اقترقا . وقيل :
 سميت عرفات لعلوّه وارتفاعه ، ومنه عرف الديك .

ووجه التشبيه في قوله « واذكروه كما هداكم » أن الذكر بالشكر ، والثناء
 يجب أن يكون بحسب الانعام ، والهداية في العظمة لأنه يجب أن يكون الشكر

« ١ » دوانه ١٤٠ . وهو من قصيدته الرائعة المشهورة . والضمير في تنورتها عائد للمرأة
 التي بذكرها ، وتنور النار : رآها من بعيد ، جعل المرأة تضيء له كما تضيء النار المشبوبة .
 وأذرعات : بلد في الشام ، ويثرب : مدينة الرسول « ص » .
 يقول : لاح لي نورها وأنا في أذرعات وهي ييثرب ثم يقول : قرب مكانها مني نظر نظرتة
 نحو جو السماء .

كالنعمة في عظم المنزلة كما يجب أن يكون على مقدارها لو صغرت النعمة ، ولا يجوز التسوية في الشكر بين من عظمت نعمته ومن صغرت .

الاعراب :

وقوله : « وإن كنتم من قبله لمن الضالين » معنى (إن) هاهنا المخففة من الثقيلة بدلالة دخول لام الابتداء معها ، وإذا خففت لم تعمل . وجار دخولها على الاسم ، والفعل ، كقوله تعالى : « وإن كل لما جميع لدينا محضرون » (١) . وأما « كنتم » فلا موضع لها من الاعراب ، لأنها بعد حرف غير عامل . وليس « لان » موضع كما ليس لها موضع في الابتداء . وإنما هذه الواو عطف جملة على جملة . وروى جابر عن أبي جعفر (ع) قال : « لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلا من ربكم » معناه أن تطلبوا المغفرة .

قوله تعالى :

ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ
لَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩) آية بلا خلاف .

المعنى :

قيل في معنى هذه الآية قولان :

أحدهما - قال ابن عباس ، وعائشة ، وعطا ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، والربيع ، وهو المروي عن أبي جعفر (ع) : أنه أمر لفريش و خلفائهم ، لأنهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفة ، ولا يفيضون منها ، ويقولون : نحن أهل حرم الله لا نخرج عنه ، فكانوا يقفون بجمع ويفيضون منه ، دون عرفة ، فأمرهم الله تعالى أن يفيضوا من عرفة بعد الوقوف بها .

والثاني - قال الضحاك ، والجبائي وحكا المبرد ، ولكنه اختار الأول ، لأنه

خطاب لجميع الحاج أن يفيضوا من حيث أفاض إبراهيم (ع) من المزدلفة . والأول إجماع ، وهذا شاذ ، وليس لأحد أن يقول على الوجه الآخر : كيف يقال لإبراهيم وحده الناس ، وذلك أن هذا جائر كما قال : « الذين قال لهم الناس » (١) وإنما كان واحداً بلا خلاف : وهو نعيم بن مسعود الأشجعي ، وذلك مستعمل . وقيل إن إبراهيم لما كان إماماً ، كان بمنزلة الأئمة التي تتبع في سنة .

فان قيل : إذا كانت (ثم) للترتيب ، فما معنى الترتيب هاهنا ؟ قلنا : الذي رواه أصحابنا أن هاهنا تقديماً ، وتأخيراً . وتقديره « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم » « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » « فإذا أفضتكم من عرفات فاذكروا الله عند الشعر الحرام » « واستغفروا الله إن الله غفور رحيم » . وقال قوم : المعنى « ثم أفيضوا » من المزدلفة . والذي أجاب به المتأولون : أن قالوا : ترتبت الأفاضة بعد المعنى الذي دل الكلام الأول عليه ، كأنه قيل : أحرموا بالحج على ما بين لكم « ثم أفيضوا » بامشقر قریش « من حيث أفاض الناس » بعد الوقوف بعرفة . وهذا قريب مما قلناه . وإنما عدل الذي تأوله على الأفاضة من المزدلفة ، لأنه رآه بعد قوله ، فإذا أفضتكم من عرفات ، قال : فأمرؤا أن يفيضوا من المزدلفة بعد الوقوف بها ، كما أمرؤا في عرفة ، وقد بينا ترتيب الكلام في التأويل المختار . والاستغفار هو طلب المغفرة ، كما أن الاستخبار : طلب السؤال . والمغفرة : التغطية للذنب بإيجاب المثوبة . وقيل في معنى الاستغفار قولان : أحدهما - الحض عليه في تلك المواطن الشريفة ، لأنها خليقة بالاجابة . الثاني - استغفره لما سلف من مخالفتكم في الوقوف والأفاضة ، كما سنه الله تعالى للناس عامة . والفرق بين غفور وغافر أن في غفور مبالغة لكثرة المغفرة ، فأما غافر ، فيستحق الصفة فيه بوقوع الغفران . والغفو هو المغفرة . وقد فرق بينهما بأن الغفو ترك العقاب على الذنب ، والمغفرة تغطية الذنب بإيجاب المثوبة . ولذلك كثرت المغفرة في صفات الله تعالى ، دون صفات العباد ، فلا يقال : استغفر السلطان كما يقال : استغفروا الله .

قوله تعالى :

فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذا كركم آباءكم
أو أشد ذكراً فمن الناس من يقول ربنا آتينا في الدنيا وما له
في الآخرة من خلاق (٢٠٠) آية بلا خلاف .

المعنى :

قوله تعالى : « فاذا قضيتم » معناه فرغتم منها . وأصل القضاء : فصل الأمر
على أحكام . وقد يفصل بالفراغ منه كقضاء المناسك وقد يفصل بالعمل له على تمام
كقوله « فقضاهن سبع سموات في يومين » (١٠) وقد يفصل بالآخبار على القطع
كقوله تعالى : « وقضينا إلى بني إسرائيل » (٢) وقد يفصل بالحكم كقضاء القاضي
على وجه الإلزام بالقهر .

والمناسك الأمور بها ها هنا جميع أفعال الحج المتعبد بها في قول الحسن وغيره
من أهل العلم - وهو الصحيح - وقال مجاهد : هي الذبائح .

وقوله « فاذكروا الله » فالذكر هو العلم ، وقيل : هو حضور المعنى للنفس بالقول
أو غيره مما هو كالعلة ، لحضوره بها . وقيل : المراد به ها هنا التكبير أيام منى لأنه
الذكر الذي يختصه بالترغيب فيه على غيره من الأوقات . وقيل أيضاً : إنه سائر
الدعاء لله تعالى في ذلك الموطن ، لأنه أفضل من غيره - وهو الأقوى - لأنه أعم .
وقوله : « كذا كركم آباءكم » معناه ما روي عن أبي جعفر « ع » أنهم كانوا
يجتمعون ، يتفاخرون بالآباء ، وبمآثرهم ، ويبالغون فيه . وقوله « أو أشد ذكراً »
إنما شبه الأوجب بما هو دونه في الوجوب ، لأمسين : أحدهما - أنه خرج على
حال لأهل الجاهلية كانت معتادة : أن يذكروا آباءهم بأبلغ الذكر على وجه التفاخر ،
فقيل : اذكروا الله كالذكر الذي كنتم تذكرون به آباءكم في المبالغة ، أو أشد ذكراً

« ١ » سورة حم السجدة آية ١٢ .

« ٢ » سورة الاسراء آية : ٤ .

بما له عليكم من النعمة . هذا قول أنس ، وأبي وائل ، والحسن ، وقتادة . والثاني - قال عطا : أذكروه بالاستمانة به ، كذا ذكركم آباءكم : الصبي لأبيه إذا قال : يا أباه . والأول هو المتمد .

الاعراب :

وإنما نصب « ذكراً » ولم يخفض كما يخفض في قولهم هذا الذكر أشد ذكر ، لأن فيه ضميراً منهم نظير قولك : هم أشد ذكراً ، وفي أشد ضمير هم ، ولو قلت مهرت به أشد ذكراً لكان منصوباً على الحال فأما الذكر ، فعلى التمييز .

المعنى :

فإن قيل : الأمر بالذكر هاهنا بعد قضاء المناسك أو معه ؟ قيل : أجاز أبو علي الوجوهين ، واستشهد بقولهم : إذا وقعت بعرفات فادع الله ، وإذا حججت ، فطف بالبيت .

والخلاق : النصيب من الخير ، وأصله التقدير ، فهو النصيب من الخير على وجه الاستحقاق .

قوله تعالى :

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) آية واحدة .

الاعراب :

« رَبَّنَا » منصوب ، لأنه منادى وتقديره : يا ربنا . وإنما حذف حرف النداء ، لما كان أصله تنبيه المنادى ، ليقبل عليك ، وكان الله عز وجل لا يغيب عنه شيء . - تعالى عن ذلك - ، سقط حرف النداء للاستغناء عنه . فأما يا الله اغفر لي ، فيجوز أن يخرج مخرج التنبيه للتأكيد : أن يقبل عليك برحمته ، ولأنك تسأله سؤال المحتاج أن ينبه على حالة ، لأن ذلك أبلغ في الدعاء ، وأحسن في المعنى .

اللفظ :

والفرق بين القول والكلام : أن القول يدل على الحكاية ، وليس كذلك الكلام ، نحو قال : الحمد لله ، فإذا أخبرت عنه بالكلام قلت تكلم بالحق ، والحكاية تكون على ثلاثة أوجه : حكاية على اللفظ والمعنى ، وحكاية على اللفظ فقط ، وحكاية على المعنى فقط ، فالأول نحو « أتوني أفرغ عليه قطراً » (١) إذا حكاه من يعرف لفظه ومعناه . الثاني - إذا حكاه من يعرف لفظه دون معناه . الثالث - نحو أن يقول : أتوني أفرغ عليه نحاساً ، فيكون حكاه على معناه دون لفظه .

المعنى :

وقوله « آتنا » معناه : أعطنا ، فالانبيان الاعطاء . وأصله الآتي ، والمجبي ، فأتى إذا كان منه المجبي ، فأتى إذا حمل غيره على المجبي ، كما يقال : آناه ما يجب ، وآناه غيره ما يجب .

والحسنة التي سألوها قيل في معناها قولان :

أحدهما - قال قتادة ، والجبائي ، وأكثر المفسرين : إنه نعم الدنيا ، ونعم الآخرة .

الثاني - قال الحسن : العبادة في الدنيا ، والجنة في الآخرة ، وسميت نعمة الله حسنة ، لأنها مما تدعو إليه الحكمة . وقيل : الطاعة والعبادة حسنة ، لأنها مما يدعو إليه العقل .

اللفظ :

وقوله تعالى : « وقنا عذاب النار » فالوقاء : الحاجز الذي يسلم به من الضرر . يقال وقاه يقيه وقاه ، ووقاية . وتوقى هو توعية وأصل الوقاء الحجز بين الشئئين . وأصل قنا : أوقنا مثل حملنا ، فذهبت الواو لسقوطها في يقي ، لوقوعها بين ياه وكسرة ثم أتبع سائر تصاريف الفعل ما لزمته العلة ، وسقط ألف الوصل للاستغناء

عنها بتحرك ما بعدها ، وحذفت الياء ، للوقف الذي هو نظير الجزم .
والفائدة في الاخبار عنهم بهذا الدعاء ، الاقتداء بهم فيه ، لأنه لما حذر من
الدعاء الأول رغب في الثاني .

قوله تعالى :

أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢)

آية بلا خلاف .

الاعراب :

« أُولَئِكَ » رفع بالابتداء وخبره لهم نصيب . ومعناه أُولَئِكَ لهم نصيب من

كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه .

اللفظ :

والنصيب : الحظ ، وجمعه أنصاء وأنصبة . وحدث النصيب الجزء الذي يختص

به البعض من خير أو شر .

والكسب : الفعل الذي يجتلب به نفع أو يدفع به ضرر . وتقول : نصب ينصب

نصباً ، ونصب نصباً من التعب ، وأنصبتني هذا إنصاباً . وانتصب الشيء انتصاباً .

وناصبه العداوة مناصبة . والنصب إقامة الشيء . والنصب : الرفع . نصب القوم

السير : إذا رفعوه . وكل شيء رفعته ، فقد نصبته ، ومنه نصب الحرف ، لأن الصوت

يرفع فيه إلى الغار الأعلى . والنصب بتغير الحال من مرض أو تعب . والنصب : جمع

أنصاب وهي حجارة كانت تنصب في الجاهلية ، ويطاف بها ، ويتقرب عندها وهي التي

ذكرها الله تعالى في قوله : « وما ذبح على النصب » (١) وقال : « والأنصاب

والأزلام » (٢) . وأنصاب الحرم حدوده ، وهي حجارة تنصب ، ليعرف بها

« ١ » - سورة المائدة آية : ٤ .

« ٢ » - سورة المائدة آية : ٩٣ .

الحرم . وانصاب السكين ، وغيره معروف ، وفلان في نصاب صدق : في حسب ثابت .
والنصبة : السارية . والمنصب الذي ينصب عليه القدور . وكل شيء استقبلت به شيئاً ،
فقد نصبته . وأصل الباب القيام .

وقوله تعالى : « والله سريع الحساب » يعني في العدل من غير حاجة الى خط
ولا عقد ، لأنه (عز وجل) عالم به . وإنما يحاسب العبد مظهرة في العدل ، وإحالة
على ما يوجبه الفعل من خير أو شر . والسرعة هو العمل القصير المدة . تقول : سرع
سرعة ، وأسرع في المشي إسراعاً ، وسارع اليه مسارعة ، وتسرع تسرعاً ،
وتسارع تسارعاً ، وأقبل فلان في سرعان قومه أي في أوائلهم المتسرعين .
واليسروع : دويبة تكون في الرمل . وأصل الباب : السرعة .

وتقول من الحساب : حسب الحساب يحسبه حساباً ، وحسب الشيء حساباً ،
وحاسبه محاسبة ، وحساباً ، وتحاسبوا تحاسباً ، واحتسب احتساباً ، وأحسبني من
العطاء إحساباً ، أي كفاني « وعطاء حساباً » (١) أي كافياً . والحسبان سهام صفار .
وقيل : منه « ويرسل عليها حسباناً من السماء » (٢) . وقيل عذاباً . والمحسبة وسادة
من آدم . والمحسبة غبرة مثل كدرة . وحسب الرجل مآثر آياته . وأفعل ذلك
بحسب ما أوليتني . وحسبي أي يكفيني « ويرزق من إ شاء بغير حساب » (٣) أي
بغير تضيق « والشمس والقمر بحسبان » (٤) أي قدر لها مواقيت معلومة لا يعدونها .
والتحسب : دفن الميت بحج الحجارة (٥) وأصل الباب : الحساب ، والحسبان :
الظن ، لأنه كالحساب في الاعتداد به ، والعمل به على بعض الوجوه . وروي عن
علي (ع) أنه قال : معناه إنه يحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة .

قوله تعالى :

واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا

« ١ » سورة النبا آية : ٣٦ . « ٢ » سورة الكهف آية : ٤١ .

« ٣ » سورة البقرة آية : ١١٢ . « ٤ » سورة الرحمن آية : ٥ .

« ٥ » مكثدا في المطبوعة وفي لسان العرب (حسب) التحسب دفن الميت في الحجارة .

لَأْتُمَّ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا لَأْتُمَّ عَلَيْهِ لِمَنْ أَتَقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا
أَنْكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣) آية بلا خلاف .

المعنى :

هذا أمر من الله تعالى للمكلفين أن يذكروا الله في الأيام المعدودات : وهي
أيام التشريق : ثلاثة أيام بعد النحر ، وهو قول ابن عباس ، والحسن ومالك . والأيام
المعلومات : عشر ذي الحجة ، وهو قول ابن عباس أيضاً ، وذكر الفراء : أن المعلومات :
هي أيام التشريق ، والمعدودات العشر . وفيه خلاف ذكرناه في اختلاف الفقهاء .
وسميت معدودات لأنها قلائل ، كما قال : « وشروء بثمان بنحس دراهم معدودة » (١)
أي قليلة . والجمع بالألف والتاء يصلح للقليل والكثير ، والقليل أغلب عليه . وأنكر
الزجاج ما يروي في قول حسان :

لنا الجفنات الغر يلعن بالضحي وأسيافنا يقطرن من نجدة دما (٢)
من أنه عيب عليه ، وزعم أن الخبر موضوع ، وقال الألف والتاء يصلح
للكثير قال الله تعالى : « وهم في الغرقات آمنون » (٣) وقال : « إن المتقين في جنات
وعيون » (٤) وإنما احتمل هذا الجمع للقليل والكثير ، لأن جمع العلامة على طريقة
واحدة لا يتميز فيه قليل من كثير ، وكان القليل أغلب عليه ، لشبهه بالثنية .
والآية تدل على وجوب التكبير في هذه الأيام ، وهو أن يقولوا : الله أكبر الله
أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد . وبه قال الحسن والجبائي ،
وزاد أصحابنا على هذا القدر : الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا ،

« ١ » سورة يوسف آية : ٢٠ .

« ٢ » ديوانه : ٦٩ . الجفنات جمع جفنة وهي القصة الكبيرة ، والغر : البيض . وهذا البيت
قيل : إن حسان قد فز به في بعض السنين بسوق عكاظ وقد أحابه الخنساء في الجفنات لأنها
جمع قلة وفي الغر لأنه لا يدل على أن القصاصي ممتلئة طعاماً ، وعلى قوله : يقطرن ، ولم يقل
يجرن .

« ٤ » سورة الحجر آية : ٤٥ .

« ٣ » سورة سبأ آية : ٣٧ .

ورزقنا من بهيمة الانعام . وأول التكبير - عندنا - لمن كان بمنى ، عقيب الظهر من يوم النحر الى الفجر يوم الرابع من النحر : عقيب خمسة عشرة صلاة ، وفي الأمصار عقيب الظهر من يوم النحر الى عقيب الفجر يوم الثاني من التشريق : عقيب عشر صلوات ، واختار الجبائي من صلاة الغداة من يوم عرفة الى صلاة العصر آخر يوم التشريق . وفيه خلاف ذكرناه في الخلاف .

وقوله تعالى : « فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه » . المعنى في ذلك الرخصة في جواز النفر في اليوم الثاني من التشريق وإن أقام الى النفر الاخير ، وهو اليوم الثالث من التشريق ، كان أفضل ، فإن نفر في الأول ، نفر بعد الزوال الى الغروب ، فإن غربت فليس له أن ينفر . وقال الحسن إنما له أن ينفر بعد الزوال الى وقت العصر ، فإن أدركته صلاة العصر ، فليس له أن ينفر إلا يوم الثالث . وليس للامام أن ينفر في النفر الأول ، وبه قال الحسن .

وقوله تعالى : « فلا إثم عليه » قيل فيه قولان : أحدهما - لا إثم عليه لتكفير سيئاته بما كان من حجه المبرور وهو معنى قول ابن مسعود . الثاني - قال الحسن : لا إثم عليه في تعجله ولا تأخره . وإنما نفى الإثم ، لئلا يتوهم ذلك متوهم في التعجل ، وجاء في التأخر على مناجاة الكلام كما تقول : إن أظهرت الصدقة ، فحائز . وإن أسررتها ، فحائز ، والأسرار أفضل .

وقوله تعالى : « لمن اتقى » قيل فيه قولان : أحدهما - لما قال « فلا إثم عليه » دل على وعده بالثواب ، فقيد ذلك بالتقوى لله تعالى ، لئلا يتوهم أنه بالطاعة في النفر فقط . والثاني - أنه لا إثم عليه في تعجله إذا لم يعمل لضرب من ضروب الفساد ، ولكن لا تباع إذن الله فيه . وقالوا : معنى تجديده الأمر بالتقوى ها هنا التحذير من الاتكال على ما سلف من أعمال البر في الحج ، فبين أن عليهم مع ذلك ملازمة التقوى ، ومجانبة المعاصي .

وروى أصحابنا : أن قوله « لمن اتقى » متعلق بالتمجّل في اليومين ، وتقديره « فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه » « لمن اتقى » الصيّد الى انقضاء النفر الاخير

وما بقي من إحرامه ، ومن لم يتقها ، فلا يجوز له النفري الأول ، وهو اختيار الفراء ،
 والمروي عن ابن عباس ، وروي عن أبي عبدالله (ع) في قوله تعالى « فمن تعجل
 في يومين » أي من مات في هذين اليومين ، فقد كفر عنه كل ذنب . ومن تأخر
 أي أنسى أجله ، فلا إثم عليه بعدها إذا اتقى الكبائر .

الاعراب :

والعامل في اللام في قوله « لمن اتقى » قيل فيه قولان : أحدهما - ذلك « لمن اتقى »
 نحذف ذلك لأن الكلام الأول دلّ على وعدٍ للعامل . والثاني - أن يكون العامل
 معنى « لا إثم عليه » ، لأنه قد تضمن معنى جعلناه « لمن اتقى » .

اللفظ :

وقوله تعالى : « واتقوا الله » معناه اجتنبوا معاصي الله ، « واعلموا أنكم
 إليه تحشرون » أي تحققوا أنكم بعد موتكم تردون إلى الله ، فيجازيكم على أعمالكم .
 تقول : حشر يحشر حشراً ، فالحشر : جمع القوم من كل ناحية إلى مكان .
 والمحشر : مجتمهم : وهو المكان الذي يحشرون فيه ، وحشرتهم السنة : إذا
 أجمعت بهم ، لأنها تضمهم من النواحي إلى المصر . وسهم حشر : خفيف لطيف ،
 لأنه ضامر باجتماعه . ومنه أذن حشره : لطيفة ضامرة . وحشرات الأرض : دوابها
 الصغار ، والواحدة حشرة ، لاجتماعها من كل ناحية . ودابة حشور : إذا كان
 مزززة الحلق شديدة . ورجل حشور : إذا كان عظيم البطن . وحشرت السنان ،
 فهو محشور : إذا رفقته وألطفته . وأصل الباب الاجتماع .

قوله تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُمَجِّبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْرِكُ بِاللَّهِ

عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) آية واحدة .

قال الحسن : المعنى بهذه الآية المنافق . وقال قوم : المعنى : بها المراني . وقيل :

إنها نزلت في الأخنس بن شريق ذكره السدي وغيره .

اللفظ :

والاعجاب هو السرور بالشيء سرور العجب بما يستحسن . ومنه العجب بالنفس ،
والسرور بها سرور العجب من الشيء استحساناً له ، وذلك إذا تعجب من شدة
حسنه . وتقول : عجب عجباً ، وتعجب تعجباً ، وعجبه تعجبياً ، وأعجبه إعجاباً ،
واستعجب استعجاباً أي اشتد تعجبه . والعجاب : العجيب ، وأعجبني هذا : إذا
كان حسناً جداً . والمعجب بنفسه أو بالشيء معروف . وقال الأزهري : العجب
كل شيء غير مألوف ، وعجب الذئب : العظم الذي يذبت عليه شعر الذئب في المعز ،
ورأيت أعجوبة وأعاجيب . وأصل الباب العجب .

وقوله تعالى : « في الحياة الدنيا » أي وقت الحياة الدنيا فالحي هو من
لا يستحيل ، وهو على ما هو عليه أن يكون عالماً قادراً .

وقوله : « ويشهد الله على ما في قلبه » فأصل الاشهاد : هو الاقرار بالشيء
ليشهد به المقر عنده . والمراد في الآية : من يقر بالحق ، ويقول : اللهم اشهد عليّ ،
وضميره على خلفه .

وقوله تعالى : « وهو ألدّ الخصام » يقال لدّه يلدّه لدّاً : إذا غلبه في
الخصومة ، ولدّه يلدّه : إذا أوجره في أحد ختي فله . ولدّت تلدّ لدّاً وهو شدة
الخصومة . وجانباً كل شيء لديداه ، فمنه ليدي الوادي . وليدي العنق :
صفحناه . ولدّه عن كذا : إذا حبسه . والتلدّد : التلفت عن تحير وأصل الباب
الديد : الجانب .

والخصام : هو الخصامة . تقول : خصمه يخصمه خصامة ، وخصاماً ،
وتخصماً ، واختصماً اختصاماً ، واستخصمهم استخصاماً . والخصم طرف الراوية
الذي بحمال العزلاء (١) من مأخرها ، وطرفها الأعلى وهو العصم . والأخصام من

« ١ » في المطبوعة « الراية الذي بحمال العزلاء » وهو تصحيف .

كل شيء . جوانبه ، كجوانب الخوايق الذي فيه العرى ، يحمل به . وأصل الباب الخصومة .

المعنى :

ومعنى « ألدّ » في الآية : هو الشديد الجدل بالخصومة الى ما يريد ، قال

الشاعر :

ثم أردني وبهم من مُردّي تلدّ أقران الخصوم اللدّ (١)

وقال الزجاج : الخصام جمع خصم . والمعنى هو أشد المتخاصمين خصومة . وقال غيره : هو مصدر . ومعنى الآية أنه تعالى وصف المنافقين ، فقال : « ومن الناس من يعجبك » يا محمد « قوله » في الظاهر ، وباطنه بخلافه « ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام » جدل مبطل .

ومن قرأ « ويشهد الله » - بفتح الياء - منناه أنه تعالى يشهد عليه بنفاقه ، وإظهاره خلاف ما يبطن . والقراءة العامة هي الأولى .

قوله تعالى :

وَإِذَا تَوَلَّى سَهَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ
وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥) آية واحدة .

في قوله تعالى : « وإذا تولى » ضمير عن تقدم ذكره وهو « من يعجبك » قوله في الحياة الدنيا « والتولى » هو الانحراف ، والزوال عن الشيء الى خلاف جهته . والسعي هو الاسراع في المشي وقيل : إنه العمل ، وقال الاعشى :
وسعى لىكندة غير سعى مواكل قيس فصرّ عدوها وبني لها (٢)

« ١ » معاني القرآن للفراء ١ : ١٢٣ قدم البيت الثاني على الأول ، واللسان « لدّ » ذكر البيت الثاني فقط . ورواية اللسان « ألدّ » بدل « تلدّ » . ورواية معاني القرآن :

ألد أقران الرجال اللد

وفي تفسير الطبري ٤ : ٢٣٥ كالذي ذكره الشيخ سراج .

« ٢ » ديوانه : ٣١ . رثم القصيدة : ٣ .

أي عمل لها . وقوله : « في الأرض » دخلت الألف واللام في الأرض ، لتعريف الجنس ، لأن الأرض وإن كانت واحدة بعينها فلو خلق الله مثلاً ، لكانت أرضاً ، كما أن الشمس ، والقمر كذلك ، وفارق ذلك زيداً وعمراً - في أسماء الأعلام - وامتناع دخول الألف واللام عليهما ، لأن الله تعالى لو خلق مثل زيد لم يجب أن يكون زيداً ، على أن الأرضين السبعة كما قال تعالى : « خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن » (١) فعلى هذا لا يتوجه السؤال .

والافساد : هو عمل الضرر بغير استحقاق ، ولا وجه من وجوه المصلحة .

والاهلاك : العمل الذي ينفي الانتفاع .

وقوله : « ليفسد فيها » نصب باضمار (أن) ويجوز إظهارها ، فتقول : لأن يفسد فيها ، ولا يجوز إظهارها في قوله : « ما كان الله ليذر المؤمنين » (٢) . وإنما جاز حذفها في « ليفسد » لدلالة الكلام عليها مع كونها في حروف الإضافة حتى حذفت في قولهم : غلام زيد ، وما أشبهه مع كثرته في الكلام ، وجاز إظهارها ، لأنه الأصل من غير مانع في الاستعمال ، وإنما امتنع في قوله : « ليذر » لما يرجع إلى المعنى ، لأن معناه كمنى (ما كان زيد ليفعل) أي ما كان فاعلاً ، فلما تضمن غير المعنى الذي توجبه صورته لم يتصرف في لفظه ، ولأنه لما كان محمولا على تأويل معنى لم يذكر ، حمل أيضاً على تأويل لفظ لم يذكر . والفرق بين دخول اللام فيها أن اللام دخلت في « ليفسد » على إضافة السعي إلى الفساد ، على أصل الإضافة في الكلام . ودخولها في « ليذر » فأنما هو لتأكيد النفي بتحقيق تعلقه بالخبر كما دخلت الباء في (ليس زيد بقائم) ، لأن النفي لما كان للخبر وولي حرف النفي الاسم ، دخلت الباء ، لتدل على اتصاله في المعنى بحرف النفي .

اللفظ :

والحرث : الزرع . والنسل : العقب من الولد . وقال الضحاك : الحرث : كل

« ١ » - سورة الطلاق آية : ١٢ .

« ٢ » - سورة آل عمران آية : ١٧٩ .

نبات ، والنسل : كل ذات . ويقال : نسل يذسل نسولاً : إذا خرج ، فسقط . ومنه نسل وبر البعير أو شعر الحمار أو ريش الطائر . والنسالة : قطعة من الوبر ، قال الله تعالى : « إلى ربهم ينسلون » (١) أي يسرعون ، لأنه إسراع الخروج بحدّة . والنسل : الولد ، ما نسل بعضه من بعض . والناس نسل آدم ، لخروجهم من ظهره . والنسل والنسلان : عدو من عدو الذئب فيه اضطراب . والنسيلة : فتيلة السراج ، وأصل الباب النسول : الخروج . وحكى الزجاج : أن الحرث : الرجال ، والنسل : الأولاد . وذكر الأزهري : أن الحرث : النساء ، والنسل الأولاد ، لقوله تعالى : « نساؤكم حرث لكم » (٢) .

المعنى :

وقوله تعالى : « والله لا يحب الفساد » يدل على فساد قول المجبرة : إن الله تعالى يريد القبائح ، لأن الله تعالى نفى عن نفسه محبة الفساد . والمحبة هي الإرادة ، لأن كل ما أحب الله أن يكون ، فقد أراد أن يكون ، وما لا يحب أن يكون لا يريد أن يكون . ومعنى الآية : إذا خرج هذا المنافق من عندك يا محمد غضبان ، عمل في الأرض بما حرم الله عليه وحاول معصيته ، وقطع الطريق ، وأفسد النسل ، والحرث على عباده . « والله لا يحب الفساد » .
قوله تعالى :

وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ
وَلَسِبْتُكَ الْمَهَادِ (٢٠٦) آية بلا خلاف .

المعنى :

قيل في المعنى بهذه الآية قولان : أحدهما - قال ابن عباس : إنه كل منافق . والثاني - قال السدي : إنه الأخنس بن شريق ، والاتقاء طلب السلامة بما يحجز

« ١ » سورة يس آية : ٥١ .

« ٢ » سورة البقرة آية ٢٢٣ .

من الخفاة ، واتقاء الله إنما هو اتقاء عذابه .

وقوله : « أخذته العزة » قيل في معناه قولان : أحدهما - قال الحسن أخذته العزة الى الاثم ، كما تقول : أخذت فلاناً (١) بأن يفعل ! أي دعوته الى أن يفعل (٢) .

ومعنى قوله : « وإذا قيل له اتقى الله أخذته العزة بالاثم » هو الاشعار بالدليل على نفاقه ، لفضيحته بذلك عند المؤمنين - على ما قاله قتادة - ، ويجوز أن يكون الذم له على تلك الحال القبيحة .

وقوله : « ولبئس المهاد » الوطأ . فان قيل : كيف قيل لجهنم مهاد . قلنا عنه جوابان :

أحدهما - قال الحسن : معناه الفرار هاهنا ، والقرار كالوطأ في الثبوت عليه . الثاني - لأنها بدل من المهاد كما قال تعالى : « فبشرهم بعذاب أليم » (٣) لأنه موضع البشرى بالنعيم على جهة البدل منه .

المعنى :

والمهاد في اللغة : الوطأ من كل شيء تقول : مهدت الفراش تمهيداً ، وكل شيء وطأته فقد مهدته ، وتمهد الشيء : إذا يوطأ ، وكذلك امتهد امتهاداً ، ومهد الصبي معروف ، وجمع المهاد ، مهد ، وثلاثة أمهدة « والأرض مهاداً » (٤) لا جل التوطأة للنوم ، والقيام عليها ، وأصل الباب التوطأة .
والأخذ : ضد الاعطاء . والعزة : القوة التي يمتنع بها من الذلة .

المعنى :

فمعنى الآية : أن هذا المنافق الذي نعتّه لك بأنه يمجبك قوله في الحياة الدنيا

« ١ » في المطبوعة « قد كنا » وهو تصحيف .

« ٢ » ذكر قولاً واحداً ولم يذكر الثاني وفي مجمل البيان ذكر القولين ونقل القول الثاني عن الحسن ، وأطلق هذا ولم يذكر قائله ، راجع صفحة : ٣٠١ من مجمل البيان طبع صيدا .

« ٣ » - سورة آل عمران آية ٢١ . « ٤ » - سورة النبا آية : ٦ .

« إذا قيل له اتق الله » في سعيك في الأرض بالفساد وإهلاك الحرث والنسل ، دخلته عزة وحمية ، فقال تعالى : فكفاه عقوبة من ضلله أن يصلى نار جهنم ، فإنها بئس المهاد لمن يصلها .

قوله تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) آية بلا خلاف .

النزول :

قال قتادة : نزلت هذه الآية في المهاجرين والأنصار . وقال عكرمة : نزلت في أبي ذر الغفاري : جندب بن السكن ، وصهيب بن سهران ، لأن أهل أبي ذر أخذوا أبا ذر ، فانقلت منهم ، فقدم على النبي (ص) ، فلما رجع مهاجراً عرضوا له ، وكان يمر الظهران ، فانقلت أيضاً منهم حتى قدم النبي (ص) ، فلما رجع مهاجراً عرضوا له ، فانقلت حتى نزل على النبي (ص) . فأما صهيب ، فإنه أخذه المشركون من أهله فافتدى منهم بماله ثم خرج مهاجراً ، فأدر كه منقذ بن ظريف بن خدعان ، فخرج له مما بقي من ماله ، وخلى سبيله .

وروي عن أبي جعفر (ع) أنه قال : نزلت في علي (ع) حين بات على فراش رسول الله (ص) لما أرادت قريش قتله ، حتى خرج رسول الله (ص) وفاته المشركين أغراضهم ، وبه قال عمر بن شبة .

المعنى :

وروي عن علي (ع) ، وابن عباس : أن المراد بالآية : الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . وقال الحسن : هي عامة في كل من يبيع نفسه لله بأن يقيم نفسه في جهاد عدوه ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر وغير ذلك مما أمر الله به ، وتوعد على خلافه .

وقوله تعالى : « يشري نفسه » معناه يبيع نفسه ، وقد بينا فيما مضى أن الشراء يكون بمعنى البيع ، كما قال : « وشروه بثمن بخس » (١) أي باعوه وقال الشاعر : (٢)

وشريت برداً ليطني من بعد برد كنت هامه (٣)
أي بعت . والشراء استبدال العوض بالثمن . وشري باع واشتري ابتاع .
وشرا هاهنا مجاز ، لأن أصله في الاثمان من العين ، والورق ، لذلك لا يقال :
باع متاعه إذا تصدق به ، لأن الأظهر إذا أطلق أنه باعه بالثمن .

وقوله تعالى : « ابتغاء مرضات الله » معناه طلب مرضات الله ، ومثله « حذر الموت » (٤) قال الشاعر : (٥)

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكريماً (٦)
ولا يجوز قياساً على ذلك فعله زيداً أي لزيد . ويجوز فعله خوفاً ، لأن في ذكر المصدر دليلاً على العرض الداعي إلى الفعل ، وليس كذلك ذكر زيد ، والمرضاة والرضى واحداً وهو ضد السخط .

قوله تعالى : « والله رؤوف بالعباد » قد بينا فيما مضى معنى الرؤوف ، والخلاف فيه ، ومعناه ذو رحمة واسعة بعبدته الذي شرى نفسه له في جهاد من جاهد في أمره من أهل الشرك ، والفسوق . وإنما ذكر الرؤوف بالعباد هنا للدلالة على أنه إنما رغب العبد في بيع نفسه بالجهاد في نفسه رافة به ، وحسن نظر له ، ليبنتليه من الثواب المستحق على عمله ما لا يجوز أن يصل إليه في جلالته إلا بتلك المنزلة .

« ١ » سورة يوسف آية : ٢٠ .

« ٢ » هو يزيد بن مفرغ الحميري .

« ٣ » من تخريج في ١ : ٣٤٨ . وروايته هناك « من قبل » بدل « من بعد » والبيت

سروي بالوجهين . « ٤ » - سورة البقرة آية : ١٩ .

« ٥ » هو حاتم .

« ٦ » ديوانه : ٢٤ ، ونوادير أبي زيد : ١١ ، والخزانة : ١ : ٤٩١ . وغيرها وفي

البيت اختلاف كثير في الراوية ، والشاهد فيه عندم نصب « ادخاره » على أنه مفعول له .

قوله تعالى :

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨) آية واحدة .

الفراغ :

قرأ أهل الحجاز ، والكسائي « السلم » - بفتح السين - . الباقون
- بكسر ها -

اللفظ :

قال الأخفش : السلم - بكسر السين - : الصلح ، وفتحها ، وفتح اللام :
الاستسلام . وقال الزجاج : السلم جميع شرائعه . ويقال : السلم ، والسلم معناها
الاسلام ، والصلح . وفيه ثلاث لغات : كسر السين ، وفتحها مع تسكين اللام ،
وفتحها . وقال أبو عبيدة : السلم - بكسر السين - والاسلام واحد ، وهو في موضع
آخر المسالمة ، والصلح .

المعنى :

وقال ابن عباس ، والسدي ، والضحاك ، ومجاهد : معنى السلم هاهنا الاسلام ، وبه
قال قتادة . وقال الربيع : معناه ادخلوا في الطاعة ، وهو اختيار البلخي قال : لأن الخطاب
للمؤمنين بقوله : « يا أيها الذين آمنوا » واختار الطبري الوجه الأول ، والأمران
جميعاً عندنا جائزان محتملان ، وحملها على الطاعة أعم ، ويدخل فيه ما رواه أصحابنا
من أن المراد به الدخول في الولاية ، قال أبو علي : من قرأ بفتح السين ، ذهب إلى أن
معناه : المسالمة ، والصلح ، وترك الحرب باعطاء الجزية . ومن كسر ها ، اختلفوا
منهم من حمله على الاسلام ، ومنهم من حمله على الصلح أيضاً .

اللفظ :

وقوله تعالى : « كفة » معناه جميعاً ، وهو نصب على الحال من ضمير المؤمنين .
وقيل من حال السلم ، واشتقاقه في اللغة مما يكف الشيء في آخره ، من ذلك كفة
القميص ، يقال لحاشية القميص : كفة . وكل مستطيل ، فخره كفة . ويقال في كل
مستدير : كفة ، نحو كفة الميزان . وإنما سميت كفة الثوب ، لأنها تمنعه أن ينتشر .
وأصل الكف : المنع ، ومنه قيل لطرف اليد : كف ، لأنها يكف بها عن سائر البدن :
وهي الراحة مع الأصابع ، ومن هذا قيل : رجل مكفوف أي قد كف بصره أن
يبصر ، وكف من الشيء يكف كفاً : إذا انقبض عنه . وكل شيء جمته ، فقد
كففته . واستكف السائل : إذا بسط كفه يسأل . واستكف القوم بالشيء : إذا
أحدقوا به . وتكفف السائل : إذا مد كفه للسؤال . ولقيته كفة الكفة : إذا
لقيته مفاجأة . والمكفوف : الأعمى . والكفف : دارات الوسم . والكفة : ما يصاد
به الطباء : كالطوق .

المعنى :

فمضى الآية على هذا : ابلغوا في الاسلام إلى حيث تنتهي شرائعه ، فتكفوا
من أن تعدوا شرائعه . وادخلوا كلكم حتى يكف عن عدد واحد لم يدخل فيه .
وقيل : معنى الآية : أن قوماً من اليهود أسلموا وأقاموا على تحريم السبت ، وتحريم
لحم الابل ، فأمرهم الله تعالى أن يدخلوا في جميع شرائع الاسلام . وقال بعض أهل
اللغة : جائز أن يكون أمرهم وهم مؤمنون أن يدخلوا في الإيمان : أي يقيموا على
الإيمان كما قال : « يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله رسوله » (١) وكلا القولين جائز .
وقوله « ولا تتبعوا خطوات الشيطان » أي لا تتبعوا آثاره ، لأن تركهم
شيئاً من شرائع الاسلام اتباع الشيطان . وخطوات : جمع خطوة وفيها ثلاث
لغات : خطوات - بضم الطاء ، وفتحها ، واسكانها .

وقوله تعالى : « إنه لكم عدو مبين » عداوته للمؤمنين . وإبانة عداوته لنا هو أن يذسها لمن يراه من الملائكة ، والجن ، ونحن وإن لم نشاهده ، فقد علمنا معاداته لنا ، ودعاه إيانا إلى المعاصي ، فجاز أن يسمى ذلك إبانة . وقال الجبائي : أبان عداوته لآدم والملائكة (ع) ، فكان بذلك مبيناً لعداوته إيانا .

قوله تعالى :

فَإِنْ زَلَّاتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) آية واحدة .

المعنى واللغة ::

أنزل الله تعالى هذه الآية ، وقد علم أنه سينزل الزآلون من الناس ، فتقدم في ذلك ، وأوعد فيه ، لكي تكون الحججة على خلقه . يقال : زلّ يزلّ زلاً ، وزللاً ، ومزلاً ، وزلولاً . ومعنى الآية « فان زلتم » بمعنى تنحيتهم عن الفصد ، والشرائع ، وتركتم ما أتم عليه من الدين « من بعد ما جاءكم البينات فأعلموا أن الله عزيز » في نعمته « حكيم » في أمره ، لا تعجزونه ، وحكيم فيما شرع لكم من دينه ، وفطرتم عليه ، وفيما يفعل بكم من عقوبة على معاصيكم إياه بعد إقامة الحججة عليكم . وذكر جماعة من أهل التأويل : أن « البينات » هم محمد (ص) والقرآن ، ذهب إليه السدي ، وابن جريج ، وغيرهما . وقيل : زلّ في الآية : مجاز تشبيهاً بمن زلّ عن قصد الطريق ، وحقيقته : عصيتم الله فيما أمركم به أو نهاكم عنه . والأولى أن يكون ذلك حقيقة بالمعرف .

وفي الآية دلالة على بطلان مذهب الجبرة : أن الله يريد القبيح ، لأنه لو أراد ما صح وصفه بأنه حكيم . فان قيل : سراه زلّ العباد أو لم يزلوا ، وجب أن يعلم أن الله عزيز حكيم فما معنى الشرط ؟ قيل ، لأن معنى « عزيز » هو القادر الذي لا يجوز عليه المنع من عقابكم « حكيم » في عقوبته إياكم ، فكأنه قال : فأعلموا أن العقاب واقع بكم لا محالة ، لأنه عزيز لا يجوز أن يحول بينه وبين عقوبتكم حائل ،

ولم يمنعه مانع « حكيم » في عقوبته إياكم ، وذلك أن حري لهم وصفه بأنه عزيز
أنه قدير لا يمنع ، لأنه قادر لنفسه . و « حكيم » معناه عليم بتدبير الأمور .
ويقال : « حكيم » في أفعاله بمعنى محكم لها . وأصل العزة الامتناع ، ومنه أرض
عزاز : إذا كانت ممتنعة بالشدة وأصل الحكمة المنع من قول الشاعر :

أبني حنيفة أحكوا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضباً (١)
ومنه حكمة الدابة

قوله تعالى :

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ اللَّيْلِ
وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٢١٠) آية
واحدة .

الفراة :

قرأ أبو جعفر « والملائكة » بالخفض . الباقون بضمها . وقرأ ابن عامر ،
وحمة ، والكسائي « ترجع الأمور » بفتح التاء . الباقون بضمها .

المعنى :

الظلل : جمع ظلة . ومعنى الآية أن يأتيهم عذاب الله ، وما توعدهم به على
معصيته ، كما قال : « فاتأثم الله من حيث لم يحتسبوا » (٢) أي آتاهم خذلانه إياهم .
والمختار عند أهل اللغة الرفع في « الملائكة » عطفاً على الله ، كأنه قال : وتأتيهم
الملائكة . ومن كسر عطف على ظلل ، وتقديره في ظلل من الغمام ، وظلل من
الملائكة .

وقوله : « وقضى الأمر » أي فزع لهم مما كانوا يوعدون به .

« ١ » قائله جرير ، ديوانه ١ : ٢٣ ، واللسان « حكيم » .

« ٢ » سورة الحشر آية : ٢ .

وقوله : « والى الله ترجع الأمور » لا يدلّ على أن الأمور ليست إليه الآن وفي كل وقت . ومعنى الآية الاعلام في أمر الحساب ، والثواب ، والعقاب أي إليه ، فيعذب من يشاء ، ويرحم من يشاء ، فلا حاكم سواه . ويحتمل أن يكون المراد : أنه لا أحد ممن يملك في دار الدنيا إلا ويؤزل ملكه ذلك اليوم .

وشبهت الأحوال بالظلال من الغمام ، كما قال : « موج كالأظلال » (١) ومعنى الآية : ما ينظرون - يعني المكذبين بآيات الله - محمداً وما جاء به من القرآن والآيات إلا أن يأتيهم أمر الله وعذابه « في ظلل من الغمام والملائكة » ، فهل بمعنى (ما) ، كما يقول القائل : هل يطالب بمثل هذا إلا متمنت أي ما يطالب . وينظرون - في الآية - بمعنى ينتظرون . وقد يقال : أتى وجاء فيما لا يجوز عليه المجيء ، والذهاب ، يقولون أتاني وعيد فلان ، وكلام فلان ، وكل ذلك لا يراد به الاثبات الحقيقي قال الشاعر :

أتاني كلام من نصيب يقوله وماخفت ياسلام أنك عائي (٢)
وقال آخر :

أتاني نصرهم وهم بعيد بلادهم بلاد الخيزران (٣)

فكأن المعنى في الآية : إن الناس في الدنيا يعتصم بعضهم ببعض ، ويفزع بعضهم الى بعض في الكفر والعصيان ، فاذا كان يوم القيامة انكشف الغطاء ، وأيقن الشاك ، وأقر الجاحد ، وعلم الجاهل ، فلم يعصم أحدهم الله أحداً ، ولم يكن له من دون الله ناصر ، ولا من عذابه دافع ، وعلم الجميع أن الأمر كله لله .
قوله تعالى :

سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢١١) آية واحدة .

« ١ » سورة لقمان آية : ٣٢ .

« ٢ » البيت في نوادر أبي زيد : ٤٦ ، ومعاني القرآن للفراء : ١ : ١٤٦ .

« ٣ » البيت للناطقة الجمعدى اللسان (خزرو) في المطبوعة (بارض) بديل (بلاد) .

الفراصة :

أهل الحجاز يقولون : سل بغير همز . وبعض بني تميم يقولون : اسأل بالهمز ،
وبعضهم يقولون : اسل بالالف و طرح الهمز - والأولى أحسنها لأنها خط المصحف .

المعنى :

وفي الآية تنبيهه وتقرير لالكفار من بني اسرائيل ، ونظيره قول الرجل في
صاحبه إذا فزعه وربحه وأراد أن يلزمه الحججة ، ويبين عن كفرانه للنعمة ليوقع
به العقوبة - لمن يحضرته - : سله كم أعددت له وحذرته .

والآيات البيّنات ما ذكرها الله تعالى : من قلب عصا موسى حية ، ويده البيضاء ،
وفلقه البحر ، وتفريق عدوهم من فرعون وأصحابه ، وظليله عليهم الغمام ، وإنزال
المن والسلوى ، وذلك من آيات الله التي أنى بها بني اسرائيل ، فخالفوا جميع ذلك ،
وقتلوا أنبياءه ، ورسله ، وبدّلوا عهده ، ووصيته إليهم .

وقوله : « ومن يبدل نعمة الله » معناه : يغير يعني بها الاسلام ، وما فرض
فيه من شرائع دينه بعد ما عهد إليه وأمره به من الدخول في الاسلام ، والعمل
بشرائعه ، فيكفر به ، فإنه يعاقبه بما أوعده على الكفر به من العقوبة « والله شديد
العقاب » . وقال الزجاج : فيه حذف وتقديره شديد العقاب له ، ويجوز أن يكون
معناه : شديد العقاب لكل من يستحقه ، فيدخل فيه هذا المذكور ، فأما أن يكون
على معنى شديد العقاب لغيره ، فلا يجوز إذا لم يكن المذكور مدخل فيه . وفي
الآية دلالة على فساد قول المجبرة : من أنه ليس لله على الكافر نعمة ، لأنه حكم عليهم
بتبديل نعم الله ، كما قال : « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون » (١)
وقال : « بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار » (٢) .

« ١ » - سورة النحل آية : ٨٣ .

« ٢ » - سورة ابراهيم آية : ٢٨ .

قوله تعالى :

زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ
آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ
بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢) آية واحدة .

المعنى :

إنما ترك التأنيث في قوله زَيْن والفعل فيها مسند الى الحياة وهي المرتفعة به ،
لأنها لم يسم فاعلها لشيئين :

أحدهما - أن تأنيث الحياة ليس بحقيقي ، وما لا يكون تأنيثه حقيقياً ، جاز
تذكيره ، كقوله تعالى : « فمن جاءه موعظة من ربه » (١) وقوله : « قد جاءكم
بصائر » (٢) « وأخذ الذين ظلموا الصيحة » (٣) .

والثاني - أنه لما فصل بين الفعل والفاعل بغيره ، جاز ترك التأنيث ، وقد ورد
ذلك في التأنيث الحقيقي ، وهو قولهم حضر القاضي اليوم امرأة ، فإذا جاز ذلك في
التأنيث الحقيقي ، ففيما ليس بحقيقي ، أجوز ، وقد قيل : إنما ترك التأنيث في هذا
الموضع ، لأنه قصد بها المصادر ، فترك لذلك التأنيث . وقيل في معنى تزين الحياة
الدنيا قولان :

أحدهما - قال الحسن ، والجبائي ، وغيرهما - أن الزين لهم إبليس وجنوده ،
لأنهم الذين يغوون ، ويقوون دواعيه ، ويحسنون فعل الفبيح ، والاخلال بالواجب
ويسوفون لهم التوبة ، فأما الله تعالى ، فلا يجوز أن يكون الزين له ، لأنه زهد
فيها ، فأعلم أنها متاع الفرور ، وتوعد على ارتكاب القبائح فيها .
والقول الثاني - إن الله تعالى خلق فيها الأشياء المعجبة ، فنظر إليها الذين
كفروا بأكثر من مقدارها ، كما قال : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين

« ٢ » سورة الانعام آية : ١٠٤ .

« ١ » سورة البقرة آية : ٢٧٥ .

« ٣ » سورة هود آية : ٦٧ .

والقناطير المنقطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث « (١) وإنما أراد بذلك ما جبل الخلق عليه من الميل الى هذه الاشياء ، لا أنه حسن جميعها ، ولم يقبح شيئاً منها ، وكلاهما جائزان حسنان .

والترين ، والتحسين واحد ، والزين : خلاف الشين ، والزينة : اسم جامع لكل ما يترين به ، وهذا أمر زاین له أي مزین له .

وقوله : « ويسخرون من الذين آمنوا » معناه : أن قوماً من المشركين كانوا يسخرون من قوم من المسلمين ، لأن حالهم في ذات اليد كانت قليلة ، فأعلم الله تعالى : أن الذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ، لأن المسلمين في عليين ، والفجار في الجحيم ، كما قال تعالى : « إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون » (٢) ثم أخبر عن المؤمنين أنهم يضحكون منهم - في الآخرة - ، فقال : « فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون » (٣) .

وقوله : « والله يرزق من يشاء بغير حساب » قيل فيه خمسة أقوال : أحدها - أن معناه : أنه يعطيهم الكثير الواسع الذي لا يدخله الحساب من كثرته .

الثاني - أنه ليس يرزق المؤمن على قدر إيمانه ، ولا الكافر على قدر كفره في الدنيا ، ولكن الرزق في الآخرة على قدر العمل ، وما يتفضل الله به ، ويضاعف به عن رجل على المؤمنين ما يشاء من فضله زيادة على كفايته .

الثالث - أنه يعطي عطاء لا يأخذه بذلك أحد ، ولا يسأله عنه سائل ، ولا يطالب عليه بجزاء ، ولا مكافأة ، ولا يثبت ذكره مخافة الاعداء ، والاقبال ، لأن عطيته ليست من أصل ينقص ، بل خزائنه لا تنفد ، ولا تنفذ (جل الله تعالى) .

الرابع - قال قطرب معناه : أنه يعطي العدد من الشيء ، لا مما يضبط بالحساب ، ولا يأتي عليه العدد ، لأن ما يقدر عليه غير متناه ، ولا محصور ، فهو

« ٢ » - سورة المطففين آية : ٢٩ .

« ١ » - سورة آل عمران آية : ١٤ .

« ٣ » - سورة المطففين آية : ٣٤ .

يعطى الشيء لا من عدد أكثر منه ولا ينقص منه كالمعطى من الآدميين الألف من الألفين والعشرة من المائة .

والخامس - قال بعضهم : إنما عنى بذلك إعطاء أهل الجنة ، لأن الله تعالى يعطيهم ما لا يتناهى ، ولا يأتي عليه الحساب ، فكل ذلك حسن جائز ، وإنما قال : « والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة » ولا فضل للكفار في الآخرة لأمرين : أحدهما - أن أحوالهم في الآخرة فوق حال هؤلاء الكفار في الدنيا . والثاني - أن يكون محمولا على قوله تعالى « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً » (١) وكما قال حسان يعني رسول الله وأبا جهل .

فشر كما ظير كما الفداء (٢)

ومعنى « يسخرون من الدين آمنوا » أي يهزؤون بهم في زهدهم في الدنيا ، لأنهم يومئذ أنهم على حق ، ويفهم أنهم أن اعتقادهم بخلاف ذلك . قوله تعالى :

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأُنزِلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣) آية واحدة بلا خلاف .

الفراة :

قرأ أبو جعفر المدني « ليحكم » - بضم الياء - الباقون بفتحها .

« ١ » - سورة الفرقان آية : ٢٤ .

« ٢ » انظر ١ : ١٠١ من هذا الكتاب

المعنى:

معنى قوله: « كان الناس أمة واحدة » أهل ملة واحدة كما قال النابغة:
 حلفتُ فلم أترك لنفسك ربيبة وهل يأتمن ذو أمة وهو طائع (١)
 أي ذو ملة ودين . وأصل الأمة الأُم من قولك : أُم يؤم أماً : إذا قصدته .
 وهي على أربعة أوجه :

فالأمة: الملة ، والأمة : الجماعة ، والأمة : المنفر بالمقابلة ، والأمة : القابلة .
 واختلفوا في الدين الذي كانوا عليه ، فقال ابن عباس ، والحسن ، واختاره
 الجبائي : إنهم كانوا على الكفر . وقال قتادة ، والضحاك : كانوا على الحق ، فاختلفوا .
 فان قيل : إذا كان الزمان لا يخلو من حجة كيف يجوز أن يجتمعوا كلهم على الكفر ،
 قلنا : يجوز أن يقال ذلك على التغليب لأن الحجة إذا كان واحداً أو جماعة يسيرة ،
 لا يظهرون خوفاً وتقية ، فيكون ظاهر الناس كلهم الكفر بالله ، فلذلك جاز الاخبار
 به على الغالب من الحال ، ولا يعتمد بالعدة القليلة .

وقوله : « وأنزل معهم الكتاب بالحق » قيل في معناه قولان :
 أحدهما - بما فيه من البيان عن الحق من الباطل - الثاني - أن معناه : بأنه
 حق للاستصلاح به على ما توجبه الحكمة فيه .

وقوله : « ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » تحقيقته ، ليحكم منزل الكتاب ،
 لأن الله هو الحاكم بما أنزل فيه ، فهو مجاز - في قول الجبائي - قال : إلا أنه
 جعل اللفظ على الكتاب تفخيماً له ، لما فيه من البيان . ويجوز أن يكون في يحكم
 ضمير اسم الله ، فيكون حقيقة . ومن ضم الياء قراءته لا شبهة فيها . والمعنى ليحكم
 الناس أو العلماء بما فيه من الحق .

وقوله تعالى : « وما اختلف فيه » الهاء عائدة على الحق . وقيل على الكتاب .
 والأول أصح ، لأن اختلفهم في الحق قبل إنزال الكتاب . فان قيل : إذا
 كانوا مختلفين على إصابة بعضهم له ، فكيف يكون الكفر عنهم به ؟ قلنا : لا يمتنع

(١) ديوانه : ٤٠ ، واللسان (أمم) من قصيدته في اعتذاره للنعمان .

أن يكون الكل كفاراً ، وبعضهم يكفر من جهة الغلو ، وبعضهم من جهة التقصير كما كفرت اليهود ، والنصارى في عيسى (ع) ، فقالت النصارى : هو ربّ ، فقالوا . وقصرت اليهود ، فقالوا : كذاب متخرص . فإن قيل : كيف يكون الكل كفاراً مع قوله : « فهدى الله الذين آمنوا » ؟ قلنا : لا يمتنع أن يكونوا كلهم كانوا كفاراً ، فلما بعث الله إليهم بالأنبياء مبشرين ، ومنذرين اختلفوا ، فأمن قوم ، ولم يؤمن آخرون .

وروي عن أبي جعفر (ع) أنه قال : كانوا قبل نوح أمة واحدة على فطرة الله ، لا مهتدين ، ولا ضالّين ، فبعث الله النبيين .

الاعراب :

وقوله تعالى : « بغياً بينهم » نصب على المفعول له ، كأنه قال للبغى بينهم - على قول الأَخفش ، والزجاج - . وقال بعضهم : الاستثناء متملق بثلاثة أشياء ، كأنه قال : « وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه » ، ما اختلفوا فيه إلا من بعد ما جاءتهم البينات ، ما اختلفوا فيه إلا بغياً بينهم . إلا أنه حذف الثاني لدلالة الأول عليه . قال الرماني : والصحيح الأول ، لأنه لا يحكم بالحذف مع استقامة الكلام من غير حذف إلا لعذر .

المعنى :

وقوله : « فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه » معناه : هداهم للحق ، وهو الذي اختلفوا فيه . وقيل في معنى باذنه قولان : أحدهما - بلطفه ، ولا بد من محذوف على هذا التأويل ، أي فاهتدوا باذنه ، لأن الله عز وجل ، لا يفعل الشيء باذن أحد يأذن له فيه ، ولسكن قد يجوز أن يكون على جهة التفسير للهدى ، كأنه قال : هداهم بأن لطف لهم ، وهداهم بأن أذن لهم . وقال الجبائي : لا بد من أن يكون على حذف (فاهتدوا) باذنه . والقول الثاني - هداهم بالحق بعلمه ، والاذن بمعنى العلم معروف في الآية قال

الحارث بن حلزة :

آذنتنا بينها أسماء (١)

أي أعلمتنا . وهو قول الزجاج ، وغيره من أهل اللغة . فأن قيل : إذا كانوا إنما هدوا للحق من الاختلاف فلم قيل : للاختلاف من الحق ؟ قيل : لأنه لما كانت العناية بذكر الاختلاف ، كان أولى بالتقديم ، ثم تفسيره بـ (من) . وقال الفراء هو من المقلوب نحو قول الشاعر :

كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم (٢)
وإنما الرجم فريضة الزنا . وكما قال الآخر :

إن سراجاً لكريم مفخرة تحلى به العين إذا ما تجره (٣)

وإنما يحلى هو بالعين . قال غيره إنما يجوز القلب في الشعر للضرورة . ووجه الكلام على ما بيناه واضح . فإن قيل : ما الهدى الذي اختص به من يشاء ؟ قيل فيه ثلاثة أقوال : قال الجبائي : اختص به المكافين دون غيرهم ممن لا يحتمل التكليف ، وهو البيان ، والدلالة . والثاني - قال : ويجوز أن يكون هداً على طريق الجنة ، ويكون للمؤمنين خاصة . وقال ابن الأُخْشَاد ، والبلخي : يجوز أن يكون هداً باللطف ، فيكون خاصاً لمن علم من حاله أنه يصلح به . ولا يجوز أن يكون المراد بالهداية هاهنا الارشاد إلى الدين ، ونصب الدلالة عليه ، لأنه تعالى لا يخص بذلك قوماً دون قوم ، بل لا يصلح التكليف من دونه . وقد بين الله تعالى : أن اختلافهم كان بعد أن جاءتهم البينات فعم بذلك جميعهم ، فلو أراد الله بقوله « فهدى الله الذين آمنوا » بالبينات ، لكان متناقضاً - اللهم - إلا أن يحمل ذلك على أنه أضاف إليهم الهداية ، من حيث كانوا هم المنتفعين بها ، والمتبعين لها ، فكأنهم كانوا هم المخصوصين بها كما قال : « هدى للمتقين » (٤) وقوله تعالى : « إنما تنذر من اتبع الذكر » (٥)

« ١ » انظرا : ٣٨٠ من هذا الكتاب .

« ٣ » انظر ٢ : ٧٩ .

« ٢ » انظر ٢ : ٧٩ .

« ٥ » سورة يس آية : ١١ .

« ٤ » سورة البقرة آية : ٢ .

« وإنما أنت منذر من يخشاها » (١) وإن كان منذراً لجميعهم ،
والذي يقوى ذلك قوله : « وأما ثمود فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى » (٢)
فبين أنه هداهم . وإنما لم يهتدوا ، فكيف يجوز أن تحمل الهداية على نصب الدلالة ،
وإقامة الحججة على قوم دون قوم . والفرق بين : هدى المؤمنين الى الايمان ، وبين
أنعم عليهم بالايمان ، قال الجبائي : إن الهدى للايمان غير الايمان ، والانعام
بالايمان هو نفس الايمان . والصحيح أنه هداه بالايمان يجري مجرى قوله : أنعم
عليه بالايمان لأنه يراد بذلك التمكن منه . والافتقار عليه والدعاء إليه ولا يراد
به نفس الايمان .

وقوله : « والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » أي الى طريق الدين

الواضح .

واختلفوا في الامة المعنية بهذه الآية ، فقال ابن عباس ، وقناة : هم الذين
كانوا بين عاد ، ونوح ، وهم عشر فرق كلهم كانوا على شريعة من الحق ، فاختلّفوا
بعد ذلك . فالتقدير - على قول هؤلاء - كان الناس أمة واحدة فاختلّفوا فبعث الله
النبیین . وقال مجاهد : المراد بالآية آدم ، فبعث النبيين الى ولده ، لما اختلفوا . وقال
أبي بن كعب ، والربيع : كان الناس أمة حين استخرجوا من ظهر آدم ، فأقروا
له بالعبودية ، واختلفوا فيما بعد ، فبعث الله اليهم النبيين . وقال ابن عباس في رواية
أخرى : كانوا أمة واحدة على الكفر ، فبعث الله النبيين . وقال السدي : كانوا على
دين واحد من الحق ، فاختلّفوا ، فبعث الله النبيين . وقال الربيع والطبري : الكتاب
الذي اختلفوا فيه التوراة . وقال آخرون كل كتاب أنزل الله مع النبيين .

قوله تعالى :

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ
خَالَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ

« ١ » - سورة النازعات آية : ٤٥ .

« ٢ » - سورة هود السجدة آية : ١٧ .

الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى كُفِرَ اللَّهُ إِلَّا إِنْ كُفِرَ اللَّهُ
قَرِيبٌ (٢١٤) آية واحدة .

الفراة والنزول :

قرأ نافع « حتى يقول الرسول » بضم اللام . الباقون بنصبها .
ذكر السدي ، وقتادة ، وغيرهما من أهل التفسير : أن هذه الآية نزلت يوم
الخنديق لما اشتدت المخافة ، وحوصر المسلمون في المدينة ، ، واستدعاهم الله الى الصبر ،
ووعدهم بالنصر .

الاعراب والغز :

وقال الزجاج : معنى (أم) هاهنا بمعنى (بل) . وقال غيره : هي بمعنى
الواو . وإنما حسن الابتداء بـ (أم) لاتصال الكلام بما تقدم ، ولو لم يكن قبله
كلام ، لما حسن . والفرق بين (أم حسبتم) وبين (أحسبتم) أن (أم) لا تكون
إلا متصلة لكلام ، معادلة للألف ، أو منقطعة ، فالمعادلة نحو (أزيد في الدار أم
عمرو) فالمراد أيهما في الدار ، والمنقطعة نحو قولهم : (إنها لا بل أم شاء يافتي) ،
وأما الألف ، فتكون مستأنفة . وإنما لم يجز في (أم) الاستئناف ، لأن فيها
معنى (بل) كأنه قيل : (بل حسبتم) . وحسبت ، وظننت وختل نظائر .
وقوله تعالى : « ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم » معناه ولما تمتحنوا ،
وتبتلوا بمثل ما امتحنوا ، فتصبروا كما أصبروا . وهذا استدعاء الى الصبر وبعده
الوعد بالنصر .

والمثل ، والشبه واحد ، يقال : مثل ومثل ، مثل شبه وشبه . و « خلوا »

معناه مضوا .

وقوله : « مستهم » فإلمس ، واللمس واحد . والبأساء ضد النعاه ، والضراء

ضد السراء .

وقوله : « زلزلوا » معناه هاهنا : أزعجوا بالمخافة من العدو . والزلزلة : شدة

الحركة . والزلازل : البلبلة المزعجة بشدة الحركة ، والجمع زلازل ، ويقال : زلزل الأرض يزلها زلزلاً ، وتزلزل تزلزلاً ، مثل تدكدك تدكدكاً ، وأصله زل ، وإنما ضوعف ، مثل صرصر ، وصلصل .

وقوله : « حتى يقول الرسول » من نصب اللام ، ذهب الى تقدير : الى أن يقول الرسول ، فيكون على معنى الاستقبال إذا قدرت معها (أن) ، وهو يشبه الحكاية ، كأنك تقدر حالا ، ثم استأنف غيره فعلا ، كما تستأنف عن حال كلامك . ويوضح ذلك (كان زيد سيقول كذا وكذا) . وإنما قدرت بكان زيد وقتاً ، ثم يستأنف عنه فعلا ، فكذلك « زلزلوا » قد دلّ على وقت ، ثم استأنف بعده الفعل . ومن رفع ، فعلى الحال للفعل المذكور ، والحال لكلام المتكلم ، وذلك القول قد يكون في حال الزلزلة . فأما الغاية فلا يكون إلا بعد تقضيها وإن كان متصلاً بها ، والرفع يوجب التأديبة بمعنى : أن الزلزلة أدت الى قول الرسول . فأما النصب ، فيوجب الغاية ، فقد حصل الفرق بين الرفع والنصب من ثلاث جهات :

الأول - أن أحدها على الحال ، والآخر على الاستقبال . والثاني - أن أحدها قد انقضى ، والآخر لم ينقض . والثالث - أن أحدها على الغاية ، والآخر على التأديبة . ومعنى الغاية في الآية أظهر ، لأن النص جاء عند قول الرسول ، فلذلك كان الاختيار في القراءة النصب .

المعنى :

فان قيل : ما معنى قول الرسول والمؤمنين : « متى نصر الله »؟ قلنا : قال قوم : معناه الدعاء لله بالنصر ، ولا يجوز أن يكون معناه الاستبطاء لنصر الله على كل حال لأن الرسول يعلم : أن الله لا يؤخره عن الوقت الذي توجبه الحكمة . وقال قوم : معناه الاستبطاء لنصر الله . وذلك خطأ ، لا يجوز مثله على الأنبياء (ع) إلا أن يكون على الاستبطاء لنصره لما توجبه الحكمة من تأخره . والنصر ضد الخذلان . والقريب ضد البعيد . والقرب والدنو واحد . ومن قال : إن ذلك على وجه الاستبطاء قواه بما بعده من قوله « ألا إن نصر الله قريب » .

اللغز :

وأصل (لما) (لم) فزبد عليها (ما) فغيرت معناها ، كما غيرت في (لو) لما زيد عليها (ما) إذا قلت : (لوما) فصارت بمعنى هلا . والفرق . بين (لم) و (لما) أن (لما) يصح أن يوقف عليها ، مثل قولك : أقدم زيد ؟ فيقول : لما ، ولا يجوز (لم) ، وفي (لما) توقع لأنها عقيبة (قد) ، إذا انتظر قوم ركوب الأمير ، قلت : قد ركب ، فان نفيت هذا قلت : لما يركب ، وليس كذلك (لم) ، ويجمعهما نفي الماضي .

قوله تعالى :

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ
فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا
تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥) آية واحدة .

المعنى :

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها : أن الآية الأولى فيها دعاء الى الصبر على الجهاد في سبيل الله ، وفي هذه بيان لوجه النفقة في سبيل الله ، وكل ذلك دعاء الى فعل البر .

والنفقة : إخراج الشيء عن الملك ببيع ، أو هبة ، أو صلة ، أو نحوها ، وقد غلب في العرف على إخراج ما كان من المال : من عين ، أو ورق .
وقوله « يسألونك » خطاب للنبي (ص) بأن القوم يسألونه ، والسؤال : طلب الجواب بصيغة مخصوصة في الكلام .

وذكر السدي : أن هذه الآية منسوخة بفرض الزكاة . وقال الحسن : ليست منسوخة ، وهو الأقوى ، لأنه لا دليل على نسخها .

والجواب المطابق لقوله : « يسألونك ماذا ينفقون » أن يقول : قل النفقة

التي هي خير ، وإنما عدل عنه لحاجة السائل الى البيان الذي يدل عليه ، وعلى غيره ، وذلك بحسن من الحكماء اذا أرادوا تعليم غيرهم ، وتبصيرهم أن يضمنوا الجواب مع الدلالة على المسؤل عنه الدلالة على ما يحتاج إليه السائل في ذلك المعنى مما أغفله أو حذف السؤال عنه لبعض الأسباب المحسنة له . فأما الجدل الذي يضابق فيه الخصم ، فالأصل فيه التحقيق ، بأن يكون الجواب على قدر السؤال من غير زيادة ولا نقصان ، ولا عدول عما يوجبه نفس السؤال ، لأن كل واحد من الخصمين قد حل محل النظير للآخر .

ولا يجوز إعطاء الزكاة للوالدين ، وكل من تلزمه نفقته - وبه قال الحسن - والآية عامة في الزكاة وفي التطوع - وبه قال الحسن - غير أنها فيمن تلزمه النفقة عليه ، خاصة بالنفقة .

الاعراب :

وموضع (ما) في قوله : « ماذا ينفقون » من الاعراب يحتمل وجهين : الرفع ، والنصب ، الرفع على ما الذي ينفقون ، فيكون المعنى الذي ، وينفقون صلة ، والنصب بمعنى أي شيء ينفقون ؛ فيكون (ذا) و (ما) بمنزلة شيء واحد . والمساكين جمع مسكين وهو المحتاج .

المعنى :

ومعنى قوله : « فان الله به عليم » اي ما تعملوا من خير فان الله يجازي عليه من غير أن يضيع منه شيء ، لأنه عليم لا يخفى عليه شيء . قال مجاهد : معنى « يسألونك ماذا ينفقون » إنهم سألوا ما لهم في ذلك ، فقال الله تعالى : « قل ما أنفقتم من خير » الآية . وقال قتادة : أهمتهم النفقة ، فسألوا عنها النبي (ص) فأنزل الله « قل ما أنفقتم من خير » الآية .

قوله تعالى :

كَيْتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا

سَيِّئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) آية واحدة .

المعنى :

معنى قوله تعالى : « كتب عليكم القتال » فرض عليكم القتال ، وهذه الآية
دالة على وجوب الجهاد ، وفرضه ، وبه قال مكحول ، وسعيد بن المسيب ، وأكثر
المفسرين ، غير أنه فرض على الكفاية . وحكي عن عطا : أن ذلك كان على الصحابة ،
والصحيح الأول ، لحصول الاجماع عليه اليوم ، وقد انقرض خلاف عطا .

اللفظ :

وقوله : « وهو كره لکم » يقال : كره كراهة ، وأكرهه إكراهاً : إذا
أجبره ، وتكرهه تكراً ، واستكرهه استكراهاً ، وكرهه تكريهاً . والكراهة :
المشقة التي يحمل عليها ، والكره : المشقة من غير أن يحمل عليها . وقيل : هما لغتان ،
مثل ضعف ، وضعف . وجمل كره : شديد الرأس ، لأنه لا ينقاد إلا على كره ،
والكراهية : الشديد في الحرب ، لأنه يدخل فيها على كره . وكراهية (١) الدهر :
نوازله ، وكرهت الأمر كراهة وكراهية ومكرهه ، وكره إليّ هذا الأمر تكريهاً :
أي صيره إليّ بحال كراهية . والكرهاء : صفة الوجه ، لأن الكره يظهر فيها .

المعنى ، واللفظ ، والاعراب :

فان قيل : كيف كره المؤمنون الجهاد ، وهو طاعة لله ؟ قيل عنه جوابان :
أحدهما - أنهم يكرهونه كراهية طباع . والثاني - أنه كره لكم قبل أن
يكتب عليكم ، وعلى الوجه الأول يكون لفظ الكراهة مجازاً ، وعلى الثاني حقيقة .
وقوله : « عسى » معناه الطمع ، والاشفاق من المخاطب ، ولا يكون إلا مع
مثلة في الأمر . وقيل : معناها هاهنا قد ، وإنما قال : « عسى » وقال في موضع آخر :

« فهل عسيتم » فجمع ، لأنه استغنى في الغائب عن الجمع كما استغنى عن علامة الضمير في اللفظ ، وليس كذلك المخاطب ، فخرى في كل غائب على التوحيد ، لامتناعه من من التصريف . وتقول : عسى أن يقوموا ، فإذا قلت : عسيتم أن تقوموا جمعت .
وفي قوله « وهو كره لكم » حذف - في قول الزجاج وغيره - لأن تقديره وهو ذو كره لكم ، ويجوز أن يكون معناه : وهو مكروه لكم ، فوقع المصدر موقوع إسم المفعول ، ومثله قولهم : رجل رضى بمعنى ذو رضى ، ويجوز أن يكون بمعنى مرضي .

وقوله : « وهو شر لكم » فالشر السوء ، وهو ضد الخير ، تقول : شرّ يشرّ شرارة . وشرار النار ، وشررها لهبها ، وشررت اللحم والثوت تشريراً : إذا بسطته ، ليحف ، وكذلك أشررته إشراراً ، وأشررت الكتاب : إذا أظهرته ، وشرّة الشباب : نشاطه ، وإنما قال الله تعالى : « والله يعلم » ، تنبيهاً على أنه يعلم مصالحكم ، وما فيه منافعكم ، فبادروا إلى ما يأمركم به وإن شق عليكم .

والفرق بين الشهوة ، والمحبة واضح ، لأن الصائم في شهر رمضان يشتهي شرب الماء ، ولا يكون مأخذاً به ، ولا يحبه كما لا يريد ، ولو أراد وأجبه ، لكان مذموماً ، ويكون مفطراً - عند كثير من الفقهاء - .

وقوله : « والله يعلم وأنتم لا تعلمون » يدل على فساد قول المجبرة ، لأنه تعالى إنما رغبتهم في الجهاد ، لما علم من مصالحهم ، ومنافعهم ، فيدبرهم لذلك ، لا لكفرهم وفسادهم يتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قوله تعالى :

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ
وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ
أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ
حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن

دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ السَّعِيرِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧) آية واحدة
بلا خلاف .

اختلفوا في : من السائل عن هذا السؤال : أم أهل الشرك ، أم أهل الاسلام ،
فقال الحسن ، وغيره : هم أهل الشرك على جهة العيب للمسلمين باستحلالهم القتال في الشهر
الحرام ، وبه قال الجبائي ، وأكثر المفسرين . وقال البلخي : هم أهل الاسلام ،
سألوا عن ذلك ليعلموا كيف الحكم فيه .

الاعراب :

وقوله تعالى : « قتال فيه » مجرور على البدل من الشهر ، وهو من بدل
الاشتمال ، ومثله قوله تعالى : « قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود » (١)
وقال الأعشى :

لقد كان في حول ثوابِ ثويته تقضي لبانات ويسأم سأم (١)
والذي يشتمل عليه المعنى هو أحوال الشيء ، وما كان منه بمنزلة أحواله مما
ينقلب تعلق الفعل به ، فلا يجوز رأيت زيدا لونه ، لأن لونه يجوز أن يرى كما يجوز
أن يرى نفسه ، ويجوز سرق زيد ثوبه ، لأن تعلق السرقة إنما هي بالملك دون
الذات في غالب الأمر ، ويجوز أن تقول : رأيت زيدا بجيئه ، ولا يجوز رأيت
زيداً إياه ، لأنه يجري مجرى حاله .

وقوله تعالى : « وصدّ عن سبيل الله » رفع بالابتداء ، وما بعده معطوف
عليه ، وخبره « أكبر عند الله » هذا قول الزجاج . وقال أبو علي الفارسي : لا يخلو

« ١ » سورة البروج آية : ٥ .

« ٢ » ديوانه : ٧٧ رقم القصيدة : ٩ . يجر بها يزيد بن مسهر الشيباني ومعنى البيت
يعلم من البيت قبله الذي هو مطلع القصيدة وهو :
هريرة ودعها وان لام لأم
ثمادة ثم أم أنت لابن واجم
وهريرة قد ذكرها في قصيدة قبل هذه .

أن يكون ارتفاع قوله : « وصدّ عن سبيل الله وكفر » من أن يكون بالمعطف على الخبر الذي هو « كبير » كأنه قال : قتال فيه كبير وصدّ وكفر : أي القتال ، قد جمع أنه كبير ، وأنه صدّ ، وكفر . ويكون مرتفعاً بالابتداء ، وخبره محذوف للدلالة « كبير » المتقدم عليه ، كأنه قال : والصد كبير ، كقولك : زيد منطلق وعمرو ، أو يكون مرتفعاً بالابتداء ، والخبر المظهر ، فيكون الصدّ ابتداءً ، وما بعد من قوله : « وكفر به وإخراج أهله » مرتفع بالمعطف على الابتداء ، والخبر قوله : « أكبر عند الله » قال : ولا يجوز الوجهان الأولان - وقد أجازهما الفراء - أما الوجه الأول ، فلأن المعنى يصير : قل : قتال فيه كبير وصدّ عن سبيل الله كبير ، والقتال وإن كان كبيراً ، ويمكن أن يكون صدّاً ، لأنه ينفر الناس عنه ، فلا يجوز أن يكون كفراً ، لأن أحداً من المسلمين لم يقل ذلك ، ولم يذهب إليه ، فلا يجوز أن يكون خبر المبتدأ شيئاً لا يكون المبتدأ . ويمنع من ذلك أيضاً قوله بعد : « وأخرج أهله منه أكبر عند الله » ومحال أن يكون إخراج أهله منه أكبر من الكفر ، لأنه لا شيء أعظم منه ، ويمتنع الوجه الثاني أيضاً ، لأن التقدير : فيه يكون قتال فيه كبير وكبير الصدّ عن سبيل الله والكفر به ، وكذلك مثله الفراء ، وقدره ، فإذا صار المعنى : وإخراج أهل المسجد الحرام أكبر عند الله من الكفر ، فيكون بعض خلال الكفر أعظم منه كله ، وإذا كان كذلك امتنع كما امتنع الأول وإذا امتنع هذان ثبت الوجه الثالث ، وهو أن يكون قوله « وصدّ عن سبيل الله » ابتداءً « وكفر به وإخراج أهله » معطوفاً عليه « وأكبر » خبراً .

المعنى :

فيكون المعنى : « وصدّ عن سبيل الله » أي منعهم لكم أيها المسلمون عن سبيل الله ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه - وأنتم ولانته ، والذين هم أحق به منهم - وكفر بالله أكبر من قتاله في الشهر الحرام . قال الرماني ، والفراء : إن التخلص من التأويل الثاني أن تقول : إخراج أهله منه أكبر من القتل فيه ، لا من الكفر ، لأن المعنى في إخراج أهله منه إخراج النبي (ص) والمؤمنين عنه . قال :

وأما التأويل الأول ، فلا يجوز إلا أن يجعل « كفر به » يعني بالمسجد الحرام ، لنتهاك حرمة . قال : والتأويل الأول أجود .

وهذا القتال في الشهر الحرام هو ما عابه المشركون على المسلمين ، من قتل عبد الله بن جحش ، وأصحابه عمر بن الحضرمي ، لما فصل من الطائف ، في غير - في آخر جمادى الآخر - وأخذهم العير ، وهو أول من قتل من المشركين - فيما روي ، وأول في أصابه المسلمون .

وأما قوله تعالى : « والمسجد الحرام » فقال الفراء : إنه محمول على قوله : يسألونك عن القتال ، وعن المسجد الحرام هذا لفظه . قال أبو علي الفارسي : وهذا أيضاً يمتنع ، لأنه لم يكن السؤال عن المسجد الحرام ، وإنما السؤال عن قتال ابن جحش الحضرمي وأصحابه الذين عابهم المشركون وغيرهم ، فقالوا إنكم استحللتم الشهر الحرام ، وهو رجب بقتلهم فيه ، فكان السؤال عن هذا ، لا عن المسجد الحرام وإذا لم يجوز هذا الوجه ، لم يجوز حمله على المضمحل المجرور ، لأن عطف المظهر على المضمحل غير جائز ، لأنه ضعيف جداً ، فيكون محمولا على الضمير في به ، لأن المعنى ليس على كفر بالله أو بالنبي (ص) ، والمسجد ، فثبت (١) أنه معطوف على (عن) من قوله : « وصدعن سبيل الله والمسجد الحرام » ، لأن المشركين صدوا المسلمين عنه ، كما قال : « إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام » ، (٢) فكما أن المسجد الحرام محمول في هذه الآية على (عن) المتصلة بالصد - بلا إشكال - كذلك في هذه الآية ، وهو قول أبي العباس ، أيضاً قال الرماني : ما ذكره الفراء ، واختاره الحسن ليس يمتنع ، لأن القوم لما استعظموا القتال في الشهر الحرام ، وكان القتال عند المسجد الحرام يجري مجراه في الاستعظام جموعهما لذلك في السؤال ، وإن كان القتال إنما وقع في الشهر الحرام خاصة ، كأنهم قالوا : قد استحللت الشهر الحرام ، والمسجد الحرام . وظاهر الآية يدل على أن القتال في الشهر الحرام كان محرماً لقوله :

« ١ » في المطبوعة « بيت » .

« ٢ » سورة الحج آية : ٢٥ .

« قل قتال فيه كبير » وذلك لا يقال إلا فيما هو محرم ، محظور .

اللفظ :

والصدّ ، والمنع ، والصدف واحد . صدّ يصدّ صدوداً إذا صدف عن الشيء ، لعدوله عنه ، وصددته عن الشيء ، أصدده صدأً إذا عدّته عنه ، ومنه قوله تعالى : « إذا قومك منه يصدون » (١) قرئ بالضم ، والكسر . قال أبو عبيدة : يصدّون يعرضون ، ويصدّون : يضحجون ، وذلك لأنهم ، يمدلون إلى الصحيح . والصيد : الدم المختلط بالقيح يسيل من الجرح . والصدد : ما استقبلك وصار في قبالتك ، لأنه يعدل (٢) إلى مواجعتك . والصدان : ناحيتا الشعب أو الوادي . والصداد : ضرب من الجردان يعدل لشدة محرزه . والصداد : الوزغ (٣) ، لأنه يعدل عنه استقذاراً له ، وأصل الباب العدول .

المعنى :

وقوله : « والفتنة أكبر من القتل » معناه الفتنة في الدين ، وهي الكفر أعظم من القتل في الشهر الحرام . وقال قتادة وغيره ، واختاره الجبائي : إن القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام منسوخ بقوله : « وقتلوا حتى لا تكون فتنة » (٤) وبقوله : « فافتلوا المشركين حيث وجدتموهم » (٥) وقال عطاء : هو باق (٦) على التحريم . وروى أصحابنا : أنه على التحريم فيمن يرى لهذه الأشهر حرمة ، فإنهم لا يبتدئون فيه بالقتال ، وكذلك في الحرم ، وإنما أباح تعالى للنبي (ص) قتال أهل مكة وقت الفتح ، ولذلك قال (ص) : إن الله أحلها في هذه الساعة ، ولا يحلها لأحد بعدي إلى يوم القيامة . ومن لا يرى ذلك ، فقد نسخ في جهته وجاز قتاله أي وقت كان .

« ٢ » في المطبوعة « بمدك » .

« ٤ » - سورة البقرة آية : ١٩٣ .

« ٦ » في المطبوعة « فق » .

« ١ » - سورة الزخرف آية : ٥٧ .

« ٣ » في المطبوعة « الورع » .

« ٥ » - سورة التوبة آية : ٦ .

وقوله : « يردوكم » قال الجبائي : هو مجاز هاهنا ، لأن حقيقة : حتى تردوا بالجاء هم إياكم الى الارتداد ، والأولى أن يكون حقيقة ذلك بالعرف .

اللفظ :

وقوله تعالى : « ولا يزالون » فالزوال : العدول . ولا يزال موجوداً ، وما زال : أي مادام ، وزال الشيء عن مكانه يزول زوالاً ، وأزلته عنه ، وزلته ، وزالت الشمس زوالاً ، وزيالاً ، وزالت الخيل بركبائها زبالاً ، ورجل زول ، وامرأة زولة ، وهو الظريف الركبين (١) وأصل الباب الزوال .

وقوله : « ومن يردد منكم عن دينه » ، فهو على إظهار التضعيف ، لسكون الثاني . ويجوز « يردد » - بفتح الدال - على التحريك ، لالتقاء الساكنين ، والفتح أجود .

وقوله : « فأولئك حبطت أعمالهم » معناه : أنها صارت بمنزلة ما لم يكن ، لا يبقاهم إياها على خلاف الوجه المأمور به ، وليس المراد أنهم استحقوا عليها الثواب ثم انحبطت ، لأن للاحباط - عندنا - باطل على هذا الوجه . ويقال : حبط عمل الرجل يحبط حبطاً وحبوطاً ، وأحبطه الله إحباطاً ، والحبط : فساد ، يلحق الماشية في بطونها ، لأكل الحباط ، وهو ضرب من الكلاء . يقال : حبطت الابل تحببط حبطاً إذا أصابها ذلك .

وروي عن عطا عن ابن عباس : أن المسجد الحرام الحرام كله .

قوله تعالى :

لِإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨) آية واحدة
بلا خلاف .

النزول والاعراب :

ذكر جندب بن عبد الله ، وعروة بن الزبير : أن هذه الآية نزلت في قصة عبد الله بن جهش وأصحابه ، لما قاتلوا في رجب ، وقتل واقد النخعي بن الحضرمي ، ظن قوم أنهم إن سلموا من الأثم فليس لهم أجره ، فأنزل الله الآية فيهم - بالوعد - .
وخبر « إن الذين آمنوا » الجملة التي هي قوله : « أولئك يرجون رحمة الله » أولئك ابتداء ، ويرجون خبره ، والجملة خبر (إن) .

اللفظ :

وقوله : « والذين هاجروا » فالهجر ضد الوصل ، تقول : هجره بهجره هجراً ، وهجراناً : إذا قطع مواصلته . والهجر : مالا ينبغي من الكلام ، تقول : هجر المريض بهجر هجراً ، لأنه قال مالا ينبغي أن بهجر من الكلام ، وما زال ذلك هجراً أي دأبه (١) . والهاجرة : نصف النهار ، وهجر القوم تهجيراً : إذا دخلوا في الهاجرة . وسمي المهاجرون لهجرتهم قومهم ، وأرضهم . وأهجرت الجارية إهجاراً : إذا شبت شباباً حسناً ، فهي مهجرة ، ويقال ذلك للنافسة ، والنخلة . والهجار : جبل يشد به يد الفحل إلى إحدى رجليه ، لأنه بهجر بذلك التصرف وأصل الباب الهجر : قطع المواصلة .

وقوله تعالى : « وجاهدوا » تقول : جهدت الرجل جهداً : إذا حملته على مشقة ، وجاهدت العدو مجاهدة إذا حملت نفسك على المشقة في قتاله . واجتهدت رأيي : إذا حملت نفسك على المشقة في بلوغ صواب الرأي . والجهاد : الأرض الصلبة ، وأصل الباب الجهد : الحمل على المشقة .

وقوله تعالى : « في سبيل الله » يعني قتال العدو ، ويدخل في ذلك مجاهدة النفس .

وقوله « أولئك يرجون » فالرجاء الأمل ، رجا يرجو رجاءً ، وترجى

« ١ » هجيراً - بكسر الهاء والجيم مع تشديد الجيم - في المطبوعة (أي دأبه) .

ترجياً ، وارتجى ارتجاء ، والرجا - مقصوراً - ناحية كل شيء ، ويثنى رجوان
وجمه أرجاء ، ومنه أرجاء البئر فواحيه ، وقوله تعالى « ما لكم لا ترجون لله
وقرأ (١) أي لا تخافون ، قال أبو ذؤيب :

إذا سمعته النحل لم يرج لسمها وخالفها في بيت نوب عواسل (٢)
أي لم يخف ، وذلك أن الرجاء للشيء الخوف من أن لا يكون ، فلذلك سمي
الخوف باسم الرجاء ، وأصل الباب الأمل ، وهو ضد اليأس .

المعنى :

وفي الآية دلالة على أن من مات مصرأ على كبيرة لا يرجو رحمة الله لامرين :
أحدهما - أن ذلك دليل الخطاب ، وذلك غير صحيح عند أكثر المحصلين .
والثاني - أنه قد يجتمع - عندنا - الإيمان والهجرة والجهاد مع ارتكاب
الكبيرة ، فلا يخرج من هذه صورته عن تناول الآية له ، وإنما ذكر المؤمنين برجاء
الرحمة وإن كانت هي لهم لا محالة ، لأنهم لا يدرون ما يكون منهم من الإقامة على
طاعة الله أو الانقلاب عنها إلى معصيته ، لأنهم لا يدرون كيف تكون أحوالهم في
المستقبل . وقال الجبائي : لأنهم لا يعلمون أنهم أدوا كما يجب لله عليهم ، لأن هذا
العلم من الواجب ، وهم لا يعلمونه إلا بعلم آخر ، وكذلك سبيل العلم في أنهم
لا يعلمونه إلا بعلم غيره ، وهذا يوجب أنهم لا يعلمون إذاً كما يجب لله عليهم . وقال
ابن الأخشاد : لأنه لا يتفق للعبد التوبة من كل معصية ، واستدل على ذلك باجماع الأمة
على أنه ليس لأحد غير النبي (ص) . ومن شهد له عليه ، فلا .

ويمكن في الآية وجه آخر - على مذهبنا - وهو أن يكون رجاءهم لرخصة
الله في غفران معاصيهم التي لم يتفق لهم التوبة عنها ، واختارهوا دونهم ، فهم يرجون
أن يسقط الله عقابها عنهم تفضلاً . فأما الوجه الأول ، فأنما يصح على مذهب من

« ١ » - سورة نوح آية : ١٣ .

« ٢ » اللسان (رجا) ، (خاف) في المطبوعة (عوامل) بدل (عواسل) أي دخل عليها

وأخذ عساها . وروى « وحالفها » أي لزمها .

يجوز أن يكفر المؤمن بعد إيمانه أو يفعل في المستقبل كبيرة يحبط نواب إيمانه ، وهذا لا يصح على مذهبنا في الموافات . وما قاله الجبائي يلزم عليه وجوب مالا نهاية له ، لأنه إذا وجب عليه أن يعلم أنه فعل ما وجب عليه بعلم آخراً ، وذلك العلم مما وجب عليه أيضاً فيجب ذلك بعلم آخر ، وفي ذلك التسلسل .
 وإنما ضم إلى صفة الإيمان غيره في اعتبار الرجاء للرحمة ترغيباً في كل خصلة من تلك الخصال ، لأنها من علامات الفلاح . فأما الوعد ، فعلى كل واحدة منها إذا سلمت مما يبطلها . وقال الحسن : الرجاء ، والطمع هاهنا على الإيمان إذا سلم العمل . وذكر الجبائي : أن هذه الآية تدل على أنه لا يجوز لأحد أن يشهد لنفسه بالجنة ، لأن الرجاء لا يكون إلا مع الشك ، وقد بين الله تعالى : أن صفة المؤمن الرجاء للرحمة ، لا القطع عليها لا محالة .

ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها هو أنه لما ذكر في الأولى العذاب ، ذكر بعدها آية الرحمة ، ليكون العبد بين الخوف والرجاء إذ ذلك أوكد في الاستدعاء ، وأحق بتدبير الحكام .

وكتبت « رحمة الله » بالتاء في المصحف على الوصل ، والأقيس بالهاء على الوقف ، كما كتب « يدع الداع » (١) و « يقضي بالحق » (٢) « واضرب لهم مثلاً » (٣) كل ذلك على الوقف .

قوله تعالى :

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخُمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ
 لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ
 السَّعْفُوكَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩)

- « ١ » سورة القدر آية ٦ .
 « ٢ » سورة المؤمن آية : ٢٠ .
 « ٣ » سورة الكهف آية : ٣٢ .

الفرارة :

قرأ أهل السكوفة إلا عاصم « إثم كثير » بالثاء . الباقون بالباء ، وقرأ أبو عمرو وحده « قل العفو » بالرفع . الباقون بالنصب .

اللغة :

قال أكثر المفسرين : الخمر عصير العنب إذا اشتد . وقال جمهور أهل المدينة : ما أسكر كثيره فهو خمر ، وهو الظاهر في رواياتنا .

وأما اشتقاقه في اللغة : تقول خمرت لدابة أخرجها خمرأ إذا سقيتها الخمر ، وخمرت العجين والطين أخره خمرأ : إذا تركته فلم تستعمله حتى يجود . وأخر القوم إخمراً : إذا تواروا في الشجر . ويقال لما سترك من شجر : خمري (١) ، مقصوراً ، واختمرت المرأة ، وخمرت إذا لبست الخمار : وهي المقنعة . وخامره الحزن مخامرة إذا خالطه . وخمر الأناة وغيره تخمرأ : إذا غطيته ، واستخمرت فلاناً : إذا استعبدته . والخمار بخار يعقبه شرب الخمر . والمخامرة : المقاربة . والخمر : ما وارك من الشجر ، وغيره . والخمر : شبيه بالسجادة . والمخمرة من الغنم : سوداء ورأسها أبيض . ودخل في خمار الناس : إذا دخل في جماعة ، نخفي فيهم ، وأصل الباب الستر .

والميسر : قال ابن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن سيرين : هو القهار كله وهو الظاهر في رواياتنا .

واشتق الميسر من اليسر ، وهو وجوب الشيء لصاحبه ، من قولهم : يسر لي هذا الشيء : إذا وجب لي ، فهو تيسر لي يسراً ، وميسراً ، والياسر : الواجب بقدره وجب لك أو غير ذلك . وقيل للمقامر : ياسر ، ويسر ، قال النابغة :

أو ياسر ذهب القداح بوفره أسف تأكله الصديق مخلمع (٢)

« ١ » في المطبوعة (ضراً) وهو تصحيف .

« ٢ » لم أجد هذا البيت في شعر النابغة ، وهو موجود في تفسير الطبري ٤ : ٣٢٢ .
الياسر : المقامر . القداح : تستعمل في لعب القهار الوفر : المال الكثير . مخلمع : قد لعب في القمار مرة بعد مرة . وكأنه يصف لاعب قمار قد خسر ماله الواسع وقد أسف عليه عندما رأى أصدقاءه الذين يلعبون دائماً قد أخذوه منه وتقاسموه .

يعنى القاسم . وقيل أخذ من التجزئة ، لأن كل شيء جزأته ، فقد يسرته ، والياسر : الجازر . والميسر : الجزور . وقيل الميسر مأخوذ من اليسر ، وهو تسهيل الشيء ، لأنهم كانوا - مشتركون في الجزور ، ليسهل أمرها إلا أنه المعنى الجبهة : القمار .

المعنى :

وقوله : « قل فيها إثم كبير ومنافع للناس » فالنفع التي في الحجر : ما كانوا يأخذونه في أثمانها ، وبيع تجارتها ، وما فيها من اللذة بتناولها : أي فلا تغترّوا بالنفع فيها ، فالضرر أكثر منه . وقال الحسن ، وغيره : هذه الآية تدل على تحريم الحجر ، لأنه ذكر أن فيها إثمًا ، وقد حرّم الله الإثم بقوله : « قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم » (١) على أنه قد وصفها بأن فيها إثمًا كبيراً والكبير يحرم بلا خلاف .

وقال قوم : المعنى وإثمها بعد تحريمها أكبر من نفعها قبل تحريمها . وقال آخرون : المعنى إن الإثم بشرب هذه ، والقمار بها أكبر وأعظم ، لأنهم كانوا إذا استكروا ونبت بعضهم على بعض ، وقاتل بعضهم بعضاً . وقال قتادة : لا تدل الآية على تحريمها ، وإنما تدل الآية التي في المائدة في قوله : « إنما الحجر والميسر » (٢) إلى آخرها . ووجهه قتادة على أنه قد يكثر فيهما « إثم كبير » .

وقوله : « يسألونك ماذا ينفقون » قال السدي : نسخته آية الزكاة . وقال مجاهد : هو فرض ثابت . وقال قوم : هو أدب من الله ثابت غير منسوخ ، وهو الأقوى ، لأنه لا دليل على نسخها .

و « النفو » هنا قيل في معناه ثلاثة أقوال :

قال ابن عباس ، وقتادة : هو ما فضل عن الفنى .

وقال الحسن ، وعطا : هو الوسط من غير إسراف ولا إقتار .

وقال مجاهد : هو الصدقة المفروضة .

« ١ » سورة الاعراف آية : ٣٢ .

« ٢ » آية : ٩٣ .

وروي عن أبي جعفر (ع) أن العفو : ما فضل عن قوت السنة ، فذسخ ذلك بآية الزكاة . وروي عن أبي عبد الله (ع) أن العفو هاهنا : الوسط . والعفو مأخوذ من الزيادة ومنه قوله : « حتى عفوا » (١) أي حتى زادوا على ما كانوا عليه من العدد قال الشاعر :

ولكننا نعضُ السيفُ منها بأسبق عافيات الشحم كوم (٢)
أي زائدات الشحم . وقال قوم : هو مأخوذ من الترك من قوله : « فمن عفي له من أخيه شيء » (٣) أي ترك له ، فيكون العفو المتروك غنى عنه ، ومن رفع معناه ما الذي ينفقون ، وفي الأول كأنه قال : أي شيء . ينفقون ، فقالوا : العفو . وإنما وحد الكاف في كذلك ، وإن كان الخطاب لجماعة ، لأحد أمرين : أحدهما - في تقدير كذلك أيها السائل . والثاني - أن يكون الخطاب للنبي (ص) ويدخل فيه الأمة ، كما قال : « يا أيها النبي إذا طلقتم النساء » (٣) .
وقوله : « لعلكم تتفكرون » أي لكي تتفكروا ، وهي لام الغرض . وفي ذلك دلالة على أن الله تعالى أراد منهم التفكر سواء تفكروا أو لم يتفكروا .
قوله تعالى :

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ لِاصْلَاحٍ
لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَانْحُوا أَنفُسَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ
الْمُصْلِحِ وَكَلِمَةَ اللَّهِ لِلَّهِ لَأُعْزِزَنَّكُمْ لَئِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠)
آية واحدة .

الاعراب والمعنى :

العامل في الضرف من قوله : « في الدنيا والآخرة » يحتمل أمرين :

- « ١ » سورة الاعراف آية : ٩٤ .
- « ٢ » قاله ليبد بن ربيعة ، ديوانه : ١٩ رقم القصيدة : ٣ في المطبوعة « بعض السيف منا » وهو خطأ ، لأن هذا البيت من قصيدة يفتخر بها في كرمهم : يقول :
- « ٣ » سورة البقرة آية : ١٨٧ .
- « ٤ » سورة الطلاق آية : ١ .

أحدهما - « يبين » على قول الحسن . والثاني - « يتفكرون » في قول غيره .
وأجاز الزجاج الوجهين معاً .
وكيفية فكرهم في الدنيا والآخرة ، قال قتادة : يتفكرون في أن الدنيا دار
بلاء ، وفناء ، والآخرة دار جزاء وبقاء .

اللفظ :

وقوله تعالى : « ويسألونك عن اليتامى » ، فهو جمع يتيم ، والفعل منه يتم
يتيم يتماً ، كقولك : نكر نكراً . وحكى الفراء : يتم يتماً ، كشمعل شملاً .
وقوله : « وإن تخالطوهم » فالمخالطة : مجامعة يتعذر معها التمييز ، كمخالطة
الخل للماء ، والماء للماء ، وما أشبه ذلك ، تقول : خلط يخلط خلطاً ، وخلطه خلطاً
ومخالطة ، واختلاطاً ، وتخالطوا تخالطاً ، وخلطه تخليطاً ، وتخالط تخالطاً . وأخلط
الفرس : إذا قصر في جريه . واستخلط الفحل : إذا خالط ثيله حياء الناقة (١)
. واختلاط : الجنون ، لاختلاط الأمور على صاحبه . والخليطان : الشريكان ، لاختلاط
أموالهما . والخليط : القوم أمرهم واحد . والخللاط : داء في الجوف . ورجل خلط :
متحجب إلى الناس ، لطلبه الاختلاط بهم .

المعنى :

ومعنى الآية الاذن لهم فيما كانوا متحرجون منه من مخالطة اليتامى في
الأموال : من المأكل ، والمشرب والمسكن ، ونحو ذلك ، فأذن الله لهم في ذلك
إذا تحروا (٢) الاصلاح بالتوفير على اليتامى - في قول الحسن ، وغيره - وهو
المروي في أخبارنا .

الاعراب :

وقوله : « فإخوانكم » رفع على فهم (٣) إخوانكم خالطوهم أو لم تخالطوهم ،

« ١ » في المطبوعة « ثيله حال الناقه » وهو تصحيف .

« ٢ » في المطبوعة « إذا انحروا » وهو تصحيف .

« ٣ » في المطبوعة « فهو » .

وقوله : « فأن خفتم فرجالاً أو ركبانا » (١) نصب على فصلاً وا (٢) وهو حال الصلاة خاصة لا حال معنى فأنتم رجالاً أو ركبانا ، كيف تصرفتم الحال . ويجوز - في العربية - فأخوانكم على النصب على تقدير : فأخوانكم تخالطون ، والوجه الرفع ، لما بيناه .

اللفظ :

وقوله : « ولو شاء الله لأعنتكم » معناه : التذكير بالنعمة في التوسعة على ما توجبه الحكمة مع القدرة على التضييق الذي فيه أعظم المشقة ، والاعنات : الحمل على مشقة لا تطاق فعلاً . وعنت العظم عنتاً إذا أصابه وهن أو كسر ، وأعنته إعناتاً إذا عسفه (٣) بالحمل على مكروه لا يطيقه . وعنت عنتاً إذا اكتسب مأثماً ، وتعنته تعنتاً إذ لبس عليه في سؤاله له . والاكمة العنوت : هي الطويلة من الآكام ، وأصل الباب المشقة .

المعنى :

وقال البلخي : في هذه الآية دلالة على فساد قول من قال : إنه تعالى لا يقدر على الظلم ، لأن الاعنات - بتكليف مالا يجوز في الحكمة - مقدور له ، إذ لو يشاء لفعله .

وقال الجبائي : لو أعنتهم لكان جائزاً حسناً ، لكنه تعالى وسع على العباد ، لما في التوسعة من تمجيد النعمة . وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبرة (٤) في البذل ، وتكليف مالا يطاق ، أما البذل ، فلا أنهم يذهبون إلى النهي عن الكفر الموجود في حالة بأن يكون الإيمان بدلا منه ، وهذا أعظم ما يكون من الاعنات ، لأنه أمر له (٥) بالمحال ، وهو ليكن منك الإيمان بدلا من الكفر الموجود في

« ١ » سورة البقرة آية : ٢٣٩ . « ٢ » في المطبوعة « فضلوا » بتشديد الضاد .

« ٣ » عسفه : ظلمه ، والعسف الظلم .

« ٤ » في المطبوعة « بطلان » ساقطة .

« ٥ » في المطبوعة « أمر » ساقطة .

الحال ، وكذلك النهي فيما لم يكن منك ما هو كائن من الكفر الموجود في الحال كل ذلك محال ، وكذلك الأمر بالإيمان ، من لم يقدر على الإيمان ، فإذا لم يفعله عذب بأشد العذاب ، وإذا لم يكلف من الممكن ما فيه مشقة وشدة ، للمظاهرة على عبادة بالنعمة ، لم يجوز أن يكلف ما ليس عليه قدره ، لأنه أسوأ تناقض المظاهرة بالنعمة .

وقوله : « إن الله عزيز حكيم » أي يفعل بعزته ما يحب ، لا يدفعه عنه دافع . « حكيم » ذو حكمة فيما أمركم به من أمر اليتامى وغيره .

قوله تعالى :

وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَا أُمَّةً مُّؤْمِنَةً خَيْرٌ مِنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا
وَالْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ خَيْرٌ مِنْ مُّشْرِكٍ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا
يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ
آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) آية واحدة .

اللفظ :

نكح ينكح نكحاً ونكاحاً : إذا تزوج ، وأنكح غيره إنكاحاً : إذا تزوجه
وتناكحوا تناكحاً ، وناكحه مناكحة قال الاعشى :
ولا تقربن جارة إن سرّها عليك حرام فانكحن أو تابدأ (١)
أي تعفف وأصل الباب التزويج .

المعنى :

وهذه الآية على عمومها - عندنا - في تحريم مناكحة الكفار ، وليست منسوخة ولا مخصوصة . وقال ابن عباس في رواية شهر بن حوشب عنه قال : فرق

« ١ » ديوانه : ١٣٧ رقم القصيدة ١٧ . التأبد : التعزب أبدأ وهو الابتعاد عن النساء .

يقول : لا تزوج جاريتك وتزوج غيرها أو استعفف ولا تقرب من النساء .

عمر بن (١) طلحة وحذيفة وبين إمرأتيهما اللتين كاتتا عندهما (٢) وقال غيره عن ابن عباس ، وإليه ذهب الحسن ، ومجاهد والربيع : هي عامة إلا أنها نسخت بقوله : « والمحصنات من الذين أتوا الكتاب » ، وقال قتادة ، وسعيد بن جبير : هي على الخصوص . وإنما اختير ما قلناه لأنه لا دليل على نسخها ، ولا على خصوصها ، وسنبين وجه الآية في المائة إذا اتبهينا إليها .

فأما المجوسية ، فلا يجوز نكاحها إجماعاً . والذي لا يجوز : أن يتزوج مسلمة إجماعاً ، وامراً واحداً (٣) .

وقوله « ولأمة مؤمنة خير من مشركة » فالأمة : المملوكة . يقال أقرت بالأموه أي بالعبودية وأميت فلانة ، وتأميتها إذا جعلتها أمة قال الراجز :

يرضون بالتعبيد والتأمي (٤)

وجمع أمة إماء وأأم وأصل الباب العبودية ، وأصل أمة فعلة بدلالة قولهم إماء وإأم في الجمع نحو أكمة وأكام وآكم . والفرق بين « ولو أعجبكم » وبين إن أعجبكم : أن لو للماضي وإن للمستقبل وكلاهما يصح في معنى الآية ، ولا يجوز نكاح الوثنية إجماعاً ، لأنها تدعو إلى النار كما حكاها الله تعالى ، وهذه العلة بعينها قائمة في الذميمة من اليهودية والنصارى ، فيجب أن لا يجوز نكاحها . وفي الآية دلالة على جواز نكاح الأمة المؤمنة مع وجود الطول ، لقوله « ولأمة مؤمنة خير من مشركة » فأما الآية التي في النساء ، وهي قوله : « ومن لم يستطع منكم طولا » (٥) فانما هي على التنزيه دون التحريم ، ومتى أسلم الزوجان معاً ثبتا على النكاح - بلا خلاف - وبه قال الحسن . وإن أسلمت قبله طرفة عين ، فقد وقعت الفرقة - عند الحسن ،

« ١ » في المطبوعة « عمر بن طلحة » وهو تحريف .

« ٢ » في المطبوعة « وحذيفة وامراتيهما اللتين كاتتا عنهما أبيين » وهو تحريف فالحش .

« ٣ » هكذا في الأصل ولم أجد لها مخرجاً مقطوعاً به ، ولها : إجماعاً وتولاً وأخباراً

أي إجماعاً على الفتوى ، وأقوال المفسرين والأخبار المأثورة .

« ٤ » قائله رؤبة . اللسان « أما » في المطبوعة « ترضون » بدل « يرضون » .

« ٥ » - سورة النساء آية : ٢٤ .

وكثير من الفقهاء ، وعندنا ينتظر عدتها فان أسلم الزوج بيننا أن الفرقة لم تحصل ، ورجعت إليه ، وإن لم يسلم بيننا أن الفرقة وقعت حين الاسلام غير أنه لا يمكن من الخلو بها . فان أسلم الزوج وكانت ذميمة استباح وطؤها بلا خلاف . وإن كانت وثنية انتظر إسلامها ما دامت في العدة ، فان أسلمت نبت عقده عليها ، وإن لم تسلم بانته منه .

فان قيل : كيف قيل للكافر الموحد مشرك ! قيل فيه قولان :
أحدهما - أن كفره نعمة الله بمنزلة الاشرار في العبادة في عظم الجرم .
والآخر ذكره الزجاج - وهو الأقوى - ، لأنه اذا كفر بالنبي (ص) فقد أشرك فيما لا يكون إلا من عند الله ، وهو القرآن بزعمه أنه من عند غيره .
وقوله « باذنه » معناه أحد أمرين : أحدهما - باعلامه . والآخر - بأمره ، وهو قول الحسن ، وأبي علي وغيرهما .

قوله تعالى :

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٌّ فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ
فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوا مَنَّهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ
مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ
(٢٢٢) آية واحدة .

الفراة :

قرأ أهل الكوفة إلا حفصا (حتى يطهرن) بتشديد الطاء والهاء . الباقون بالتخفيف .

المعنى :

قيل : إنما سألوا عن المحيض ، لأنهم كانوا على تجنب أمور : من مواكبة الحائض ، ومشاربتها حتى كانوا لا يجالسونها في بيت واحد ، فاستعملوا ذلك ،

أواجب هو أم لا؟ في قول قتادة ، والربيع ، والحسن ، وقال مجاهد : كانوا على استجازة إتيانهم في الأذبار أيام الحيض ، فلما سألوا عنه : بين تحريمه ، والأول - عندنا - أقوى .

اللفظ :

والحيض مصدر حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً ، فهي حائض . والمرءة حيضة (١) وجمعه حيض وحيضات . ونساء حيض . والمستحاضة : التي عليها الدم فلا رواق (٢) وأصل الباب الحيض : مجيء الدم لا تأتي على عادة معروفة .

أم تمام الحيض ، والامستحاضة :

وصفة الحيض : هو الدم الغليظ الأسود الذي يخرج بحرارة . وأقل الحيض ثلاثة أيام ، وأكثره عشرة ، وهو قول الحسن ، وأهل العراق . وقال الشافعي ، وأكثر أهل المدينة : أقل الحيض يوم وليلة ، وأكثره خمسة عشر يوماً . وحكي أن قوماً قالوا : ليس له وقت محدود : إنما هو ما رأت دم الحيض . وأقل الطهر عشرة أيام ، وخالف الجميع وقالوا : خمسة عشر يوماً . والاستحاضة : دم رقيق أصفر بارد . وحكم الاستحاضة حكم الطهر في جميع الأحكام إلا في تجديد الوضوء - عند كل صلاة - ووجوب الغسل عليها على بعض الوجوه - عندنا - .

وقوله : « أذى » معناه : قدر ونجس - في قول قتادة والسدي - .

وقوله : « فاعتزلوا النساء في الحيض » معناه : اجتنبوا الجماع في الفرج ، وبه قال ابن عباس ، وعائشة ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد . وما فوق المئزر أودونه ، عن شريح ، وسعيد بن المسيب . وعندنا : لا يحرم منها غير موضع الدم فقط . ومن وطئ الحائض في أول الحيض ، كان عليه دينار ، وإن كان في وسطه ، فنصف دينار ، وفي آخره ربع دينار . وقال ابن عباس : عليه دينار ، ولم يفصل . وقال الحسن : يلزمه رقبة أو بدنة أو عشرون صاعاً .

« ١ » في المطبوعة « والمرأة حيضة » وهو تصحيف .

« ٢ » هكذا في المطبوعة .

اللفظ :

ويقال : عزله يعزله عزلا ، واعتزل اعتزالاً ، وعزله تعزيباً . والأعزل : الذي لا سلاح معه . وعزلا المزاولة : مخرج الماء من أحد جوانبها ، والجمع عزال . وكل شيء نحيت عنه موضع ، فقد عزلته عنه ، ومنه عزل الوالي . وأنت عن هذا بعزل : أي منتحى . والأعزل من السماكين : الذي نزل به القمر . والمعزال من الناس : الذي لا ينزل مع القوم في السفر ، لسكته ينزل ناحية ، وأصل الباب الاعتزال ، وهو التنحي عن الشيء .

المعنى :

وقوله : « حتى يطهرن » بالتخفيف معناه : ينقطع الدم عنهن . وبالتشديد معناه : يغتسلن - في قول الحسن ، والقراء - وقال مجاهد ، وطاووس : معنى تطهرن : توضأن ، وهو مذهبنا .

والفرق بين (طهرت) و (طهرت) أن فعل لا يتعدى ، لأن ما كان على هذا البناء لا يتعدى ، وليس كذلك فعل . ومن قرأ بالتشديد قال : كان أصله « يتطهرن » فأدغمت التاء في الطاء .

وعندنا يجوز وطىء المرأة إذا انقطع دمها ، وطهرت وإن لم تغتسل إذا غسلت فرجها . وفيه خلاف ، فمن قال : لا يجوز وطؤها إلا بعد الطهر من الدم ، والغتسال : تعلق بالقراءة بالتشديد ، لأنها تفيد الاغتسال ، ومن قال : يجوز ، تعلق بالقراءة بالتخفيف وأنها لا تفيد الاغتسال . وهو الصحيح . ويمكن في قراءة التشديد أن تحمل على أن المراد به توضأن على ما حكيناه عن طاووس ، وغيره . ومن استعمل قراءة التشديد يحتاج أن يحذف القراءة بالتخفيف أو يقدر محذوفاً تقديره حتى يطهرن ويتطهرن ، وعلى ما قلناه لا يحتاج إليه .

وقوله : « فإذا تطهرن » معناه : اغتسلنا ، وعلى ما قلناه : حتى يتوضأن .
وقوله : « فأتوهن من حيث أمركم الله » صورته صورة الأمر ، ومعناه

الاباحة، كقوله: «فاذا حلتم فاصطادوا» (١) «وإذا قضيت الصلاة فانتشروا» (٢) وقوله: «من حيث أمركم الله» معناه من حيث أمركم الله بتجنبه في حال الحيض، وهو الفرج، على قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والربيع. وقال السدي، والضحاك: من قبل الطهر دون الحيض. وعن ابن الحنفية من قبل التكاكح دون الفجور، والأول أليق بالظاهر. ويحتمل أن يكون من حيث أباح الله لكم دون ما حرمه عليكم من إتيانها وهي صائمة أو محرمة أو معتكفة، ذكره الزجاج. وقال الفراء: لو أراد الفرج لقال في حيث، فلما قال: «من حيث» علمنا أنه أراد من الجهة الذي أمركم الله بها.

وقال غيره: وإنما قال: «من حيث» ولم يقل في حيث، لأن (من) لا ابتداء الغاية في الفعل، نحو قولك: أت زيدا من مأتاه أي من الوجه الذي يؤتى منه. وقوله: «يحب التوابين ويحب المتطهرين» قال عطا: المتطهرين بالماء. وقال مجاهد: المتطهرين من الذنوب، والأول مروى في سبب نزول هذه الآية، والمعنى يتناول الأمرين. وإنما قال: «المتطهرين» ولم يقل المتطهرات، لأن المؤنث يدخل في المذكر، لتغليب عليه.

قوله تعالى:

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا
لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
(٢٢٣) آية واحدة بلا خلاف.

قيل في معنى قوله: «حرث لكم» قولان:

أحدهما - أن معناه: مزرع أولادكم، كأنه قيل: محترث لكم، في قول ابن عباس، والسدي، وإنما الحرث: الزرع في الأصل.

والقول الثاني: نساؤكم ذو حرث لكم، فأتوا موضع حرثكم أنى شئتم،

«١» سورة المائدة آية: ٣.

«٢» سورة الجمعة آية: ١٠.

ذكره الزجاج . وقيل : الحُرث كناية عن السكاح على وجه التشبيه .

وقوله : « أنى شئتم » معناه : من أين شئتم - في قول قتادة ، والربيع - وقال مجاهد : معناه كيف شئتم . وقال الضحاك معناه متى شئتم ، وهذا خطأ عند جميع المفسرين ، وأهل اللغة ، لأن (أنى) لا يكون إلا بمعنى من أين ، كما قال : « أنى لك هذا قالت هو من عند الله » (١) . وقال بعضهم : معناه من أي وجهه واستشهد بقول الكهيت بن زيد :

أنى ومن أين أبك الطرب من حيث لاصبوة ولا ريب (٢)

وهذا لا شاهد فيه ، لأنه يجوز أن يكون أنى به ، لاختلاف اللغتين ، كما يقولون : متى كان هذا وأي وقت كان ، ويجوز أن يكون بمعنى كيف . وتأول مالك ، فقال : « أنى شئتم » تفيد جواز الاتيان في الدبر ، ورواه عن نافع عن أبي عمرو ، وحكاه زيد بن أسلم عن محمد بن المنكدر ، وروي من طرق جماعة عن ابن عمر ، وبه قال أكثر أصحابنا ، وخالف في ذلك جميع الفقهاء ، والمفسرين ، وقالوا : هذا لا يجوز من وجوه :

أحدها - أن الدبر ليس بحرث ، لأنه لا يكون فيه الولد . وهذا ليس بشيء . لأنه لا يمتنع أن تسمى النساء حرثاً ، لأنه يكون منهن الولد ، ثم يبيح الوطء فيما لا يكون منه الولد ، يدل على ذلك أنه لا خلاف أنه يجوز الوطء بين الفخذين وإن لم يكن هناك ولد .

وثانيها - قالوا : قال الله : « فأتوهن من حيث أمركم الله » وهو الفرج ، والاجماع على أن الآية الثانية ليست بنسخة للأولى . وهذا أيضاً لا دلالة فيه ، لأن قوله : « من حيث أمركم الله » معناه : من حيث أباح الله لكم ، أو من الجهة التي شرعها لكم ، على ما حكيناه عن الزجاج ، ويدخل في ذلك الموضعان معاً .

« ١ » سورة آل عمران آية : ٣٧ .

« ٢ » الهاشميات : ٤١ . قوله « أبك » معترضة بين كلامين ، كما نقول : « وبمك » وهي

بمعنى وبلك . وقيل : أن أبك بمعنى راجعك الطرب .

ونالها - قالوا : إن معناه : من أين شئتم : أي أتوا الفرج من أين شئتم ، وليس في ذلك إباحة لغير الفرج . وهذا أيضاً ضعيف ، لأننا لانسلم أن معناه الفرج ، بل عندنا معناه : أتوا النساء ، أو أتوا الحرث من أين شئتم ، ويدخل فيه جميع ذلك .

ورابعها - قالوا : قوله في المحيض « قل هو أذى فاعزلوا النساء في المحيض » فإذا حرم للأذى في الدم ، والأذى بالنجس أعظم منه . وهذا أيضاً ليس بشيء ، لأن هذا حمل الشيء على غيره من غير علة ، على أنه لا يمتنع أن يكون المراد بقوله : « قل هو أذى » غير النجاسة ، بل المراد أن في ذلك مفسدة ، ولا يجوز أن يحمل على غيره إلا بدليل يوجب العلم على أن الأذى بمعنى النجاسة حاصل في البول ، ودم الاستحاضة ومع هذا ، فليس بمنهي عن الوطء في الفرج .

ويقال : أن هذه الآية نزلت ردّاً على اليهود ، وأن الرجل إذا أتى المرأة من خلف في قبلها خرج الولد أحوال ، فأكذبهم الله في ذلك ، ذكره ابن عباس ، وجابر ، ورواه أيضاً أصحابنا . وقال الحسن : أنكر اليهود إتيان المرأة قائمة ، وباركة ، فأنزل الله إباحته بعد أن يكون في الفرج ، وهو السبب الذي روي ، ولا يمنع أن يكون ما ذكرناه مباحاً ، لأن غاية ما في السبب أن تطابقه الآية ، فأما أن لا تتمدها ، فلا يجب عند أكثر المحصلين (١) .

وقوله : « وقدموا لأنفسكم » أي قدموا الأعمال الصالحة التي أمر الله بها عباده ، ورغبتهم فيها ، فتكون ذخراً عند الله .

ووجه اتصال قوله : « وقدموا لأنفسكم » بما قبله : أنه لما قدم الأمر بعد أشياء قيل : « قدموا لأنفسكم » بالطاعة فيما أمرتم به ، وانقوا مجاوزة الحد فيما بين لكم ، وفي ذلك الحث على العمل بالواجب الذي عرفوه ، والتحذير من مخالفة ما أزموه .

وقوله : « وبشر المؤمنين » فأبشارة : الدلالة على ما يظهر به السرور في

بشر الوجه .

وقوله : « أنكم ملائقوه » أي اتقوا من معاصيه التي نهاكم عنها ، واتقوا عذابه ، واعلموا أنكم ملائقوا عذابه إن عصيتموه ، وملائقوا ثوابه إن أطعتموه ، وإنما أضافه إليه على ضرب من المجاز ، كما يقول الغائل لغيره : ستلقى ما عملت ، وإنما يريد جزاء ما عملت ، فيسمى الجزاء باسم الشيء .

قوله تعالى :

وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتُصَلِّحُوا
بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤) آية واحدة بلا خلاف .

المعنى :

قيل في معنى قوله : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم » ثلاثة أقوال :
أحدها - أن العرضة : علة ، كأنه قال لا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة من البر ،
والنقوى : من حيث تتعمدوا ، لتعتلوا بها ، وتقولوا : قد حلفنا بالله ، ولم نحلفوا
به ، هذا قول الحسن ، وطاووس ، وقتادة ، وأصله - في هذا الوجه - الاعتراض به
بينكم وبين البر والنقوى ، للامتناع منهما ، لأنه قد يكون المعارض بين الشيئين
مانعاً من وصول أحدهما إلى الآخر ، فالعلة مانعة كهذا المعارض . وقيل : العرضة :
المعارض ، قال الشاعر :

لا تجعليني عرضة اللوائم

الثاني - « عرضة » : حجة ، كأنه قال لا تجعلوا اليمين بالله حجة في المنع
« أن تبروا وتتقوا » بأن تكونوا قد سلف منكم يمين ثم يظهر أن غيرها خير منها ،
فافعلوا الذي هو خير ، ولا تحتجوا بسلف من اليمين ، وهو قول ابن عباس ،
ومجاهد ، والربيع ، والأصل في هذا القول والأول واحد ، لأنه منع من جهة
الاعتراض بعلة أو حجة . وقال بعضهم : إن أصل عرضة : قوة ، فكأنه قيل : ولا
تجعلوا الحلف بالله قوة لأيمانكم في ألا تبرّوا وأنشد لكعب بن زهير :

من كل تضاحية الذفرى إذا عرفت عرضتها طامس الاعلام مجهول (١)
وعلى هذا يكون الأصل العرض ، لأن بالقوة يتصرف في العرض والطول ،
فالقوة : عرضة لذلك .

الثالث - بمعنى : ولا تجعلوا اليمين بالله مبدلة في كل حق وباطل ، لأن
تبرّوا في الحلف بها ، واتقوا المآثم فيها ، وهو المروي عن عائشة ، لأنها قالت :
لا تحلفوا به وإن بررتم ، وبه قال الجبائي ، وهو المروي عن أئمتنا (ع) وأصله على
هذا معترض بالبذل : لا تبذل يمينك في كل حق وباطل . فأما في الأصل ، فمعترض
بالمنع أي لا يعترض بها مانعاً من البرّ ، والتقوى ، فتقدير الأول : لا تجعل الله مانعاً
من البرّ والتقوى باعتراضك به حالفاً ، وتقدير الثاني : لا تجعل الله مما تحلف به دائماً
باعتراضك بالحلف في كل حق وباطل ، لأن تكون من البررة ، والالتقاء .

اللفظ :

واليمين ، والقسم ، والحلف واحد . والجمزية : ضرب من برود اليمين . وأخذ
يميناً ، ويسرة . ويمن يميناً ، فهو ميمون . ويمن ، فهو ميمن : إذا أتى باليمين ،
والبركة . وتيمن به تيمناً ، وتيامن تيامناً . واليمين خلاف الشمال ، وأصل الباب
اليمين ، والبركة .

المعنى :

وقوله : « أن تبروا » قيل في معناه ثلاثة أقوال :
أحدها - « أن تبروا » : لأن تبروا على معنى الأثبات .
الثاني - أن يكون على معنى لدفع أن تبروا ، أو لترك أن تبروا - في قول

« ١ » ديوانه : ٩ ، واللسان « عرض » . نضح الرجل بالعرق نضحاً : نض به حتى
سال سبلاً ، ونضاحه : شديدة النضح . والذفرى : الموضع الذي يعرق خلف الأذن ، وهو من كل
حيوان حتى الإنسان وهو المعظم الشاخص خلف الأذن . والطامس : الدارس الذي أبحى أثره . والاعلام :
أعلام الطريق . وأرض مجهولة : إذا كان لا أعلام فيها ولا جبال . يقول : إذا زلت هذه الجبال ،
عرفت حينئذ قوتها وشدتها وصبرها على المطش والسير في الملوات .

أبي العباس .

الثالث - على تقدير : ألا تبروا ، وحذفت (لا) لأنه في معنى القسم كما

قال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي (١)
أي لا أبرح ، هذا قول أبي عبيد ، وأنكر أبو العباس هذا ، لأنه لما كان
معه (أن) ، بطل أن يكون جواباً للقسم ، وإنما يجوز (والله أقم) في القسم بمعنى
لا أقوم ، لأنه لو كان إثباتاً ، لقال لا قومن ، باللام والنون . والمعنى في قول أبي
العباس ، وأبي عبيد واحد ، والتقدير مختلف ، فحمله أبو العباس على ماله نظير من
حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وأنكر قياسه على ما يشبهه .

الاعراب :

وفي موضع أن تبروا ثلاثة أقوال :

قال الخليل ، والكسائي : موضعه الخفض بحذف اللام مع أن خاصة .

الثاني - قال سيدييه ، وأكثر النحويين : إن موضعه النصب ، لأنه لما حذف

المضاف وصل الفعل وهو القياس .

الثالث - قال قوم : موضعه الرفع على « أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين

الناس » أولى ، وحذف ، لأنه معلوم المعنى ، أجاز ذلك الزجاج وإنما حذف اللام

جاز مع (أن) ، ولم يجزم المصدر ، لأن (أن) يصلح معها الماضي ، والمستقبل ، نحو

قولك جئتك أن ضربت زيدا ، وجئتك أن تضرب زيدا ، والمصدر ليس كذلك ،

كقولك : جئتك لضرب زيد ، فعنى ذلك : أنه لما وصل بالفعل ، احتتم الحذف كما

يحتتم (الذي) وإذا وصل بالفعل من حذف ضمير المفعول ، مالا يحتمله الألف واللام

إذا وصل بالاسم ، نحو الذي ضربت زيد : يريد ضربته . فأما الضاربه أنا زيد ،

فلا يحسن إلا بالهاء ، وذلك لأن الفعل أثقل ، فهو بالحذف أولى . ويجوز أن

يكون لما صلح للأمرين كثير في الاستعمال ، فكان بالحذف أولى مما قل منه .
وقال الزجاج إنما جاز حذف اللام مع (أن) ، ولم يجز مع المصدر ، لأن (أن) إذا
وصلت ، دل بما بعدها على الاستقبال ، والمعنى تقول : جئتك أن ضربت زيدا ،
وجئتك أن تضرب زيدا ، فلذلك جاز حذف اللام ، فإذا قلت : جئتك ضرب زيد ،
لم يدل الضرب على مضي ولا إستقبال .

المعنى :

فإذا حلف لا يعطي من معروفه ، ثم رأى أن برّه خيراً ، أعطاه ، ونقض
يمينه . وعندنا لا كفارة عليه ، وإنما جاز ذلك ، لأنه لا يخلو من أن يكون حلف
يميناً جائزة أو غير جائزة ، فإن كانت جائزة ، فهي مقيدة بأن لا يرى ما هو خير ،
فليس في هذا مناقضة للجائزة ، وإن كانت غير جائزة ، فنقضها غير مكروه .
وقوله : « والله سميع عليم » معناه : أنه سميع ليمينه ، عليم بذيقته فيه ، وفي
ذلك تذكير ، وتحذير .

قوله تعالى :

لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللُّغُو فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ
بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٥) آية .

المعنى :

اختلفوا في معنى اللغو في هذه الآية ، فقال ابن عباس ، وعائشة ، والشعبي :
هو ما يجري على عادة اللسان : من لا والله ، وبلى والله من غير عقد على يمين يقطع
بها مال ، يظلم بها أحد ، وهو المروي عن أبي جعفر ، وأبي عبد الله (ع) . وقال
الحسن ، ومجاهد ، وإبراهيم : هي يمين الظان ، وهو يرى أنه حلف ، فلا إثم عليه ،
ولا كفارة . روي أيضاً عن ابن عباس ، وطاوس : أنها يمين الغضبان ، لا يؤاخذ
بالحنث فيها ، وبها قال سعيد بن جبير ، إلا أنه أوجب فيها الكفارة . وقال مسروق

كل يمين ليس له الوفاء بها ، فهي لغو . ولا يجب فيها كفارة . وقال الضحاك : روي أيضاً عن ابن عباس : أن لغو اليمين ما يجب فيه الكفارة . وروي عن إبراهيم : أنها يمين الناسي إذا حنت . وقال زيد بن أسلم : هو قول الرجل : أعمى الله بصري ، أو أهلك الله مالي ، فيدعو على نفسه .

المعنى :

وأصل اللغو : هو الكلام الذي لا فائدة فيه ، وكل يمين جرت مجرى مالا فائدة فيه حتى صارت بمنزلة ما لم يقع ، فهي لغو ، ولا شيء فيها ، وهو اختيار الرماني . تقول : لغا يلغو لغواً : إذا أتى بكلام . وألغى إلغاءً : إذا أطرحت الكلام ، لأنه لا فائدة فيه . وقوله : « واللغو فيه » معناه : ارفعوا الصوت بكلام لا فائدة فيه . والحساب الذي يلغى : أي يطرح ، لأنه بمنزلة كلام لا فائدة فيه . ولاغية : كلمة قبيحة فاحشة ، ومنه اللغا ، لأنها كلام لا فائدة فيه عند غير أهله ، وهو مشتق من لغا الطائر ، وهو منطقته ، وقال ابن صغير المازني :

باكرتم بسبأ جون ذارع . قبل الصباح وقبل لغو الطائر (١)

المعنى :

الأيمان على ضربين : أحدهما لا كفارة فيها . والثاني - يجب فيها الكفارة ، فما لا كفارة فيه : هو اليمين على الماضي إذا كان كاذباً فيه ، مثل أن يحلف أنه ما فعل ، وكان فعل أو (٢) أن يحلف أنه فعل ، وما كان فعل ، فهاتان لا كفارة فيهما - عندنا - وكذلك إذا حلف على مال ، ليقطعه كاذباً ، فلا كفارة عليه ، ويلزمه الخروج مما حلف عليه ، والتوبة ، وهي اليمين الغموس ، وفي هذه أيضاً خلاف ، ومنها أن يحلف على أمر فعل ، أو ترك ، وكان خلاف ما حلف عليه أولى

« ١ » اللسان (لغا) في المطبوعة (بسبأ) بدل (بسبأ) و (الصباح) بدل (الصباح)

و « رزاع » بدل « ذارع » وكل ذلك تحريف . باكرتم بسبأ : أي بشرب الخمر ،

« ٢ » في المطبوعة « أو » سابقة .

من المقام عليه ، فليخالف ، ولا كفارة عليه - عندنا - وفيه خلاف عند أكثر الفقهاء .
وما فيه كفارة ، فهو أن يحلف على أن يفعل ، أو يترك وكان الوفاء به إتماً واجباً
أو ندباً أو كان فعله ، وتركه سواء ، فمتى خالف كان عليه الكفارة ، وقد بينا أمثلة
ذلك في النهاية في الفقه . وقال الحسن : الأيمان على ثلاثة أقسام : منها أن يحلف على
أمر ، وهو يرى أنه على ما حلف ، فهذا هو اللغو ، لا عقوبة فيه ، ولا كفارة .
ومنها : أن يحلف على أمر ، وهو يعلم أنه كاذب ، فهذا آثم فاجر عليه التوبة ، ولا
كفارة عليه . ومنها أن يحلف : لا يفعل كذا ، فيفعل ، أو يحلف : ليفعلن ، ولا
يفعل ، ففي ذلك الكفارة . وكان يقول : إذا حلف على مملوك ، أو على حر ، فقال :
والله لتأكلن من هذا الطعام ، فلم يأكل ، فعليه الكفارة . وقال : الميمين على أربعة
أوجه - في قول أكثر الفقهاء : اثنتان : لا كفارة فيها ، واثنتان : فيها الكفارة ،
فالأول - قول الرجل : والله ما فعلت ، وقد فعل ، وقوله : والله لقد فعلت ، وما
فعل ، فهاتان لا كفارة فيهما ، لأنه لا حنث فيهما . والثاني - قول الحالف : والله
لا فعلت ، ثم يفعل . وقوله : والله لا أفعلن ، ثم لا يفعل ، فهاتان فيهما الكفارة . وقد
بيننا الخلاف في خلاف الفقهاء .

اللغو :

والفرق بين اللغو ، واللغو ، أن اللغو : الذكر بالكلام القبيح . لغيت أنفي
لغو ، قال العجاج :

ورب أسراب حجيج كظم عن اللغو ورفث التكلم (١)
وجواب الميمين على أربعة أقسام : اللام ، وما ، وإن ، ولا ، نحو : والله
لا آتيتك ، والله ما فعلت ، والله إنه لكاذب ، والله لا كلمته .
وقوله : « والله غنور حلیم » فالحلم الامهال بتأخير العقاب (٢) على الذنب ،
تقول : حلم حلماً ، وتحلم تحلماً ، وحلمه تحلماً . وحلم في نومه حلماً : إذا رأى

« ١ » سر تخريجہ فی ٢ : ١٣٢ .

« ٢ » فی المطبوعۃ « العقل » م .

الأحلام ، ومنه « أضغاث أحلام » (١) . والحلم الرؤيا في النوم ، ومنه الاحتلام .
والحلم : ما عظم من الفردان ، والواحد حامة ، لأنه كحلمة (٢) الثدي ، وحلمة
الثدي ، لأنها تحلم المرتضع . والحلمة : شجرة السعدان ، وهي من أفضل المرعى .
وتحلمت الضباب : إذا سمئت لأنه يكسبها دنة كدعة الحلم . والحلام : الجدي ، وأصل
الباب الحلم : الأناة . وأما حلم الأديم إذا نفل (٣) فلأنه وقع فيه الحلم .

قوله تعالى :

لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ
فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢٦) آية واحدة بلا خلاف .

اللفظ :

قوله : « يؤلون » معناه : يحلفون - بلا خلاف بين أهل التأويل - وهو
المروي عن سعيد بن المسيب وهو مأخوذ من الآية قال الشاعر :

كفينا من تغيب من نزار وأخذنا إليه مقسمينا (٤)
ويقال : ألى الرجل - من إسرأته - يؤلي إبلاء ، وألية ، وألوة ، وهو الحلف
قال الأعشى :

إني أليت على حلفتي ولم أقلها سحر الساحر (٥)
وجمع ألية : أليا ، وأليات ، كعشية ، وعشايا ، وعشيات ، فأما جمع ألوة ،
فأليا ، كركوبة وركائب ، وجمع ألية : الأاء كصحيفة ، وصحائف ، ومنه أتلى بأتلى

« ١ » سورة يوسف آية : ٤٤ .

« ٢ » في المطبوعة « كحلمة » .

« ٣ » حلم - بفتح الحاء وكسر اللام - ونفل الأديم : قسد في دباشته .

« ٤ » تفسير الطبري ٤ : ٤٥٦ ، وروايته « في تراب » بدل « من نزار » وفي مجمع

البيان طبع صيدا ١ : ٣٣٢ « من نزار » كما ذكر الشيخ سواه . وقد اعترف محقق الطبري أنه

بدل « من » بـ « في » وكانت في المخطوطة والمطبوعة عنده « من » .

« ٥ » ديوانه : ١٤٣ رقم القصيدة : ١٨ . وروايته « ولم أقله غير العائر » بدل « ولم

أقلها سحر الساحر » .

اه تلاء ، وفي التنزيل « ولا يأتل أولوا الفضل منكم » (١) ، وتقول : لا تألوا
ألياً ، وألوا ، نحو العتي ، والعتو . وما ألوت جهداً ، ولا ألوته نصحاً ، أو غشا ،
ومنه قوله : « لا يألونكم خبالاً » (٢) ، وقال الشاعر :

نحن فصلنا جهداً لم نأتله

أي لم نقصر . وأصل الباب التقصير ، فمنه لا يألوا جهداً ، ومنه الآية :
اليمين ، لأنها لنفي التقصير . وعود ألوة ، وألوة : أجود العمود ، لأنه خالص .

المعنى :

والإيلاء في الآية : المراد به : اعتزل النساء ، وترك جماعهن على وجه الاضرار
بهن ، وكأنه قيل : « للذين يألون » أن يعتزلوا نساءهم « تربص أربعة أشهر » منهم ،
واليمين التي يكون بها الرجل مؤلياً : هي اليمين بالله عز وجل ، أو بشيء من صفاته
التي لا يشركه فيها غيره ، على وجه لا يقع موقع اللغو الذي لا فائدة فيه ، ويكون
الحلف على الامتناع من الجماع على جهة الغضب ، والضرار ، وهو المروي عن علي
(ع) ، وابن عباس ، والحسن . وقال إبراهيم ، وابن سيرين ، والشعبي : في الغضب .
وقال سعيد بن المسيب : هو في الجماع ، وغيره من الضرار ، نحو الحلف ألا يكلمها .

اللغة :

والتربص بالشيء انتظارك به خيراً ، أو شراً يحل ، وتقول : تربصت بالشيء
تربصاً ، وربصت به ربصاً ، ومنه قوله : « فتربصوا به حتى حين » (٣) و « تربص
به ريب المنون » (٤) قال الشاعر :

تربص بها ريب المنون لئلاها تطلق يوماً أو يموت حليلها (٥)

ومالي على هذا الأمر ربصة : أي تلبث ، وأصله الانتظار .

وقوله : « فان فاءوا » معناه : فان رجعوا ، ومنه قوله : « حتى تفيء الى أمر

« ١ » سورة النور آية : ٢٢ . « ٢ » سورة آل عمران آية : ١١٨ .

« ٣ » سورة المؤمن آية ٢٥ . « ٤ » سورة الطور آية : ٣٠ .

« ٥ » اللسان (ريس) في المطبوعة (خيالها) بدل « حليلها » . والمعنى فيها واحد .

الله « (١) أي ترجع من الخطأ الى الصواب . والفرق بين النفي والظل : ما قال المبرد : إن النفي ما نسخ الشمس ، لأنه هو الراجع ، وأما الظل : فما لا شمس فيه . وكل في ظل ، وليس كل ظل في ظل ، ولذلك أهل الجنة في ظل ، لا في نفي ، لأنه لا شمس فيها ، كما قال الله تعالى : « وظل ممدود » (٢) . وجمع النفي أفياء ، تقول : فاء النفي : إذا تحول عن جهة الغداة برجوع الشمس عنه . وتقبأت في الشجر ، وفيات الشجرة . والنفي : غنائم المشركين ، أفاء الله علينا فيهم ، لأنه من رجوع الشيء الى حقه ، والنفي الرجوع عن الغضب . إن فلاناً لسريع النفي من غضبه .

المعنى :

فان قيل : ما الذي يكون المولى به فائئاً ؟ قيل - عندنا - : يكون فائئاً بأن يجامع ، وبه قال ابن عباس ، ومسروق ، وسعيد بن المسيب . وقال الحسن ، وابراهيم ، وعلقمة : يكون فائئاً بالعزم في حال العذر إلا أنه ينبغي أن يشهد على فيئه ، وهذا يكون - عندنا - للمضطر الذي لا يقدر على الجماع ، ويجب على الفايء - عندنا - الكفارة ، وبه قال ابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، وقنادة ، ولا عقوبة عليه ، وهو المروي عن أبي جعفر ، وأبي عبدالله (ع) . وقال الحسن ، وابراهيم : لا كفارة عليه ، لقوله : « فان فاؤوا فان الله غفور رحيم » : أي لا يتبعه بكفارة ، ولا عقوبة .

الاعراب :

ويجوز في « تربص أربعة أشهر » ثلاثة أوجه : الجر بالاضافة ، وعليه جميع القراء . ويجوز النصب ، والرفع في العربية « تربص أربعة أشهر » كما قال : « ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً » (٣) أي يكفتمهم (٤) أحياء ، وأمواتاً ، و « تربص أربعة أشهر » كقوله : « فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله » (٥)

« ٢ » - سورة الواقعة آية : ٣٠ .

« ١ » - سورة الحجرات آية : ٩ .

« ٣ » - سورة المرسلات آية : ٢٥ - ٢٦ . « ٤ » في المطبوعة بكفيهم

« ٥ » - سورة النور آية : ٦ .

ومثله « فجزاء مثل ما قتل من النعم » (١) . وإنما جعل اختصاص الايلاء بحال الغضب ، لأن مدة التربص جعل فسحة للمرأة في التخلص من المضارة ، فإذا لم يكن ضرار لم يصح إيلاء . ومن لم يخص بحال الغضب ، حمله على عموم الايلاء ، وهو الأقوى . ومتى حلف بغير الله في الايلاء ، فلا تنعقد يمينه ، ولا يكون مؤلياً . وقال الجبائي : إذا حلف بما يلزمه فيه عزم ، نحو الصدقة ، أو الطلاق ، أو العتاق ، فهو إيلاء ، وإلا ، فهو لغو ، نحو قوله : وحياتك ، وما أشبهه . وقال الشافعي : لا إيلاء إلا بالله ، كما قلناه . ومتى حلف ألا يجامع أقل من أربعة أشهر ، لا يكون مؤلياً ، لأن الايلاء على أربعة أشهر ، أو أكثر . ومتى حلف ألا يقربها ، وهي مرضعة خوفاً من أن تحبل ، فيضر ذلك بولدها ، لا يلزمه حكم الايلاء ، وهو المروي عن علي (ع) ، وبه قال الحسن ، وابن شهاب . ويجوز أن يكون في الآية تقديم ، وتأخير ، ويكون تقديره « للذين يؤلون » « تربص أربعة أشهر » « من نسائهم » . ويجوز أن يكون معناه : « للذين يؤلون من » « أجل » « نسائهم تربص أربعة أشهر » كما تقول : غضبت لفلان : أي من أجل فلان . وإذا مضت أربعة أشهر لم تبين منه إلا بطلاق ، ويلزمه الحاكم ، إما الرجوع والكفارة ، وإما الطلاق ، فإن امتنع حبسه حتى يفي ، أو يطلق . وفيه خلاف .

قوله تعالى :

وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧) آية

واحدة .

المعنى :

عزيمة الطلاق في الحکم - عندنا - أن يزم ، ثم يتلفظ بالطلاق ، ومتى لم يتلفظ بالطلاق بعد مضي أربعة أشهر ، فإن المرأة لا تبين منه إلا أن تستدعي ، فإن استدعت ، ضرب الحاكم مدة أربعة أشهر ثم توقف بعد أربعة أشهر ، فيقال له : فيء

أو طلق ، فان لم يفعل ، حبسه حتى يطلق ، ومثل هذا قال أهل المدينة غير أنهم قالوا : متى امتنع من الطلاق والفيأة ، طلق عنه الحاكم طلقة رجعية . وقال أهل العراق : الايلاء : أن يحلف ألا يجامعها أربعة أشهر فصاعداً ، فإذا مضت أربعة أشهر فلم يقربها ، بانته منه بتطبيقه لا رجعة له عليها ، وعليها عدة ثلاث حيض ، يخطبها في العدة ، ولا يخطبها غيره ، فان فاء قبل أربعة أشهر : أي إن جامع ، كفر يمينه ، وهي امرأته . وقال الحسن ، وقتادة ، وابن مسعود ، وأبراهيم ، وابن عباس ، وحامد : هو مضي أربعة أشهر قبل أن يفى من غير عذر .

اللفظ :

والعزم : هو العقد على فعل شيء في مستقبل الوقت . والعزم على الشيء هو إرادته له : إذا كانت مقدمة للفعل بأكثر من وقت واحد ، وتكون متعلقة بفعل العازم ، ولا يدخل بينهما ، وبين الفعل سهو ، ولا نسيان . يقال : عزم عزمًا : إذا عقد على أن يفعل الشيء ، واعتزم اعتزامًا . وعزمت عليك لتفعلن : أي أقسمت . وعزم الراقي : كأنه أقسم على الداء . ورجل ماضي العزم : حاد في أمره . وما لفلان عزيمه : أي ما يثبت على أمر ، لتلونه ، ومنه قوله : « فاصبر كما صبر أبو العزم من الرسل » (١) . وعزائم القرآن التي تقرأ على ذوي الآفات ، لما يرجى من البر بها . وأصل الباب العزم على العقد على الشيء .

والطلاق : حل عقدة النكاح بما يوجب في الشريعة . تقول : طلقت تطلق طلاقًا ، فهي طالق - بلا علامة التأنيث ، حكاه الزجاج . وقال قوم : لأنه يختص بال مؤنث . قال الزجاج : هذا ليس بشيء ، لأن في الكلام شيئًا كثيرًا يشترك فيه المؤنث ، والمذكر - بلا علامة التأنيث - نحو قولهم : بعير ضامر ، وناقاة ضامر ، وبعير ساعل ، وناقاة ساعل . وزعم سيديويه ، وأصحابه : أن هذا واقع على لفظ التذكير صفة للمؤنث ، لأن المعنى : هي طالق حقيقة - عندهم - أنه على جهة

النسب ، نحو قولهم : امرأة مذكار ، ورجل مذكار ، ورجل مثناء ، وامرأة مثناء ، ومعناه : ذات ذكران ، وذات أنثى ، وكذلك مطلق : ذات طفل ، وكذلك طالق : ذات طلاق . فإن أجرته على الفعل قلت طالقة ، قال الشاعر :

أيا جارتا بيبي فانك طالقة ! كذاك أمور الناس غاد وطارقه (١)

تقول : طلقها ، وتطلق تطلقاً ، وأطلق إطلاقاً ، واستطاق استطلاقاً ، وانطلق انطلاقاً ، وتطلقت المرأة عند الولادة ، فهي مطلوقة إذا تمخضت . والطلق : الشوط من الجري . والطلق : قيد من قدم أو عقب (٢) تقيد به الابل . ورجل طلق الوجه : بهلول ضحك . ويوم طلق إذا لم يكن فيه حرّ ، ولا قرّ . والطلاق : الأسير يخلى عنه . ورجل طلق اليدين : سمح بالعطاء . والطلق : الحبل الشديد القتل ، يقوّم قيّام . وأصل الباب الانطلاق ، والطلاق ، لانطلاق المرأة فيه على عقدة النكاح .

المعنى :

والطلاق بعد الايلاء ، والايقاف يكون واحدة رجعية ، وبه قال سعيد بن المسيب ، وابن عمر . وقال الحسن وابن مسعود ، وابن عباس : تكون بائنة . وقوله : «فإن الله سميع عليم» فيه دلالة على الأخذ بالقيء . أو الطلاق ، لأنه بمعنى . أن الله يسمع قوله ، ويعلم ضميره . وقيل : بل هو راجع الى يسمع الايلاء ، ويعلم بفيته ، وكلاهما يحتمل في اللغة - على قول الزجاج - وحقيقة السميع : هو من كان على صفة يجب لأجلها أن يدرك السموعات إذا وجدت . وهو يرجع الى كونه حياً لا آفة به (٣) . والسامع : هو المدرك . والله تعالى يوصف بما لم يزل بأنه

« ١ » قاله الاعشى . ديوانه : ٢٦٣ رقم القصيدة : ٤١ ، واللسان « طلق » قلها لأمرأة الخزانة بين فارقها بيني : فارقى . غاد : بأنني ثدوة في الصباح . والطارق : الذي يطرق أي يأتي ليلاً . « ٢ » هكذا في المطبوعة وفي اللسان (طلق) الطلق - بالتحريك - قيد من جلود ، والطلاق - بالتحريك - قيد من آدم .

« ٣ » في المطبوعة (لا حربه) بدل (حياً لا آفة به)

سميع ، ولا يوصف فيما لم يزل بأنه سامع ، وإنما يوصف بأنه سامع إذا وجدت المسموعات . وإنما ذكر عقيب الأول « أن الله غفور رحيم » لأنه لما أخبر عن المولى أنه يلزمه الفيء ، أو الطلاق بين أنه إن فاء « فان الله غفور رحيم » بأن يقبل رجوعه ، ولا يتبعه بعقاب ما ارتكبه . وذكر هاهنا أنه « سميع عليم » لما أخبر عنه بإيقاع الطلاق ، وكان ذلك مما يسمع ، أخبر أنه لا يخفى عليه ، وأنه يسمعه ، لأنه على صفة يوجب إدراكه لذلك ، وأنه عالم ببيانه ، فلا الذي ذكر في الآية الأولى يليق بهذه الآية ، ولا الذي ذكرها هنا يليق هناك ، وذلك من عظم فصاحة القرآن ، وجلالة مواقفه .

قوله تعالى :

وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْنِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨) آية بلا خلاف .

المعنى :

القرؤ : الطهر - عندنا - وبه قال زيد بن ثابت ، وعائشة ، وابن عمر ، وسالم ، وأهل الحجاز . وروى عن ابن عباس ، وابن مسعود ، والحسن ، وبه قال أهل العراق ، ورواه عن علي (ع) أنه الحبض .

اللغة :

وأصل القرء يحتمل وجهين في اللغة :
أحدهما - الاجتماع ، فنه قرأت القرآن ، لاجتماع حروفه ، ومنه قولهم :

ما قرأت الناقة سلاً قط : أي لم تجمع رحماً على ولد قط . قال عمرو بن كلثوم :
 ذراعي عيطل أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا (١)
 ومنه أقرأت النجوم : إذا اجتمعت في الافول ، فعلى هذا ، يقال : أقرأت
 المرأة : إذا حاضت ، فهي مقرى ، في قول الأصمعي ، والأخفش ، والكسائي
 والفراء ، وأنشدوا له :

قروؤ كقروؤ الحائض

فتأويل ذلك : إجتماع الدم في الرحم . ويجيء على هذا الأصل أن يكون
 القراء : الطهر ، لاجتماع الدم في جملة البدن ، هذا قول الزجاج .
 والوجه الثاني - أن يكون أصل القرء : وقت الفعل الذي يجري على آخر عادة ،
 في قول أبي عمرو بن العلاء ، وقال : هو يصلح للحيض ، والطهر ، يقال : هذا قارىء
 الرياح أي وقت هبوبها قال الشاعر :

شئت العقر عقر بني شليل إذا هبت لقارئها الرياح (٢)

أي لوقت شدة بردها ، وقال آخر :

رجا أياس أن تؤوب ولا أذى إياساً لقرؤ الغائبين يؤوب (٣)

أي لحين الغائبين ، فعلى هذا يكون القرؤ الحيض ، لأنه وقت اجتماع الدم في
 الرحم على المادة المعروفة فيه ، ويكون الطهر ، لأنه وقت ارتفاعه على عادة جارية
 فيه ، قال الأعشى في الطهر :

وفي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لاقصاها عزم عزاك

« ١ » اللسان (عطل) (قرأ) وقد رواه الجوهري برواية أخرى وهي :

ذراعي عيطل أدماء بكر تربت الأمانز والمتونا

وفي المطبوعة « اللوم » بدل « اللون » وهو تصحيف ، والعيطل : طويل العنق من الأبل
 وغيرها . والأدماء من الأبل البيضاء ، وكذلك هجان اللون أي بيض اللون . ولم تقرأ جنينا : أي
 لم تجمع رحماً على جنين ، وهو الولد .

« ٢ » قاله مالك ابن الحرث الهذلي ، ديوان الهذليين ٣ : ٨٣ . واللسان (قرأ) شئت :

أي كرهت ، والمقر : اسم مكان . وشليل : هو جد جرير بن عبدالله البجلي .

« ٣ » لم أجد هذا البيت فيما حضرني من المصادر .

مورثة مالا وفي الحمد رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائك (١)
والذي ضاع هاهنا الاطهار ، لأنه بعد غيبته ، فيضيع بها طهر النساء ، فلا
يطأهن ، والوقت الجاري في الفعل على عادة راجع الى معنى الاجتماع ، وذلك ،
لا اجتماع الفعل مع الوقت الدائر ، فالاجتماع أصل الباب . وأخذ القروء من الوقت
ردآله الى فرع ، وكلا الأمرين يحتمل في اللغة .

المعنى ،

ومن خفف الهمزة في « قروء » قال : قرؤ ، ومثله « من يعمل سوءاً » (٢)
واستشهد أهل العراق بأشياء يقوى أن المراد الحيض ، منها قوله (ع) في مستحاضة
سألته : دعي الصلاة أيام أقرائك . واستشهد أهل المدينة بقوله : « فطلقوهن
لعدتهن » (٣) أي طهرلم يجامع فيه كما يقال لفرقة الشهر ، وتأوله غيرهم : لاستقبال
عدتهن ، وهو الحيض .

فان قيل : لو كان المراد - في الأقراء في الآية - الاطهار ، لوجب استيفاء
الثلاثة اطهار بكاملها ، كما أن من كانت عدتها بالأشهر ، وجب عليها ثلاثة أشهر على
الكمال ، وقد أجمعنا على أنه - لو طلقها في آخر يوم الطهر الذي ما قربها فيه ،
لا يلزمها أكثر من طهرين آخرين ، وذلك دليل على فساد ما قلموه ! قلنا : تسمى
القرآن الكاملان ، وبعض الثالث ثلاثة أقراء ، كما تسمى - الشهران وبعض الثالث - ثلاثة
أشهر قال الله تعالى : « الحج أشهر معلومات » (٤) وإنما هي شوال ، وذو القعدة ،
وبعض من ذي الحجة . وروي عن عائشة أنها قالت : الأقراء الاطهار .

وقوله : « ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن » قيل في معناه
ثلاثة أقوال : أحدها - قال إبراهيم : الحيض . وثانيها - قال قتادة : الحبل . وثالثها -

« ١ » ديوان : ٩١ رقم القصيدة : ١١ بمدح بها هودثة بن علي الخنفي ، ومعنى البيتين :
لك في كل عام غزوة ، يجمع لها صبرك وجلدك ، فتعود منها بالفنيمة والمجد الذي يعوضك عما طابت
من البعد عن نسائك .

« ٢ » سورة النساء آية : ١٠٩ ، ١٢٢ .

« ٤ » سورة البقرة آية : ١٩٧ .

« ٣ » سورة الطلاق آية : ١

قال ابن عمر ، والحسن : هو الحبل ، والحيض ، وهو الأقوى لأنه أعم . وإنما لم يحل لمن الكتمان ، لظلم الزوج بمنعه المراجعة - في قول ابن عباس - . وقال قتادة : لنسبة الولد الى غيره ، كفعل الجاهلية .

اللفظ :

وإنما قال : « ثلاثة قروء » ولم يقل : ثلاثة أقراء على جمع القليل ، لأنه لما كانت كل مطلقة يلزمها هذا ، دخله معنى الكثرة فأتى ببناء الكثرة ، للاشعار بذلك ، فالقروء كثيرة إلا أنها ثلاثة في القسمة . ووجه آخر - أن بناء الكثير فيه أغلب في الاستعمال ، لأنه على قياس الباب في جمع فعل الكثير ، فأما القليل ، فقياسه ، أفعل دون أفعال ، فصار بمنزلة مالا يمتد به نجاء محيي . قولهم : ثلاثة شموع ، فاستغني فيه ببناء الكثير عن القليل . ووجه ثالث - أن يذهب مذهب الجنس نحو قولهم : ثلاثة كلاب يبنون ثلاثة من الكلاب إذا أريد رفع الإيهام .

المعنى :

والشرط بقوله : « إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر » معناه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فهذه صفته فيما يلزمه ، لا أنه يلزم المؤمن دون غيره . وخرج ذلك مخرج التهديد . « وبعولتهن أحق بردهن » يعني أزواجهن أحق برجعتهن ، وذلك يختص بالرجميات وإن كان أول الآية عاماً في جميع المطلقات الرجمية والبائنة . وسمي الزوج بعلاً ، لأنه عال على المرأة بملكه لزوجيتها .

اللفظ :

تقول : بعل يبعل بمولة ، وهو بعل . وقوله « أتدعون بعلاً » (١) أي رباً ، لأنه بمعنى من سميت موه باستعلاء الربوبية تحريصاً ، وقيل أنه صنم . والبعل النخل يشرب بعروقه ، لأنه مستعمل على شربه ، وبعل الرجل بأمره إذا ضاق به ذرعاً ،

لأنه علاه منه ماضاق به صدره . وبعل الرجل في معنى بظر ، لأنه استعلى معظماً ، وكبراً . وامرأة بعلة : لا تحسن لبس الثياب ، لأن الخيرة تستعلى عليها ، فتدهشها . وبعل الرجل يبعل بعلا إذا دهش دهشاً .

المعنى :

وقوله : « ولهن مثل الذي عليهن » قال الضحاك : هن من حسن العشرة بالمعروف على أزواجهن مثل ما عليهن من الطاعة فيما أوجبه الله عليهن لهم . وقال ابن عباس : هن على أزواجهن من التصنع والتزين مثل ما لأزواجهن عليهن . وقال الطبري : هن على أزواجهن ترك مضارتهن ، كما أن عليهن لأزواجهن . وقوله : « وللرجال عليهن درجة » قيل معناه : فضيلة منها الطاعة ، ومنها أن يملك التخليفة ، ومنها زيادة الميراث [على قسم] (١) المرأة ، والجهاد . هذا قول مجاهد ، وقتادة . وقال ابن عباس : منزلة في الأخذ عليها بالفضل في المعاملة حتى قال : ما أحب أن استوفي منها جميع حقي ، ليكون لي عليها الفضيلة .

اللغة :

وتقول : رجل بين الرجلين أي القوة ، وهو أرجلها أي أفواهما ، وفرس رجبل قوي على المشي . والرجل معروفة ، لقوتها على المشي . ورجل من جراد أي قطعة منه تشبيهاً بالرجل ، لأنها قطعة من الجملة . والرجل الذي يمشي على رجله . وارتجل الكلام ارتجالاً ، لأنه قوي عليه من غير ركوب ففكرة ، ولا روية . وترجل النهار ، لأنه قوي ضياؤه بنزول الشمس إلى الأرض . ورجل شعره إذا طوله ، لأنه قوي بكثرتة من غير أن يركب بعضه بعضاً ، فيقل في رأي العين . والمرجل معروف . وأصل الباب : القوة .

والدرجة : المنزلة ، تقول : درجت الشيء أدرجه درجاً ، وأدرجته إدراجاً ، ودرج القوم قرناً بعد قرن أي فنوا . وأدرجه الله إدراجاً ، لأنه كطبي الشيء .

« ١ » ما بين القوسين من مجمع البيان ، لأن الجملة لا تتم بدونه .

بمنزلة بعد منزلة . والدرج سفيط للطيب ، لأنه بمنزلة ما يدرج فيه . ومدرجة الطريق : قارعة . وأصل الباب الطي ، فالدرجة منزلة من منازل الطي ، ومنه الدرجة التي برأقي فيها .

المعنى :

وقيل إن في الآية نسخاً ، لأن التي لم يدخل بها ، لا عدة عليها بقوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات » الى قوله : « فما لكم عليهن من عدة تعتدونها » (١) ولأن الحامل عدتها وضع ما في بطنها بقوله « وأولات الاحمال أجلهن أن يضمن حملهن » . (٢)

قوله تعالى :

الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَاِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ اَوْ تَسْرِيحٍ بِاِحْسَانٍ
وَلَا يَجِزُ لَكُمْ اَنْ تَاْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا اِلَّا اَنْ يَخَافَا اَلَّا يُقِيْمَا
مُحَدودَ اللّٰهِ فَاِنْ خِفْتُمْ اَلَّا يُقِيْمَا مُحَدودَ اللّٰهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيَّيْمَا فِيمَا
اَفْتَدْتُمْ بِهٖ تِلْكَ مُحَدودُ اللّٰهِ فَلَا تَعْتَدُوْهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ مُحَدودَ اللّٰهِ
فَاُولٰٓئِكَ مُمْسِكِي الظَّالِمِيْنَ (٢٢٩) آية بلا خلاف .

الفراة :

قرأ حمزة ، وأبو جعفر « إلا أن يخافا » بضم الياء ، والباقون بفتحها .

المعنى :

قيل في معنى قوله : « الطلاق مرتان » قولان : أحدهما - ما قال ابن عباس ، ومجاهد : إن معناه البيان عن تفصيل الطلاق في السنة ، وهو أنه إذا أراد طلاقها فينبغي أن يطلقها في طهر لم يقربها فيه بجامع ،

تطبيقاً واحدة، ثم يتركها حتى تخرج من العدة، أو حتى تحيض وتطهر، ثم يطلقها ثانية .
والثاني - ما قاله عروة ، وقتادة : إن معناه البيان عن عدد الطلاق الذي
يوجب البينونة ، مما لا يوجبها . وفي الآية بيان أنه ليس بعد التطبيقين إلا الفرقة
البائنة . وقال الزجاج : في الآية حذف ، لأن التقدير : الطلاق الذي يملك فيه
الرجعة مرتان ، بدلالة قوله : « فامسك بمعروف أو تسريحاً باحسان » . والمرتان
معناه : دفعتان .

المعنى :

وتقول مرّ مرّاً واستمر استمراراً ، وأمرأة إمراراً وتمرّر تمرراً ، ومرّره
تمريراً . والمر : خلاف الحلو ، ومنه المرارة ، لأن فيها المرة . والمرة مزاج من أمزجة
البدن . والمرة شدة القتل ، لاستمراره على إحكام . والمريز : الحبل المقتول . وفي
التنزيل « ذو مرة فاستوى » (١) أي ذو قوة وشدة . والمرّ الذي يعمل به في الطين
وأصل الباب المرور : خلاف الوقوف .

وقوله « فامسك بمعروف » رفع ، ومعناه : فالواجب إمساك عليه ، وكان
يجوز النصب على فليمسك إمساكاً ، والامسك خلاف الاطلاق . تقول أمسك
إمساكاً ، وتمسك تمسكاً ، وتماسك تماسكاً ، وامتسك امتسكاً ، ومسك تمسكاً ،
وامتمسك استمسكاً . وفلان يمسك : أي بخيل ، وما بفلان مُسكاً ، ولا تمسك :
إذا لم يكن فيه خير ، لأنه منحل عن ضبط شيء من أموره . والمسك : الالهاب ،
لأنه يمسك البدن باحتوائه عليه . والمسك السواء (٢) ، وسمي باستمسكته في اليد .

المعنى :

وقوله : « معروف » أي على وجه جميل سائق (٣) في الشرع لا على وجه

الاضرار بهن .

« ١ » سورة النجم آية : ٦ .

« ٢ » في بجم البيان : السواد ، وفي لسان العرب : السوار .

« ٣ » في المطبوعة (سابع) .

وقوله : « أو تسريح باحسان » قيل فيه قولان :

أحدهما - أنها المطلقة الثالثة ، وروى عن النبي (ص) أن رجلا سأله ، فقال :
الطلاق مرتان فأين الثالثة ؟ فأجابه : أو تسريح باحسان . وقال السدي ، والضحاك : هو
ترك المعتدة حتى تبين بانقضاء العدة ، وهو المروي عن أبي جعفر ، وأبي عبد الله (ع) .

اللفظ :

والتسريح مأخوذ من السرح ، وهو الانطلاق . تقول : سرح تسريحا ،
وسرح الماشية في الرعي سرحا : إذا أطلقها ترعى : والسرحان : الذئب ، لاتباعه
السرح . والسرحة : الشجرة المرتفعة ، لانطلاقها في جهة الطول . والمسرح : المشط ،
لاطلاق الشعر به . وسرحت الماشية : إذا انطلقت في المرعى . وسرحت العبد إذا
أعتقته . والسرح : الجراد ، لانطلاقه في البلاد ، والسريحة : القطعة من القند يشد
بها نعال الابل ، وكل شيء قد دنته مستطيلا ، فهو سريح .

النزول :

وروي أن هذه الآية نزلت في ثابت بن قيس ، وزوجته ، وردت عليه
حديثته ، وطلقها باذن النبي (ص) رواه ابن جريج .

المعنى ، والحجة ، والاعراب :

وقوله : « إلا أن يخافا » معناه : إلا أن يظنا وقال الشاعر :

أتاني كلام عن نصيب بقوله وما خفت ياسلام أنك عابني (١)

يعني ما ظننت وأنشد الفراء :

إذا مت فادفني الى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقتها

ولا تدفني في الفلات فاني أخاف إذا مامت ألا أذوقها (٢)

(١) مر نخرجه في ٢ : ١٨٩ . من هذا الكتاب .

(٢) قائلها أبو مجن النقي ، ديوانه : ٢٣ ، ومعاني القرآن للفراء : ١ : ١٤٦ وشيها

كثير ، وخبر أبي مجن في الخبر مشهور .

ومن ضم الياء ، فتقديره : إلا أن يخافا على أن لا يقيا حدود الله . وقال أبو عبيدة « إلا أن يخافا » معناه : يوقنا ، « فان خفتم » معناه فان أيقنتم . وقال أبو علي الفارسي : خاف فعل يتمدى الى مفعول واحد ، وذلك المفعول تارة يكون (أن) وصلتها ، وأخرى غيرها ، فأما تعديه الى غير (أن) فنحو قوله : « تخافونهم كخيفتكم أنفسكم » (١) . وتعديته الى (أن) كقوله : « تخافون أن يتخطفكم الناس » (٢) وقوله : « أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله » (٣) فان عديته الى مفعول بأن ضعفت العين ، أو اجتلبت حرف الجر كقولك : خوِّفت ضعف الناس قلوبهم ، وحرف الجر كقوله :

لو خافك الله عليه حرّمه

ومن ذلك قوله : « إنما الشيطان يخوف أولياءه » (٤) فيخوف قد حذف معه مفعول يقتضيه تقديره يخوف المؤمنين بأولياءه ، فحذف المفعول ، والجار ، فوصل الفعل الى المفعول الثاني ، ألا ترى أنه لا يخوف أولياءه على حدّ قولك خوِّفت اللصّ ، وإنما يخوِّف غيرهم مما لا استنصار لديهم ، ومثله فاذا خفت عليه بمنزلة المحذوف من قوله : « أولياءه » فاذا كان تعدي هذا الفعل على ما وصفنا ، فقول حمزة « إلا أن يخافا » ، مستقيم لأنه لما بني الفعل للمفعول به اسند الفعل إليه ، فلم يبق شيء يتعدى إليه ، وأما (أن) من قوله : « ألا يقيا حدود الله » ، فان الفعل يتعدى إليه بالجارّ ، كما تعدى بالجارّ في قوله :

لو خافك الله عليه حرّمه

وموضع أن في الآية جر بالجارّ المقدر ، على قول الخليل ، والكسائي . ونصب ، في قول سيبويه ، وأصحابه ، لأنه لما حذف الجارّ ، وصل الفعل الى المفعول الثاني ، مثل استغفر الله ذنباً ، وامراتك الخبير ، فقوله مستقيم على ما رأيت . فان قال قائل : لو كان يخافا كما قد أخبره ، لكان ينبغي أن يكون فان خيفاً قبل لا يلزمه هذا السؤال لأمرين :

« ٢ » سورة الانفال آية : ٢٦ .

« ٤ » سورة آل عمران آية : ١٧٥ .

« ١ » سورة الروم آية ٢٨ .

« ٣ » سورة النور آية : ٥٠ .

أحدها - أن يكون انصرف من الغيبة الى الخطاب ، كما قال : « الحمد لله » (١)
ثم قال : « إياك نعبد » (٢) ، وقال : « ما أتيتهم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك
هم المضعفون » (٣) ونظائر ذلك كثيرة .
والآخر - أن يكون الخطاب في قوله : « فان خفتن » مصروفاً الى الولاية ،
والمقهاء الذين يقومون بامور الكفاية ، وجاز أن يكون الخطاب للكثرة في من جملة
انصرافاً من الغيبة الى الخطاب ، لأن ضمير الاتين في « بخافا » ليس يراد به اثنان
مخصوصان ، وإنما يراد كل من كان هذا شأنه ، فهذا حكمه .
وأما من قرأ بالفتح ، فالمعنى أنه إذا خاف : من كل واحد من الزوج والمرأة
« ألا يقيما حدود الله » حل الافتداء ، ولا يحتاج في قولهم الى تقدير الجار ، لأن
الفعل يقتضي مفعولاً يتعدى إليه ، كما اقتضى في قوله : « فلا تخافوهم وخافون » (٤)
ولا بدّ من تقدير الجار في قراءة من ضم الياء ، لأن الفعل قد استند الى المفعول ،
فلا يتعدى الى المفعول الآخر إلا بالجار . قال أبو علي : فأما ما قاله الفراء في قول
حمزة « إلا أن يخافا » من أنه اعتبر قراءة عبدالله « إلا أن يخافوا » فلم ينصبه ، لأن
الخرف في قول عبدالله واقع على (أن) . وفي قراءة حمزة على الرجل ، والمرأة ،
وحال الخرف التي معه .

المعنى :

« ألا يقيما حدود الله » قال ابن عباس وعروة والضحاك : هو نشوز المرأة بفضا
للزوج . وقال الشعبي هو نشوزها ونشوزه ، والذي روي عن أبي عبد الله (ع)
أنه إذا خاف أن تعصي الله فيه بارتكاب محذور ، وإخلال بواجب ، وألا تطيعه فيما
يجب عليها ، فحينئذ يحل له أن يخلعها ، ومثله روي عن الحسن . وقيل : إن الخوف
من الإخلال بالحقوق التي تجب لكل واحد منهما على صاحبه ، وحسن العشرة
وجميل الصحبة .

« ٢٤١ » سورة الفاتحة آية : ٤ ، ١ . « ٣ » سورة الروم آية : ٣٩ .

« ٤ » سورة آل عمران آية : ١٢٥ .

فإن قيل كيف قال : « فلا جناح عليهما » ، وإنما الأباحة لأخذ الفدية ؛ قيل لأنه لو خص بالذكر لأوهم أنها عاصية ، وإن كانت الفدية له جائزة ، فبين الأذن لها لثلاثي يوم أنه كالزنا المحرم على الآخذ ، والمعطي . وذكر القراء وجهين : أحدهما - أنه قال : هو كقوله « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » (١) وإنما هو من الملح دون العذب ، فجاز الاتساع ، وهذا هو الذي يليق بمذهبنا ؛ لأن الذي يبيح الخلع - عندنا - هو ما لولاه ، لكانت المرأة به عاصية .

والوجه الثاني - على قوله (ص) : إن أظهرت الصدقة ، فحسن وإن أسررت فحسن ، وإنما على مزاجاة الكلام كقوله « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » (٢) والثاني ليس بعد ، وإن الفدية الجائزة في الخلع - فعندنا - إن كان البغض منها ، وحدها وخاف منها العصيان ، جاز أن يأخذ المهر فما زاد عليه ، وإن كان منها ، فيكون دون المهر . ورووا عن علي (ع) فقط ، ولم يفصلوا ، وبه قال الربيع ، وعطاء ، والزهري ، والشعبي . وقال ابن عباس ، وابن عمر ، ورحابن حوة ، وإبراهيم ، ومجاهد : إنه يجوز الزيادة على المهر ، والنقصان ، ولم يفصلوا ، والآية غير منسوخة عند أكثر المفسرين ، ابن عباس والحسن ، وجميع أهل العلم إلا بكر بن عبد الله ، فإنه زعم أنها منسوخة بقوله « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج » (٣) الآية . والخلع بالفدية على ثلاثة أوجه :

أحدها - أن تكون المرأة عجوزاً وذميمة ، فيضاربها ليفتدي بها ، فهذا لا يحل له الفدي ، لقوله « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج » (٤) الآية . والثاني - أن يرى الرجل امرأته على فاحشة ، فيضاربها لتفتدي بخلعها ، فهذا يجوز ، وهو معنى قوله « ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتينكموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة » (٥) والوجه الثالث :

« أن يخاف ألا يقبها حدود الله » لسوء خلق أو لقلته نفقة من غير ظلم ، أو

« ١ » سورة الرحمن آية : ٢٢ .

« ٢ » سورة البقرة آية : ١٩٤ .

« ٣ » سورة النساء آية : ١٨ .

« ٤ ، ٥ » سورة النساء آية : ١٩ .

نحو ذلك فيجوز الفدية لهما جميعاً على ما فصلناه .

واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد ، لا يقع ، لأنه قال : « مرتان » ثم ذكر الثالثة على الخلاف في أنها قوله : « أو تسريح باحسان » أو قوله : « فإن طلقها » ومن طلق بلفظ واحد لا يكون أتى بالمرتين ، ولا بالثالثة كما أنه لو أوجب في اللعان أربع شهادات : ولو أتى بلفظ واحد لما وقع موقعه . وكما لو رمى تسم حصيات في الجمار دفعة واحدة ، لم يكن مجزياً له ، فكذلك الطلاق ، ومتى ادعوا ، في ذلك خبراً ، فعليهم أن يذكره ليتكلم عليه ، فأما مسائل الخلع ، وفروعه ، وشروطه فقد ذكرناها في النهاية ، والمبسوط ، فلامعنى للتطويل بذكرها هاهنا لأن المطلوب هاهنا معاني القرآن ، وتأويله دون مسائل الفقه .

قوله تعالى :

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَسْكِحَ زَوْجًا
غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ
يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُدَيِّئُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
(٢٣٠) آية واحدة بلا خلاف .

المعنى :

قوله : « فإن طلقها فلا تحل له من بعد » المعنى فيه التولية الثالثة على ما روي عن أبي جعفر (ع) وبه قال السدي ، والضحاك ، والزجاج ، والجبائي ، والنظام . وقال مجاهد : هو تفسير لقوله : « أو تسريح باحسان » (١) فإنه التولية الثالثة ، وهو اختيار الطبري .

وصفة الزوج الذي تحل المرأة ، للزوج الأول أن يكون بالغاً ، ويعقد عليها عقداً صحيحاً دائماً ويندق عسيلتها ، بان يطأها وتذوق هي عسيلته - بلا

خلاف بين أهل العلم - فلا يحل لأحد أن يتزوجها في العدة ، وأما العقود الفاسدة أو عقود الشبهة فإنها لا تحل للزوج الأول ، ومتى وطأها بعقد صحيح في زمان يحرم عليه وطؤها مثل أن تكون حائضاً ، أو محرمة ، أو معتكفة ، فإنها تحل للأول لأن الوطء قد حصل في نكاح صحيح ، وإنما حرم الوطء لأمر ، ضار عليه ، هذا عند أكثر أهل العلم . وقال مالك : الوطء في الحيض لا يحل للأول وإن وجب به المهر كله ، والعدة .

الاعراب :

وموضع (أن) في قوله : « فلا جناح عليهما أن يتراجعا » خفض ، وتقديره في أن يتراجعا - عند الخليل ، والكسائي ، والزجاج - وقال الفراء : موضعه نصب ، واختاره الزجاج ، وباقي النحويين . وقال الفراء : الخفض لا أعرفه ، وموضع (أن) الثانية في قوله : « أن يقيا حدود الله » نصب - بلا خلاف بـ (ظنا) ، وإنما جاز حذف (في) من أن يتراجعا ولم يحذف من التراجع ، لأنه إنما جاز مع (أن) لظولها بالصلة ، كما جاز (الذي ضربت زيد) ، لظول الذي بالصلة ، ولم يحذف في المصدر ، كما لم يحذف في اسم الفاعل نحو (زيد ضارب عمرو) وتريد ضاربه .

المعنى :

وقوله : « فان طلقها » الثانية يعني به الزوج الثاني ، وذلك يدل على أن الوطء بعقد لا تحل للزوج الأول ، لأن الطلاق لا يلحق نكاح شبهة . والراجع المذكور هاهنا ، هو بعقد مستأنف ، ومهر جديد ، بلا خلاف .

القرارة :

وقوله : « بينها » قرأ المفضل عن عاصم بالنون على وجه الاخبار من الله عن نفسه . الباقيون بالياء ، الكناية عن الله .

المعنى :

قوله : « لقوم يعلمون » إنما خص العلم بذكر البيان وإن كان بياناً لغيرهم ، لأنهم الذين ينتفعون ببيان الآيات ، فصار غيرهم بمنزلة من لم يعتد به . ويجوز أيضاً أن يكونوا خصوا بالذكر تشريفاً لهم ، كما قال : « من كان عدواً لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال » (١) .

والحدود : المراد بها ما تقدم بيانها من أحكام الطلاق ، والايلاء ، والخلع ، وغير ذلك .

وقوله : « إن ظناً أن يقبأ حدود الله » لا يدل على وجوب الاجتهاد في الشريعة ، لأنه لا يمنع من تعلق أحكام كثيرة - في الشرع - في الظن ، وإنما فيه دلالة على ، من قال : لا يجوز : أن يعمل في شيء من الدين إلا على اليقين ، فأما الظن ، فلا يجوز أن يتعلق فيه شيء من الأحكام ، فالآية تبطل قوله .

وقوله : « فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره » يدل على أن النكاح بغير ولي جائز ، وأن المرأة يجوز لها العقد على نفسها ، لأنه أضاف العقد إليها دون وليها .
قوله تعالى :

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ
وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) آية واحدة
بلا خلاف .

قوله : « فبلغن أجلهن » معناه : انقضى عدتهن بالأقراء ، أو الأشهر ،

أو الوضع . والمعنى : إذا بلغن قرب انقضاء عدتهن ، لأن بعد انقضاء العدة ليس له إمساكها ، والإمساك ها هنا المراجعة قبل انقضاء العدة ، وبه قال ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، وقد يقال لمن دنا من البلد : فلان قد بلغ البلد . والمراد « بالمعروف » هذا الحق الذي يدعو إليه العقل ، أو الشرع للمعرفة بصحته ، بخلاف المنكر الذي يزجر عنه العقل ، أو السمع لاستحالة المعرفة بصحته ، فما يجوز المعرفة بصحته : معروف ، وما لا يجوز المعروف بصحته منكر .

والمراد به ها هنا أن يمسكها على الوجه الذي أباحه الله له : من القيام بما يجب لها من النفقة ، وحسن العشرة ، وغير ذلك ، ولا يقصد الاضرار بها .
وقد بينا أن التسريح أصله إرسال الماشية في المرعى ومنه قوله : « حين تريحون
و حين تسرحون » (١) .

وقوله : « ولا تمسكوهن ضراراً لمتعديا » معناه : لا تراجعوهن لا لرغبة فيهن بل لطلب الاضرار بهن إما في تطويل العدة ، أو طلب المفاداة أو غير ذلك ، فان ذلك غير جائز .

وقوله : « ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » فالظلم الضرر الذي ليس لأحد أن يضر به .

وقوله : « ولا تتخذوا آيات الله هزواً » يعني ما ذكره من الاحكام في الطلاق بما يجوز فيه المراجعة ، وما لهم على النساء من التربص حتى لعرا أو رفعوه بما ليس لهم عن ذلك (٢) وروي عن أبي الدرداء وأبي موسى الأشعري : أنهم قالوا : كان الرجل يطلق أو يعتق ثم يقول : إنما كنت لاعباً ، فلذلك قال رسول الله (ص) : من طلق لاعباً ، أو أعتق لاعباً ، فقد جاز عليه .

وقوله : « واعلموا أن الله بكل شيء عليم » معناه : التنبيه على أنه لا يسقط الجزاء على عمل من أعمالهم ، لخفائه عنه ، لأنه « بكل شيء عليم » والأجل هو

« ١ » سورة النحل آية : ٦ .

« ٢ » هكذا في المطبوعة ، ولم تتمكن من تصحيحها بما يناسب ، وهي كما ترى .

انقضاء مدة الانتظار . والامساك هاهنا : المنع من الذهاب والتسريح : الارسال بتركهن بانقضاء العدة .

قوله تعالى :

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَمِضُوهُنَّ
أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ
يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ
أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢) آية
واحدة بلا خلاف .

النزول :

قال قتادة ، والحسن : إن هذه الآية نزلت في معقل بن يسار حين عضل
أخته أن ترجع الى الزوج الأول ، فانه طلقها ، وخرجت من العدة ثم أرادت أن
يجتمعما بعقد آخر على نكاح آخر ، فمنعها من ذلك ، فنزلت فيه الآية . وقال
السدي : نزلت في جابر بن عبد الله عضل بنت عم له . والوجهان لا يصحان على
- مذهبنا - ، لأن عندنا أنه لا ولاية للأخ ، ولا لابن العم عليها وإنما هي ولاية
نفسها ، فلا تأثير لعضلها .

المعنى ،

والوجه في ذلك أن تحمل الآية على المطلقين ، لأنه خطاب لهم بقوله « وإذا
طلقتم النساء » نكايه قال : « فلا تمضوهن » ، بأن تراجعوهن عند قرب انقضاء
عدتهن ، ولا رغبة لكم فيهن ، وإنما تريدون الاضرار بهن ، فان ذلك مما لا يسوغ
في الدين ، والشرع ، كما قال في الأولى : « ولا تمسكوهن ضراراً لتعتمدوا » ولا
يطعن على ذلك قوله : « أن ينكحن أزواجهن » ، لأن المعنى فيه من يصبروا

أزواجهن ، كما أنهم لا بد لهم من ذلك إذا حملوا على الزوج الأول ، لأن بعد انقضاء العدة لا يكون زوجاً ، ويكون المراد من كان أزواجهن ، فما لهم إلا مثل ما عليهم . ويجوز أن يحمل العضل في الآية على الجبر ، والحيلولة بينهن ، وبين التزويج دون ما يتعلق بالولاية ، لأن العضل هو الحبس .

اللغة :

وقيل : إن العضل مأخوذ من المنع . وقيل : إنه مأخوذ من الضيق ، قال

أوس بن حجر :

وليس أخوك الدائم العهد بالذي يذمك إن ولى ويرضيك مقبلاً

ولكنه النائي إذا كنت آمناً وصاحبك الأذنى إذا لامرأ عضلاً (١)

وتقول : عضل المرأة يعضلها إذ منعها من التزويج ظلماً . وفي بعض اللغات يعضلها - بكسر الضاد - في المضارع . وأعضل الداء الأطباء إذا أعيام أن يقوموا به ، لأنه امتنع عليهم بشدة ، وهو داء عضال . والأمر المعضل : الذي يغلب الناس ، لا تمتاعه بصعوبته . وعضلت عليه إذا ضيقت عليه بما يحول بينه ، وبين ما يريد ظلماً ، لأنك منعت بالضييق عليه مما يريد . وعضلت المرأة بولدها إذا عسرت ولادتها وكذلك أعضلت ، وأعسرت ، لأن الولد امتنع من الخروج عسراً . وفلان عضلة من العضل : أي داهية من الدواهي ، لأنه امتنع بدائه . وعضل الوادي بأهله : إذا ضاق بأهله : وعضلة الساق : لجة مكتنزة . وأصل الباب المنع . وقيل أصله التضييق .

الأعراب ، والمعنى :

موضع (أن) من قوله : « أن ينكحن أزواجهن » جرّ عند الخليل ،

والكسائي ، وتقديره : من أن ، ونصب عند غيرها بالفعل .

وقوله : « ذلك يوعظ به » إنما قال بلفظ التوحيد وإن كان الخطاب للجميع

لأحد ثلاثة أوجه :

أحدها - أن (ذا) لما كان منها ما يستعمل الكاف معه كثيراً ، صار بمنزلة شيء واحد . ولا يجوز على ذلك (أيها القوم هذا غلامك) . وقال الفراء : توهم أن الكاف من (ذا) ، وأنكر ذلك الزجاج ، وقال : ليس في أفصح اللغات بناء على توهم خطأ . والوجه ما قلناه من التشبيه مما جعلت الكلمتان فيه بمنزلة شيء واحد .

والوجه الثاني - على تقدير : ذلك أيها القبيل .

والوجه الثالث - أن يكون خطاباً للرسول (ص) .

وقوله : « والله يعلم » معناه أنه يعلم من مصالح العباد ما لا يعلمون .

وقوله « من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر » (من) في موضع رفع

بـ (يوعظ) ، وإنما خص المؤمن بالوعظ لأحد ثلاثة أقوال :

أحدها - لأنهم المشفقون بالوعظ ، فنسب إليهم ، كما قال « هدى للمعتقين » (١)

و « إنما أنت منذر من يخشاها » (٢) .

والثاني - لأنهم أولى بالانعاض .

الثالث - إنما يلزمه الوعظ بعد قبوله الإيمان واعترافه بالله تعالى .

قوله تعالى :

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ

« ١ » سورة البقرة آية : ٢

« ٢ » سورة النازعات آية : ٤٥

بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)
آية واحدة بلا خلاف .

الفراة :

قرأ ابن كثير ، وأهل البصرة ، وقتيبة : « لا تضار » - بتشديد الزاء -
ورفعها . وقرأ أبو جعفر بتخفيفها وسكون ، الباوق بتشديدها وفتحها . وقرأ ابن
كثير « ما آتيتكم » قصراً ، وكذلك « ما آتيتكم من رباً » في الروم (١) .
قوله : « يرضعن أولادهن حولين كاملين » في حكم الله الذي أوجبه على عباده ،
فحذف للدلالة عليه .

الثاني - لأنه وقع موقع يرضعن ، صرفاً في الكلام مع رفع الاشكال . ولو
كان خبراً لكان كذباً ، لوجود والوالدات يرضعن أولادهن أكثر من حولين ،
وأقل منهما .

وفي الآيه بيان لأمرين : أحدهما مندوب ، والثاني فرض ، فالمندوب : هو
أن يجعل الرضاع تمام الحولين ، هي التي تستحق المرضعة الأجر فيهما ، ولا تستحق
فيما زاد عليهما ، وهو الذي بينه الله تعالى بقوله : « فان أرضعن لكم فآتوهن
أجورهن » (٢) ، فتثبت المدة التي تستحق بها الأجرة على ما أوجبه الله في
هذه الآية .

اللفظ :

تقول : رَضِعَ يَرْضَعُ ، وَرَضِعَ يَرْضَعُ رَضَاعَةً ، وَأَرْضَعْتَهُ أُمَّهُ إِرْضَاعًا ،
وَارْتَضَاعًا ، وَاسْتَرْضَعْتُ اسْتِرْضَاعًا ، وَرَضَعُهُ رَضَاعًا ، وَمِرْضَاعَةً . وَلِثِمٌ رَاضِعٌ ، لِأَنَّهُ
يَرْضَعُ لَبَنَ نَاقَتِهِ مِنْ لَوْمِهِ ، لِأَنَّ لَبَنَ يَسْمَعُ الضَّيْفُ صَوْتَ الشَّخْبِ . وَالرَّضْعَتَانِ : الثَّنِيَّتَانِ :
مَقْدِمَتَا الْأَسْنَانِ ، لِأَنَّهُ يَشْرَبُ عَلَيْهِمَا اللَّبَنَ . وَأَصْلُ الْبَابِ الرُّضْعُ ؛ مَصَّ الثَّدِيِّ ،

« ١ » سورة البقرة آية : ٣٩ ، سورة الروم آية : ٥ .

« ٢ » سورة الطلاق آية : ٦ .

لشرب اللبن منه . ومعنى « حولين » سنتان ، وهو مأخوذ من الانقلاب في قولك : حال الشيء عما كان عليه يحول ، فالحول ، لأنه انقلب عن الوقت الأول الى الثاني ، ومنه الاستحالة في الكلام ، لأنقلبه عن الصواب . وقيل أخذ من الانتقال من قولك : تحول عن المكان . وإنما قال : « كاملين » فان كانت التثنية تأتي على استيفاء العدة ، لرفع التوهم ، وإنه على طريقة التغليب ، كقولهم : سرنا يوم الجمعة . وإن كان السير في بعضه . وقد يقال : أقنا حولين ، وإن كانت الإقامة في حولين ، وبعض آخر (١) فهو لرفع الإيهام الذي يعرض في الكلام .

المعنى :

فان قيل : هل يلزم في كل مولود قيل : فيه خلاف : قال ابن عباس : لا ، لأنه يعتبر ذلك بقوله : « وحمله وفصاله ثلاثون شهراً » (٢) فان ولدت المرأة ستة أشهر ، فحولين كاملين ، وإن ولدت لسبعة أشهر ، فثلاثة وعشرون شهراً ، وإن ولدت لتسعة أشهر ، فاحد وعشرين شهراً تطلب بذلك التكملة لثلاثين شهراً في الحمل والفصال الذي سقط به الفرض ، وعلى هذا تدل أخبارنا ، لأنهم رووا : أن ما نقص عن إحدى وعشرين شهراً فهو جور على الصبي . وقال الثوري : هو لازم في كل ولد إذا اختلف والداه ، رجعا الى الحولين من غير نقصان ، ولا زيادة ، ولا يجوز لها غير ذلك ، والرضاع بعد الحولين لا حكم له في التحريم - عندنا - وبه قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر وأكثر العلماء ، وروى عن عائشة أن رضاع الكثير يؤثر . وقال أبو علي الجبائي لم يقم بهذا حجة ولا نزل له ظاهر القرآن .

وقوله : « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » معناه أنه يجب على الأب إطعام أم الولد وكسوتها ما دامت في الرضاعة اللازمة إذا كانت مطلقة ، وبه قال الضحاك والثوري وأكثر المفسرين .

« ١ » هكذا في المطبوعة ولعل الاصح (حول وبعض من آخر) .

« ٢ » سورة الاحقاق آية : ١٥ .

اللفظ ، والحوية :

يقال كساه يكسوه كسوة : إذا ألبسه الثياب واكتسى هو اكتساء : إذا لبس ، واكتست الأرض بالنبات إذا تغطت به ، وكسوته مدحاً أو ذمماً : إذا أثبت عليه أو ذمته . والكساء معروف ، وأصل الباب الكسوة : اللباس .

وقوله : « لا تكلف نفس إلا وسعها » يدل على فساد قول المجرة : في حسن تكليف مالا يطاق لأنه إذا لم يجوز أن يكلف مع عدم الجدة لم يجوز أن يكلف مع عدم القدرة ، لأنه إنما لم يحسن في الأول من حيث أنه لا طريق له إلى إداء ما كلفه من غير جدة ، فكذلك لا سبيل له إلى إداء ما كلف إلى الطاعة مع عدم القدرة ، ولا ينافي ذلك قوله : « فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً » (١) لأنه ليس المراد نفي القدرة وإنما معناه : أنه يثقل عليهم كما يقول القائل : لا أستطيع أن أنظر إلى كذا معناه : أنه يثقل عليّ ، ويقال : كلف وجهه كلفاً ، وبجده كلف أي أثر ، والكلف بالشيء الإيلاء به ، لأنه لزوم يظهر أثره عليه ، وكلف كلفاً : إذا أحب . وتكلف الأمر تكلفاً : تحمله . وكلفه تكليفاً : ألزمه . وأصل الباب الكلف : ظهور الأثر .

وقوله : « لا تضار والدة بولدها » أصله تضارر - بكسر الراء الأولى - وقيل - بفتحها - وأسكنت وأدغمت في الراء بعدها . ومن فتحها بالتقاء الساكنين ، وهو الأقوى فيما قبله فتحة أو ألف نحو عرض (٢) ولا تضار زيداً . وقال بعضهم : لا يجوز ألا تضارر بفتح الراء الأولى ، لأن المولود لا يصح منه مضارة ، لأن الأفسح لو كان كذلك الكسر . قال الرماني : غلط في الاعتلايين أما الأول ، فلا أنه ينقلب عليه في تضار إذا المضارة من إثنين في الحقيقة ، وإن لم يسم الفاعل . ولأنه إنما يرجع ذلك إلى الزوج ، والمرأة الأولى والولد . فأما الأفسح ، فعلى خلاف ما ذكر ، لأن الفتح لغة أهل الحجاز ، وبني أسد ، وكثير من العرب ، وهو القياس ، لأنه إذا جاز مد بالضم للاتباع ، كانت الفتحة بذلك أولى ، لأنها أخف ، ولأنه يجوز مد بالفتح طلباً للخفض ، فإذا اجتمع الاتباع والاستخفاف كان أولى ، وقوله : إن

« ١ » سورة الاسرى آية ٤٨ : ، وسورة الفرقان آية ٩ « ٢ » هكذا في المطبوعة .

الفتحة في تضار : هي الفتحة في الراء الاولى ، دعوى منه لا دليل عليها . ويدل على صحة ما قلناه : قوله : « من يرد منكم » (١) « ولا يضار كاتب » (٢) كل ذلك بالفتح دون الكسر .

المعنى :

وإنما قيل : « يضار » والفعل من واحد لانه لما كان معناه المبالغة كان بمنزلة من إثنين ، وذلك لانه يضره إن رجع عليه ، منه ضرورة ، فكأنه قيل : لا تضار والدة من الزوج بولدها . ولو قيل في ولدها لجازفي المعنى ، وكذلك فرض الوالد . وعن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) أي لا يترك جامعها خوف الحمل لاجل ولدها المرتضع « ولا مولود له بولده » يعني لا تمنع نفسها من الأب خوف الحمل ، فيضر ذلك بالأب وقيل : « لا تضار والدة بولدها » بأن ينزع الولد منها ، ويسترضع امرأة أخرى مع إيجابتها الى الرضاع باجرة المثل « ولا مولود له » بولده أي لا تمتنع هي من الارضاع إذا أعطيت أجرة مثلها ، والأولى حمل الآية على عموم ذلك . وقيل : معناه أن على الوالدة ألا تضار بولدها فيما يجب عليها من تعاهده ، والقيام بأمره ، ورضاعه ، وغذائه . وعلى الوالد ألا يضار بولده فيما يجب عليه من النفقة عليه ، وعلى أمه ، وفي حفظه ، وتعاهده .

وقوله : « وعلى الوارث مثل ذلك » قال الحسن ، وقتادة ، والسدي : الوارث للولد . وقال قبيصة بن ذؤيب : هو الوالد ، والأول أقوى . فان قيل : أعلى كل وارث له ، أم على بعضهم ؟ قيل : ذكر أبو علي الجبائي : أن على كل وارث نفقة الرضاع الأقرب فالأقرب يؤخذ به . وأما نفقة ما بعد الرضاع ، فاختلفوا ، فعندنا يلزم الوالدين - وإن عليا - النفقة على الولد وإن نزل ، ولا يلزم غيرهم . وقال قوم : يلزم العصابة دون الأم ، والأخوة من الأم ، ذهب اليه عمر ، والحسن . وقيل : على الوارث من الرجال ، والنساء على قدر النصيب من الميراث ، ذكره قتادة ، وعموم الآية يقتضيه ، غير أنا خصصناه بدليل . وقال أبو حنيفة ،

وأبو يوسف ، ومحمد : على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون من كان ذا رحم ليس بمحرّم ، كابن العم وابن الأخت ، فأوجبوا على ابن الأخت ولم يوجبوه على ابن العم وإن كان وارثه في تلك الحال ، وكذلك العمّة وابن العمّة حكاه ذلك أبو علي الجيّاني ، والبلخي . وقال سفيان « وعلى الوارث » : أي الباقي من أبويه ، وهذا مثل ما قلناه . وقد روي في أخبارنا : أن على الوارث كائناً من كان النفقة ، وهو ظاهر القرآن ، وبه قال قتادة ، وأحمد ، وإسحاق ، والحسن وإبراهيم .

اللغة :

والميراث : تركّة الميت ، تقول : ورث يرث إرثاً ، ووأرثه ميراثاً ، وتوارثوا توارثاً ، ووآرثته توريثاً . وأورثته الحي ضعفاً . والترات : الميراث . وورثت النار ، وأورثتها : إذا حركت جرها ، ليشتعل ، لأنه تظهر فيه النار عن الأول ، كظهور الميراث في الثاني عن الأول .

المعنى :

وقوله : « مثل ذلك » يعني من النفقة ، وبه قال إبراهيم . وقال الضحاك : من ترك المضارة . والمفهوم من الكلام ، وعند أكثر العلماء : الأمران معاً ، وهو أليق بالعموم .

وقوله : « فإن أرادوا فصلاً » فالفصال : الفطام ، لانفصال المولود عن الاعتناء بشدي أمه الى غيره من الاعتناء .

فان قيل : أي فصال ذلك أقبل الحولين أم بعدها ؟ قيل : فصال الحولين ، لأن الفرض معلوم (١) إذا تنازعا رجماً إليه ، فأما بعد الحولين ، فلا يجب على واحد منهما اتباع الآخر في دعائه . وبه قال مجاهد ، وقتادة ، وابن شهاب ، وسفيان وابن زيد . وروي عن ابن عباس : أنه إذا تراضيا على الفصال قبله أو بعده مضي ، فان لم يتراضيا رجماً الى الحولين .

« ١ » في المطبوعة (بطلوحة) .

اللفظ :

وأصل الباب الفرق ، يقال : فصل يفصل فصلا ، وفاصله مفاصلة ، وتفصلوا تفاصلا ، واستفصلوا استفصالا وتفصل انفصالا ، وفصله تفصيلا ، وتفصل تفصلا . وفواصل القلادة : شذر بين نظم الذهب . والفصل : القضاء بين الحق ، والباطل ، وهو الفبصل . وفصيلة الرجل بنو أبيه ، لانفصالمهم من أصل واحد . والفصيل : الواحد من أولاد الأبل ، لأنه فصل عن أمه . والفصيل : حائط قصير دون السور .

المعنى :

وقوله : « فلا جناح عليهما » يعني لا حرج ، على قول ابن عباس ، وهو مأخوذ من « جنحوا للسلم » (١) أي مالوا . والجناح : الميل عن الاستقامة . وقوله : « إذا سألتم ما آتيتم بالمعروف » معناه على قول مجاهد ، والسدي : أجر الأم بمقدار ما أرضعت أجره المثل . وقال سفيان : أجره المسترضعة . وقال ابن شهاب : سألتم الاسترضاع . وقال ابن جريج : أجره الأم والنظير . وقوله : « أن تسترضعوا أولادكم » معناه : لأولادكم ، وحذفت اللام لدلالة الاسترضاع عليه من حيث أنه لا يكون إلا للأولاد ، ولا يجوز : دعوت زيداً ، تريد زيد ، لأنه يجوز أن يكون المدعو ، والمدعوله ، إذ معنى دعوت زيداً لعمره ، خلاف دعوت زيداً فقط ، فلا يجوز للاباس . وفي الآية دلالة على أن الولادة لسته أشهر تصح ، لأنه إذا ضم إلى الحولين كان ثلاثين شهراً ، وروي عن علي (ع) وابن عباس ذلك .

الاعراب :

ومن رفع « لا تضار » فعلا استئناف النفي . وقال الكسائي ، والفراء : هو منسوق على « لا تكلف » . قال الرماني هذا غلط ، لأن النسق بـ (لا) إنما هو على إخراج الثاني مما دخل فيه الأول ، نحو ضربت زيداً لا عمراً ، فأما أن يقوم زيد

لا يقعد عمرو ، فلا يجوز على النسق ، ولكن يرفع على استئناف النفي بـ (لا) ،
فكذلك « لا تضار » مستأنف في اللفظ متصل في المعنى ، وقوله : « وان تصبروا
وتتقوا » (١) إنما جاز في موضع الجزم للاتباع ، وليس ذلك في « لا تضار » .

اللفظ :

والوسع : الطاقة مأخوذ من سمة المسلك الى المرض ، فيتمكن لذلك . ولو ضاق
لأعجز عنه ، والسمة فيه بمنزلة القدرة ، فلذلك قيل : الوسع بمعنى الطاقة .
وقوله : « وتشاور » فالتشاور مأخوذ من الشور ، وهو اجتناء العسل ،
تقول : شرت العسل ، وأنا اشوره شوراً ، واشيره إشارة : إذا اجتنيته من مكانه .
والمشورة : استخراج الرأي من المستشار ، لأنه يجتنى منه (٢) . وشاوره مشاورة ،
وأشار عليه إشارة ، واستشار استشارة . واستشار العسل : إذا اجتناه وأشار الى
الشيء إشارة : إذا أومى اليه ، والمشيرة الاصبع الذي تسمى السبابة لأنه يشار بها
الشباب ، وغيره . والشابة : الهيبة ، واللباس الحسن لأنه مما يشاب اليه لحسنه
والتشوير : استخراج سير الدابة كالأحسان .

قوله تعالى :

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا
فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) آية
واحدة بلا خلاف .

المعنى :

هذه الآية ناسخة لقوله : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية

« ١ » سورة آل عمران آية : ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .

« ٢ » في المطبوعة (يخشى منه) .

لأزواجهم متاعاً الى الحول غير اخراج « (١) » وإن كانت مقدمة عليه في التلاوة
 وعدة كل متوفى عنها زوجها : أربعة أشهر وعشراً سواء كانت مدخولاً بها ، أو
 غير مدخول ، حرة كانت أو أمة ، فإن كانت حبلى ، فعدتها أبعد الأجلين ، من
 وضع الحمل أو مضى الأربعة أشهر ، وعشرة أيام ، وهو المروي عن علي (ع) ،
 ووافقنا في الأمة الأصم ، وخالف باقي الفقهاء في ذلك ، وقالوا : عدتها نصف عدة
 الحرة : شهران وخمسة أيام ، وإليه ذهب قوم من أصحابنا ، وقالوا في عدة الحامل :
 إنها بوضع الحمل ، وإن كان بعد على المقتسل ، وروي ذلك عن عمر ، وأبي مسعود
 البدري ، وأبي هريرة . وعندنا أن وضع الحمل يختص بعدة المطلقة . والذي يجب
 على المعتدة في عدة الوفاة اجتنابه في قول ابن عباس ، ، وابن شهاب :
 الزينة ، والكحل بالآمد ، وترك النقلة عن المنزل . وقال الحسن في إحدى الروايتين
 عن ابن عباس : إن الواجب عليها الامتناع من الزواج لا غير . وعندنا أن جميع
 ذلك واجب .

الاعراب :

وقوله : « والذين » رفع بالابتداء « ويتوفون منكم » في صلة الذين
 « وينذرون أزواجاً » عطف عليه ، وخبر الذين قيل فيه أربعة أقوال :
 أولها - أن تكون الجملة على تقدير « والذين يتوفون منكم وينذرون أزواجاً »
 أزواجهم « يتربصن » .

الثاني - على تقدير « يتربصن » بعد هم أزواجهم .

الثالث - أن يكون الضمير في يتربصن ما عاد الى مضاف في المعنى ، كأن
 كان بمنزلة على تقدير « يتربصن » أزواجهم : هذا قول الزجاج والأول قول أبي
 العباس ، والثاني قول الأخفش ونظير قول الزجاج أن تقول : إذا مات ، وخلف
 ابنتين ، يرثان الثلثين ، المعنى يرث إبتناه الثلثين .

الرابع - أن يعدل عن الاخبار عن الأزواج ، لأن المعنى عليه ، والفايدة

فيه ذهب إليه الكسائي ، والقراء ، وأنكر ذلك أبو العباس ، والزجاج ، لأنه لا يكون مبتدأ لا خبر له ، ولا خبر إلا عن مخبر عنه ، وأنشد القراء (١) :

لعمري إن ماتت بي الريح ميّلة
على ابن أبي ديان أن يتندما (٢)
المعنى لعل ابن أبي ديان أن يتندم ، وهذا يجوز على حذف أن يتندم لأجل
وقال أيضاً :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف (٣)
وقال أبو عبيدة : نظير الآية قول شدّاد بن عتر :

فمن يك سائلاً عنّي فإني وحرّوة لا ترود ولا نعار
حرّوة اسم فرسه وإنما حذف الخبر من الأول ، لأن خبر الثاني يدل عليه ،
لأنه أراد فإني حاضر ، وفرسي حاضرة . لا ترود ، ولا نعار ، فدل بقوله : لا ترود
ولا نعار : على أنها حاضرة بتوعد وتهديد في قول أبي العباس .

وقوله : « يذرون » يتركون وترك ماضيه يترك تركاً . وتقول ذره تركاً
وكذلك يدع لينذر سواء ، والعلة في ذلك أنهم كرهوا الواوات في أول الكلام
حتى أنهم لم يلحقوها ، أو على جهة الزيادة أصلاً ، ففي رفض وذر : دليل على الكراهة
لها أصلية ، وليس بعد الضعف إلا الاتباع فلما ضعفت أصلية امتنعت زيادة ، فان
قيل كيف قال وعشراً بالتأنيث وإنما العدة على الأيام والليالي ، ولذلك لم يجوز أن
تقول : عندي عشر من الرجال والنساء . قيل لتغليب الليالي على الأيام إذا اجتمعت
في التاريخ ، وغيره ، لأن ابتداء شهور الأهلة انليالي منذ طلوع الهلال فلما كانت
الأوائل غلبت ، لأن الأوائل أقوى من الثواني وقال الشاعر :

« ١ » قائله ثابت قطنة التمكي ، واسمه ثابت بن كعب ، ذهبت عينه في الحرب فكان يحشوها
بقطنة ، وهو شاعر فارسي من شعراء خراسان في عهد الدولة الاموية قال فيه حاجب الفيل :
لا يعرف الناس منه غير قطنته وما سواها من الأنساب مجهول

« ٢ » تاريخ الطبري ٨ : ١٦٠ ، ومعاني القرآن للقراء ١ : ١٥٠ وهو من قصيدة
برني بها يزيد بن المهلب ، لما قتل في سنة ١٠٢ في خروجه على يزيد بن عبد الملك بن مروان .

« ٣ » سر نخريجي في ١ : ١٧٢ ، ٢٠٣ .

أقامت ثلاثاً بين يوم وليلة وكان التكبير أن تضيف وتجاراً (١)

معنى تضيف تميل وحكى القراء : صمنا عشرآ من شهر رمضان ولو أضاف الى الأيام فقال عشرة أيام ، لم يحز إلا التذكير ، وإنما جاز في الأول لأنه بمعنى عشر من رمضان وقع العمل في نهاره .

المعنى :

وقوله : « فاذا بلغن أجلهن » يقال : أجله تأجيلاً : إذا أخره ، والآجل نقيض العاجل ، وتأجل تأجلاً واستأجله استأجلاً ، وأجلوا ما لهم بأجلونه أجلاً : إذا حبسوه في المرعى ، لأنهم أخروه فيه والآجل : غاية الوقت في محل الدين وغيره ، لتأخره الى ذلك الوقت وأجل الشيء بأجل وهو آجل نقيض العاجل . لتأخره عن وقت غيره ، وفملته من أجل كذا أي لعاقبة كذا وهي متأخرة عن وقت الفعل الذي دعت إليه والآجل : القطيع من نقر الوحش ، وجمعه آجال ، وقد تأجل الصوار أي صار قطعياً لتأخر بعضه عن بعض ، وآجل عليهم شرآ آجلاً أي خبأه ، لأنه أعقبهم شرآ ، وهو متأخر عن وقت فعله . والآجلة الآخرة ، والعاجلة الدنيا . والمأجل شبه حوض واسع يؤجل فيه ماء البئر أياماً ، ثم يفجر في الزرع ، وهو بالفارسية : (كرجه) وذلك لتأخر الماء فيه .

وقوله : « والله بما تعملون خبير » فالخبير : العالم ، لأنه عالم بمخبر الخبر . والخبار : الأرض السهلة فيها حجارة ، وأحفار . وأخبرت بالشيء إخباراً ، لأنه تسهيل لطريق العلم به ، واستخبره استخباراً ، وتخبر تخبراً ، وخبره تخبيراً ، وأخبره إخباراً ، وتخبر القوم : بينهم خبرة : إذا اشتروا شاة ، فذبجوها ، واقتسموا لحمها ، والشاة : خبيرة . والخبيرة : المزايدة العظيمة . والخبارة : أن يزرع على النصف ، أو الثلث ، أو نحوه . والاكار : الخبير . والخبارة : المؤاكرة ، وذلك لتسهيل الزراعة . وأصل الباب السهولة .

« ١ » اللسان صيف . قاله النابغة الجعدي . في المطبوعة (تجاراً) بدل (تجاراً) وهو تحريف .

المعنى :

وقوله : « فإذا بلغن أجلهن » أي انقضت هذه المدة ، وهي الأربعة أشهر وعشراً « فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف » أي لا جناح عليكم أن تزكوهن إذا انقضت هذه المدة أن يتزوجن ، وأن يتزين زينة لا يفكر مثلها . وهو معنى قوله « بالمعروف » .

قوله تعالى :

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ مُخْطَبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَذْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَذَكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَكِيمٌ (٢٣٥) آية في الكوفي .

المعنى :

قال ابن عباس : التعريض المباح في العدة هو قول الرجل : أريد التزويج ، وأحب امرأة من خالها ، ومن أمرها ، وشأنها ، فيذكر بعض الصفة التي هي عليها ، هذا قول ابن عباس . وقال القاسم بن محمد ، وعامر تقول : إنك لنا فقة ، وإنك لمعجبة جميلة ، وإن قضى الله شيئاً كان .

اللغة :

والخطبة : الذكر الذي يستدعي به إلى عقدة النكاح ، والخطبة : الوعظ المنسق على ضرب من التأليف . وقيل : الخطبة : ماله أول ، وآخر ، مثل الرسالة . والخطبة

للحال نحو الجلسة ، والقعدة ، تقول : خطب المرأة يخطبها خطبة ، لأنه خاطب في عقد النكاح . وخطب خطبة ، لأنه خاطب بالزجر ، والوعظ على ضرب من تأليف اللفظ المخصوص . وخاطب مخاطبة ، وخطاباً ، وتخطبوا تخطباً . والخطب : الأمر العظيم . والخطبان : الحنظل الذي تشتد خضرته حتى تستحيل الى الغبرة ، والصفرة . وأصل الباب الخطاب .

والفرق بين التعريض ، والكناية أن التعريض : تضمين الكلام دلالة على شيء ليس فيه ذكر له ، والكناية : العدول عن الذكر الأخص بالشيء الى ذكر يدل عليه « فالأول كقول القائل : ما أقبح البخل ، يعرض بأن المخاطب بخيل ، ولعن الله الملحدين ، يعرض له بالاحقاد . والثاني كقولك : زيد ضربته ، كنيته عنه بالهاء الموجودة في (ضربته) .

وقوله : « أو أكنتم في أنفسكم » فلا كنان : إسرار العزم على النكاح دون إظهاره على قول ابن زيد ، ومجاهد . وقال قوم : هو معنى التعريض بالخطبة إن شئت أظهرته ، وإن شئت أضمرته . وتقول : كنيته الشيء : إذا سترته ، أكنه كناً وكنوناً وأكنفته إكناً إذا أضمرته ، لأنك سترته في نفسك . واستكن الرجل ، وأكنن إذا صار في كُن ، لأنه صار فيما يستره . والكنانة الجمبة غير أنها صغيرة تتخذ للنبيل . والسكة : امرأة الابن أو ابن الأخ . والجمع كنانين . وسمي الكانونون كانوناً ، لأنه يحتاج إليه في وقت الاكتنان من البرد ، ومنه قوله : « كأنهن بيض مكنون » (١) « وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون » (٢) وأصل الباب الكن : الستر .

والفرق بين الاكتنان والسكرن : أن الاكتنان : الاضمار في النفس ، ولا يقال كنيته في نفسي . وقيل : كنيته معناه صنته كما قال : « كأنهن بيض مكنون » .

« ١ » سورة الصافات آية : ٤٩ .

« ٢ » سورة النمل آية ٧٤ ، وسورة القصص آية : ٦٩ .

المعنى :

وقوله : « لا تواعدوهن سرآ » قال الحسن ، وإبراهيم ، وأبو مجيلة : السر المنهي عنه هاهنا الزنا . وقال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والشعبي : هو العهد على الامتناع من تزويج غيرك . وقال مجاهد : هو أن تقول لها لا تقوتيني بنفسك ، فأني ناكحك . وقال ابن زيد : هو اسرار عقدة النكاح في العدة .

اللفظ :

والسر في اللغة على ثلاثة أوجه : الاخفاء في النفس ، والشرف في الحسب ، يقال : فلان في سر قومه إذا كان في شرفهم ، وصميمهم . والجماع في الفرج قال الشاعر :

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وألا يشهد السر أمثالي (١)
وقال رؤبة :

فعمف عن أسرارها بعد العسق ولم يضعها بين فرك وعشق (٢)
العشق اللصوق وقال الخطيئة :

ويحرم سرُّ جارتهم عليهم وبأكل جارهم أنف القصاع (٣)
وقوله : « إلا أن تقولوا قولاً معروفاً » يعني التعريض الذي أباحه الله تعالى . و (إلا) بمعنى (لکن) لأن ما قبلها هو المنهي عنه ، وما بعدها هو المأذون فيه . وتقديره : ولکن قولوا قولاً معروفاً .

وقوله : « ولا تعزموا عقدة النكاح : تقديره على عقدة النكاح ، وحذفت على ،

« ١ » قاله امرء القيس ديوانه : ١٥٩ وروايت (وألا يحسن السر) بدل (وألا يشهد السر) .
« ٢ » ديوانه : ١٠٤ ، واللسان « عشق » ، « عشق » ، « فرك » ، « سرر » . الأسرار جمع سر . والعسق مصدر « عشق به يسق » لزمه وأولع به . والفرك - بكسر الفاء وسكون الراء - بغضة الرجل امرأته أو بالعكس ، وامرأة فرك ، وفرك : إتكرم زوجها وتدروى « العشق » .

« ٣ » اللسان (أنف) . أنف كل شيء : طرفه ، وأوله .

لدلالة العزم عليها ، لأنه لا يكون إلا على معزوم عليه ، كما قيل : ضربه الظهر والبطن أي على الظهر والبطن .

والعقد : الشد ، تقول : عقد يعقد عقداً ، وأعقدت العسل إعقاداً ، واعتقد صحة الأمر اعتقاداً ، وتعاقداً على الأمر تعاقداً ، وعاقده معاقدة ، وعقد كلامه تعقيداً ، وتعقد تعقداً ، وانعقد انعقاداً ، وعقد العبد ، لأنه كعقد الحبل في التوثيق .
والعقد : السمط من الجوهر . والعقد : الرمل للتداخل . وعقد اليمين : خلاف اللغو .
وناقة عاقد أي لاقح ، لأنها تعقد بذنبها ، فيظهر أنها قد لقحت .

المعنى :

وقوله : « حتى يبلغ الكتاب أجله » معناه انقضاء العدة بلا خلاف . والكتاب الذي يبلغ أجله هو القرآن ومعناه : فرض الكتاب أجله . ويجوز أن يكون الكتاب نفسه هو الفرض ، ذكره الزجاج ، ووجه ثالث أن يكون ذلك على وجه التشبيه بكتاب الدين ، ذكره الجبائي .

وقوله : « والله غفور حلیم » قد بينا أن الحليم من الله هو إمهال العقوبة المستحقة . وقال أبو علي الجبائي هو كل فعل يضاد حدوث العقوبة في الإنسان ، وهو من الإنسان ترك العقاب . والله تعالى لا يجوز عليه الترك ، فهو ما وصفنا من نعمه التي تضاد عقوبته .

قوله تعالى :

لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) آية بلا خلاف .

الفراة :

قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف « تمسوهن » بضم التاء وبألف هاهنا

موضعان ، وموضع في الأحزاب ، وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة إلا أبا بكر ، وابن ذكوان « قدره » بفتح الدال في الموضعين . الباؤون باسكانها .

المعنى :

المفروض صداقها داخلة في دلالة الآية وإن لم يذكر ، لأن التقدير ما لم تمسوهن ممن قد فرضتم لهن أو لم تفرضوا لهن فريضة ، لأن أو تنبيء عن ذلك ، لأنه لو كان على الجمع لكان بالواو .

والفريضة المذكورة في الآية : الصداق ، بلا خلاف ، لأنه يجب بالعقد للمرأة ، فهو فرض لوجوبه بالعقد .

ومتعة التي لم يدخل بها ولا يسمى لها صداق على قدر الرجل ، والمرأة ، قال ابن عباس ، والشعبي ، والربيع : خادم أو كسوة أو رزق ، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) . وقيل مثل نصف صداق تلك المرأة المنكوحه ، حكى ذلك عن أبي حنيفة وأصحابه . وفي وجوب المتعة لكل مطلقة خلاف . قال الحسن وأبو العالية : المتعة لكل مطلقة إلا المختلعة ، والمبارية ، والملاعنة . وقال سعيد بن المسيب : المتعة التي لم يسم لها صداق ، خاصة ، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) . وقد روي أيضاً أنها لكل مطلقة ، وذلك على وجه الاستحباب . والمتعة التي لم يدخل بها ولم يعرض لها يجبر عليها السلطان ، وهو قول أهل العراق . وقال أهل المدينة وشريح يؤمر لها ، ولا يجبر عليها .

اللفظ :

والموسع : الغني في سعة ، من ماله لعياله . والمقتر : الذي في ضيق لفقره ، تقول : أقتر الرجل إقتاراً : إذا أقل ، فهو مقتر أي مقل ، وقترت الشيء أقترته قترأ ، وأقترته إقتاراً ، وقترته تقترأ : إذا ضيقت الانفاق منه . والقنار : دخان الشحم على النار ، ونحوه ، لغلبيته بالاضافة الى بقيته . والقنر : الغبار . والقنرة : ما يغشي الوجه

من غير الموت ، والكرب ، لأنه كالقنار أو كالغبار يغشى الوجه ، وفي التنزيل « ترهقها قنرة » (١) والقنير : مسامير الدروع ، لقلنها وصغرها . والقنير ابتداء الشيب ، لقلته . ويجوز أن يكون مشبهاً بالدخان أول ما يرتفع . والقنرة ناموس الصائد ، لأنها كالقنار باخفائه إياها . ورجل قنر : حسن الأخذ من ظهر البعير لا يعقره لقلته ما يأخذ منه ، وأصل الباب الاقلال . وابن قنرة : حية خبيثة لا ينجو سليحها .

المعنى :

والمتوفى عنها زوجها إذا لم يفرض لها صداق عليها العدة - بلا خلاف - ولها الميراث إجماعاً . وقال الحسن والضحاك وأكثر الفقهاء . لها صداق مثلها . وحكى الجبائي عن بعض الفقهاء : أنه لا مهر لها ، وهو الذي يليق بمذهبنا ، ولا نص لأصحابنا فيها .

الاعراب ، والمعنى :

ويحتمل نصب « متاعاً » وجهين : أحدهما - أن يكون حالاً من قدره ، لأنه معرفة ، والعامل فيه الظرف . والثاني - على المصدر ، والعامل فيه « ومتعوهن » . ويحتمل نصب حقا وجهين : أحدهما - أن يكون حالاً من « بالمعروف حقا » والعامل فيه معنى عرف حقا . الثاني - على التأكيدي ، لجملة الخبر كأنه قيل : أخبركم به حقا كأنه قيل : إيجاباً « على المحسنين » وإنما خص التي لم يدخل بها بالذكر في رفع الجناح دون المدخول بها بالذكر وإن كان حكمها واحداً لأمريين : أحدهما - لآزالة الشك في الحرج على هذا الطلاق . والثاني - لأن له أن يطلق أي وقت شاء ، وليس كذلك حكم المدخول بها ، لأنه يجب أن يطلقها للعدة . « وقدره » على تقدير أعطوهن قدر الوسع كما يقال : أخذ صدقاتهن لكل أربعين شاة بالرفع ، والنصب . وقال الشاعر في تسكين الدال :

وما صبَّ رجلي في حديد مجاشع مع القدر إلا حاجة لي أريدها (١)
وقال آخر :

ألا يا لقومي للنواب والقدر ! وللأمر يأتي المرء من حيث لا يدري! (٢)
قال أبو زيد : قدر القوم : أمرهم يقدرونه قدرأ ، وهذا قدر هذا أي مثله ،
وقدر الله الرزق يقدره . وروى السكوني يقدره قدرأ . وقدرت الشيء بالشيء أقدره
قدرأ . وقدرت على الأمر أقدر عليه قدرة ، وقدرأ ؛ وقدارة . ونسأل الله خير
القدر . وقال أبو الصقر : هذا قدر هذا ، وأهل قدر ما تطيق . قال أبو الحسن :
هو القدر ، والقدر . وخذ منه بقدر كذا ، وقدر كذا : لغتان فيه . وقوله :
« فسالت أودية بقدرها » وقدرها (٣) .

الحجج :

ومن قرأ « تمسوهن » بلالف ، فلقوله تعالى : « ولم يمسنني بشر » (٤)
فانه من جاء على (فعل) ، وكذلك قوله : « لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان » (٥)
ومن قرأ « تمسوهن بالف » ، لأن (فاعل) ، و (فعل) قد يراد بكل واحد منهما
ما يراد بالآخر ، نحو طابقت النعل وعاقبت اللص ولا يلزم على ذلك في آية الظهار
« من قبل أن يتامسا » (٦) لأن الماسة محرمة في الظهار على كل واحد من الزوجين
للآخر ، فلذلك لم يجوز إلا « من قبل أن يتامسا » . وفي الآية دليل على أن العقد بغير
مهر صحيح ، لأنه لو لم يصح لما جاز فيه الطلاق ، ولا وجبت المتعة .

« ١ » قاله الفرزدق ديوانه : ٢١٥ ، واللسان (صبب) ، (قدر) ، ومقاييس اللغة ٥ : ٦٢
والاساس (صبب) ، واصلاح المنطق : ١٠٩ .
« ٢ » البيت لهدبة بن خشرم . اللسان (قدر) في المطبوعة (بالقوم) بدل (لقومي)
و (للام) بدل (للامر) .
« ٣ » سورة الرعد آية : ١٩ وقد قرأت الآية « بقدرها » بفتح الدال ، وبسكونها .
وخط المصحف بالسكون .
« ٤ » سورة آل عمران آية : ٤٧ .
« ٥ » سورة الرحمن آية : ٧٤ .
« ٦ » سورة المجادلة آية : ٤ ، ٣ ، ٤ .

قوله تعالى :

وإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧) آية واحدة بلا خلاف .

روى سعيد بن المسيب : أن هذه الآية ناسخة لحكم المتعة في الآية الأولى . قال البلخي : وهذا ليس بصحيح ، لأن الآية الأولى تضمنت حكم من لم يدخل بها ، ولم يسم لها مهرأ إذا طلقها ، وهذه تضمنت حكم التي فرض لها صداق إذا طلقت قبل الدخول ، وأحد الحكمين غير الآخر . والذي قاله سعيد بن المسيب متوجه على ما قدمناه في الآية من أن دليلها يتناول التي فرض لها المهر . وإن حملنا قوله : « ومتعهن » على عمومه لزم أن تمتع كل مطلقة وإن سمي لها مهرأ . وإن قلنا : لا متعة للمفروض لها الصداق ، فلا يلزم نسخ الآية أو تخصيصها إن نزلت معها . وقال جميع أهل التأويل : إنه إذا طلق الرجل من سمي لها مهرأ معلوماً قبل أن يدخل بها ، فإنه يستقر لها نصف المهر ، فإن كانت ما قبضت شيئاً وجب عليه تسليم نصف المهر ، وإن كانت قد سلمت جميع المهر ، وجب عليها رد نصف المهر ، ويستقر لها النصف الآخر .

اللفظ :

والنصف : هو سهم من اثنين ، تقول : نصفه ينصفه ، وانتصف انتصافاً ، ونصفه تصنيفاً ، وأنصفه إنصافاً ، وتناصفوا تناصفاً ، وناصفه مناصفة ، وتنصف تنصفاً . والنصف : المرأة بين المسنة والحديثة ، لأنها على نصف المسنة . والناصف : الخادم ، هو ينصف الملوک أي يخدمهم ، لأنه يعطيهم النصف من نفسه قسراً وذلاً .

والانصاف ، لأنه كالنصف في العدل . والنصيف : الخمار ، لأنه كالنصف في أنه وسط بين الصغير ، والكبير ، ويقال له : نصيفة . ومنتصف الطريق : وسطه . والمنصف من الشراب الذي طبخ حتى ذهب نصفه . والنصيف : مكيال ، لأنه على النصف بالتعديل بين الكبير والصغير .

المعنى :

وقوله : « أن يعفون » معناه : أن يصح عفوها ، من الحرار البالغات غير المولى عليها ، لفساد عقلها ، فتترك ما يجب لها من نصف الصداق ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وجميع أهل العلم .

وقوله : « أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح » قال مجاهد ، والحسن ، وعلقمة : إنه الولي ، وهو المروي عن أبي جعفر ، وأبي عبد الله (ع) ، غير أنه لا ولاية لأحد - عندنا - إلا الأب أو الجد على البكر غير البالغ ، فأما من عداها ، فلا ولاية له إلا بتولية منهما ، روي عن علي (ع) . وعن سعيد بن المسيب ، وشريح ، وحماد ، وإبراهيم ، وأبي حذيفة ، وابن شبرمة : أنه الزوج ، وروي ذلك أيضاً في أخبارنا غير أن الأول أظهر ، وهو المذهب ، وفيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف ، وقويننا ما أخبرنا هناك .

والألف واللام في قوله « عقدة النكاح » بدل من الاضافة ، فن جعل الزوج قال : تقديره : الذي بيده عقدة نكاحه ، ومن جعل الولي ، قال : تقدير الذي بيده عقدة نكاحها ، ومثله قوله تعالى : « فإن الجنة هي المأوى » (١) ومعناه : هي مأواه وقراره وقال النابغة :

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم من الناس والأحلام غير عواذب (٢)

« ١ » - سورة النازعات آية : ٤١ .

« ٢ » ديوانه : ٤٥ . من قصيدته في مدح عمرو بن الحارث الأصغر الأعرج الغساني وذلك حين فر من النعمان بن المنذر إلى الشام . والضمير في « لهم » عائد إلى ملوك غسان من بني جفنة . والشيمة : الخلق ، والطبيعة .

معناه وأحلامهم غير عواذب . ومن جعل العفو للزوج قال : له أن يعفو عن جميع نصفه . ومن جعله للولي : قال أصحابنا له أن يعفو عن بعضه ، وليس له أن يعفو عن جميعه ، فإن امتنعت المرأة من ذلك لم يكن لها ذلك إذا اقتضت المصلحة ذلك ، عن أبي عبد الله (ع) . واختار الجبائي أن يكون المراد به الزوج ، قال : لأنه ليس للولي أن يهب مال المرأة ، وقوله : « وأن تعفوا أقرب للتقوى » خطاب للزوج والمرأة ، قال لأنه ليس للولي أن يهب مال المرأة .

وقوله : « وأن تعفوا أقرب للتقوى » خطاب للزوج ، والمرأة جميعاً - في قول ابن عباس - وقيل : للزوج وحده عن الشعبي ، وإنما جمع لأنه لكل زوج وقول ابن عباس أقوى لأنه العموم . وإنما كان العفو أقرب للتقوى من وجهين : أحدهما - لانتفاء ظلم كل واحد صاحبه مما يجب من حقه . الثاني - أنه أدعى إلى اتقاء معاصي الله ، للرجبة فيمارغب فيه من العفو عماله .

الاعراب :

وقوله : « فنصف ما فرضتم » رفع على : عليكم نصف ما فرضتم ، وكان يجوز أن ينصب في العربية على فأدوا نصف ما فرضتم .

وقوله : « ولا تنسوا الفضل بينكم » الواو مضمومة ، لأنها واء الجمع ، وقياسها أن تكون مع ضم ما قبلها ، فإذا لم يوصل اليه جعل الضم منها ، وكان يجوز فيها الكسر ، ومثله « اشتروا الضلالة » (١) على ضعف فيه ، وقد مضى ذكره .

المعنى :

والذي يوجب المهر كاملاً الجماع ، وهو المراد بالميسر ، وقال أهل العراق : وهو الخلوة التامة إذا أغلق الباب وأرخى الستر ، وقد روى ذلك أصحابنا غير أن هذا يعتبر في حق الثيب .

قوله تعالى :

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ

(٢٣٨) آية .

اللفظ :

الحفظ ضبط الشيء في النفس ، ثم يشبه به ضبطه بالمنع من الذهاب . والحفظ خلاف النسيان تقول : حفظ حفظاً ، وحافظ محافظاً ، واحتفظ به احتفاظاً ، وتحفظ تحفظاً ، واستحفظ استحفاظاً ، وأحفظه إحفاظاً : إذا أغضبه ، لأنه حفظ عليه ما يكرهه . ومنه الحفيظة : الحمية . والحافظ : خلاف المضيع . والحفيظ : الموكل بالشيء ، لأنه وكل به ليحفظه وأهل الحفاظ : أهل الندام ، ومنه قوله : « فما أرسلناك عليهم حفيظاً » (١) .

المعنى :

ومعنى الآية الحث على مراعات الصلوات ، ومواقبتين ، والأيقع فيها تضيق وتقرير . وقوله « والصلوة الوسطى » هي العصر فيما روي عن النبي (ص) وعلي (ع) وابن عباس ، والحسن . وقال زيد بن ثابت ، وابن عمر : إنها الظهر ، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) . وقال قبيصة بن ذؤيب : هي المغرب ، وقال جابر ابن عبد الله هي الغداة . وفيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف . وروي عن ابن عمر أنه قال : واحدة من الخمس غير متميزة . وقال الحسين بن علي المغربي : المعنى فيها صلاة الجماعة ، لأن الوسط العدل ، فلما كانت صلاة الجماعة أفضلها خصت بالذكر ، وهذا وجه ملبح غير أنه لم يذهب إليه أحد من المفسرين ، فمن جعلها العصر قال : لأنها بين صلاتي النهار ، وصلاتي الليل ، وإنما حض عليها ، لأنها وقت شغل الناس في غالب الأمر ، ومن قال : إنها الظهر قال : لأنها وسط النهار ، وقيل : هي أول صلاة فرضت ، فلها بذلك فضل . ومن قال : هي المغرب قال : لأنها وسط في الطول ، والفصر من بين الصلوات ، فهي أول صلاة الليل الذي رغب في الصلاة

فيه ، وأما من قال هي الغداة قال : لأنها بين الظلام والضياء ، وصلاة لا تجتمع مع غيرها . وقد جمع النبي (ص) بين الظهر والعصر بعرفة ، وجمع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة ، فهذه متواخية وتلك مفردة .

وقوله : « وقوموا لله قانتين » قال ابن عباس ، والحسن : معناه طائعين . وقال عبد الله بن مسعود : ساكتين ، لأنهم نهوا بذلك عن الكلام في الصلاة . وقال مجاهد : معناه خاشعين فنهوا عن العبث ، والتلفت في الصلاة . وقال ابن عباس في رواية : داعين ولذلك قال هي صلاة الصبح ، لأنه لا صلاة فرض فيها قنوت إلا هي . وعن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) مثل ذلك إلا أنهما قالوا : القنوت في كل ركعتين قبل الركوع .

اللغة ، والاعراب :

وأصل القنوت الدوام على أمر واحد . وقيل أصله الطاعة . وقيل أصله الدعاء في حال القيام . وقال الرماني والوجه الأول أحسن بصرفه في الباب ، لأن المداوم على الطاعة قانت ، وقال المداوم في صلاته على الكون إلا عن الذكر المشروع له ، وكذلك المداوم . ويقال : فلان يقنت عليه أي يدعو عليه دائماً .

والصلاة الوسطى مخفوفة بالمعطف على الصلوات وكان يجوز النصب على « والصلاة الوسطى » خصوصاً بالمحافظة . ومن حمل الصلاة الوسطى على صلاة الجماعة جعل قوله : « على الصلوات » على عمومها . ومن حملها على واحدة من الصلوات على الخلاف فيه اختلفوا ، فمنهم من قال أراد بقوله « على الصلوات » ما عدا هذه الصلاة وإلا كان يكون عطف الشيء على نفسه ، ومنهم من قال لا يمتنع أن يريد بالأول جميع الصلوات ، وخص هذه بالذكر تعظيماً لها وتأكيدها لفضلها .

قوله تعالى :

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ
كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩) آية ٥

المعنى:

معنى قوله : « فرجالاً » أي على أرجلكم ، لأن الرجل : هو الكائن على رجله واقفاً كان ، أو ماشياً . وأحد الرجال : راجل وجمعه رجال ، مثل تاجر وتجار ، وصاحب ، وصحاب ، وقائم ، وقيام . وواحد الركبان : راكب ، وجمعه ركبان ، وركاب ، كفارس ، وفرسان . وتقول : ركب يركب ركوباً ، وأركبه إركاباً ، وارتكب ارتكاباً ، وتراكب الشيء تراكباً ، وتركب تركيباً ، وركبه تركيباً ، واستركب استركاباً . وكل شيء علا شيئاً ، فقدركبه . وركبه الدين ، ونحوه . والركبة معروفة ، لروب البدن لها . وركبة البعير في يده . والركاب : المطي . وركاب السرج ، لأنه يركب . والركبان : أصلاً المخذين الذين عليهما لحم الفرج لركوبه إياهما . وفسر أركب ، والاتى ركبى : إذا عظمت ركبتيهما وهو عيب . وأركب المهر : إذا أمكن أن يركب . ورجل مراكب : الذي يغزوا على فرس غيره . والراكبة : فسيلة تتعلق بالنخلة لا تبلغ الأرض . وركبت الرجل أركبه ركباً : إذا ضربته بركبتك . والركوب : كل دابة تركب ، ومنه قوله : « فمنها ركوبهم » (١) وأصل الباب الركوب : العلو على الشيء .

المعنى :

والعامل في قوله : « فرجالاً » محذوف ، وتقديره : فصلوا رجالاً أو ركباناً . وصلاة الخوف من العدة : ركعتان كيف توجه إنما يجعل السجود أخفض من الركوع - في قول إبراهيم ، والضحاك - فإن لم يستطع ، فليكن بتكبيرتين . وروي أن علياً (ع) صلى ليلة الهرب خمس صلوات بالإيماء وقيل بالتكبير . وإن النبي (ص) صلى يوم الاحزاب إيماء . وروي أنه قضاها بعد أن فأت بالليل . وقال ابن عباس والحسن : يجوز في صلاة الخوف ركعة واحدة . وقال الحسن ، وقتادة ، وابن زيد : يجوز أن يصلي الخائف ماشياً . وقال أهل العراق : لا يصلي ماشياً ، لأن المشي

عمل . والذي نقوله : إن الخائف إن صلى منفرداً صلاة شدة الخوف صلى ركعتين يومئذ إيماء ، ويكون سجوده أخفض من ركوعه ، وإن لم يتمكن كبر عن كل ركعة تكبيرة ، وهكذا صلاة شدة الخوف إذا صلوا جماعة ، وإن صلوا جماعة غير صلاة شدة الخوف ، فقد بينا الخلاف فيه وكيفية فعلها في خلاف الفقهاء .

والذكر في الآية قيل في معناه قولان :

أحدهما - أنه الصلاة ، أي فصلوا صلاة الأمان كما علمكم الله ، هذا قول الحسن ، وابن زيد .

الثاني - اذكره بالثناء عليه ، والحمد له كما علمكم ما لم تعلموا من أمر دينكم ، وغير ذلك من أموركم . والأولى حمل الآية على عمومها في الأمرين .

قوله تعالى :

وَالَّذِينَ يُتْرَفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً
لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا
مُجْنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ (٢٤٠) آية واحدة بلا خلاف .

قرأ نافع ، وابن كثير ، والنكسائي ، وأبو بكر عن عاصم « وصية » بالرفع .
الباقون بالنصب .

المعنى :

هذه الآية منسوخة الحكم بالآية المتقدمة ، وهي قوله : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » بلا خلاف في نسخ العدة إلا أبا حذيفة ، فإنه قال : العدة أربعة أشهر وعشراً ، وما زاد إلى الحول يثبت بالوصية والنفقة ، فإن امتنع الورثة من ذلك كان لها أن تنصرف في نفسها ، فأما حكم الوصية ، فعندنا باق لم ينسخ وإن كان علي وجه الاستحباب . وحكي عن ابن

عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد : أنها منسوخة بآية الميراث ، وقد بينا فساد قولهم : لا وصية لوarith . فأما آية الميراث ، فلا تنافي الوصية ، فلا يجوز أن تكون ناسخة لها ، وقد مضى الكلام في خبر الدين (١) في الآية المتقدمة ، فلا وجه لاعادته .

المعنى ، والاعراب :

ومن نصب « وصية » فإنه يحتمل قوله : « وصية » أمرين :

أحدهما - فليوصوا وصية لأزواجهم ، فينصب على المصدر .

الثاني - كتب الله عليهم وصية لأزواجهم ، فينصب على أنه مفعول به . والمصدر المنصوب يدل على فعل الأمر المأخوذ منه ، أما دلالاته على فعله ، فلا أنه مشتق منه ، وأما دلالة نصبه على الأمر منه ، فلغلبة الباب في الأمر ، فأما دلالاته على كتب ، فلا أن ما أمر الله به ، فقد كتبه . والنصب يدل على الأمر به . والرفع يحتمل ثلاثة أوجه : أحدها - فعلهم وصية لأزواجهم . الثاني - فلا أزواجهم وصية كما تقول : لزيد مال . الثالث - كتب عليهم وصية لأزواجهم . وقال بعضهم : لا يجوز غير الرفع ، لأنه ، لا يمكن الوصية بعد الوفاة ، لأن الفرض كان لهن أوصى أو لم يوص . قال الرماني : وهذا غلط ، لأن المعنى والذين يحضرون الوفاة منكم ، فلذلك قال : « يتوفون منكم » على لفظ الحاضر الذي يتناول على نحو قولك : الذين يصلون ، فليعرضوا عن الذكر فيما يشغلهم . فأما قوله : الفرض كان لهم ، فإن لم يوصوا فقال قتادة والسدي : إنما كان لهن بالوصية على أنه لو كان على ما زعم ، لم ينكر أن يوجبه الله على الورثة إن فرط الزوج في الوصية .

وقوله : « متاعا الى الحول » نصب ، والعامل فيه أحد أمرين :

أحدهما - جعل الله لهن ذلك متاعا ، لأن ما قبله دل عليه .

والثاني - متموهن متاعا . وقوله غير إخراج نصب بأحد الشيتين : أحدهما -

بأن يكون صفة لمتاع . والثاني - أن يكون مصدرا كأنه قيل : لا إخراجا . قال

« ١ » في تفسير آية : ٢٣٤ . وفي المطبوعة (جر الدين) وهو تصحيف .

الفراء : هو كقولك : جئتك عن رغبة اليك فكأنه قال : متموهن مقاماً في مساكنهن ، فيكون مصدراً وقع موقع الحال . ويجوز أن يكون بمعنى الإقامة في مساكنهن . وقال الحسن ، والسدي : قوله : « فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف » دليل على سقوط النفقة ، والسكنى بالخروج ، لأنه إنما جعل هن ذلك بالإقامة الى الحول ، فان خرجن قبله بطل الحق الذي وجب بالإقامة . وإنما يحتاج الى هذا التخريج من يوجب النفقة للمعتدة عن الوفاة . فأما من قال : لا نفقة لها ، ولا سكنى ، فلا يحتاج الى ذلك ، وهو مذهبنا ، لأن المتوفى عنها زوجها لا نفقة لها ، وإذا قلنا القرآن لا يذسخ بالسنة ، قلنا : النفقة هاهنا على وجه الاستحباب أو أنها تثبت بالوصية ، لأننا بينا أن الوصية غير منسوخة .

قوله تعالى :

وَاللَّهُ طَلَّقَاتٍ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١)

آية بلا خلاف .

المعنى :

قال سعيد بن المسيب الآية منسوخة بقوله : « فنصف ما فرضتم » وعندنا أنها مخصوصة بتلك إن نزلا معاً . وإن كانت تلك متأخرة فالأمر على ما قال سعيد ابن المسيب : إنها منسوخة ، لأن عندنا لا تجب المتعة إلا للتي لم يدخل بها ولم يسم لها مهر . وإن سمي لها مهر ، فلها ما سمي وإن لم يدخل بها فان فرض لها مهر آ كان لها نصف مهرها ، ولا متعة لها في الحالين ، فلا بد من تخصيص هذه الآية . وقال ابن جبير وأبو العالية والزهري : المتعة واجبة لكل مطلقة ، وبه قال أبو حنيفة . وقال الحسن : هي للمطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق مثل ما قلناه . وقال عطاء ، ومجاهد : هي المدخول بها ، وحكى أبو علي : للمطلقة البائنة .

وإنما كرر ذكر المتعة هاهنا وقد تقدم ذكرها قبل هذه الآية ، لأنه ذكر في غيرها خاصاً وذكر فيها عاماً فدخل فيه الأمة ، وغيرها ، والمتعة في الموضع الذي يجب

على قدر الرجل بظاهر الآية ، لأنه قال : « وعلى الموسع قدره » : مثلها وإن كان فوق قدره حكاه البلخي .

وقوله : « بالمعروف » معناه بالمعروف صحته ، لأنه عدل بين الإفراط ، والتقصير . وقال الضحاك : على قدر اليسرة ، وإنما خص المتقين وإن كان واجباً على الفاسقين ، تشریحاً لهم بالذكر اختصاصاً ، وجعل غيرهم على وجه التبع ، كما قال : « هدى للمتقين » (١) وقيل : لأنه أخرج الكلام مخرج من لا يتسد بغيرهم لاحتقارهم ، وجلالة المتقين بالتقوى ، ولأنه إذا وجب على المتقين ، فهو واجب على جميع المتعبدين ، لأن التقوى واجب على المكلفين ، وهذا إنما يدل على أنه واجب بشریطة التقوى . فأما إذا وجب على النقي والعاقر ، فالجواب هو الأول .

الاعراب :

وقوله : « حقاً على المتقين » نصب على المصدر ، وقع موقع الحال ، والعامل فيه « بالمعروف » كأنه قيل : عرف حقاً ، ويجوز أن يكون العامل فيه الظرف . ويجوز أن يعمل فيه معنى الجملة ، كأنه قيل : أحق ذلك حقاً وكان يجوز أن يرفع على أنه صفة لمتاع .

المعنى :

والمتاع : النفقة مقدار ما تقيم في العدة على قول الجبائي ؛ وعلى ما قلناه قدر ما يوصي به لها بالمعروف الذي لا يضر بباقي الورثة .

قوله تعالى :

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢) آية .

التشبيه بقوله : « كذلك يبين الله » وقع على البيان الذي تقدم في الأحكام والحجج والمواعظ والآداب وغير ذلك مما يحتاج الناس إلى عمله ، والعمل عليه في

أمر دينهم ودينام شبه البيان الذي يأتي بالبيان الماضي ، والبيان : هو الأدلة التي يفرق بها بين الحق ، والباطل . وعبر عنه بأنه فعل يظهر به أمر على طريقة حسنة ، وليس كلما يظهر به غيره ما لا يأتيه . وقد يكون ذلك بكلام فاسد يفهم به المراد ، فلا يستحق صفة بيان . والآية هي العلامة فيما كان من الأمور العظيمة ، لأن في الآية تفخيماً ليس في العلامة . وقوله : « لعلمكم تعقلون » معناه : لكي تعقلوا آيات الله بالبيان عنها . والعقل مجموع علوم ضرورية يميز بها بين القبيح ، والحسن ، ويمكن معها الاستدلال بالشاهد على الغائب .

قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ
 الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
 النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) آية واحدة
 بلا خلاف .

المعنى :

معنى « ألم تر » ألم تعلم ، لأن الرؤية مشتركة بين العلم - وهي رؤية القلب - وبين رؤية القلب . وقيل في معنى قوله : « وهم أُلُوفٌ » قولان : أحدهما - أن معناه : الكثرة ، فكأنه : وهم أكثر الناس ، ذهب إليه ابن عباس ، والضحاك ، والحسن . وقال ابن زيد : معناه هم مؤتلفوا القلوب ، لم يخرجوا عن تباغض . ومن قال : المراد به العدد الكثير ، اختلفوا ، فقال ابن عباس : كانوا أربعين ألفاً . وقال قوم : أربعة آلاف . وقال آخرون : ثمانية آلاف . وقال السدي : بضعة وثلاثون ألفاً . والذي يقضي به الظاهر : أنهم أكثر من عشرة آلاف ، لأن بناء (فُعول) للكثير ، وهو ما زاد على العشرة . فأما ما نقص ، فيقال فيه : آلاف على وزن (أفعال) نحو عشرة آلاف ولا يقال : عشرة أُلُوفٍ . وقال الحسن ،

وأكثر المفسرين : كانوا فرّوا من الطاعون الذي وقع بأرضهم . وقال الضحاك : فرّوا من الجهاد .

ومعنى الآية : الحضّ على الجهاد ، بأنه لا ينفع - من الموت - فرار ، ومن أمر الله ، لأنه يجوز أن يعجله على جهة العقاب ، كما عجله لهؤلاء ، للاعتبار . وفي الآية دليل على من أنكر عذاب القبر والرجعة معاً ، لأن الأحياء في القبر ، وفي الرجعة مثل إحياء هؤلاء الذين أحييهم للعبرة .

وقوله : « فقال لهم الله موتوا » قيل في معناه قولان :

أحدهما - أن معناه أماتهم الله ، كما يقال : قالت السماء ، فهطلت ، وقلت برأسي كذا ، وقلت بيدي ، وذلك لما كان القول في الأفعال أكثر استفتاحاً للفعل ، كالقول الذي هو تسمية ، وما جرى مجراها مما كان يستفتح به الفعل ، صار معنى قالت السماء ، فهطلت أي استفتحت الهطلان ، وصار بمنزلة استفتاح الأفعال فلذلك صارت أماتهم بمنزلة استفتاح الأفعال .

الثاني - أن يكون أحييهم عند قول سمعته الملائكة بضرب من العبارة . ويجوز - عندنا - أن يكونوا أحيوا في غير زمان نبي . وقالت المعتزلة : لا يجوز أن يكون ذلك إلا في زمان نبي ، لأن المعجزة لا يجوز ظهورها إلا للدلالة على صدق نبي ، تكون له آية . وقد بينا فساد ذلك في غير موضع ، وأنه يجوز المعجزات على دين من الصادقين : من الأنبياء ، والأولياء وإن لم يكونوا أنبياء . وروي عن ابن عباس : أنه مرّ بهم نبيّ ، فدعا الله تعالى ، فأحييهم .

وقوله : « إن الله لندو فضل على الناس » إنما ذكر ، واتصل بما تقدم ، لأنه لما ذكر النعمة عليهم بما آتاهم من الآية العظيمة في أنفسهم ليلزموا سبيل الهدى ، ويتجنبوا طرق الردى ذكر عند ذلك ماله على الناس من الأنعام مع ما هم من الكفران . قوله تعالى :

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤)

آية بلا خلاف ؛

المعنى :

قيل فيمن يتوجه إليه هذا الخطاب قولان :

أحدهما - أنه متوجه الى الصحابة بعد ما ذكروهم بحال من فرّ من الموت ، فلم ينفعه الفرار ، حضهم على الجهاد ، لئلا يسلكوا سبيلهم في الفرار من الجهاد ، كما فرّ أو لك من الديار .

الثاني - الخطاب للذين جرى ذكروهم على تقدير ، وقيل لهم : قاتلوا في سبيل الله . والقول الأول أظهر ، لأن الكلام على وجهه ، لا محذوف فيه .

وقوله : « واعلموا أن الله سميع عليم » معناه هاهنا : أنه « سميع » لما يقوله المنافق « عليم » بما يحبه المنافق ، فأحذروا حاله . وقيل : « سميع » لما يقوله المتمل « عليم » بما يضر ، فأياكم والتمل بالباطل . وقيل : « سميع » لقولكم إن قاتم كقول من قبلكم « عليم » بضاركم .

وسبيل الله الذي أمر بالقتال فيها : قتل في دين الله ، لاعزازه ، والنصر له ، وقتل في طاعة الله ، وقتل في جهاد أعداء المؤمنين .

اللفظ :

والقتل : نقض البنية التي تحتاج إليها الحياة . والقتال : هو تعرض كل واحد منهما للقتل . والفرق بين سميع و سامع : أن سامعاً يقتضي وجوه السمع ، وسميع لا يدل عليه ، وإنما معناه : أنه من كان على صفة لا أجلها يسمع السموات اذا وجدت ولذلك يوصف تعالى فيما لم يزل بأنه سميع ، ولا يوصف بأنه سامع إلا بعد وجود السموات .

قوله تعالى :

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ

أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)

آية واحدة بلا خلاف .

الفراة :

قرأ أبو عمرو ، و نافع ، و حمزة ، و الكسائي « فيضاعفه » بالرفع . وقرأ عاصم بالألف ، و النصب . وقرأ ابن كثير « فيضه فمه » بالتشديد ، و الرفع . وقرأ ابن عامر بالتشديد و النصب .

المعنى ، و اللغة :

و القرض الذي دعا الله إليه قال ابن زيد هو الجهاد ، و قال في البر من النفل . و القرض : هو قطع جزء من المال بالاعطاء على أن يردّ بدل منه . و قوله : « يقرض الله » مجاز (١) في اللغة لأن حقيقته أن يستعمل في الحاجة ، و في هذا الموضع يستحيل ذلك ، فإذ كان مجازاً ، و قد يستعمل القرض في غير الحاجة قال أمية بن أبي الصلت :

لا تخلطن خبيثات بطيبة واخلع ثيابك منها وانح عريانا
كل امرئ سوف يجزي قرضه حسناً أو سيئاً و مديناً كالذي دانا (٢)

فهذا يبين أن القرض من غير عوض ، و قال آخر :

وإذا جوزيت قرضاً فأجزه إنما ليس الفتي غير الحمل (٣)

و القرض القطع بالناب . قرض يقرض قرضاً : إذا قطع الشيء بنابه ، و قرض تقريضاً ، و تقرض تقرضاً ، و اقترض المال اقتراضاً . و القرض ما أعطيته لتكافاه ، أو يرد بعينه . و اقترض اقتراضاً ، و استقرض استقرضاً ، و تقارضوا التناء : إذا أتى كل واحد منهما على صاحبه ، و كذلك قارضه التناء . و انقرضوا انقرضاً : إذا هلكوا . و الدنيا قروض : أي يتقارضها الناس من بينهم بالمكافاة . و قرض الشيء

« ١ » في المطبوعة (محله) وهو تحريف .

« ٢ » اللسان (قرض) ذكر البيت الثاني فقط و روايته (أو مديناً مثل ما دانا)

بدل (و مديناً) .

« ٣ » قائله ليبد . في اللسان (قرض) و روايته (إنما يجزي الفتي ليس الحمل) .

يقرضه قرضاً . والشعر قريض . ومنه قوله : « تقرضهم ذات الشمال » (١) أي تقطعهم بمرورها عليهم والمقراض : الجلم الصغير ، وقراضات الثوب ما ينفيه الجلم .

الاعراب ، واللفظ :

وقوله : « فيضاعفه » من رفع عطفه على قوله : « يقرض » ومن نصب ، فعلى جواب الاستفهام بالقاء . والاختيار الرفع لأن فيه معنى الجزاء ، وجواب الجزاء بالقاء لا يكون إلا رفعاً « ويضاعفه » أكثر في الاستعمال ، وإنما شدد أبو عمرو « يضعف لها العذاب ضعفين » (٢) ولم يشدد « فيضاعفه » لأن المضاعفة عنده لما لا يحد . والتضعيف للمحدود ، وتقول : ضعفت القوم أضعفهم ضعفاً : إذا كثرتهم ، فصرت مع أصحابك على الضعف منهم ، وضعف الشيء : مثله في المقدار . وأضعفت الشيء إضعافاً ، وضعفته تضييفاً ، وضاعفته مضاعفة ، وهو الزيادة على أصل الشيء حتى يصير مثلين أو أكثر . وتضاعف الشيء تضاعفاً وضعف ضعفاً . والضعف خلاف القوة ، لأنه قطع القوة عن التمام . وضعف الشيء مثله في المقدار إذا زيد عليه ، فكل واحد منهما ضعف . والتضعيف : تكرير الخوف ، واستضعفت الرجل استضعافاً ، وأصل الباب الضعف : وهو زيادة المثل .

وقوله : « والله يقبض ويبسط » قال الحسن ، وابن زيد في الرزق ، وحكى الزجاج : أنه يقبض الصدقات ويبسط الجزاء عليها عاجلاً ، وآجلاً عليها .

والقبض خلاف البسط والقبض ضم الكف على الشيء قبضه قبضاً وتقبض عنه تقبضاً : إذا اشتمأز منه ، لأنه ضم نفسه عن الانبساط إليه . وانقبض انقباضاً ، وقبضت الرجل تقييضا : إذا أعطيته لانضمام كفه على ما أخذه . ورجل قبيض : إذا كان منكشاً سريعاً لتجمعه للأسراع . وراع قبضة : إذا كان لا يتفصح في رعيه ، لانقباضه . والتقبض : التشنج . وقبض الانسان : إذا مات . والمملك قابض الارواح . والبسط خلاف القبض تقول : بسط يبسط بسطاً ، وانبسط انبساطاً ، وبسطه تبسيطاً ، وتبسط تبسطاً . والبساط - بكسر الباء - ما بسطته . والبساط - بفتح الباء - الأرض الواسعة ، وناقية بسط : معها ولدها لانبساطه . والبسطة : الفضيلة في

« ١ » سورة الكهف آية : ١٧ .

« ٢ » سورة الاحزاب آية : ٣٠ .

الجسم أو المال ، ونحو ذلك « وزاده بسطة في العلم ، والجسم » (١) وكتب (بسطلة) بالصاد ، وبسطة بالسين ، لأن القلب على الساكن أقوى منه على المتحرك .

المعنى :

ومعنى « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً » التلطف في الاستدعاء الى أعمال البرّ والانفاق في سبيل الخير .

وجهت اليهود لما نزلت هذه الآية ، فقالوا الله يستقرض منا فنحن أغنياء وهو فقير لنا ! فأ نزل الله تعالى « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء » (٢) ذكره الحسن والهاء في قوله : « وإليه ترجعون » عائدة الى الله . ومعناه الى الله ترجعون في الآخرة . وقيل الى التراب الذي خلقكم منه ذكره قتادة .

قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ لَنَا مُلْكًا مُنْقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَالِمُ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) آية واحدة بلا خلاف .

الفرادة

قرأ نافع عسيتم بكسر السين . الباقون بفتحها .

اللغة :

الملا : الجماعة الاشراف من الناس وروي أن رجلا من الانصار قال يوم

بدر : إن قتلنا الآعجاز صلعا (١) ، فقال النبي (ص) : أولئك الملا من قريش لو رأيتهم في أنديتهم لهبتهم ، ولو أمروك لأطمتهم ، ولاحتقرت فعالك عند فعالهم . وتقول ملائ الاناء أملاه ملاء إذا أرعته ، لأنه يجتمع فيه مالا يكون معه مزيد عليه ، وامتلا امتلاء : إذا طفح ، ومالات الرجل : إذا عاونته بمالاة . وتماثوا علي : إذا تعاونوا . وملوه الرجل ملاءة ، فهو مليء بالأمر : إذا أمكنه القيام به . ووعاء ملاءن والاشئ ملاءى ، والجمع : ملاء . والملا : الجماعة من الناس يستجمعون للمشاورة . والجميع الاملاء قال الشاعر :

وقالت لنا الاملاء من كل معشر وخير أقاويل الرجال سديدها
والاملاء : الربطة وأصل الباب الاملاء ، وهو الاجتماع فيما لا يحتمل المزيد ، ومنه شاب مالي العين أي قد اجتمع له من الحسن في العين ما ليس عليه مزيد .
والملا : الخلق ، لأن جميع أفعال صاحبه تجري عليه .

المعنى :

وقال السدي : إن النبي الذي قالت له بنوا إسرائيل ما حكاه يقال : شمعون سمته أمه بذلك لأن الله سمع دعاءها فيه . وقال قتادة : هو يوشع بن نون . وقال وهب بن منية : هو شمویل ، وهو المروي عن أبي جعفر (ع) . وكان سبب سؤالهم هذا استدلال الجبابرة لهم من الملوك الذين كانوا في زمانهم إياهم على قول وهب ، والربيع . وقال السدي : قتال المفاقمة . وإنما سألوا ملكا ، ليكون أمراً عليهم تنتظم به كلمتهم ، وتجتمع أمورهم ، ويستقيم حالهم في جهاد عدوهم .

الاعراب ، واللفظ :

وأكثر النحويين على الجزم في « نقاتل » مع النون ، وقالوا : لا يجوز غير

« ١ » هكذا في المطبوعة ، وفي مجسم البيان (ان قتلنا أعجاز صلعا) . ورواه لسان العرب في (صلح) ، قال : وفي حديث بدر ما قتلنا الاعجاز صلعا : أي مشايخ صلعا وفي (ملا) قال : وروى أن النبي (ص) سمع رجلا من الانصار - وقد رجعوا من غزوة بدر - يقول : ما قتلنا الاعجاز صلعا ، فقال (ص) : أولئك الملا من قريش لو حضرت فعالهم لاحتقرت فعلك .

الجزم . وأجاز الزجاج الرفع على ضعف فيه على تقرير : فإنا نقاتل في سبيل الله . ولو كان بالتاء لجاز الرفع على أن يكون صفة للملك . والجزم على الجواب ، كما قال « فهب لي من لدنك ولياً يرثني » (١) بالجزم ، والرفع . ولو كان (نقاتل معه) لحسن الرفع أيضاً لعائد الذكر ، ولا يجوز أن تقول : الذي مهرت زيد ، تريد : به . ودخلت (أن) في قوله : « مالنا ألا نقاتل في سبيل الله » ، وأسقطت في قوله : « ومالكم لا تؤمنون بالله » (٢) لأحد ثلاثة أشياء :

أولها - دخلت (أن) لتدل أن فيه معنى : ما منعنا من أن نقاتل ، كما دخلت الباء في خبر هل لما تضمنت معنى ما قال الفرزدق بهجو جريراً ، ويذكر أن أباه كان ينكح اتاناً (٣) .

يقول إذا اقلولى عليها وأقردت ألهل أخو عيش لذيد بدائم (٤)

معنى اقلولى : علاها ، ومعنى أقردت : ذات .

وأما سقوطها في الموضع الآخر ، فعلى الأصل كأنه قيل : ما لنا غير مقاتلين ، كما قال : « فما لهم عن التذكرة معرضين » (٥) هذا قول الفراء .

الثاني - أن تكون (أن) زائدة في قول الأخفش ، وهو ضعيف ، لأنه لا يجوز الحمل على الزيادة لا لضرورة .

الثالث - على حذف الواو كأنه قال : ومالنا ولأن نقاتل ، كما قالوا : إياك أن تتكلم بمعنى إياك وأن تتكلم . قال الرماني : وهذا ليس بالوجه ، لأنه لا يحكم أحد بالحذف ، ولا بالزيادة إلا عند الضرورة قال الشاعر :

فببح بالسراير في أهلها وإياك في غيرهم أن تبوحا (٦)

فالآية مستغنية عن الواو مثل البيت سواء قال الشاعر :

فإياك المحابين أن نحينا

« ١ » سورة مريم آية : ٤ . « ٢ » سورة الحديد آية : ٨ .

« ٣ » في المطبوعة « اتاناً » بدل « اتاناً » .

« ٤ » ديوان جرير ٢ : ١٢٨ ، واللسان « قرد » ورواية الديوان « ليس ذو » بدل

« هل أخو » ورواية اللسان « تقول » بدل « يقول » .

« ٥ » سورة المدثر آية : ٤٩ « ٦ » معاني القرآن للفراء ١ : ١٦٥

فإنما هو على احذر المحامين لا على إضمار (أن) . وقال المبرد في (ما) وجه آخر ، وهو أن يكون ججداً ، ويكون تقديره : ما لنا ترك القتال . وعلى الوجه الأول (ما) استفهام ، وإنما جاز ، مالك أن تقوم ، ولم يجز مالك أن قت ، لأن المنع إنما يكون على الاستئناف ، تقول : منعه أن يقوم ، ولا يجوز أن يقوم منعه أن قام ، كذا قال الفراء في الكلام حذف ، وتقديره : « وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا » فسأل ، فبعث ، فوجب عليهم القتال « فلما كتب « تولوا » ، وإنما وجب أن يكون محذوفاً ، لأن الكلام لا يدل عليه إلا من جهة الذكر له أو الحذف منه ، فأما ما يدل عليه الكلام من غير جهة الذكر له ، أو الحذف منه ، فليس بمحذوف نحو قد عرف زيد ، فإنه يدل على أنه عرفه عارف ، وليس بمحذوف ، لأنه لم يدل عليه من جهة الذكر له ولا الحذف منه .

وعسيتم - بكسر السين - لغة ، والفتح أكثر . وقوله : « لإقليلا » لا يجوز فيه الرفع ، لأنه استثناء بعد موجب ، وكذلك قوله : « فشربوا منه لإقليلا » لا يجوز فيه الرفع .

قوله تعالى :

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا
 قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ
 يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ
 بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكًا مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ
 وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) آية واحدة بلا خلاف .

المعنى :

قال المدي ، ووهب بن منبه : إنما أنكروا أن يكون طالوت ملكاً ، لأنه لم يكن من سبط السبوة ، ولا سبط المملكة بل كان من أجل سبط في بني اسرائيل .

وقوله : « إن الله اصطفاه » معناه اختياره في قول ابن عباس ، وابن زيد ، وأصله الصفة من الأنداس .

وقوله : « وزاده بسطة في العلم والجسم » قيل في معناه قولان :
قال الحسن : زيادة في العلم وعظماً في الجسم . وقال الجبائي : كان إذا قام الرجل ، فبسط يده رافعاً لها قال رأسه .

اللفظ :

يقال : جسم بجسم جسامة يعني ضخمة ضخامة . ورجل جسيم : عظيم الخلق .
وجسمه تجسماً ، وتجسم تجسماً . وهو أجسم منه أي أضخم . وأصل الباب الضخم .
والجسم : هو الذاهب في الجهات الثلاثة : الطول والعرض والعمق .

العرب والمعنى :

وإنما لم يصرف (طالوت) ، وصرف (جاءوس) إذا سميت به ، وإن كانا أعجميين - في قول الزجاج - لأنه لما كان يدخله الألف واللام نكراً ، نحو قولهم :
الجاءوس . وكلما أعرب في حال تنكيره فإنه لا يعتد بالمعجمة فيه ، لأنه بمنزلة ما أصله عربي فأما ما أعرب في حال تعريفه ، فليس كذلك ، لأنه لم يتمم إلا على إحدى الحالين دون الأخرى ، فنقل لذلك .

وقوله : « والله واسع عليم » قيل في معناه ثلاثة أقوال :

أحدها - واسع الفضل ، فحذف ، كما حذف في قولهم : فلان كبير أي كبير القدر . الثاني - واسع بمعنى : موسع أي يوسع على من يشاء من نعمه ، كما جاء (أليم) بمعنى : مؤلم . والثالث - واسع بمعنى ذو سعة نحو « عيشة راضية » أي ذات رضى ، وهم ناصب أي ذو نصب . وتاصر ، ولا بن ، أي ذو تمر وذو لبن . ويجيء باب في فاعل بمعنى ذو كذا . وقوله : « عليم » أي عليم بمن ينبغي أن يؤتبه الفضل إما للاستصلاح ، وإما للامتحان . قال البلخي : وفي الآية دلالة على فساد قول من قال بأن الإمامة وراثية ، لأن الله تعالى رد عليهم ما أنكروه من التعليل

عليهم من ليس من أهل النبوة ، ولا المملكة ، وبين أنه يجب بالعلم والقوة لا بالوراثة .
وقال أصحابنا فيها دلالة على أن من شرط الامام أن يكون أعلم رعيته وأفضلهم في
خصال الفضل ، لأن الله تعالى علل تقديمه عليهم بكونه أعلم وأقوى فلولا أنه
شرط وإلا لم يكن له معنى .

قوله تعالى :

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ
فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ
هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ لَأَنَّ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ (٢٤٨) آية .

المعنى :

قال الحسن : وجه الآية في التابوت أن الملائكة كانت تحمله بين السماء والارض
يرونه عياناً وقال ابن عباس ووهب : إن الله انتزعه من أيدي أعدائهم الذين نهوه
منهم ، فردّ عليهم « تحمله الملائكة » وقيل : إن التابوت كان في أيدي أعداء بني
إسرائيل من العمالة الذين غلبوهم عليه - على قول ابن عباس ، ووهب - ، وروي
ذلك عن أبي عبد الله (ع) . وقال قتادة : كان في بركة التيه : خلفه هناك يوشع
ابن نون . وقال وهب بن منبه : كان قدر التابوت نحواً من ثلاث أذرع في
ذراعين . وروي عن علي (ع) . أنه قال : السكينة التي كانت فيه ريح هفافة لها
وجه كوجه الانسان . وقال مجاهد لها رأس كراس الهرة ، وروي ذلك في أخبارنا .
وقال وهب : روح من الله تكلمهم بالبيان عند وقوع الاختلاف . وقال عطا : كان
فيه آية يسكنون إليها .

والسكينة مصدر وقع موقع الاسم نحو القضية والبقية والعزيمة وأخذ من معنى
السكون لأن نفوسهم تسكن إليه والبقية التي ترك آل موسى ، وآل هارون . قال

ابن عباس ، وقتادة ، والسدي : إنها عصا موسى ورمصاص للالواح ، وهو المروي عن أبي جعفر . وقال أبو جعفر التابوت هو الذي وضعت أم موسى فيه موسى حين ألقته في اليم . وأقوى هذه الأقوال أن يحمل على أنه كان فيه ما يسكنون إليه ، ويجوز أن يكون ذلك عصا موسى والرصاص ، وغير ذلك مما اختلفوا فيه بعد أن يكون فيه ما تسكن النفس إليه ، لأنه تعالى بين أن فيه سكينه ، وهي فعيلة من السكون ، ولا يقطع بشيء من ذلك إلا بدليل يوجب العلم . وقال الحسن : كان فيه التوراة وشيء من ثياب موسى .

اللفظ :

وفي التابوت لغتان فلفظة جميع العرب إلا الأنصار : التابوت بالتاء . والانصار تقول : التابوه بالهاء . ويقال : بقي بقاءً وأبقاه إبقاءً واستبقاه استبقاهً وتبقاه تبقياً وتباقى تباقياً وباقاه مباقةً . ومنه بقايا الخراج . وأصل الباب البقاء : خلاف الفناء . وقوله : « تحمله الملائكة » تقول : حمل يحمل حملاً واحتمل احتمالاً وتحامل تحاملاً . وتحمل تحملاً وحمله تحميلاً وحامله محاملة . وانحمل انحمالاً واستحمل استحمالاً . والحمل من الضآن : الخروف . والحمل : السحاب الكثير الماء . والحمل : ما في البطن . والحمل : ما على الظهر . والحملة علاقة السيف . والحمل : الذي يوكبه الناس والحملة الدية ، يتحملها قوم عن قوم والحميل : الكفيل ، والحميل الغريب لأنه يحمل على القوم وليس منهم . وحميل السيل : غشاؤه . وامرأة حامل : حبلها الولد . وحملت فلاناً على فلان : إذا حرشته عليه ، لأنك حملته على مكروهه . والحمولة الأبل لأنها يحمل عليها الأثقال . وأصل الباب الحمل : كون الشيء على الشيء . وقوله : « إن كنتم مؤمنين » معناه إن كنتم مصدقين ولا يجوز أن يكونوا على تثبيت الإيمان لهم ، لأنهم كفروا حين ردوا على نبيهم . وقيل : إن كنتم مؤمنين كما تزعمون .

قوله تعالى :

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ

مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَيُدْسَ مِنيُّ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا
 مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
 فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ
 بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ
 فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ
 (٢٤٩) آية واحدة بلا خلاف .

الفراة :

قرأ « غرفة » - بالفتح - ابن كثير ، وأبو عمرو ، ونافع . الباقون بالضم ،
 وهما لغتان .

اللفز :

قوله : « فلما فصل » منناه قطع ، والنصل : القطع . يقال فصل اللحم عن
 العظم أي قطعه فأبانه عنه ، وفصل الصبي فصلاً : إذا قطعه عن اللبن . وقول فصل أي
 يفصل بين الحق والباطل . والجنود جمع جند قال السدي : كانوا ثمانين ألف مقاتل ،
 والاجناد جمع القلة . وجند الجنود تمييزاً أي جمعهم . والجند الأرض الغليظة وكل
 صنّف من الخلق : جند على حدة . وفي الحديث : الأرواح جنود مجنّدة . وأصل
 الباب الجند : الغليظ من الأرض .

المعنى :

قوله : « إن الله مبتليكم بنهر » فمعنى الابتلاء هاهنا تمييز الصادق من الكاذب
 في قوله - على قول الحسن - . وقال وهب بن منية : السبب الذي لأجله ابتلوا
 بالنهر شكايتهم قلة المياه ، وخوف التلف من العطش . والنهر الذي ابتلوا به ، قال ابن
 عباس ، والربيع ، وقتادة : هو نهر بين الأردن ، وفلسطين . وروي عن ابن عباس

أيضاً أنه نهر فلسطين . وقوله : « فن شرب منه » الهاء عائدة على النهر في اللفظ ، وهو في المعنى الماء .

وقوله : « فليس مني » معناه ليس على ديني ، ولا من أهل ولايتي ، فحذف ودلت من عليه .

اللفظ :

ويقال : طعم الماء كما يقال طعم الطعام وأنشدوا .

وإن شئت لم أظعم نقاخاً ولا برداً

والغرفة بالفتح المرة من الغرف . والغرفة بالضم ملء الكف من الماء ، فالغرفة اسم للماء المغروف والغرفة إسم للفعل . وقال بعضهم الاختيار الضم لأنه لو جاء على معنى المرة ، لكان اغترافاً . وهذا ليس بشيء ، لأنه إذا كان المعنى واحداً جاز اغترافاً ، لأنه الأصل وجاز غرفة ، لأنه أخف ، وكلاهما حسن . ويقال غرف يغرف غرفاً واغترف اغترافاً والمغرفة الآلة التي يغرف بها . وغرف غروف أي كبير والغريف : ماء في الاجمة ، لأنه يغرف من بين القصب . ومنه غريف مدبوغة بالغرف : وهو جنس من الدباغ . والغريف شجر مجتمع من أي شجر كان . والغرفة العلية . وأصل الباب الغرف .

المعنى :

وقال ابن عباس ، وقتادة ، والربيع : من استكثر من ذلك الماء عطش ، ومن لم يشرب إلا غرفة روي . وقال الفراء ، والحسن ، وقتادة ، والربيع : والذين جازوا النهر مع طالوت كان عددهم مثل عدد أهل بدر ، وهم ثلاثة وبضعة عشر ، وهم المؤمنون خاصة . وقال ابن عباس ، والسدي : جاوزه الكافر ، والمؤمن إلا أن الكافرين انخزلوا عنهم ، وبقى المؤمنون على عدد أهل بدر . وهذا قوي ، لقوله تعالى : « فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه » ، فلما رأوا كثرة جنود جالوت قال الكفار منهم « لا طاقة لنا اليوم بجالوت » وقال المؤمنون حينئذ الذين عدتهم عدة أهل

بدر « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » قال البلخي : ويجوز أن يكونوا كلهم مؤمنين ، غير أن بعضهم أشد إيماناً وأقوى اعتقاداً ، وهم الذين قالوا : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » .

اللفظ :

وتقول : جاز الشيء بجوزه : إذا قطعه . وأجازه إجازة : إذا استصوبه . والشيء بجوز : إذا لم يمنع منه دليل . واجتاز فلان اجتيازاً ، واستجاز فعل كذا استجازه . ونجوز في كلامه تجوزاً . ونجاوز عن ذنبه تجاوزاً . وجاوزه في الشيء تجاوزه ، وجوزته تجوزاً . وجوز كل شيء وسطه بمجاز الطريق ، وهو وسطه الذي يجاز فيه . وقيل هذا اشتقاق الجوزاء ، لأنها تعرض جوز السماء أي وسطها ، وأما الجوز المروف ، ففارسي معرب . والجواز الصك للمسافر . والمجاز في الكلام ، لأنه خروج عن الآجل الى ما يجوز في الاستعمال . وأصل الباب الجواز : المرور من غير شيء يصد ، ومنه التجاوز عن الذنب ، لأن المرور عليه بالصفح .

المعنى :

وقوله : « وقال الذين يظنون » قيل فيه ثلاثة أقوال :
أحدها - قال الذين يستيقنون ، ذهب إليه السدي قال دريد بن الصمة :
فقلت لهم ظنوا بالني مدجج سراتهم في الفارسي المسرد
أي أيقنوا وقيل إنه استعارة فيما يكفي فيه الظن حتى يلزم العمل ، فكيف المعرفة ، فجاء على وجه المبالغة في تأكيد لزوم العمل .
الثاني - يتحدثون نفوسهم وهو أصل الظن ، لأن حديث النفس بالشيء قد يكون مع الشك ومع العلم إلا أنه قد على ركبت ما كان مع الشك .
الثالث - يظنون أنهم ملاقوا الله بالقتل في تلك الواقعة .
وقوله : « كم من فئة » الفئة : الطائفة من الناس ، والجمع : فئتين وفئات . ولا يجوز في عدة إلا عدات ، لأن نقص عدة من أوله . وليس كذلك فئة ، وما نقص

من أوله يجري في الباب على اطراد بمنزلة غير المنقوص ، فأما فئمة ومئة . وثبة وعزة ، فإن النقص فيه على غير اطراد ، كما يكون في عدة ، وصلة ، وزنة ، وصفة ، وجهة . وتقول فأوت رأسه بالسيف إفاءة وفأوأ : إذا قطعتة وانفاه الشيء إنفأء : إذا تقطع وأصل الباب القطم ، فمنه الفئمة ، لأنهم قطعة من الناس .

وقوله : « غلبت » تقول : غلب يغلب غلباً وغالبه مغالبة وتغالبوا تغالباً . وتغلب تغلباً وغلبه تغليباً . وأشد أغلب : إذا كان غليظ العنق . ورجل أغلب كذلك ، لأنه من إمارة الغلب . واغلوب العشب إذا كثرت لأن غلب على غيره بكثرتة . وأصل الباب الغلب : القهر .

المعنى :

وقوله : « باذن الله » معناه بنصر الله على قول الحسن ، لأن الله إذا أذن في القتال نصر فيه على الوجه الذي أذن فيه ويجوز في (كم) الجر والنصب وإن كان على معنى الخبر في قول الفراء . وفي الآية حذف لدلالة (١) ما بقى عليه وهو فأناهم التابوت بالصفة التي وعدوا بها ، فصدقوا لأن قوله « فصل طالوت بالجنود » بعد تلك المنازعة منهم ينبيء أن الآية أتتهم ، فانقادوا لأجلها .

قوله تعالى :

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا
صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامنا وانصرتنا على القوم الكافرين (٢٥٠)
آية بلا خلاف .

اللفظ :

البروز الظهور للقتال ، ومنه البراز ، وهي الأرض : الفضاء . تقول : برز يبرز بروزاً ، وبارزه مبارزة ، وتبارز تبارزاً ، وبرز تبرزاً ، وتبرز تبرزاً . ورجل

برز ، وامرأة برزة أي ذو غفة وفضل ، لظهور ذلك فيها . والحنود الجموع التي تمد
للقاتل واحدها جند ، مأخوذ من الجند وهو الغلظ .

وقوله : « ربنا افرغ » فالافراغ : صب السيل على جهة اخلاء المكان منه (١)
وأصله اخلو . وإنما قيل « افرغ علينا صبراً » تشبيهاً بتفريغ الاناء من جهة أنه
نهاية ما توجه الحكمة ، كما أنه نهاية ما في الواحد من الآنية . وتقول فرغ يفرغ
فراغاً ، وأفرغ إفراغاً ، وفرغ تفرغاً وتفرغاً ، واستفرغ استفرغاً ،
وافرغت افرغاً : إذا صببت عليك الماء . وقوله : « سنفرغ لكم أيها الثقلان » (٢)
معناه سنعمد ، لأنه عمل مجرد من غير شاغل ، ومنه قوله : « وأصبح فؤاد أم
موسى فارغاً » (٣) أي خالياً من الصبر والفرغ مفرغ الدلو ، وهو خرقة الذي يأخذ
الماء ، لأنه يفرغ منه الماء « وأفرغ علينا صبراً » أي صب . ودرهم مفرغ أي
مصبوب في قالب . وضربة فريغة : واسعة . وفرغ الاناء ، وفرغ الرجل من عمله .
وأصل الباب الفراع اخلو .

وقوله : « وثبت أقدامنا » تثبيت الأقدام يكون بشيئين : أحدهما - بتقوية
قلوبهم . والثانية - بالقاء الرعب في قلوب أعدائهم حتى يظهر منهم الخور في قتالهم
وقيل باختلاف كلمتهم حتى يقع التخاذل منهم ، وكذلك الصبر ، لأنه من فعل العبد
كما أن الثبوت في الحرب من فعله ، لأنه يجازى عليه ، فأما النصر ، ففعل الله تعالى ،
والصبر : حبس النفس عما تنازع إليه من الفعل . وهاهنا حبسها عما تنازع إليه من
الفرار من القتال . والتثبيت تمكين الشيء في مكانه بلزومه إياه . وقد يقال ثبت
يثبت ثبوتاً ، وأثبتته إثباتاً وتثبت تثبتاً ، واستثبت استثباتاً ، وثبته تثبتاً . ورجل
ثبت المقام : إذا كان شجاعاً لا يبرح موقفه ، وطمنه فأثبت فيه الرخ أي نفذ فيه ،
لأنه يلزم فيه . وأثبت حجته إذا أقامها . والقول الثابت الصحيح يلزم العمل عليه ،
ومنه قوله : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت » أي يؤدبهم به ليلزموا طريق

« ١ » في المطبوعة (على جهة الاغلاز منه المكان) .

« ٢ » - سورة الرحمن آية : ٣١ .

« ٣ » - سورة القصص آية : ١٠ .

الحق فيه . وفلان ثبت أي ثقة مأمون فيما روى . وأثبت الحسنات في دفتر ، لأنك ضبطه ، وأصل الباب اللزوم .

وقوله : « فأنصرنا » النصر : هو المعونة على العدو ، ويكون ذلك بأشياء منها زيادة القوة ، ومنها الرعب من الملاقاة ، ومنها الإطلاع على العورة ، ومنها تخيل الكثرة ، ومنها اختلاف الكلمة التي تقع بلطف في إعطاء النصر : والفرق بين النصر ، والالطف : أن كل نصر من الله ، فهو لطف ، وليس كل لطف نصراً ، لأن اللطف يكون في إحدى طاعاته بدلا من معصيته ، وقد يكون في فعل طاعة من النوافل فأما العصمة فلا تكون إلا من معصية .

قوله تعالى :

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ
لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَئِنَّا لَللَّهِ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) آية .

الفراة :

قرأ نافع ، وأبان عن عاصم « دفاع الله » الباقون « دفع » بلا ألف .

المعنى :

في الآية حذف وتقديره فاستجاب لهم ربهم ، فهزموهم بنصره لهم ، لأن ذكر الهزيمة (١) بعد سؤال النصر دليل على أنه كان على معنى الاجابة .

اللغة :

والهزم : الدفع ، تقول : هزم القوم في الحرب يهزمهم هزماً : إذا دفعهم بالقتال هرباً منه ، وانهمزوا انهزاماً ، وهزم السقاء : إذا يدس ، فتصدع لاندفاع بعضه على بعض ، والاهترام الذبح تقول العرب : اهترموا شاتكم قبل أن تهزل فتهلك ،

لدفع صاعها بتذكيته . والهزيمة : دفعك الشيء بقوة حتى تدخل عن موضعه في الجسد ، وزمزم هزيمة ، جبرئيل لاسماعيل (ع) والمهزم خشبة يحرك بها الحجر ، لأنها يرفع بها بعضه عن بعض ، وهزيمة الرعد صوته ، وأصابتهم هزيمة من هوازم الدهر أي داهية كاسرة ، لأنها كهزيمة الجيش في البلية ، وهزمت عليك أي عطفت عليك .

المعنى :

فالأولى أن يكون القوم هزموهم حقيقة لأنهم سنوا الهزيمة بأن فعلوا ما يلجئهم إليها وقال الجبائي : ذلك مجاز ، لأنهم لم يفعلوا هزيمتهم ، كما يقال : أخرجته من منزله إذا أُلجأه إلى الخروج ، ولم يفعل خروجه ، وهذا ليس بصحيح ، لأنه ليس معنى هزومه فعل هزيمته ، ليكون إذا صرف عن ذلك إلى معنى غيره يكون مجازاً في العبارة بل معناه ما قلناه .

وقوله : « باذن الله » يحتمل أمرين : أحدهما - بأمر الله . والثاني بعلم الله . وقيل : إن سبب قتل داود جالوت كان أن جالوت طلب البراز ، فخرج إليه داود (ع) فرماه بحجر مقلع فوقع بين عينيه وخرج من قتاه ، فأصاب جماعة كثيرة من أهل عسكره فقتاهم ، وانهمز القوم عن آخرهم ، ذكر ذلك وهب بن منبه وغيره من المفسرين .

وقوله : « وآتاه الله الملك والحكمة » قيل في معناه قولان : أحدهما - أنه جمع له الملك والنبوة في حالة واحدة . والآخر - أنه اختصه من علم السمع بحكمة لم يؤتاها غيره .

وقوله : « وعلمه مما يشاء » معناه أنه علمه أمور الدين وما يشاء من أمور الدنيا ، منها صنعة الدرع وعمل السرد ، ذكره الزجاج ، والطبري . فان قيل : ما الفائدة في قوله : « وعلمه مما يشاء » إذا كنا لا ندري ما الذي شاء من ذلك ؟ قيل هو تعالى وإن لم يشرح لنا ما علمه فقد بين لنا أنه خصه من العلم بعد علم الدين بما لم يؤت غيره ، لأن غيره من المؤمنين إنما نعلم ما دله الله عليه من أمر دينه

ودنياه ، وكان داود مساوياً لهم في ذلك إن لم يكن أكثرهم علماً فيه ، لأنه كان مؤمناً مثلهم ، وكان معهم في أمورهم ، فلما بين لنا أنه « آتاه الله الملك والحكمة وعلمه بما يشاء » بعد قتل جالوت ، علمنا أنه كان خصه بما ذكره من الملك والحكمة ، وخصه منه بما لم يخص به أحداً سواه .

وقوله : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » قيل في معناه

ثلاثة أقوال :

أحدها - يدفع الله بالبر عن الفاجر الهلاك ، هذا قول علي (ع) وهو المروي عن أبي جعفر محمد بن علي (ع) ، وبه قال مجاهد . الثاني - يدفع باللطف للمؤمن والرعب في قلب الفاجر . أن يعم الأرض الفساد . الثالث - قال الحسن ، والبلخي : يزغ الله بالسلطان فلا يزغ بالقرآن ، لأنه يغنيه على دفع الأشمرار عن ظلم الناس ، لأنه يريد منه المنع من الظلم والفساد ، كان مؤمناً أو فاسقاً .

اللغة :

وأصل الدفع : الصرف عن الشيء ، دفع دفعاً ، ودافع مدافعة ودفاعاً ، واندفع اندفاعاً ، وتدافع تدافعاً ، وتدفع تدفعاً ، ودفعه تدفيعاً ، واستدفع استدفاعاً . والضيف المدفع ، لتدافع الحي به لاحتقاره . والدفاع السيل لتدافع بعضه على بعض . والدفعة اندفاع الشيء جملة . ورجل مدفع أي عن نسبه .

الحجزة :

وقال الحسن : لم يكن داود نبياً قبل قتله جالوت ، لأنه لا يجوز أن يتأس من ليس بنبي على نبي لأنه قلب ما يوجبه تدبير الحكام ، لأن النبي يوثق بظاهره وباطنه ولا يخبر إلا بالحق ولا يدعو إلا إلى حق ، وليس كذلك من ليس بنبي من أهل العقل .

ومن قرأ « دفاع » بألف فوجهه : أن الله لما أعان أوليائه على مدافعة أعدائه حتى هزموهم ، حسن إضافة الدفاع إليه ، لما كان من معاونته ، وإرادته له .

وفي الآية دلالة على فساد قول المجبرة : إنه ليس الله على الكافر نعمه ، لأنه قال : « إن الله لندو فضل على الناس » فعم الجميع بالنعمة ولم يخص ، « ولكن أكثر الناس لا يشكرون » ويفسد به أيضاً قولهم : في الإرادة وأن جميع ما أعطى الله الكفار إنما هو ليكفروا لا ليؤمنوا ، وما روي أن طالوت هم بقتل داود لما رأى أن وجوه الناس أقبلت عليه بقتله جالوت رواية شاذة ، فان صححت دلت على أن طالوت لم يكن نبياً ، ولا إماماً ، لأن النبي أو الامام لا بد أن يكون معصوماً .

قوله تعالى :

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِلَّا نَكَلِمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢) .

الآيات المذكورة في هذه الآية المراد بها ما تقدم ذكره من إمامة ألوف من الناس دفعة واحدة بخلاف ما جرت به العادة ثم أحياءهم في مقدار ساعة ، ومن تمليك طالوت وقد كان من الخاملين الذين لا تتقاد لهم النفوس بما جعله له من الآية علماً على تمليكه ، ومن نصرة أصحاب طالوت مع قلة عددهم ، وضعفهم على جالوت وجنوده مع قوتهم وكثرة عددهم وشدة بطشهم حتى قهروهم واستعلوا عليهم ، وكل ذلك مما لا يقدر عليه غير الله تعالى فهو دلالة عليه .

وقوله : « وانك لمن المرسلين » دليل على نبوته على وجوه : منها ما في

الاحياء بما تقدم من الدلالة على النبوة . ومنها أنه يجب التصديق بتلك الأمور لنبوته (ع) . ومنها أنه أوحى إليه به ، كما أوحى الى المرسلين ، لأنه سنة الله عز وجل في مثله . ومنها الاستدعاء الى القيام بما أرسل به بعد قيام الحججة عليه . ومنها أنه كما نصب تلك الآيات جملك من المرسلين لما في ذلك من الحكمة التي تدعو الى صلاح المكلفين . وإنما صارت الأخبار بذلك دلالة على النبوة من جهة أنها أخبار عن عيون لم يشهدوا ولا خالط أهل المعرفة بها ، ومتى قال قائل : إنه أخذها عن أهل العلم بالأخبار ، فان قوله يبطل ، لأنه لو كان كذلك لم يتكلم لخروجه عن العادة كخروج أن يصير انسان من أعلم الناس بصناعة لم يشهدوا ولا خالط

أهلها ، ولأن في أنبيائه نثبت معجزة من غير تلك الجهة ، وهو المنع من الازاحة مع توفر الاسباب الداعية الى الحديث به ، ولا نشر له وهذا مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى .

اللفظ :

والرسالة تحمل جملة من الكلام لها فائدة الى المقصود بالدلالة . والحق هو وقوع الشيء موقعه الذي هو له من غير تغيير عنه بما لا يجوز فيه . والتلاوة : ذكر الكلمة بعد الكلمة من غير فاصلة ، لأن التالي للشيء يليه من غير فصل بغيره . والاصل : التلوّ وهو ايقاع الشيء بعد الشيء الذي يليه .

قوله تعالى :

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ
اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْيَدْنَاتِ
وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْيَدْنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَفَوْا فَنُفِثُوا مِنْ آَمَنٍ
وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ
مَا يُرِيدُ (٢٥٣) آية واحدة بلا خلاف .

إنما ذكر الله تعالى تفضيل بعضهم على بعض ، لامور : منها أن لا يغلط غالط منهم ، فيسوي بينهم في الفضل . كما استتوا في الرسالة ، وثانيها أن يبين أن تفضيل محمد (ص) كتفضيل من مضى من الأنبياء بعضهم على بعض . وثالثها - أن التفضيلة قد تكون بعد إداء الفريضة . والمراد التفضيلة المذكورة هاهنا ما خص كل واحد منهم من المنازل الجليلة التي هي أعلى من منزلة غيره ، نحو كلامه لموسى بلا سفير ، وإرساله محمداً (ص) الى الكافة من الناس المكلفين والجن المتعدين ، هذا قول مجاهد .

ويحتمل فضلناهم بأعمالهم التي استحقوا بها الفضيلة على غيرهم . والفرق بين الابتداء بالفضيلة وبين المحاباة ان المحاباة اختصاص البعض بالنفع على ما توجه الشهوة دون الحكمة ، وليس كذلك الابتداء بالفضيلة ، لأنه قد يكون للمصلحة التي لولاها لفسد التدبير وأدى الى حرمان الثواب للجميع . فمن حسن النظر لهذا الانسان تفضيل غيره عليه إذا كان في ذلك مصلحة له فهذا وجه تدعو إليه الحكمة وليس كالوجه الأول الذي انما تدعو إليه الشهوة .

وقوله : « وأيدناه بروح القدس » معناه قويناه . والروح : جبريل . والقدس الله - على قول الحسن - وقال ابن عباس : روح القدس : الاسم الذي كان يحيي به الموتى . والضمير في قوله : « من بعدهم » عائد على الرسل . وقال قتادة ، والربيع : على عيسى وموسى (ع) . وجاز بلفظ الجميع ، لأن ذكرهم قد يغني عن ذكر المتبعين لهم . كما يقال : خرج الأمير فانكوا في العدو ونكاية عظيمة .

وقوله : « ولو شاء الله ما اقتتلوا » إخبار عن قدرته على إجلائهم على الامتناع من الاقتتال ، أو بأن يمنهم من ذلك . هذا قول الحسن وغيره . وجملته انه أخبر انه قادر على أن يحول بينهم ، وبين الاقتتال بالاجلاء والاضطرار . ومثله « ولو شئنا لآتيناه كل نفس هداها » « ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً » فان جميع ذلك دلالة على قدرته عليهم . ولا يدل قوله « ولو شاء الله ما اقتتلوا » على أنه قد شاء اقتتالهم ، لأنه إذا احتمل الكلام وجهين : أحدهما - يجوز عليه والآخر لا يجوز عليه ، وجب حمله على ما يجوز عليه ، دون ما لا يجوز عليه ، فلذلك كان تقدير الكلام ولو شاء الله امتناعهم بالاجلاء ما اقتتلوا . ونظيره قول القائل ولو شاء السلطان الاعظم ، لم يشرب النصارى الخمر في سلطانه ولا نكحت المجوس الامهات والبنات وليس في ذلك دليل على أنه قد شاءه وإنما كرر قوله : « ولو شاء الله ما اقتتلوا » لاختلاف المعنى . فمعنى الأول لو شاء الله ما اقتتلوا قتالهم ، ويجوز أن يكون لتأكيد البينة على هذا المعنى . وقال قوم : الأول معناه لو شاء الله ما اقتل

المحقون ، والمبطلون بأن يحول . بينهم ، وبينهم . والثاني لو شاء الله ما اقتتل المحقون
فيما بينهم والمبطلون فيما بينهم .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ
الظَّالِمُونَ (٢٥٤) آية واحدة .

الفراة :

قرأ أبو عمرو وابن كثير « لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة » بالنصب فيها
أجمع . الباقون بالضم .

المعنى :

قوله « يا أيها الذين آمنوا » خطاب للمؤمنين يأمرهم بالاتفاق مما رزقهم .
والاتفاق المأمور به على وجه الفرض ها هنا الزكاة وغيرها دون الفعل لأن ظاهر الامر
الايجاب في قول الحسن . قال : لأنه مقرون بالوعيد . وقال ابن جريج : يدخل في
الخطاب الزكاة ، والتطوع . وهو أقوى ، لأنه أعم . وبه قال البلخي . وليس في
الآية وعبد على ترك النفقة . وإنما فيها إخبار عن عظم أهوال يوم القيامة وشدائدها .
وقوله : « من قبل أن يأتي يوم » يعني يوم القيامة .

المعنى :

« لا بيع فيه » البيع هو استبدال المتاع بالثمن . تقول : باع يبيع ببعاً ، وابتاع ابتياعاً ،
واستباع استباعة ، وبايمه مبايعة ، وتبايعوا تبايعاً ، والبيع : نقيض الشراء والبيع
أيضاً الشراء لأنه تارة عقد على الاستبدال بالثمن ، وتارة على الاستبدال بالمتاع .
والبيعة الصفقة على ايجاب البيع . والبيعة الصفقة على ايجاب الطاعة . والبيعان البائع

والمشترى . والبيعة كنيسة النصارى وجمعها بيع .

وقوله : « لا خلة » . فاختلة خالص المودة . والخلل : الافراج بين الشئئين . وخللته باخللال
أخله خلا : إذا صككته به واختلت حاله اختلالاً ، لانحرافه بالفقر . وتخلل الطرق تخللاً
إذا قطع فرجة بعد فرجة . وأخل به إخلالاً ، وخاله يخاله مخالة : إذا صافاه المودة .
واخلّ معروف لتخلله بحدته ، ولطفه فيما ينساب فيه . والخلل : الرجل الخفيف
الجسم . والخلل : الطريق في الرمل . والخلل : يُعرق في العنق يتصل بالرأس . والخليل :
الخالص المودة من الخلة ، لأنه من تخلل الاسرار بينهما . وقيل لأنه يمتنع من الشوب
- في المودة بالنقيصة - والخليل أيضاً : المحتاج من الخلة . والخلة : جفن السيف .
وفي فلان خلة : أي خصلة . والخلة خلاف الحصن لأنه مرعى بتخلله الماشية للاعتداء
به . واخلل أصابعه تخليلاً . وقوله تعالى : « فترى الودق يخرج من خلاله » (١)
وقوله : « فجاؤا خلال الديار » (٢) والخلال : البلج . وأصل الباب : الخلل :
الافراج .

المعنى :

وقوله : « ولا شفاعاة » وإن كان على لفظ العموم فالمراد به الخصوص بلا
خلاف ، لأن عندا قد تكون شفاعاة في اسقاط الضرر . وعند مخالفينا في الوعيد
قد يكون في زيادة المنافع فقد أجمعنا على ثبوت شفاعاة وإنما تنفي نحن الشفاعاة قطعاً
عن الكفار . ومخالفونا عن كل مرتكب كبيرة إذا لم يتب منها .

وقوله : « والكافرون هم الظالمون » إنما ذم الله تعالى الكافر بالظلم وإن كان
الكفر أعظم منه لأمرين :

أحدهما - للدلالة على أن الكافر قد ضر نفسه بالخلود في النار ، فقد ظلم نفسه .

« ١ » - سورة النور آية : ٤٣ ، - سورة الروم آية : ٤٨ .

« ٢ » - سورة الاسرى آية : ٥ .

والآخر - أنه لما نفى البيع في ذلك اليوم والحلة والشفاعة ، قال وليس ذلك بظلم منا ، بل الكافرون هم الظالمون ، لأنهم عملوا ما استحقوا به حرمان الثواب .

قوله تعالى :

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) آية واحدة (١) .

الاعراب :

« الله » رفع بالابتداء « ولا إله إلا هو الحي القيوم » خبره . والكلام مخرجه مخرج النفي أن يصح إله سوى الله . وحقيقة الاثبات الآله واحد هو الله . كأنه قيل الله الآله دون غيره . وارتفع هو في لا إله إلا هو على أحد وجهين : أحدهما - بالابتداء كأنه قال ما إله إلا الله .

والثاني - أن يكون بدلا كأنه قال ما إله نابتا إلا الله . ويجوز في العربية لا إله إلا الله بالنصب على الاستثناء . وفيه دلالة على الامر باخلاص العبادة لله تعالى .

المعنى ، والمعنى

والحي هو من كان على صفة لا يستحيل معها كونه عالماً قادراً ، وان شئت قلت : هو من كان على صفة يجب لأجلها أن يدرك المدركات ، إذا وجدت . والقيوم أصله قيوم على وزن فيعمل . إلا أن الياء الساكنة إذا كانت بعدها واو متحركة قلبت ياء وأدغمت فيها قياساً مطرداً . والقيام أصله قيوم على وزن فيعمل .

وقيل في معنى القيوم ، أربعة أقوال :

أحدها - قال الحسن إنه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها بعملها من حيث هو عالم لا يخفى عليه شيء منه .

الثاني - قال سعيد بن جبير : إن معناه الدائم الوجود .

الثالث - قال قتادة : معناه : القائم بتدبير خلقه .

الرابع - قال قوم : إن معناه العالم بالأمور من قلوبهم : فلان قيوم هذا الكتاب أي هو عالم بها . وكل هذه الوجوه تامل . وقال أمية بن أبي الصلت :

لم تخلق السماء والنجوم والشمس معها قمر يقوم
قدرة المهيمن القيوم والحمر والجنّة والجحيم

إلا لأمر شأنه عظيم (١)

وقوله : « لا تأخذه سنة ولا نوم » فالسنة النوم بلا خلاف قال عدي

ابن الرقلاء :

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم (٢)

فالسنة الثقل من النعاس ، تقول : وسن فلان وسناً إذا أخذته سنة النعاس ، وقد علته وسنة ، ورجل وسنان ووسن ، وامرأة وسنانة ، ووسنى ، وأصل الباب : النعاس . والنوم الاستئقال في النوم ، تقول نام ينام نوماً وأنامه إنامة ، ونومه تنويماً وتناوم تناوماً ، واستنام إليه : إذا استأنس إليه ، واطمان إلى ناحيته ، لأن حاله معه كحالة النائم في المكان أنساً به وأصل الباب النوم خلاف اليقظة .

وقوله : « ما في السموات وما في الأرض » معناه أن أحداً ممن له شفاعاة

لا يشفع إلا بعد أن يأذن الله له في ذلك ويأمره به ، فأما أن يبتدىء أحد بالشفاعة من غير إذن ، كما يكون فيما بيننا ، فليس ذلك لأحد .

« ١ » ديوانه : ٥٧ ، وتفسير أبي حيان ٢٥ : ٢٧٧ . ورواية أبي حيان (قر يعوم) بدل (قر يقوم) وفي تفسير الطبري قد اجتهد محققه فأخطأ ، لأنه أثبت (والجسر) بدل (والخسر) راجع صفحة ٣٨٨ من المجلد الخامس في تفسير الطبري .
« ٢ » الشعر والشعراء : ٦٠٢ ، واللسان « وسن » ، « رنق » .

وقوله : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم » قال : ابن جريج ومجاهد والسدي :
معناه ما مضى من الدنيا وما خلفهم من الآخرة .

وقوله : « ولا يحيطون بشيء من علمه » معناه من علومه ، كقول القائل :
اللهم اغفر لنا علمك فينا ، فاذا ظهرت آية يقولون قدرة الله أي مقدر الله وقوله :
« وسع كرسيه » قال ابن عباس كرسية : علمه وهو المروي عن أبي جعفر ، وأبي
عبدالله (ع) . وقال الحسن : الكرسي هو العرش . وقيل : هو سرير دون العرش .
وقد روي ذلك عن أبي عبد الله (ع) . وقيل : أصل ملكه . وكل ذلك محتمل .
أما العلم ، فلا أنه يقال للعلماء الكراسي ، لأنهم المعتمد كما يقال : هم أوتاد الأرض ،
وهم الأصل الذي يعتمد عليه . ويقال لكل أصل يعتمد عليه . كرسي قال الشاعر :
تحف بهم بيض الوجوه وعصبة كراسي بالأحداث حين تنوب (١)

أي علماء بحوادث الأمور . وقال آخر :

نحن الكراسي ما تمدّ هوازن أفعالنا في النائبات ولا أسد

وقال آخر :

مالي بأمرك كرسي كاتمه وهل بكرسي علم الغيب مخلوق

وكل شيء . تراكب فقد تكارس تكارساً ، ومنه الكرامة لتراكب بعض
ورقها على بعض قال المصباح :

ياصاح هل تعرف رسماً مكرساً قال نعم أعرفه وأبلسا (٢)

أي تكارس عليه التراب ، فغطاه ، والكرسي البعر والبول : إذا تلبد بعضه
على بعض ، والأكارس الجموع الكثيرة ، لا واحد له ، لأنه بكثرتة بمنزلة ماتراكب
بعضه على بعض . ورجل كروس شديد الرأس ، لأنه تضاعف القوى كتراكب
الشيء بعضه على بعض ، والكرياس : كنيف في أعلى السطح بقناة إلى الأرض ، لتراكب

« ١ » أساس البلاغة (كرس) .

« ٢ » ديوانه ١ : ٣١١ ، والكامل ١ : ٢٥٢ ، واللسان (بلس) ، (كرس) . يقال :

ابلس الرجل أي سكت عما في نفسه ، وانكر ونحجر ، ولم ينطق . وقد مر في ١ : ١٥٣

بعض ابنيته على بعض ، وسمي الكرسي بذلك ، لتركيب بعضه على بعض . ويقال : كرسي الملك من مكان كذا الى مكان كذا أي ملكه تشبيهاً بالكرسي المعروف . وكرس يكرس كرسيًا ، وأكرس إكراسًا ، وتكرس تكارسًا ، وتكرس تكارسًا ، وكرسه تكريسيًا ، وأصل الباب الكرسي : تراكب الشيء بعضه على بعض .

والوجه في خلق الكرسي إذا قلنا : أنه جسم هو أن الله تعبد تحمله الملائكة والتعبد عنده كما تعبد البشر بزيادة ؛ ولم يخلقه ليجلس عليه ، كما تقول المجسمة . واختاره الطبري ، لأنه عز وجل يتعالى عن ذلك ، لأن ذلك من صفات الاجسام ولو احتاج الى الجلوس عليه ، لكان جسماً ومحدثاً وقد ثبت قدمه .

وقوله : « ولا يؤوده حفظهما » أي لا يثقله ، والهاء في يؤوده راجعة الى الله وقيل إنها عائدة الى الكرسي . والأود مصدر ، آده يؤوده أوداً وأياداً إذا أثقله وجهده ، وأودت العود فأنا أوده أوداً ، فأناد ومعناه عجزته فأنعاج ، لأنه اعتمد عليه بالثقل حتى مال ، والأود ، والأوداء على وزن اعوج وعوجاء والمعنى واحد والجمع الأود بوزن العوج وأصل الباب الثقل .

وقوله : « وهو العلي العظيم » فالعلي يعني بالافتقار ونفوذ السلطان . ويقال علا بالافتقار ، ولا يقال رفيع ، لأن الرفعة من المسكان ، والعلو منقول الى معنى الافتقار يوضح ذلك قولهم : علا قرنه بمعنى اقتدر ولا يقال ارتفع عليه بمعنى اقتدر وكذلك استعلى عليه بالحجة ، ولا يقال ارتفع عليه بالحجة . وتقول : علا يعلو علواً وأعلى إعلاءً وعلّى تعليةً واستعلى استعلاءً . وتعلّى تعلياً . وتعالى تعالياً واعتلاه اعتلاءً ، وعالى معالاةً . والعلو - بضم العين وكسرها - نقيض السفلى ، والعلو التجبر ، ومنه قوله تعالى : « إن فرعون علا في الأرض » (١) أي تجبر ، لأنه طلب الاستعلاء على الناس بالسلطان والقهر . والله العلي والمتعالي أي القادر القاهر ، لأنه عال بالافتقار ، لأنه لا يعجزه شيء . والعالية : القناة المستقيمة ، لاستمرارها في جهة العلو . وفلان من عليّة الناس أي من أشرفهم ، لأنه علا بشرفه . والعلية : الغرفة

وأصل الباب العلوي . والعظيم معناه عظيم الشأن بأنه قادر ، ولا يعجزه شيء ، وعالم لا يخفى عليه شيء ، فلا نهاية لمقدوره ومعلومه ، وقال قوم : العظيم بمعنى المعظم كما قالوا في الحمر العتيقة معتقة ، والأول أقوى لأن على هذا كان يجب ألا يوصف بأنه عظيم فيما لم يزل وقد علمنا خلافه .

قوله تعالى :

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ
بِالطَّائِفَاتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْقِصَامَ
لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) آية واحدة .

المعنى :

قيل في معنى قوله : « لا إكراه في الدين » أربعة أقوال : أولها - قال الحسن وقتادة والضحاك : إنها في أهل الكتاب خاصة الذين يؤخذ منهم الجزية . الثاني - قال السدي وابن زيد : إنها منسوخة بالآيات التي أمر فيها بالحرب نحو قوله : « واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » (١) وقوله : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب » (٢) . الثالث - قال ابن عباس وسعيد بن جبير : إنها نزلت في بعض أبناء الانصار وكانوا يهوداً فاريداً إكراههم على الاسلام . الرابع - قيل « لا إكراه في الدين » أي لا تقولوا لمن دخل فيه بعد حرب إنه دخل مكرها ، لأنه إذا رضي بعد الحرب ، وصح اسلامه فليس بمكره ، فان قيل كيف تقولون « لا إكراه في الدين » وهم يقتلون عليه اقلنا المراد بذلك لا إكراه فيما هو دين في الحقيقة ، لأن ذلك من أفعال القلوب إذا فعل لوجهه بوجوبه ، فأما ما يكره عليه من إظهار الشهادتين ، فليس بدين ، كما أن من آكره على كلمة الكفر لم يكن كافراً . وقوله : « قد تبين الرشد من الغي » معناه قد ظهر بكثرة الحجج ، والآيات

« ١ » سورة النساء آية : ٨٨ .

« ٢ » سورة محمد آية : ٤ .

الدالة لانضمام ما أتى الرسول فيه الى ما في الفعل منسه والالف واللام في قوله « في الدين » يحتمل أمرين :

أحدهما - أن يكون مثل قوله « فان الجنة هي المأوى » (١) بمعنى هي مأواه فكذلك « لا إكراه في الدين » أي في دينه ، لأنه قد تقدم ذكر الله كأنه قال : « لا إكراه في دين » الله .

والثاني - لتعريف دين الاسلام .

الفراء ، والمعنى :

والغني ضد الرشد ، تقول غوى يغوي غياً وغواية : إذا سلك خلاف طريق الرشد ، وغوى : إذا خاب قال الشاعر :

ومن يغو لا يعدم على النفي لاأما (٢)

أي من يخب . وغوى الفصيل يغوي غياً : إذا قطع عن اللبن حتى يكاد يهلك وقوله : « رب بما أغويتني » (٣) يحتمل أمرين : أحدهما - خيبتني . الثاني - بما حكمت بغوايتي ، ومنه قوله : « أغويتنا كما غويتنا تبرأنا إليك » (٤) والأصل الغني سلوك طريق الهلاك .

وقوله : « ومن يكفر بالطاغوت » قيل فيه خمسة أقوال : أحدها - ماروي عن عمر ، ومجاهد ، وقنادة : أنه الشيطان . الثاني - قال سعيد بن جببر : هو الكاهن . الثالث - قال أبو العالية : هو الساحر . والرابع - قال قوم : هم مردة الجن والانس . الخامس - قال بعضهم : هي الاصنام . وأصل طاغوت من الطغيان ، ووزنه فعلوت نحو جبوت ، وتقديره : طيغوت إلا أن لام الفعل قلبت الى موضع العين ، كما قيل صاعقة

« ١ » - سورة النازعات آية : ٤١ .

« ٢ » - قائله المرتش الاصغر وصدره :

من يلق خيراً بحمد الناس أمره

العقد الفريد ٢ : ١٧٦ ، ٣ : ٧٧ ، ٥ : ٣٣٩ .

« ٣ » - سورة الحجر آية : ٣٩ « ٤ » - سورة القصص آية : ٣٦ .

وصاعقة ، ثم قابلت الفأ لوقوعها في موضع حركة ، وافتتاح ما قبلها .
ومعنى ﴿ يؤمن بالله ﴾ يصدق بالله .

وقوله ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ فالعروة الوثقى الايمان بالله ، عن مجاهد ، وجرى ذلك مجرى المثل لحسن البيان باخراج ما لا يقع به الاحساس إلى ما يقع به (١) والعروة : عروة الدلو ونحوه لانها متعلقة ، وعروت الرجل ، أعروه عرواً : إذا الممت به متعلقاً بسبب منه ، واعتراه (٢) يعتربه : إذا تعلق به ، وعرته الحمى تعروه : إذا علقت به وعراه يعربه إذا اتخذ له عروة . وأصل الباب التعلق . وقال الازهري العروة : كل نبات له أصل ثابت ، كالشيع والقيصوم ، وغيره . شبهت عرى الاشياء في لزومها .

وقوله : « لا انفصام لها » أي لا انقطاع لها - في قول السدي - . والانكسار ، والانفصام والانصداع والانقطاع نظائر . قال اعشى بني ثعلبة .
ومبسمها عن شتيت النبا ت غير أكس ولا منقصم (٣)
وانقصم انقصاماً : إذا انصدع ، وفصمته تقصمه فصماً : إذا صدعته من غير أن تكسره ، وأصل الباب : الفصم ، كصدع الزجاج .

قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى
الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧) آية .

المعنى ، واللغة :

معنى ﴿ ولي الذين آمنوا ﴾ نصيرهم ، ومعينهم في كل ما بهم إليه الحاجة (٤) ، مما

« ١ » به ساقطة من المطبوعة .

« ٢ » في المطبوعة اعتراءم .

« ٣ » ديوانه : ٣٥ رقم القصيدة . الشتيت : المتفرق المفلج من الاسنان الكس :

تصر الاسنان . في المطبوعة « عرائس » بدل « غير أكس » وروايته : (منقصم) .

« ٤ » هذا ما استنبطنا . في المطبوعة (كلانهم اليه الحاجة) .

فيه صلاح لهم في دينهم ودنياهم وإنما يوصف بالولي من كان أولى بغيره وأحق بتدبيره . ومنه الوالي ، لأنه يلي القوم بالتدبير والأمر ، والنهي ، ومنه المولى من فوق ، لأنه يلي أمر العبد بسد الخلة ، وما به إليه الحاجة ، ومنه المولى من أسفل لأنه يلي أمر المالك بالطاعة ، والمولى ابن العم لأنه يلي أمره بالنصرة لتلك القرابة ، وولي اليتيم لأنه يلي أمر ماله بالحفظ له والقيام عليه . والولي في الدين وغيره ، لأنه يلي أمره بالنصرة والمعونة لما توجبه الحكمة ، والمعاقدة لجميع هذه المواضع الأولى والأحق ملحوظ فيه . ووتى : إذا ادبر عن الشيء لأنه زال عن أن يليه بوجهه واستولى على الشيء : إذا احتوى عليه ، لأنه وليه بالقهر . والله تعالى يتولى المؤمنين على ثلاثة أوجه : يتولاهم بالمعونة على إقامة الحجّة ، ويتولاهم بالنصرة لهم في الحرب حتى يغلبوا ، ويتولاهم بالمشورة على الطاعة .

وقوله ﴿ يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ . ومعناه : من ظلمات الكفر إلى نور الايمان ، لأن الكفر كالظلمة في المنع من إدراك الحق كما أن الظلمة مانعة من إدراك البصر . وقال قتادة : يخرجهم من ظلمة الضلالة إلى نور الهدى ، وهذا قريب من الأول ، ووجه إخراج الله تعالى المؤمنين من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الايمان باهدائهم إليه ، ونصب الأدلة لهم ، وترغيبهم فيه ، وفعله بهم من اللطف ما يقوّي دواعيهم إلى الايمان ، فاذا اختاروا هم الايمان ، فكأن الله أخرجهم منها ، ولم يجز أن يقال : إنه أخرج الكفار من الظلمات إلى النور من حيث قدرهم على الايمان ، ودعاهم إليه ورغبهم فيه ، كما فعل بالمؤمنين ، لانهم لم يختاروا الايمان ، فلم يجز أن يقال : إنه أخرجهم منه لأنه توهم أنهم فعلوا الايمان . وقوله : ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾ إنما أضاف إخراجهم « من النور » الذي هو الايمان إلى الكفر إلى الطاغوت ، لما كان ذلك باغوائهم ، ودعائهم ، وإنما كفروا عند ذلك ، فأضاف ذلك إليهم ، فهو عكس الأول . فان قيل : كيف يخرجونهم من النور « وما دخلوا فيه ؟

قلنا عنه جوابان :

أحدهما - إن ذلك يجري مجرى قولهم : أخرجني والدي من ميراثه . ولم يدخل فيه ، وإنما ذلك لأنه لو لم يفعل ما فعل ، لدخل فيه ، فهو لذلك بمنزلة الداخل فيه الذي أخرج منه . قال الغنوي :

فإن تكن الأيام أحسن مرة إلى فقدعات لهن ذنوب (١)
ولم يكن لها ذنوب قبل ذلك .

والوجه الثاني - قال مجاهد : إنه في قوم ارتدوا عن الإسلام ، والاول ألبق بمذهبنا ، لأن عندنا لا يجوز أن يرتد المؤمن على الحقيقة ، وإنما قال « يخرجونهم » على لفظ الجمع . فإن كان الطاغوت واحداً لأنه في معنى جميع كما قال العباس بن مرداس :

فقلنا : أساموا أنا أخوكم فقد برئت من الاحن الصدور (٢)
وإنما جاز ذلك في الخفض ، لأن كل واحد يقوم مقام الآخر فصار ذكر واحد ينوب عن جميعه ، فأما ما يميز بالخلقة وصار بمنزلة الاشياء المختلفة فقياسه أن يجمع ، كرجل ورجال . وإنما حسن في الطاغوت ، لأن جميعه يجري مجرى واحد في الضلال .

وفي الآية دليل على فساد قول المجبرة في المخلوق ، والارادة ، لأنه تعالى نسب الاخراج من نور الهدى إلى ظلمة الكفر والضلال إلى الطاغوت منكراً لتلك الحال ، ولم يكن لينكر شيئاً أراده ولا يغيب شيئاً عنه فعله (تعالى الله) عن ذلك .
قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ لِذَقَلَّ

« ١ » قاله كتب الغنوي من تصيدة برني بها أخاه أبا المغوار . المقيد الفريد ٣ : ٢١٧ .
وروايته « لقد » بدل « فقد » .

« ٢ » سيرة ابن هشام ٤ : ٩٥ ، واللسان « أخو » وبجاز القرآن ١ : ٩٧ من تصيدة له في يوم حنين ، وفي مزينة هوزان يذكر قرب بن الاسود وفراره من بني أبيه . والاحن حم احنة : وهي الخند .

إِبْرَاهِيمَ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ آية .

الفراة :

قرأ أهل المدينة « أنا أحيي وأميت » باثبات الألف إذا كان بعدها همزة مضمومة أو مفتوحة . فإن كان بعدها همزة مكسورة حذفوها إجماعاً .

المعنى :

قال مجاهد ، وقتادة والربيع : إن المحاج لإبراهيم كان نمرود بن كنعان (١) وهو أول من تجبر في الأرض بادعاء الربوبية . وقوله : ﴿ ألم تر إلى ﴾ دخلت إلى الكلام للتعجب من حال الكافر المحاج بالباطل ، كما يقولون : أما ترى إلى فلان كيف يصنع ، وفيه معنى هل رأيت كفلان في صنيعه كذا ، وإنما دخلت (إلى) لهذا المعنى من بين حروف الجر ، لأن إلى لما كانت نهاية صارت بمنزلة هل انتهت رؤيتك إلى من هذه صفة لتدل على بعد وقوع مثله على التعجب منه ، لأن التعجب إنما يكون مما استعجبهم شبيه بما لم يجز عادة به ، وقد صارت إلى ههنا بمنزلة كاف التشبيه من حروف الاضافة ، لما بينا من العلة إذ كان ماندر مثله كالذي يبعد وقوعه .

وقوله : ﴿ أن آتاه الله الملك ﴾ معناه أعطاه والهاء في « آتاه » قال الحسن وأبو علي : إنها كناية عن المحاج لإبراهيم . وقال أبو حذيفة والبلخي إنها عائدة إلى إبراهيم . فإن قيل : كيف يجوز أن يؤتي الله الكافر الملك ؟ قيل : الملك على وجهين : أحدهما - يكون بكثرة المال واتساع الحال ، فهذا يجوز أن ينعم الله (عز وجل) به على أحد من مؤمن وكافر ، كما قال في قصة بني إسرائيل : ﴿ وجعلكم

﴿ ١ ﴾ ابن كوش بن سام بن نوح . وقيل : انه نمرود بن قايخ بن عامر بن شالخ بن ارغشذ بن سام بن نوح .

ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين » (١) .

والثاني - ملك بتمليك الأمر والنهي والتدبير لأمر الناس ، فهذا لا يجوز أن يجعله الله لأهل الضلال لما فيه من الاستفساد بنصب من هذا سبيله للناس ، لأنه لا يصح مع علمه بفساده إرادة الاستصلاح به كما يصح منا فيمن لا يعلم باطن حاله ممن يؤمن علينا . ومن قال الهاء كناية عن إبراهيم (ع) لم يتوجه عليه السؤال ، لأنه تعالى لم يؤت الكافر الملك ، وإنما آتى نبياً مرسلًا .

وقوله ﴿ إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت ﴾ معناه يحيي الميت ويميت الحي ، فقال الكافر عند ذلك : أنا أحيي وأميت ، يعني أحييه بالتخليّة من الحبس ممن وجب عليه القتل وأميت بالقتل من شئت ممن هو حي ، وهذا جهل منه ، لأنه اعتمد في المعارضة على العبارة فقط دون المعنى ، عادلاً عن وجه الحجّة بفعل الحياة للميت أو الموت للحي على سبيل الاختراع كما يفعله الله (تعالى) من إحياء من قتل أو مات ودفن وذلك معجز لا يقدر عليه سواه ، فقال إبراهيم ﴿ إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ﴾ ولم يكن ذلك انتقالاً من إبراهيم من دليل إلى دليل آخر من وجهين :

أحدهما - أن ذلك يجوز من كل حكيم بعد تمام ما ابتدأ به من الحجاج ، وعلامة تمامه ظهوره من غير اعتراض عليه بشبهة لها تأثير عند التأمل ، والتدبير لموقعها من الحجّة المعتمد عليها .

الثاني - أن إبراهيم إنما قال ذلك ليتبين أن من شأن من يقدر على إحياء الأموات وإماتة الأحياء ، أن يقدر على الاتيان بالشمس من المشرق ، فإن كنت قادراً على ذلك فأت بها من المغرب « فبهت الذي كفر » وإنما فعل ذلك ، لأنه لو تشاغل معه بأني أردت اختراع الحياة والموت من غير سبب ولا علاج لاشتبه على كثير ممن حضر ، فعدل إلى ما هو أوضح وأكشف ، لأن الأنبياء (ع) إنما بعثوا للبيان والايضاح ، وليس أمورهم مبنية على بناء الخصمين إذا تحاجا ، وطلب

كل واحد غلبة خصمه ، فذلك فعل إبراهيم (ع) ما فعل وقدر يوي عن أبي عبد الله (ع) أن إبراهيم قال له : احبي من قتلته إن كنت صادقاً ، ثم استظهر عليه بما قال .

اللفظ :

والشمس معروفة وجمعها شمس ، وقد شمس يوماً يشمس شمساً ، فهو شامس : إذا اشتدت شمسه ، وكذلك أشمس . وشمس الفرس شماساً ، فهو شمس ، إذا اشتد تفوره ، لأنه كاشتداد الشمس في اليوم ما يكون من زيادة حرها ، وتوقدتها . وشمس فلان إذا اشتدت عداوته . قال الشاعر :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا (١)
والشمس في القلادة وغيرها : دائرة مشرقة كالشمس . وشمس الشيء تشميساً إذا ألقاه في الشمس ، وتشمس تشمساً : إذا قعد في الشمس .

المعنى :

وقوله : ﴿ فبهت الذي كفر ﴾ معناه تحير عند الانقطاع بما بان من ظهور الحجة . فان قيل هلاً قال لإبراهيم . فليات ربك بها من المغرب؟ قلنا عن ذلك جوابان : أحدهما - أنه لما علم بما رأى من الآيات منه أنه لو اقترح ذلك لفعل الله ذلك فتزداد نصيحته ، عدل عن ذلك ، ولو قال ذلك واقترح لأتى الله بالشمس من المغرب تصديقاً لإبراهيم (ع) .

والجواب الثاني - أنه (تعالى) خذله عن التلبيس والشبهة .

اللفظ :

وفي بهت ثلاث لغات : بُهت على لفظ القرآن ، وِبُهت وِبَهت على وزن ظرف وحذر ، وحكي بُهت على وزن ذهب والبهت : الحيرة عند استيلاء الحجة ، لأنها كالخيرة للمواجهة بالكذب ، لأن تحير المكذب في مذهبه كتحير المكذوب عليه ،

ومنه قوله : ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بِهَيْبَتِنَا وَإِثْمًا مَبِينًا﴾ (١) كأنه قال أتأخذونه ادعاء للكذب فيه . وفي إبراهيم خمس لغات إبراهيم ، وبراهاهم ، وبراهم ، وبرايم ، وبرايم باسقاط الياء وتعاقب الحركات الثلاث عليه .

المعنى :

وقوله ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ لا يعارض قوله : ﴿وأما نوح فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى﴾ (٢) لأن الهدى يتصرف على وجوه وأصله واحد وهو الدلالة على الطريق المؤدي إلى البغية والله (تعالى) قد هدى جميع المكلفين بأن دلهم على طريق الحق وخص المؤمنين في هدايته لهم بالمعونة على سلوك طريق الحق ، لأنه بمنزلة الدلالة على طريق الحق والله (تعالى) لا يهدي للمعونة على بلوغ البغية في فساد القوم الظالمين . وفي الآية دلالة على فساد (٣) قول من يقول : المعارف ضرورة ، لأنها لو كانت ضرورة لما حاج إبراهيم الكافر ، ولا ذكر له الدلالة على إثبات الصائم ، وفيها دلالة على فساد التقليد وحسن المحاجة والجدال ، لأنه لو كان ذلك غير جائز لما فعل إبراهيم (ع) ذلك .

قوله تعالى :

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِثَّةَ عَامٍ تَمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِثَّةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ كَمْ يَتَسَوَّىٰ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الِيمِّظَامِ كَيْفَ نَشْرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٥٩) آية واحدة .

« ٢ » حم السجدة آية : ١٧ .

« ١ » النساء آية : ١٩ .

« ٣ » « على فساد » باقطة من المطبوعة .

الفراة :

قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف ، ويعقوب . والكسائي عن أبي بكر
 ﴿ يتسن ﴾ بحذف الهاء وفي الوقف باثباتها بلا خلاف . قرأ ابن عامر وأهل الكوفة
 ﴿ نشزها ﴾ بالزاي الباقون بالراء . وقرأ حمزة والكسائي ﴿ قال اعلم ﴾ بهمزة موصولة
 الباقون بقطعها .

الاعراب :

هذه الآية معطوفة على الآية الأولى وتقديره رأيت ك ﴿ الذي حاج إبراهيم
 في ربه ﴾ وك ﴿ الذي مر على قرية ﴾ وموضع الكاف نصب بـ (تر) ومعناه التعجب
 منه لأن كما خرج في بابه يعظمه عن حد نظائره مما يتعجب منه نحو (ما أجعله)
 أي قد خرج بعظم جهله عن حد نظائره ، وكذلك لو قلت : هل رأيت كزيد
 الجاهل ، لدلت على مثل الأول في التعجب ، لما بينا إلا أن (ما أفعله) صيغة
 موضوعة للتعجب ، وليس كذلك هل رأيت لأنها في الأصل للاستفهام ،
 ونحو قولك : هل رأيت في الدنيا نير مثل هذا الدينار فهذا استفهام محض لا تعجب فيه ،
 لأن أمثاله كثير ، فلم يخرج بعظم حاله عن حد نظائره ، كما خرج الأول بعظم
 جهله . وقيل : الكاف زائدة للتوكيد ، كما زيدت في ليس كمثل شيء والأول الوجه ،
 لأنه لا يحكم بالزيادة إلا للضرورة .

المعنى :

وقال قتادة والربيع : الذي مر على قرية هو عزيز ، وروي ذلك عن أبي
 عبد الله (ع) . وقال وهب بن منبه : هو أرميا ، وهو المروي عن أبي جعفر (ع) . وقال
 ابن إسحاق : هو الحضرمي ، والقرية التي مر عليها . قال وهب بن منبه ، وقتادة ،
 والربيع هي بيت المقدس لما خر به بنحت نصر ، وقال ابن زيد : هي القرية التي خرج
 منها الألو ف ﴿ حذر الموت ﴾ . وقوله : ﴿ وهي خاوية ﴾ معناه خالية . وقال ابن
 عباس ، والربيع ، والضحاك خراب . قال قوم : معناه وهي قائمة على أساسها وقد وقع

وقد وقع سقفها . وأصل الخواء (١) الخلاء قال الراجز :

يبدو خواء الارض من خويله (٢)

والخواء : المرجة بين الشيئين يخلو ما بينها . وخوت الدار فهي خاوية .
 نخوي خواء . إذا باد أهلها بخلوها منهم والخبوي : الجوع ، خوي نخوي نخوي : يخلو
 البطن من الغذاء . والتخوية التفريج بين العضدين والجبينين يخلو ما بينها بتباعدهما .
 والتخوية تمكين البعير لنفسه في بروكه ، لأنه تفحصه الأرض بخلوها مما يمنع
 من تمكنه . واخواء النجم : سقوطه من غير مطر بخلوه من المطر . خوي النجم
 واخوي . وخوي المنزل إذا تهدم ، لانه بتهدمه يخلو من أهله وأصل الباب الخلو .
 وقوله : ﴿ على عروشها ﴾ يعني على أبنيتها ومنه « وما كانوا بعروشون » (٣)
 أي يبنون . ومنه عريش مكة : أبنيتها وخيامها ، وكل بناء : عرش ، عرش يعرش
 ويعرش عرشاً : إذا بنى . والعرش البيت ، وجمعه عروش لارتفاع أبنيته .
 والعرش : السرير ، لارتفاعه على غيره . وعرش الرجل : قوام أمره وعرش البيت :
 سقفه ، لارتفاعه . والتعريش جعل الخشب تحت الكرم ليمتد عليه . تقول :
 عرشته تعريشاً . وعرشته أعرضه عرشاً . وذلك ، لارتفاعه في امتداده على الخشب
 الذي تعمه . والتعريش رفع الحمار رأسه شاحياً فاه على عاتقه ، عرش بعانته
 تعريشاً . والعريش ظلة من شجر أو نحوه ، لارتفاعه على ما يستره . وعرش البئر
 طيبها بالخشب بمد طيبها بالحجارة . والعرشان من الفرس : آخر شعر العرف لارتفاع
 العرف على العنق . وتل عرشه : إذا قتله . وأصل الباب : الارتفاع .
 والقرية أصلها من قرية الماء : إذا جمته ، سميت بذلك لاجتماع الناس
 فيها للاقامة بها .

المعنى :

وقوله « أنى يحيى هذه الله بعد موتها » معناه كيف ، وذلك يدل على أن

(١) في المطبوعة (الخوا) (٢) في المطبوعة (خو)

(٣) سورة الاعراف آية : ٣٦

« انى » . في قوله ﴿ فَأَتُوا حَرَنَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ (١) معناه كيف شئتم دون ماقاله بعضهم من أن معناه حيث شئتم ، لأن معناه هاهنا لا يكون إلا على كيف . ولقائل أن يقول : إن اللفظ مشترك . وإنما يستفاد بحسب مواضعه . وقال الزجاج : معناه من أين في الموضوعين .

وقوله ﴿ فَأَمَانَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ نَمَّ بِعَثَمِ ﴾ قال أبو علي لا يجوز أن يكون الذي أمّانه ثم أحياه نبياً لأن الله تعالى عجب منه ولولا ذلك ، لجاز أن يكون نبياً على أنه شك في ذلك قبل البلوغ لحال التكليف ، ثم نبى في ما بعده ، وعلى هذا لا يمنع أن يكون نبياً في ما تقدم . والأول أقوى ، وأقرب . ويجوز هذه الآية أن تكون في غير زمان نبى . وقال الجبائي : لا يجوز ذلك لأن المعجزات لا تجوز إلا للأنبياء لأنها دالة عليهم . فلو وقعت المعجزة في غير زمن نبى لم يكن وقوعها دليلاً على النبوة ، وهذا ليس بصحيح - عندنا - لأن المعجزات تدل على صدق من ظهرت على يده ، وربما كان نبياً وربما كان إماماً أو ولياً لله ، وما روي أن الحياة جعلت في عيذه أولاً ، ليرى كيف يحيى الله الموتى لا يجوز ، لأن الرأي هو الإنسان بكامله غير أنه يجوز أن يكون أول ما نفخ فيه الروح عيناه ، وتكون الحياة قد وجدت في جميع الروح ، ولم يحصل في البدن من الروح إلا ما في العينين دون ما في البدن .

اللفظ، والمعنى :

وقوله : ﴿ مِئَةٌ عَامٍ ﴾ معناه مئة سنة ، والعام جمعه أعوام ، وهو حول يأتي بعد شتوة وصيفة ، لأن فيه سبحة طويلاً بما يمكن من التصرف فيه . والعموم : السباحة . عام في الماء يوم عوماً : إذا سبح . والسفينة تعوم في جريها . والابل تعوم في سيرها ، لأنها تسبح في السير بجريها . والاعتيام : اصطفاة خيار مال الرجل ليجري (٢) في أحده له شيئاً بعد شيء . كالسباح في الماء الجاري

واعتماد الموت النفوس أولاً أولاً ، لأنه يجري في أحدها حالاً بعد حال كجري السابح في الماء ، وأصل الباب السبح .
 وقوله : ﴿ ثم بعثه ﴾ يعني أحياءه . وقوله : ﴿ كم لبثت ﴾ موضع نصب بلبثت ، كأنه قيل : أمانة سنة لبثت أو أقل أو أكثر ؟ فقال ﴿ لبثت يوماً أو بعض يوم ﴾ لأن الله تعالى أماته في أول النهار وأحياءه بعد مائة سنة في آخر النهار ، فقال : « يوماً » ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال « أو بعض يوم » . واللبث المكث ، لبث لبثاً فهو لا يث وتلبث تلبثاً إذا تمكث وتلبثه تلبيثاً ، وأصل الباب المكث .

وقوله : ﴿ فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه ﴾ . معناه لم تغيره السنون . وقيل : كان زاده عصيراً وتيناً وعنباً ، فوجد العصير حلواً ، والتين ، والعنب كما جناه لم يتغير ، أو هو مأخوذ من السنة ، والأصل فيه على قولهم : سانيقه مساناة إذا عاملته سنة سنة أن يكون في الوصل لم يتسن ، نحو لم يتعد ، والأصل الواو ، بدليل قولهم سنوات فاذا وقف جاء بهاء السكت ، ويجوز أن يكون على قولهم : سانهة وسنهات ، واكثر من مسانهة . والهاء على هذا أصلية مجزومة بلم ، ولا يجوز أن يكون من الأسن ، لأنه لو كان منه لقليل لم يتأسن . قال الزجاج لا يجوز أن يكون من قوله : « من حمأ مسنون » (١) لأن معنى مسنون منصوب على سنة الطريق قال الشاعر :

ليست بسنهاء ولا رجبيية ولكن عرايا في السنين الجوامح (٢)

فجعل الهاء أصلية . والسنهاء : النخلة القديمة ، لأنه قد مرت عليها سنون

(١) - سورة الحجر آية : ٢٠ ، ٢٨ ، ٣٣

(٢) قاله سويد بن الصامت الانصاري وقيل ابيجة بن الجلاح . السان (عرا) ، (خور) ، (رحب) ، (قرح) ، (سنه) وأما القسالي ١ : ٢١ . الرجبية - بضم الراء وتشديد الجيم المفتوحة أو فتحها بغير تشديد - : نسبة شاذة الى رجبة - ضم فسكون - : البناء تحت النخلة الكريمة لدعها اذا خيف عليها لكثرة حماها . والعرايا جمع عريضة وهي التي يوهب نحرها في عامها . الجوامح : السنين الجديدة .

كثيرة . وإنما علم بأنه مات مائة سنة بشيئين :

أحدهما - بأخبار من اراده المعجزة في نفسه وحماره وطعامه ، وشرابه من تقطع أوصاله ، ثم اتصال بعضها الى بعض حتى رجع الى حاله التي كان عليها في أول أمره .

والآخر - بالآيات الدالة على ذلك لما رجع الى وطنه فرأى ولد ولده شيوخاً وقد كان خلف أباهم شباباً الى غير ذلك من الأمور التي تغيرت ، والاحوال التي تقلبت مع تظاهر الأخبار عما يسأل عنه أنه كان في مائة سنة .

وقوله : ﴿ ولنجعلك آية للناس ﴾ قيل بعث وأولاد أولاده شيوخ . وروي عن علي (ع) أن عزيراً خرج من أهله وامراته حامل وله خمسون سنة . فأماته الله مائة سنة ، ثم بعثه فرجع إلى أهله ابن خمسين سنة وله ابن له مائة سنة ، فكان ابنه أكبر منه ، وذلك من آيات الله . وقيل : لتعظ أنت وبتعظ الناس بك ، فيكون الاعتبار عاماً . ودخلت الواو في الكلام لا اتصال اللام بفعل محذوف كأنه قال : ولنجعل آية للناس . فعلنا ذاك ، لأن الواو لو سقطت اتصلت اللام بالفعل المتقدم .

وقوله : ﴿ وانظر الى حمارك ﴾ فالحمار يقال للوحشي والأهلي لأن الحمرة أغلب على الوحشي ثم صار لكل حمار تشبيهاً بالوحشي ، والحمرة لون أحمر تقول : أحمر احمراراً واحماراً حميراً والمحمر : فرس هجين ، لأنه كالحمار في التقصير ، وحمارة القبيظ : شدة حره ، وحمار المرح الذي يركبه المرح وحمرفو الفرس يحمر حمراً إذا اتن . والحمارة حجارة عريضة توضع على اللحد لركوب التراب عليها كالحمار وجمعها حمائر . وما يخفى على الاسود والاحمر أي العرب والمعجم ، لأن السواد أغلب على لون العرب كما الحمرة أغلب على المعجم . وموت أحمر : شديد مشبه بحمرة النار في شدة الايقاد . وعبث حمر شديد ، وأصل الباب الحمرة . ومنه الحمرة طائر كالمصفور ، لأنه تغلب عليه الحمرة .

وقوله : ﴿ وانظر الى العظام كيف ننشرها ﴾ فن قرأ بالراء غير المعجمة

ذهب إلى النشور ، وهو الحياة بعد الموت . نشر الميت : إذا عاش ونشره الله وأنشره : إذا أحياه . ومنه قوله ﴿ ثم أنشأناه خلقاً آخر ﴾ (١) وقوله : ﴿ ثم إذا شاء أنشره ﴾ (٢) والنشر خلاف الطي . يقال : نشرت الثوب وغيره أنشره نشرأ وانتشر انتشاراً . والنشر إذاعة الحديث والنشر : الرائحة الطيبة ، وربما قيل في الخبيثة . والنشر نحت (٣) العود بالمنشار . والنشر نبات الربيع . والنشر : اكتساء البازي ريشاً واسعاً طويلاً . والنشرة عن المريض الرقية حتى يفيق والتناشر : عرض كتابة المعلم على المعلم ينشرونه عليه أي يرونه إياه ، وذلك لبسط الكتاب بين يديه . وأصل الباب الانبساط . ومن قرأ بأزاء فمعناه يرفع بعضها إلى بعض وأصل الذشوز : الارتفاع فنه الذشر المرتفع من الأرض . ومنه نشوز المرأة رفعها عن طاعة زوجها .

وقوله : ﴿ ثم نكسوها لحماً ﴾ معناه نغطّيها باللحم كما نغطّي باللباس . وإنما قيل ذلك لأجل التفصيل الذي كان عليه ، فوصله الله عز وجل حتى صار كجزء . منه قال الجعدي (٤) :

فالحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالاً (٥)
فجعل الإسلام غطاءً للكفر كما يجعل غطاءً للمعصية قوله ﴿ فلما تبين له ﴾ أي ظهر . « قال اعلم » فنقطع الهمزة جعل ذلك أخباراً عن نفسه ومن وصلها احتمل أمرين :

أحدهما - أن يكون ذلك أمراً من الله له . والثاني - أن يكون تذكيراً للنفس بأواجب وأخبرجه مخرج الأمر لها كأنه قال : يا أيها الإنسان . وفي الآية دليل على بطلان قول من قال : المعارف ضرورة ، لأنه لما شك أراه الله الآيات التي

﴿ ١ ﴾ سورة المؤمنون آية : ١٤ .

﴿ ٢ ﴾ - سورة عبس آية : ٢٢ .

﴿ ٣ ﴾ في المطبوعة (حت) .

﴿ ٤ ﴾ هو النايفة الجعدي . وقيل : انسه للبيد بن ربيعة العامري . وقيل : لفردة بن

مناة السلوي .

﴿ ٥ ﴾ ديوان النايفة : ٨٦ .

استبصر بها ولو كان مضطراً إلى المعرفة بالله وما يجوز عليه وما لا يجوز لم يحتاج إلى دليل يعلم به ما هو مضطر إليه وكان يقال : ان عند الموت لم تحصل له المعارف الضرورية كما يحصل لمن لا يريد الله إعادته إلى التكليف فتكون الامانة كالنوم . والمعوم خلفه .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ نَخَذْنَا مِنْهُم مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْمَلْنَا عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا بُدَيْدُكَ سَمِيعًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٦٠) آية واحدة بلا خلاف .

الفراة :

قرأ حمزة وحده « فصرهن » بكسر الصاد . الباقرن بضمها .

الاعراب :

العامل في قوله « وإذ » يحتمل أن يكون أحد شيئين : أحدهما - ما قال الزجاج : واذكر إذ قال . والثاني - ألم تر إذ قال عطفاً على « ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه » .

المعنى :

وقيل في سبب سؤال إبراهيم أن يريه كيف يحيي الموتى ثلاثة أقوال : أحدها - قال الحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وأبو عبد الله الصادق (ع) : أنه رأى جيفة قد مزقها السباع فأكل منها سباع البرّ وسباع الهواء ودواب البحر فسأل الله (تعالى) أن يريه كيف يحييها وقال ابن اسحاق كان سبب ذلك منازعة تمرود له في الاحياء ، وتوعدده إياه بالقتل إن لم يحيي الله الميت بحيث يشاهده ، ولذلك قال

ليطمئن قلبي إلى أنه لا يقتلني الجبار ، وقال قوم إنما سألتك لقومه ، كما سألت موسى الرؤية ، لقومه . وقال قوم : إنما سأله ، لأنه أحب أن يعلم ذلك علم عيان بعد أن كان عالماً به من جهة الاستدلال . وهو أقوى الوجوه . وقال قوم : إنما سألت ذلك ، لأنه كان شاكاً فيه . وروي في رواية ، فهذا باطل ، لأن الشك في أن الله قادر على إحياء الموتى كمن لا يجوز على الأنبياء ، لأنه تعالى لا يجوز أن يبعث إلى خلقه من هو جاهل بما يجوز عليه وما لا يجوز . والذي يبين ذلك أن الله تعالى لما قال له « أولم تؤمن » فقرر أنه قال إبراهيم « بلى ولكن ليطمئن قلبي » فبين أنه عارف بذلك مصداق به ، وإنما سألت تخفيف المحنة بمقاساة الشبهات ، ودفعها عن النفس .

والالف في قوله « أولم تؤمن » ألف إيجاب قال الشاعر :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح (١)

أي قد آمنت لا محالة ، فلم تسأل ذاك ، فقال : « ليطمئن قلبي » وقوله « ليطمئن قلبي » معناه ليزداد يقيناً إلى يقينه ، وهو قول الحسن ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، والربيع ، ومجاهد ، ولا يجوز « ليطمئن قلبي » بالعلم بعد الشك الذي قد اضطرب به لما بيناه ، ولكن يجوز أن يطلب علم البيان بعد علم الاستدلال . وفيل معناه « ليطمئن قلبي » بأن لا يقتلني الجبار .

اللفظ والمعنى :

ويقال : اطمأن يطمئن اطمئناناً : إذا تواطأوا المطمئن من الأرض ما انخفض وطمأن ، واطمأن إليه إذا وثق به ، لسكون نفسه إليه ، ولتوطي حاله بالأمانة عنده ، وأصل الباب التوطئة .

وقوله : « قال نخذ أربعة من الطير » قيل أنها الديك ، والطاووس ، والغراب ، والحمام . أمر أن يقطعها ويخلط ريشها بدمها ، ويجعل على كل جبل منهن جزءاً ،

هذا قول مجاهد ، وابن جريج ، وابن زيد ، وابن اسحاق ، والطيبر معروف يقال : طار يطير طيراناً وأطاره اطارة وطيده تطيراً ، وتطير تطيراً وطايره مطايرة ، واستطار استطاراً ، فأما تطير تطيراً فمن الطيرة لأنه زجر الطير بما يكره ، وتطير الشيء إذا تفرق في الهواء ، وطائر الانسان : عمله الذي قلده من خير أو شر ، لأنه كطائر الزجر في البركة أو الشؤم قال الله (تعالى) ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾ (١) والمطير ضرب من الوشي لأن عليه تماثيل الطيور . وفجر مستطير أي منتشر في الأفق كانتشار الطيران . وغبار مستطار ، كذا كلام العرب للفرق وفرس مطار وهو الحديد الفؤاد لأنه طيار في جريه وأصل الباب الطيران .

وقوله ﴿ فصرهن ﴾ فن قرأ بضم الصاد احتمل معنيين :
أحدهما - يقطعهن على قول ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، ومجاهد .
وقال توبة بن الحمير :

فأدنت لي الاسباب حتى بلغتها بنهضي وقد كان ارتقائي يصورها (٢)
أي يقطعها .

والثاني - أن معناه أضمرهن إليك على قول عطا وابن زيد من صاره يصوره
صوراً : إذا أماله . قال المعلى (٣) العبدي :

وجاءت خلعة دهم صفايا يصور عنوقها أحوى زنيم (٤)
معناه أن هذه الغنم يعطف عنوقها هذا التيس الأحوى ، ومن قال بالكسر
احتمل ذلك أيضاً الوجهين اللذين ذكرناهما في الضم وقال بعض بني سليم :

﴿ ١ ﴾ - سورة الأسرى آية : ١٣ .

﴿ ٢ ﴾ بنهضي أي بنهوضي .

﴿ ٣ ﴾ هو المعلى بن جمال العبدي . في المطبوعة (المعلم) بدل (المعلى) .

﴿ ٤ ﴾ اللسان : (ظاب) (ظاب) (سور) (دهم) (خلم) (صوع) (عشق)

(زنم) وفي بعض الروايات (بصوع) بدل (بصور) . الخامة - بكسر الخاء وضماً - : خيار المال . والدهم جمع دهماء وهي من المعزى السوداء المشربة حمرة لا تملو . الأحوى من المدزى : التيس الذي تضرب حمرة الى السواد . والزنيم القدي له زنتان في حلقه .

وفرع يصير الجيد وحف كأنه على البيت قنوان الكروم الدوالج (١)
معناه يميل الجيد . وإذا كان بمعنى قطعهن فإليك من صلة خذ (٢) . وإذا كان
بمعنى أملهن يجوز أن يكون إلى متعلقاً به (٣) . ويجوز أن يكون متعلقاً بصرهن ،
وهو الأقوى على قول سيبويه لأنه أقوى كذا قال أبو علي الفارسي وإذا كان بمعنى
أملهن إليك و قطعهن (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) . والصورة العطف يقال صار
يصوره صوراً إذا عطفه . قال الشاعر :

وما يقبل الأحياء من حب خندف ولكن أطراف الرياح يصورها
والصور التقطيع . صاره يصوره . والصور : ميل لأنه انقطاع إلى الشيء
بالميل إليه ومنه الصورة لتقطيعها بالتأليف على بعض الأمثلة صور يصور تصويراً
وتصور تصوراً والصور : التقطيع من بقر الوحش ، لانقطاعه بالانفراد عن غيره .
والصور : النخل الصغار ، والصور : قرن ينفخ فيه لاجتماع الصورة به . ويجوز
لانقطاع إليه بالدعاء إليه والصور : جمع صورة . والصور : النفحة من المسك
وأصل الباب القطع . وقال الفراء : صاره يصيره بمعنى قطعه من المقلوب من صراه
يصرية وأنشد :

يقولون ان الشام يقتل أهله فن لي إذا لم آته بخلود
تعرب آبائي فهلا صرام من الموت أن لم يذهبوا وجدودي (٤)
قال المبرد لا يجوز ذلك ، لأن سيبويه قال : إن كل واحد من اللفظين إذا
تصرف في باب لم يكن أحدهما أصلاً للآخر : نحو جذب يجذب جذباً ، فهو جاذب ،

« ١ » اللسان : (صبر) ومعاني القرآن للفراء ١ : ١٧٤ . الفرع : الشمر التام . الوحف :
الأسود الحسن الكثير . اللبث : العنق . قنوان جمع قنو - بكسر وسكون - تدق النخل بما فيه
من الرطب واستعاره هنا لعناقيد العنب . والدوالج جمع دالج وهو المنقل بالحل - هنا - وأصله في
ما يمشي . يقال يعبر دالج .

« ٢ » في المطبوعة (خذ) غير منقطعة .

« ٣ » في المطبوعة (عليه) بدل (به) .

« ٤ » في المطبوعة (فن ان انه بخلود) و (يعرب) بدل (تعرب) اللسان : (ثم)

- ذكر البيت الأول فقط - . ومعاني القرآن للفراء ٤ : ١٧٤ تعرب القوم : سكنوا البادية .

وجبذ يجبذ جبذا فهو جابذ فلذلك لما تصرف صاره يصيره صيراً كما ينصرف صراه يصربه صرباً ، لم يكن أحدهما أصلاً للآخر ، ولكن المقلوب نحو قسى لأن بابه على تأخير السين نحو قوس ، واقواس وقويس .

المعنى :

وقوله ﴿ ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ﴾ قال ابن عباس ، والحسن وقتادة : إنها كانت أربعة . وقال ابن جريج ، والسدي : كانت سبعة . وقال مجاهد ، والضحاك كل جبل على العموم بحسب الامكان ، كأنه قيل كل فرقة على جبل يمكنك التفرقة عليه . ووري عن أبي جعفر ، وأبي عبدالله (عليهما السلام) (١) أنها كانت عشرة . وفي رواية أخرى أنها كانت سبعة ، والفرق بين الجزء والسهم أن السهم من الجلة ما انقسمت عليه ، وليس كذلك الجزء نحو الاثنين وهو سهم من العشرة لأنها تنقسم عليه ، وليس كذلك الثلاثة وهو جزء منها لأنه بعض لها فان قيل : كيف أجيب إبراهيم إلى آيات الآخرة دون موسى في قوله ﴿ رب أرني أنظر إليك ﴾ . (٢) قيل عنه جوابان :

أحدهما - أنه سأل أية لا يصح معها بقاء التكليف من وقوع الضرورة التي لا يعترضها الشكوك بوجه من الوجوه ، وإبراهيم إنما سأل في شيء خاص يصح معه التكليف .

والقول الآخر - أن الأحوال قد تختلف فيكون الأصلح الاصول في بعض الأوقات الاجابة ، وفي وقت آخر المنع فيما لم يتقدم فيه إذن . فان قيل : كيف قال : ﴿ ثم ادعهم ﴾ ودعاء الجماد قبيح ؟ قلنا إنما أراد بذلك الاشارة إليها والايحاء لتقبل عليه إذا أحيهاها الله . فأما من قال أنه جعل على كل جبل طيراً ثم دعاها فبعيد ، لأن ذلك لا يفيد ما طلب ، لأنه إنما طلب ما يعلم به كونه قادراً على إحياء الموتى ، وليس في محيي طير حي بالايحاء إليه ما يدل عليه . وفي الكلام حذف ، فكأنه قال : فقطعهم

« ١ » في المطبوعة زياده عنها في هذا الموضع .

« ٢ » سورة الاعراف آية : ١٤٢ .

واجعل على كل جبل منهن جزءاً فان الله يحييها ، فاذا أحياء من فادعهم يا تينك سعيماً ، فيكون الايماء إليها بعد أن صارت أحياء ، لأن الايماء إلى الجماد لا يحسن ، فان قيل : إذا أحياءها الله كفى ذلك في باب الدلالة ، فلا معنى لدعائها ، لأن دعاء البهائم قبيح ؟ قلنا : وجه الحسن في ذلك أنه يشير إليها ، فسمي ذلك دعاء لتأتي إليه فيتحقق كونها أحياء ويكون ذلك أبهر في باب الاعجاز . وقال الطبري معنى الدعاء ههنا الاخبار عن تكويتها أحياء كما قال ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (١) وقوله : ﴿ أَنبِئَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ .

اللفظ :

والجبل وتد من أوتاد الأرض معروف . وجبل فلان على كذا أي طبع عليه وأجبل القوم أجبالاً : إذا صاروا في الجبال وتجبلوا إذا دخلوها ، ورجل ذو جبلة إذا كان غليظ الجسم ، لأنه كالجبل في الغلظ . والجبلة الأمة من الناس وأجبل الحافر : إذا أفضى إلى صلابة لا يمكنه الحفر فيه ، ومنه أجبل الشاعر إذا صعب عليه القول ، والجزء : بعض . الجزأ جزأته تجزئته إذا بعضته ، والجزء الاجزاء بالرطب عن الماء جزأت الوحشية جزوه لا كتفائها بالجزء الذي في الرطب منه والجزاء نصاب السكين وأصل الباب الجزء البعض .

قوله تعالى :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٦١) آية واحدة بلا خلاف .

هذه الآية متصلة بقوله : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾ وما بينهما الاعتراض بالاستدعاء إلى الحق مما أمر الله بالحجج والعبر التي ذكرها من احياء

الموتى لآبراهيم ومن حجاجه الذي ادعى أنه رب العباد إلى غير ذلك مما تقدم ذكره مع البيان عنه وقال الربيع والسدي الآية تدل على أن النفقة في سبيل الله بسبعائة مائة ضعف لقوله « سبع سنابل » فأما غيرها فبالحسنة عشرة . وقد بينا في ما تقدم أبواب البر كلها من سبيل الله فيمكن أن يقال ذلك عام في جميع ذلك . والذي ذكرناه مروى عن أبي عبد الله (ع) واختاره الجبائي : فان قيل هل رأي في سذبة مائة حبة حتى يضرب المثل بها ؟ قيل عنه ثلاثة أجوبة : أولها - أن ذلك متصور ف شبه لذلك وإن لم يرك كما قال امرؤ القيس :

ومسنو نقرق كانياب أغوال

وقال تعالى ﴿ طلعها كأنه رؤس الشياطين ﴾ (١)

الثاني - أنه قد رأي ذلك في سنبل الدخن . الثالث - أن السذبة تنبت مائة حبة فقيل فيها على ذلك المعنى - كما يقال - في هذه الحبة حب كثير والاول هو الوجه . والوعد بالمضاعفة لمن أتقى في سبيل الله - في قول ابن عباس - وقال الضحاك ولغيرهم من المطيعين . وقوله : « انبتت » فالنبت الحشيش وكلما يفتت من الارض يقال فيه نبت نباتاً . ونباتاً . وأنبته الله إنباتاً : ونبته تنبیتاً قال (تعالى) : ﴿ والله أنبتكم من الارض نباتاً ﴾ (٢) على تقدير فتبتم نباتاً وانه لحسن النبت . والمنبت الاصل . فلان في منبت صدق أي في أصل كريم ، لأنه يخرج منه كما يخرج النبات . والنبوت : شجر الحشخاش . وأنبت الغلام : إذا راهق واستبان شعر عاتته . والسذبة على وزن فعلة لقولهم أسبل الزرع بمعنى سنبل إذا صار فيه السنبل . والاصل فيه الاسبال ، وهو ارسال الستر ونحوه . فنه أسبل الزرع ، لأنه استرسل بالسنبل كما يسترسل الستر في الاسبال فيطول ، لأنه صار فيه حب مستور كما يستر بالاسبال . فأما السبيل الطريق ، فلا أنه يرسل فيه المار به .

والمائة : عدد معروف يجمع على مئات ومئين (٣) . ويقال أمات الغنم إذا بلغت مائة . وأمأيتها أنا أي وفيتها مائة . والمأي (٤) التهمة بين القوم

« ١ » سورة الصافات آية : ٦٥ . « ٢ » سورة نوح آية : ١٧ .

« ٣ » في المطبوعة (ميبين رميوز) . « ٤ » في المطبوعة (والثاني) .

مأيت بينهم أمأي إذا دببت بينهم بالشر .

وقوله ﴿ واسع عليم ﴾ معناه واسع المقدرة لا يضيق عنه ما شاء من الزيادة « عليم » بمن يستحق الزيادة - على قول ابن زيد - ويحتمل أن يكون المراد « واسع » الرحمة لا يضيق عن مضاعفة « عليم » بما كان من النفقة .
وقوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ
مَا أَنْفَقُوا مَثَلًا وَلَا آذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢٦٢) آية بلا خلاف .

الاعراب :

« الذين » رفع بالابتداء . و « ينفقون » خبره و « أموالهم » نصب لأنه
مفعول به .

اللفز والمعنى :

والانفاق إخراج الشيء عن الملك . وقوله « في سبيل الله » قال ابن زيد :
هو الجهاد . وقال الجبائي : أبواب البر كلها ، وهو الصحيح عندنا . والمروي عن
أبي عبد الله (ع) .

وقوله : « ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا » فالمن هو ذكر ما ينقص المعروف
كقول القائل : أحسنت إلى فلان ونعشته وأغنيته وما أشبه ذلك مما ينقص النعمة
وأصل المن : القطع ومنه قولهم : جبل منين أي ضعيف ، لأنه مقطوع ومنيته
أي قطعته ومنه قوله : « فلهم أجر غير ممنون » (١) أي غير مقطوع وسمي
ما يكدر النعمة والمعروف بأنه منة لأنه قطع الحق الذي يجب به . والمنة : النعمة
العظيمة سميت بذلك لأنها تجل عن قطع الحق بها لعظمها . ومنه قوله : « يمنون »

عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ أسلامكم بل الله يمنّ عليكم ان هداكم للإيمان» (١)
أنعم عليكم . والمنة : القوة في القلب والمنّ : الذي يقع من السماء ، والمن الذي يوزن
به ، لأنه يقطع على مقدار مخصوص .

وقوله : « ولا أذى » فهو نحو قولهم أنت أبدأ فقير ، ومن أبلاني بك
وأراخني الله منك ، وما أشبه ذلك مما يؤذي قلب المعطي وقوله « لهم أجرهم عند
ربهم » والأجر هو النفع المستحق بالعمل « ولا خوف عليهم » فالخوف يوقع الضرر
الذي لا يؤمن وقوعه .

« ولا هم يحزنون » فالحزن الغم الذي يغلظ على النفس . ومثله الحزن :
الأرض الغليظة . وقيل في معناه قولان :

أحدهما - لا خوف عليهم لفوت الأجر . والثاني - لا خوف عليهم لاهوال
الآخرة . وقيل أنه دليل على أن الوعد بشرط لأنه مغموم الكلام . لأن تقديره
في المعنى ان لم يتبعوا ما أتفقوا منا ولا أذى ، فلهم من الأجر كذا ، وليس في
الآية ما يدل على صحة القول بالاحباط أصلاً ، لأن الوعد متى كان مشروطاً بأن
لا يتبع بالمن والأذى فمتى اتبع بهما لم يحصل الشرط الذي يوجب استحقاق الثواب
فلم يحصل شيء أصلاً ثم انحبط ، وإنما كان فيه لبس لو ثبت استحقاقهم بنفس الاتفاق
فإذا اتبع بالمن انحبط ذلك . وهذا ليس في الآية .

وروي عن النبي (ص) أنه قال : المنان : بما يعطي لا يكلمه الله ولا ينظر
إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم . وقال الضحاك لأن يمسك ماله خير له من أن ينفقه
ثم يتبعه مناً وأذى .

قوله تعالى :

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ

غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ (٢٦٣) آية بلا خلاف .

القول المعروف معناه ما كان حسناً جميلاً لا وجه فيه من وجوه القبح ، وهو أن تقول للسائل قولاً معروفاً عليه حسناً من غير صدقة تعطيتها إياه . وقال الحسن : وهو قول حسن لاعتراف العقل به ، وتقبله إياه دون إنكاره له . والمغفرة ههنا قيل في معناها ثلاثة أقوال .

أولها - ستر الخلة على السائل . الثاني - قال الحسن : المغفرة له بالعمو عن ظلمه . الثالث - قال الجبائي : معناه أي سلامته في المعصية لأن حالها كحال المغفرة في الامان من العقوبة .

اللفظ :

وقوله . « والله غني حليم » فالغني هو الحي الذي ليس بمحتاج ، ومعناه ههنا غني عن كل شيء من صدقة وغيرها . وإنما دعاكم إليها لينفعمكم بها . وقال الرماني : الغني الواسع الملك فآله غني لأنه مالك لجميع الأشياء لأنه قادر عليها لا يتعذر عليه شيء منها . والغنى ضد الحاجة . تقول : غني يغني غنى وأغنائه اغتناء واستغنى استغناء وغنى غناء وتغنى تغنياً . والغناء ممدود : الصوت الحسن . ويقال فيه أغنية وأغاني والغنى : الكفاية للغنى به عن غيره . والمغنى المنزل غني بالدار : إذا أقام بها ومنه قوله « كان لم تغن بالامس » (١) والغانية : الشابة المتزوجة لغناها بزوجها عن غيره . وهي أيضاً العفيفة لغناها بعفتها . والغنية الاستغناء . والحلم : الامهال بتأخير العقوبة للانابة ، ولو وقع موقع حليم حميد أو عليم ، لما حسن لأنه تعالى لما نهاهم أن يتبعوا الصدقة بالمن ، بين أنهم إن خالفوا ذلك فهو غني عن طاعتهم حليم . في أن لا يعاجلهم بالعقوبة .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ

صفوان عليه ترابٌ فأصابهُ وابلٌ فتركه صالداً لا يقدرُونَ على شيءٍ
بِمَا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ آية بلا خلاف .

المعنى :

ضرب الله (تعالى) هذه الآية مثلاً لعمل المنافق والمنان جميعاً ، فإنها إذا
فعلاً فعلاً لغير وجه الله أو قرنا الاتفاق بالمن والأذى ، فإنها لا يستحقان عليه
نواباً . وشبه ذلك بالصفاء الذي أزال المطر ما عليه من التراب ، فانه لا يقدر أحد
على رد ذلك التراب عليه فكذلك إذا رفع المنان صدقته وقرن بها المن فقد أوقعها
على وجه لا طريق له إلى استدراكه ، وتلافيه لوقوعه على الوجه الذي لا يستحق
عليه الثواب فإن وجوه الافعال تابعة للحدوث ، فإذا فاتت فلا طريق إلى تلافيتها
وليس فيها ما يدل على أن الثواب الثابت المستقر يزول بالمن فيما بعد ولا بالرياء
الذي يحصل فيما يتجدد فليس في الآية ما يدل على ما قالوه .

وقوله : « رثاء الناس » إنما جمع بين همزتين ولم يجمع في ذوائب جمع ذؤابة ،
لوقوع الألف في الجمع بين الهمزتين ، فلم يجز ذؤائب (١) ، فأما الواحد فاجتمع
خلفته وهما أيضاً مفتوحان فهو أخف لها .

وقوله : « كالذي ينفق ماله رثاء الناس » يدخل فيه المؤمن والكافر إذا
أخرجوا الاتفاق للرياء . وقوله : « ولا يؤمن بالله واليوم الآخر » صفة للكافر خاصة
« مثله كمثل صفوان » يعني الحجارة الصلبة « عليه تراب » .

اللفظ :

فالتراب والتراب واحديقال تراب الرجل إذا افتقر ، لأنه لصق بالتراب للفقر ومنه
قوله : « مسكيناً ذا متربة » (٢) لأنه قعد على التراب للفقر وأترب الرجل إذا
استغنى لأنه كثر ماله حتى صار كالتراب . والتراب الذي ينشأ معك . وقيل فيه

« ١ » في المطبوعة (فلم يجر ذوائب) والصحيح ما ذكرنا .

« ٢ » سورة البلد آية : ١٦ .

أقوال : منها للعبهم بالتراب إذ هم صبيان أقران . ومنها - لأنهم خرجوا إلى غمر التراب في وقت من الزمان . ومنها - لأنهم على الاشتباه كالتراب . وقوله : « عرباً أتراباً » (١) أي أشباه أمثال . والترائب (٢) عظام الصدر وواحدة تريبة . قيل لأنها متشابهة كالأتراب أو كدشابه التراب . ومنه قوله : « من بين الصلب والترائب » (٣) .

وقوله : ﴿ فأصابه وابل ﴾ فالوا بِل : المطر الشديد الواقع ، يقال وبلت السماء تبيل وبللا : إذا اشتد وقع المطر .

وقوله : ﴿ فأخذناه أخذاً وبيلاً ﴾ (٤) أي شديداً . والوويل : المرعى الوحيم . والوبال : سوء العاقبة . والمويل : المنفلط القلب . والوييلة : الحزمة من الحطب لأنها مشدودة . والوويل : العصا الغليظة . والوابلة : طرد العضد في الكتف . وأصل الباب الشدة . والصفوان واحده صفوانة مثل مرجان ومرجانة وسعدان وسعدانه وقال الكسائي : جمع صفوان صفي . وأنكر ذلك المبرد وقال : إنما هو صفاء وصفي مثل عصا وعصي وقمأ وقفي وكذلك ذكران وصفوان - بكسر الصاد - وإنما هو جمع صفاء نحو خرب وخربان ، وورل وورلان . وقال معنى صفاء وصفوان واحد .

وقوله : ﴿ فتركه صلياً ﴾ فالصليد : الحجر الأملس الصلب قال الشاعر :

ولست بجلب جلب ريح وقرّة ولا بصفا صليد عن الخير معزل (٥)
وقال رؤبة .

« ١ » سورة الواقعة آية : ٣٧ .

« ٢ » في المطبوعة (التريبة) * وورل : دابة على خافه الضب إلا أنه أعظم منه . والجمع اورال وورلان وارئل .

« ٣ » سورة الطارق آية : ٧ . « ٤ » سورة المزمل آية : ١٦ .

« ٥ » البيت لتأبط شراً . اللسان (جاب) وروايته (جاب ليل) بدل (جلب ريح) وفي اللسان (عزل) كما هنا . الجاب - بكسر الجيم أو ضمها مع مكون اللام - : السحاب المعترض تراه كما نه جبل . ويقال هو السحاب الرقيق * والقرّة - بكسر القاف - والفرة - بضم القاف - البرد الشديد .

لما رأيتني خلق المموه براق أصلا دل الجبين الأجله (١)
والصلد الذي لا يفت شريئاً من الأرض لأنه كالحجر الصلد ، والصلد : البخيل
وصلد الزند صلوداً إذا لم يور ناراً وفرس صلود : إذا أبطأ عرقه . وقدر صلود
إذا أبطأ عليها . وأصل الباب ملاة في صلابة ويقال صلد يصلد صلداً فهو صلد .
وقوله : ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ معناه أنه لا يهديهم إلى طريق
الجنة على وجه الانابة لهم ويحتمل لا يهديهم بمعنى لا يقبل أعمالهم كما يقبل أعمال
المهتدين من المؤمنين ، لأن أعمالهم لا يقع على وجه بها المدح .
قوله تعالى :

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِنْ
أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بَرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكْظًا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ
لَمْ يُصْبِحْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢٦٥) آية .

الفراة :

قرأ عاصم وابن عامر بربرة - بفتح الراء - الباقون بضمها . وقرأ ابن
كثير وأبو عمرو ونافع (أكلها) باسكان الكاف الباقون بالثقليل .

المعنى :

وهذا مثل ضربه الله لمن أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله أي طلباً لرضاه . وقوله :
« وتثبيتاً من أنفسهم » بقوة اليقين والبصيرة في الدين في قول ابن زيد ، والسدي ،
وأبي صالح والشعبي . الثاني - قال الحسن ومجاهد : معناه أنهم يتثبتون أين يضعون
صدقاتهم . الثالث - قال أبو علي : معناه توطيناً لنفوسهم على الثبوت على طاعة الله
واعترض على قول مجاهد بأنه لم يقل تثبيتاً . وهذا ليس بشيء لأنه لا يجوز أن
يقول القائل يثبتوا أنفسهم تثبيتاً إذا كانوا كذلك فهم لا يتثبتون أين يضعون

« ١ » ديوانه : ١٦٥ من تصيدة مر الاستشهاد ببعض آياتها في ١ : ٢٨ - ٣٠٤ .

الصدقات . وقوله : « كمثل جنة بربوة » إنما خصت بالربوة لأنها إذا كانت بربوة فتثبتها أحسن وربيعها أكثر كما قال الاعشى :

ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هملل (١)
نخص بها الحزن لما بيناه .

اللفظة :

والربو : الزيادة يقال ربا الشيء يربو إذا زاد . وأصابه ربو : إذا أصابه نفس في جوفه ، لزيادة النفس على عادته . والربوة : العلو من الأرض لزيادته على غيره بارتفاعه . والربا في المال : المعاملة على أن يأخذ أكثر مما يعطي للزيادة على ما يفرض يقال ربا المال يربو رباً وأربنى صاحبه فهو مرب . وأصل الباب الزيادة . وفي الربوة ثلاث لغات - فتح الراء وضمها وكسرها - . وفيها أربع لغات آخر ربوة وربوة وربوة وربا . فتلك سبع لغات .

المعنى واللفظة :

وقال ابن عباس ، والضحاك ، والحسن ، ومجاهد ، والسدي ، والربيع : الربوة ولرايبة المرتفع من الأرض « فأنت أكلها » فالفرق بين الأكل والأكل أن الأكل بالفتح المصدر والأكل بالضم الطعام الذي يؤكل « ضعفين » يعني مثلين في قول الزجاج لأن ضعف الشيء مثله زائداً عليه وضعفاه مثلاه زائدين عليه . وقال قوم : ضعف الشيء مثلاه . وقوله « فطل » قال الحسن والضحاك والربيع وقتادة هو اللين من المطر . وإنما ذكر الطل هنا لتشبيهه أضعاف النفقة به كثرت أو قلت : إذ كان خيرها لا يختلف على حال في قول الحسن وقتادة . وإنما قيل لما مضى ﴿ فان لم يصبها وابل فطل ﴾ لأن فيه إضمار (كان) كأنه قيل : فان يكن لم يصبها وابل ، فطل . ومثله قد أعتقت عبدين فان لم أعتق اثنين فواحداً بقيمتها .

« ١ » ديوانه ٥٧ رقم القصيدة ٦ . الرياض جمع روضة وهي البستان . والحزن ضد المنخفض من الأرض . ورياض الحزن أطيب من رياض المنخفضات لأن الريح تهب عليها فتهبج رائحتها . مسبل أي منزل للواء .

والمعنى ان أكن لم أعتق قال الشاعر :

إذا ما اندسبنا لم تلدني لثيمة
ولم تجدي من أن تقرى بها بدا (١)
كأنه قال : أكن لم تلدني لثيمة . والطل المطر الصغار القطر يقال : أطلت
السماء فهي مطلة . وروضة طلة ندية . والطل : إبطال الدم بأن لا يثار بصاحبه . ظل
دمه فهو مطول لأنه بمنزلة ما جاء عليه الطل ، وأذهب كأنه قيل غسله . والطل
والطلل ما شخص من الدار ، لأنه كموضع الندى بالطل لظاهرة الناس له خلاف
المستوى ، والقفر ، لأن الخصب حيث تكون الأبنية . وصار الطلل اسماً لكل
شخص . والاطلال : الاشراف على الشيء والطل : الشحم ، ما بالناقة ظل أي ما بها
طرق . وطلة الرجل امرأته . وأصل الباب الطل . المطر .
وقوله : ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ معناه عالم بأفعالكم ، فيجازيكم بحسنتها
وفي ذلك ترغيب وترهيب .

قوله تعالى :

﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب
تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر
وله ذرية ضعفاء فاصابها لعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين
الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ (٢٦٦) آية واحدة بلا خلاف .

المعنى :

ومعنى قوله : ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة ﴾ التقدير (على) . مثل ضربه
الله في الجنة بسلب النعمة فليل هو . مثل المرأى في النفقة ، لأنه ينتفع بها عاجلاً
وتنقطع عنه آجلاً في أحوج ما يكون إليه . هذا قول السدي وقال مجاهد : هو مثل
للمعزط في طاعة الله بملأ الدنيا يحصل في الآخرة على الحسرة العظمى . وقال ابن
عباس : هو مثل الذي يختم عمله بفساد .

الفرد :

وقوله . ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة ﴾ فأتى بمستقبل ثم عطف عليه بماض في قوله « وأصابه الكبر » قال الفراء يجوز ذلك في يود لأنها تلتقي مرة بـ (أن) ومرة بـ (لو) فجاز أن يقدر أحدهما مكان الأخرى ، لاتفاق المعنى ، فكأنه قال أيود أحدكم لو كانت له جنة من نخيل وأعناب وأصابه الكبر . قال الرماني وعندي أنه قد دل بأن على الاستقبال ، وبتضمن الكلام معنى لو على التمني ، كأنه قيل أوجب ذلك متمنياً له . والتمني يقع على الماضي والمستقبل ألا ترى أنه يصح أن يتمنى أن كان له ولد . ويصح أن يتمنى أن يكون له ولد . والمحبة لا تقع إلا على المستقبل ، لأنه لا يجوز أن يقال أحب أن كان لي ولد ويجوز أحب أن يكون لي ولد . والفرق بين المودة والمحبة أن المودة قد تكون بمعنى التمني نحو فولك : أود لو قدم زيد بمعنى أتمنى لو قدم ، ولا يجوز أحب لو قدم . وقوله أن تكون له جنة ، فالجنة : البستان الكثيرة الشجر لأن الشجر يجنه بكثرته فيه . والنخل معروف . وقيل : إنه مأخوذ من نخل المنخل ، لاستخلاصه كاستخلاص الملباب بالنخل . والنخل والنخيل جمع نخلة . وهي شجرة التمر . وقوله : ﴿ كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾ (١) وقوله ﴿ كأنهم أعجاز نخل منقمر ﴾ (٢) فذكر على اللفظ وأنت على المعنى . والنخل نخل الدقيق نخلته نخلاً . ومنه المنخل ، لأنه آلة النخل والنخالة معروفة والنخل نخل السماء بالثلج أو ما صغر من القطر والانتخال الاختيار والتنخل (٣) : التخير وأصل الباب النخل : الدقيق . والعنب : تمر الكرم معروف ورجل غاب وعنب . والعناب معروف . والعناب ما تقطعه الخائنه مشبه بالعنب في التعلق . ورجل عناب : عظيم الأنف مشبه بعنقود العنب في التعلق والعظم . وأصل الباب العنب . وقوله : « من تحتهس الانهار » وتحت نقيض فوق وفي الحديث

﴿ ٢ ﴾ سورة القمر آية ٢٠ .

﴿ ١ ﴾ سورة الخافه آية : ٧ .

﴿ ٣ ﴾ في المطبوعة : (التنخير) .

« لا تقوم الساعة حتى يظهر التحوت » أي الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يشعر بهم ذلاً .

والانهار جمع نهر وهو المجرى الواسع من مجاري الماء قال الشاعر :
ملككت بها كفي فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ماوراءها (١)
معناه وتسمت فتقها كالنهر .

وقوله : ﴿ فيها من كل الثمرات ﴾ فالثمرة : طعام الناس من الشجر . وقوله :
﴿ وأصابه الكبر ﴾ فلاصا به الوقوع على المقصود . والمراد ههنا : لحقه الكبر ،
والكبر حال زائدة على مقدار آخر . والمراد ههنا : الشيخوخة . والفرق بين الكبير والكثير أن
الكثير مضمن بعدد وليس كذلك الكبير نحو دار واحدة كبيرة . ولا يجوز
كثيرة . والذرية : الولد من الناس . والضعفاء : جمع ضعيف ، والضعف نقصان
القوة . وقوله : ﴿ فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ﴾ فالمعصر عصر الثوب ونحوه
من كل شيء رطب عصرته أعصره عصرأ فهو معصور ، وعصير . واعتصرته
اعتصارأ ، وتعصر تعصرأ ، وعصره تعصيراً . وانعصر انعصارأ . والمعصر الدهر .
وفي التنزيل « والمعصر إن الانسان لني خسر » (٢) والمعصر العشي . ومنه صلاة
العصر لأنها تعصر أي تؤخر كما يؤخر الشيء بالتمعصر فيه . والمعصر النجاة من الحذب
ومنه قوله تعالى : ﴿ فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ﴾ (٣) لأنه كعصر الثوب
في الخروج من حال إلى حال . والمعصر : العطية . والاعتصار : الالتجاء . والمعصر :
الملجأ . والاعصار : غبار يلتف بين السماء والارض كالتفاف الثوب في العصير .
والمعصر فوق الكعاب . والمعصرات السحاب . ومنه قوله ﴿ وأنزلنا من المعصرات
ماءً منجاً ﴾ (٤) والعصرة : الدينة يقال هو لأموالنا عصرة : أي دينة . وأصل
الباب : عصر الثوب . والاحراق إحراق النار أحرقته بالنار فاحترق احترافاً وحرقته
تحريراً وتحرق تحرقاً والحرق حك البعير أحد ناييه بالآخر يكون وعيداً وتهديداً

﴿ ١ ﴾ انظر ١ : ٢٦ ، ٢٦ : ٥٧ .

﴿ ٢ ﴾ سورة العصر آية : ١ - ٢ .

﴿ ٣ ﴾ سورة يوسف آية : ٤٩ .

﴿ ٤ ﴾ سورة النبأ آية : ١٤ .

من خول الأبل ، لالتها به غضبا كالتها ب الاحراق . والحرق : حك الحديد بالبرد
 حرقت الحديد أحرقتها حرقاً : إذا بردتها للتفريق بالاحراق . والحرق : قطع
 عصبه في الورك لانتلتم كما لا يرجع ماأحرق ، يقال حرق الورك فهو محروق والحرق :
 الثوب يقع فيه الحرق من دق القصار لأنه كالأحراق بالنار في أنه لا يرجع إلى
 الحال . ومنه ريش حرق لأنه كالمقطع بالاحراق . والحرق : ما اقتبست به النار
 للأحراق . والحرق ما يجده من حدة لأنه كالأحراق بالنار . والحرق : سفن
 يتخذ منها مراحي نيران يرمى بها العدو في البحر وأصل الباب الاحراق . والفكر :
 جولان القلب بالخواطر يقال : أفكر أفكاراً وفكرت فكيراً وتفكرت فكراً ورجل
 فكير كثير الفكر . وقوله : ﴿ فاحترقت ﴾ فلاحترق : افتراق الاجزاء بالنسار
 والبيان : هو الدلالة على ما بيناه - في ماضى - وقال الزماني : البيان اظهار المعنى
 بما يتميز به من غيره على جهة الصواب . ولا يقال للحن من الكلام بيان وإن فهم
 به المراد ، لأن البيان على الاطلاق ممدوح . والحن عيب لكن يقال قد أبان عن
 مراده مجازاً .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا
 أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ
 بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (٢٦٧) آية .

المعنى :

هذا خطاب للمؤمنين دون سائر الناس وقال الحسن ، وعلقمة : كل شيء
 في القرآن « يا أيها الذين آمنوا » فأما أنزل بالمدينة وكما فيه « يا أيها الناس »
 أنزل بمكة وقوله : ﴿ اتَّقُوا من طيبات ما كسبتم ﴾ يدخل فيه الزكاة المفروضة
 وغيرها من أنواع النفقة . وقال عبيدة السلماني ، والحسن : هي مختصة بالزكاة .
 وقال الجبائي : هي في المتطوع ، لأن الفرض من الصدقة له مقدار من القيمة إن

قصر كان ديناً عليه إلى أن يؤديه على التمام . فأما إذا كان مال المزكي كله ردياً خجاز له أن يعطي منه ولا يدخل في ما نهي عنه ، لأن تقدير ما جعله الله للفقير في مال الغني تقدير حصّة الشريك ، فليس لأحد الشريكين أن يأخذ الجيد ويعطي صاحبه الردي لما فيه من الوكس فاذا استوى في الرداوة جاز له إعطاء الردي ، لأنه حينئذ لم يبخره حقاً هو له كما يبخره في الأول وقوله : ﴿ ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ﴾ روي عن علي (ع) ، والبراء بن عازب ، والحسن ، وقتادة : أنها نزلت لأن بعضهم كان يأتي بالحشف فيدخله في تمر الصدقة فنزلت فيه الآية . قال ابن زيد : الخبيث الحرام . والأول أقوى ، لأنه قال : ﴿ اتفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ﴾ ثم قال : « ولا تيمموا الخبيث » يعني من الذي كسبتم إذ أخرجه الله من الأرض . والحرام وإن كان خبيثاً فليس من ذلك غير أنه يمكن أن يراد به ذلك لأنه لا ينافي السبب . وروي عن أبي عبد الله (ع) أنها نزلت في أقوام لهم أموال من ربا الجاهلية كانوا يتصدقون منها ، فنهى الله عن ذلك وأمر بالصدقة من الحلال . ويقوي الوجه الأول قوله : ﴿ ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه ﴾ والانغماض لا يكون في شيء ردي متساح في أخذه دون ما هو حرام . وفي النقهاء من استدل بهذه الآية على أن الرقبة الكافرة لا تجزي في الكفارة وضعفه قوم وقالوا : العتق ليس باتفاق . والأولى أن يكون ذلك صحيحاً لأن الاتفاق يقع على كل ما يخرج لوجه الله عتقاً كان أو غيره . اللغة والتيمم : التعمد تيممت الشيء تيمماً . ومنه قوله : ﴿ فتيمموا صعيداً طيباً ﴾ (١) أي تعمدوا ، وقال خفاف :

فعمداً على عين تيممت مالكا (٢)

وقال آخر :

بعمته الرمح شزراً ثم قلت له هذي المروءة لالعب الزحاليق (٣)

(١) سورة النساء آية : ٢٢ ، وسورة المائدة آية : ٧ .

(٢) اللسان (عمد) وصدوره :

ان تك خبلي قد أصيب صميمها

(٣) قائله : عامر بن مالك . والزحاليق لغة في الزحاليق واحدها زحلوقة وهي أمر تزجج

الصبيان من فوق طين أو رمل .

واليم : لجة البحر ، لأنه يتعمد به البعيد من الأرض ، ويم الرجل : إذا غرق في البحر ، ويم الساحل إذا طما عليه يم البحر فغلب عليه . والجمامة ، والجمام : الحمام الطورانية تتعمد إلى أوكارها بحسن هدايتها . وقال الخليل : أئمة قصدت أمامه ويمته : تعمده من أي جهة كان . وقال غيره : هما سواء . والخبث : الردي ، من كل شيء ، خبث خبثاً وتخبث تخبثاً وتخابت تخابت وتخابت وتخابت تخبثاً . والخبث : الريبة ، وخبث الفضه ما نقاه الكير لأنه ينفي الردي ، وأصله الرداءة .

الاعراب والافتحة :

وقوله : ﴿ ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه ﴾ إنما فتحت (أن) في قول الفراء من أجل (إلا) إذ وقعت عليها . وهي في موضع ضم في الأصل عنده (إن) لأن الكلام في معنى الجزاء وهو إن أغمضتم بعض الاغماض أخذتموه ، ومثله ﴿ إلا أن يخافوا ألا يقبوا حدود الله ﴾ (١) وأنكر ذلك أبو العباس وقال : (أن) هذه التي بمعنى المصدر مفتوحة على كل حال وذلك نحو أن تأتيني خير لك . وإنما المعنى ولستم بأخذيه إلا لاغماضكم فيه . والاغماض في البيع الحط من الثمن ليعب فيه ، أغمض إغماضاً وذلك لاخفاض بعض الثمن بالحط له . والغموض : الخفاء . غمض يغمض غموضاً فهو غامض . والتغميض إطباق الجفن وغمض العين . والغمض المطمئن من الأرض حتى يغمض من فيه وأصل الباب : الخفاء .

المعنى :

وقيل في معنى ﴿ إلا أن تغمضوا فيه ﴾ قولان قال البراء بن عازب إلا أن تنسأهوا فيه . وقال ابن عباس ، والحسن وقتادة إلا أن تحطوا من الثمن فيه . وقال الزجاج : ولستم بأخذيه إلا بوكس فكيف تعطونه في الصدقة قال الطرماح ابن حكيم :

لم یفتنا بالوتر قوم ولا نضیم رجال یرضون بالانغماض (١)
 أي بالوکس قوله : ﴿ واعلموا ان الله غنی حمید ﴾ ههنا معناه أنه غنی
 عن صدقاتکم وإنما دعاکم إليها لنفعمکم ، فأما « حمید » فنیبه ثلاثة أقوال :
 أحدها - أنه مستحق للحمد علی نعمه . الثاني - موجب للحمد علی طاعته .
 والثالث - قال الحسن : معناه مستحسناً إلى خلقه بما یعطون من النعم لعباده أي
 مبتدع لهم إلى ما یوجب لهم الحمد . وحمید فی هذا الموضع ألیق من حلیم كما أن
 حلیماً ألیق بالآیه المتقدمة من حمید ، لما بیناه وإنما قلنا ذلك لأنه لما أمرهم بالانفاق
 من طیب ما کسبوه بین أنه غنی عن ذلك وأنه یحمدهم علی ما یفعلونه إذا فعلوه علی
 ما أمرهم به ومعناه أنه یجازیهم علیه .
 قوله تعالی :

﴿ الشیطانُ یعدُّکم الفقرَ ویأمرکم بالفحشاءِ واللهُ یعدُّکم
 مغفرةً منه وفضلاً واللهُ واسعٌ عَلیمٌ ﴾ (٢٦٨) آیه واحدة بلا خلاف .

المعنی :

معنی الآیه الوعد من الشیطان أنکم متى أخرجتم من أموالکم الصدقة
 وأدیتم الزکاة الواجبة علیکم فی أموالکم افتقرتم . ویأمرکم أيضاً بالفحشاء من
 المعاصی وترك طاعته . والله (تعالی) یعد بالمغفرة منه والستر علیکم ، والصفح عن
 العقوبة « وفضلاً » یعنی ویعدکم أن یخلف علیکم خیراً من صدقاتکم ویفضل علیکم
 ویسبغ علیکم فی أرزاقکم قال ابن عباس : اثنان من الله ، واثنان من الشیطان .
 فاللذان من الشیطان الوعد بالفقر والامر بالفحشاء . واللذان من الله المغفرة علی
 المعاصی والفضل فی الرزق .

﴿ ٢ ﴾ دیوانه : ٨٦ من قصیده یجد بها قومه ، وقبله :

اننا معشر شعثنا الصبر إذا الحدوف مال بالانغماض
 نصر للذلیل فی ندرة الحی مرثیة لتأی المنهاض .
 من یرم جمهم یجدم مرثیة حمة لعل الاحراض

المغز والمعنى :

والفقر : الحاجة وهو ضد الغنى يقال : أفقره الله إفقاراً وافتقر افتقاراً وتفقر تفقراً ، لأن الفقر بمنزلة كسر الفقار في تعذر المراد . والفقار : عظام منتظمة في النخاع تسمى خرز الظهر واحدها فقرة . والافقار : إغارة الدابة لتركب ثم ترد . والافقار : دنو الصيد . والناقرة الداهية ، لأنها تكسر الفقار . ومنه قوله : « تظن أن يفعل بها فاقرة » (١) وأصل الباب الفقار : خرز الظهر . وتقول وعدته الخير ، ووعدته بالخير والأصل فيه تعديته بغير حرف الاضافة إلا أنه كثر استعماله في التمدي بحرف الاضافة حتى صار أصلاً فيه لكثرتيه . وأمرته بالخير أكثر في الكلام وإنما يجوز أمرته الخير في الشعر وقوله : ﴿ والله واسع عليم ﴾ حكى البلخي أنه بغير واو في مصاحف أهل الشام ولم يقرأ به أحد فان صح فهو دلالة على نقصان الحروف من كثير من القرآن على ما اختلفوا فيه . والفرق بين الوعد والوعيد أن الوعيد في الشر خاصة ، والوعد بالتقييد للخير والشر معاً غير أنه إذا أطلق لم يكن إلا في الخير ، وكذلك إذا أبهم التقييد كقولك وعدته بأشياء لأنه بمنزلة المطلق . وحدث الوعد : هو الخير بفعل الخير في المطلق . والوعيد : هو الخير بفعل الشر . والأمر هو قول القائل لمن هو دونه : افعل ، مع إرادة الأمور به ، فان انضم إليه الزجر عن الاخلال به كان مقتضياً للإيجاب . وقال ابن مسعود لاشيطان لمة وللملك لمة . ومثله روي عن أبي عبد الله (ع) فلعة الشيطان وعده بالغمز وأمره بالفاحشة ولمة الملك أمره بالاتفاق ونهيه عن المعاصي . وقال أبو مسلم والازهري الفحشاء البخل والفاحش البخيل قال طرفة :

عقيلة مال الفاحش المتشدد (٢)

« ١ » - سورة القيامة آية : ٢٥ .

« ٢ » هو طرفة بن العبد البكري معاقته ، واللسان : (الخش) وصدده :

أرى الموت يتم الكرام ويصغاني

وقال الحسين بن علي المغربي والذي يقوي قوله ما أنشده أبو حيرة الراحل
من طي :

فد أخذ المجد كما أرادا ليس بنفحاش يظن الزادا
وقال الرماني : والله ما قلاه بعيد . والنفحشاء المعاصي في أغلب الاستعمال
ومعنى البيت الذي أنشده أن النفحاش هو شيء الرد بسؤاله وضيغفانه وذلك من
البخل لا محالة قال كعب :

أخي ما أخي لا فاحش عند بيته ولا برم عند اللقاء هبوب (١)
فتلخيص معنى الآية أن الشيطان يحملكم على أن تؤدوا في الصدقة رديء
المال يخوفكم الفقر باعطاء الجيد - والنقر والفقر لغتان - ويعدمكم الفقر : معناه
بالفقر تحذف الباء وعدى الفعل فنصب قال :

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نسب
وقوله : ﴿ والله واسع عليم ﴾ معناه واسع يعطي من سعة مقدوراته
« عليم » حيث يضع ذلك ويعلم الغيب والشهادة .
قوله تعالى :

﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً
كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب (٢٦٩) آية .

الفراة والمعنى :

قرأ يعقوب « ومن يؤت » - بكسر التاء - الباقون بالفتح قيل في معنى
الحكمة في الآية وجوه قال ابن عباس وابن مسعود : هو علم القرآن ناسخه
ومذسوخه ومحكمه ومدشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله . وقال ابن

« ١ » هكذا في المطبوعة . وفي أمالي القاضي ٢ : ١٤٦ : ولا درع عند اللقاء هبوب ردي
بجمع البيان : عند القاب هبوب .

زيد : هو علم الدين . وقال السدي : هو النبوة . وقال مجاهد الاصابة . وقال ابراهيم النخعي : الفهم . وقال الربيع : الخشية . وقال قوم : هو العلم الذي تعظم منفعته وتحل فائدته وهو جميع ما قالوه . وقال قتادة : والضحاك ، وفي رواية عن مجاهد : هو القرآن ، والفقه . وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وإنما قيل للعالم : حكمة لأنه يمتنع به من القبيح لما فيه من الدناءة إلى الحسن ، والزجر عن القبيح . وقال الجبائي : هو ما آتاه الله أنبياءه وأممهم من كتبه وآياته ودلالته التي يدلهم بها على معرفتهم به وبدينه وذلك تفضل منه يؤتاه من يشاء . وقوله : ﴿ وما يذكركم إلا أولوا الألباب ﴾ وكل مكلف ذواب لأنه إنما يطلق عليهم هذه الصفة لما فيها من المدحة فذلك عقد التذكير بهم وهم الذين يستعملون ما توجبه عقولهم من طاعة الله في كل ما أمر به ودعا إليه و « يؤت » جزم به (من) والجواب « فقد أوتي خيراً كثيراً » ومن قرأ يؤت بكسر التاء على ما روي عن يعقوب ذهب إلى أن معناه ومن يؤت الحكمة ، وإنما حذف الهاء في الصلة ويكون (من) على هذا المعنى « الذي » لا معنى للجزء .

قوله تعالى :

﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ﴾

رما للظالمين من أنصار ﴿ (٢٧٠) آية بلا خلاف .

(ما) في قوله وما أنفقتم بمعنى الذي وما بعده صلتها والعائد إليها الهاء في قوله : « فإن الله يعلمه » لأنها لا يجوز أن تعود على النفقة ، لأنها مؤنثة ، ولا على النفقة والنذر ، لأن ذلك يوجب التثنية . والمراد بالاتفاق ههنا ما يخرج في طاعة الله : واجباتها ومندوباتها .

وقوله : ﴿ أو نذرتم من نذر ﴾ فالنذر هو عقد الشيء على النفس فعل شيء من البر بشرط ، ولا يتم ذلك إلا بقوله الله علي كذا ، ولا يثبت بغير هذا اللفظ . وأصل النذر الخوف لأنه يعقد ذلك على نفسه خوف التقصير في الأمر ومنه

نذر الدم : العقد على سفكه للخوف من مضرة صاحبه قال الشاعر :

هم يندرون دمي وأنذر إن لقيت بأن أشدا

ومنه الانذار : الاعلام بموقع العدو ، للخوف منه ليتقى يقال نذرت النذر أنذره نذراً وجمعه نذور وقوله : ﴿ فان الله يعلمه ﴾ معناه يجازي عليه لأنه عالم به ، فدل بذكر العلم على تحقيق الجزاء إيجازاً للكلام وقوله ﴿ وما للظالمين من أنصار ﴾ وعيد للظالمين وهم الفاعلون لضرر يستحق عليه الذم . والمراد بالظالمين ههنا الذين كانوا اتفقهم على غير الوجه المأذون لهم فيه من رباً أو ضرار أو شقاق أو من مال مغصوب أو مأخوذ من غير وجهه . وسمي ذلك ظلاماً ، لأنه وضع فيه في غير موضعه ، والأنصار جمع نصير مثل شريف وأشرف ، وباب فعيل يجمع على فعلاء مثل عليم وعلماء وكريم وكرماء ، وقد ورد فيه فعال مثل نصير وأنصار . والنصير : هو المعين على العدو ، فعلى هذا لا تدل الآية على أنه لا شفاعاة لمرتكبي الكبائر لأن أحداً لا يقول أن لهم معيناً على عدوهم بل إنما تقول لهم من يسأل في بابهم على وجه التضرع ولا يسمى ذلك نصر على حال .

قوله تعالى :

لَمَنْ تَبَدَّوْا الصَّدَقَاتِ فَنِعْمَا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتَوْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ
فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٧١﴾
(١٧١) آية واحدة بلا خلاف .

الفرادة :

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف فنعما - بفتح النون وكسر العين -
وقرأ ابن كثير ، وورش ، ويعقوب ، وحنص ، والاعشى والبرجمي - بكسر النون
والعين - وقرأ أهل المدينة - إلا ورشاً - وأبو عمر ، وأبو بكر - إلا الأعشى -
والبرجمي - بكسر النون وسكون العين - وكذلك في النساء في قوله : « نعماً يعظمكم

به « وقرأ ابن عامر وحفص « ويكفر » بالياء والرفع . وقرأ أهل المدينة ، وحمزة والكسائي وخلف عن أبي بكر بالنون والجزم . الباقر بالنون والرفع .

المعنى ، الاعراب :

قال أبو علي الفارسي : المعنى في قوله ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هي ﴾ إن في نعم ضمير الفاعل و « ما » في موضع نصب وهي تفسير الفاعل المضمرة قبل الذكر والتقدير نعم شيئاً ابدواها . فالابداء هو المخصوص بالمدح إلا أن المضاف حذف واقیم المضاف إليه الذي هو ضمير الصدقات مقامه ، فالمخصوص بالمدح هو الابداء بالصدقات لأن الصدقات تدل على ذلك قوله : ﴿ وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ أي الاخفاء خير لكم . فكما أن هو ضمير الاخفاء وليس بالصدقات كذلك ينبغي أن يكون ضمير الابداء مراداً وإنما كان الاخفاء - والله أعلم - خيراً لأنه أبعد من أن يشوب الصدقة مراعاة للناس وتصنع لهم فيخلص الله (تعالى) ولم يكن المسلمون إذ ذاك ممن يسبق إليهم ظمه في منع واجب . والفرق بين الصدقة والزكاة أن الزكاة لا تكون إلا فرضاً والصدقات قد تكون فرضاً ، وقد تكون تملاً . واختلفوا في الصدقة التي إخفاؤها أفضل . فقال ابن عباس ، وسفيان ، واختاره الجبائي : انها صدقة التطوع ، لأنها أبعد من الرياء فأما الصدقة الواجبة فأظهارها عندهم أفضل لأنها أبعد من التهمة . وقال يزيد بن أبي حبيب : الصدقات على أهل الكناب إظهارها أولى ، وهي على المسلمين إخفاؤها أفضل . وقال الحسن ، وقتادة : الاخفاء في كل صدقة من زكاة وغيرها أفضل ، وهو الأقوى لأنه عموم الآية وعليه تدل أخبارنا وقد روي عن أبي عبد الله (ع) أن الاخفاء في النوافل أفضل . وقال أبو القاسم الابداء خير . والمفسرون على خلافه .

اللفظ :

والاخفاء : هو الستر تقول أخفيت الشيء أخفيه إخفاء : إذا سترته : والخفي
الاطهار خفيته أخفيه خفياً إذا أظهرته لأنه إظهار يخفي قال الشاعر :
فإن تدفنوا الداء لا تخفه وأن تبعثوا الحرب لا تنعمد (١)
والخفاء : الغطاء والخوافي من ريش الطائر ما دون القوادم لأنها يخفي بها
والخفية عريش الاسد لأنه يختفي فيها تقول : اختفى اختفاء وخفي تخفية وتخفى
تخفياً واستخفى استخفاء وأصل الباب الستر . والابداء والاطهار والاعلان نظائر
والاخفاء والاسرار والاعراض نظائر . تقول بدا الشيء يبدو : إذا ظهر ، وابديته :
إذا أظهرته .

الاعراب والقراءة :

وضعف النحويون بأجمعهم قراءة أبي عمرو ، وقالوا لا يجوز إسكان العين
مع الادغام وإنما هو إخفاء يظن السامع أنه إسكان . وإنما لم يجز الإسكان مع الادغام
لأنه جمع بين ساكنين في غير حروف المد واللين في نحو دابة وغير ذلك . وقد أنشد
سيبويه في الجمع بين ساكنين مثل اجتماعهما في نعا قول الشاعر :

كأنها بعد كلال الزاجر ومسحه مر عقاب كاسر (٢)

وأنكره أصحابه . ومن رفع يكفر عطفه على موضع (ما) بعد الفاء ومن
جزم فعلى موضع الفاء . ومثل الاول قوله : ﴿ ومن يضلل الله فلا هادي له
ويذرهم ﴾ ونظير الثاني « فأصدق وأكن » فمن اختار الجزم فلأنه أبين في الاتصال بالجزء
ومن رفع فلأنه أشكل بما دخلت له الفاء إذ كانت إنما دخلت لاستقبال الكلام بعدها
وإن كان في معنى الجواب . ومن قرأ بالياء فعناه « ويكفر الله » وقوله : « من

(١) « ١٥ » قاله امرؤ القيس بن عابس الكندي . ديوان امر القيس : ٣٤٣ ، واللسان (خفا)
دروائته (فإن تكتبوا السر لا تخفه) .

(٢) (٢) اللسان (كسر) في المطبوعة (كانه) بدل (كأنها) و (مر) ساقطة . وأنشده
سيبويه : ومسح مر عقاب كاسر .

سيئاتكم» دخلت من للتبويض لأنه إنما يكفر بالطاعة - غير التوبة - الصغار. هذا على مذهب من يقول بالصغار والاحباط . فأما على مذهبنا فأنما كان كذلك لأن اسقاط العقاب كله تفضل ، فله أن يتفضل باسقاط بعضه دون بعض فلو لم يدخل من لا فادانه يسقط جميع العقاب . وقال قوم من زائدة والذي ذكرناه أولى لأنه لا حاجة بنا إلى الحكم بزيادتها مع امكان حملها على فائدة ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ معناه أنه تعالى بما تعملونه في صدقاتكم من إخفاؤها وإعلانها علم خبير به لا يخفى عليه شيء من ذلك فيجازي على جميعه بحسبه . وروي عن النبي (ص) أنه قال لابن العاص « نعماً بالمال الصالح للرجل الصالح » فاختار أبو عبيد لأجل هذه الرواية قراءة أبي عمرو وقال الزجاج هذه رواية غير مضبوطة ولا يجوز عند البصريين ذلك لأن فيه جمعاً بين ساكنين من غير حرف مد ولين وفي نعم ثلاث لغات نعم ونعم ونعماً .

قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلا كُنَّ اللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَنْفُسُكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤْتِ الْيَتِيمَ وَانْتُمْ لا تُظالمون ﴾ (٢٧٢) آية واحدة .

المعنى :

قيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها قولان : أحدهما - ما قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ليس عليك هدايتهم يمنع المشركين الأقرباء من الصدقة ليدخلوا في الاسلام فعلى هذا معناه الاباحة . الثاني - قال الحسن ، وأبو علي الجبائي ، والزجاج : « ليس عليك هدايتهم » بالحمل على النفقة في وجوه البر فعلى هذا معناه التسلية والتقدير ليس عليك أن تهدي الناس إلى نيل الثواب ، والجنة وإنما عليك أن تهديهم إلى الايمان بأن تدلهم عليه لأنه (عليه السلام) كان يفتن إذا لم يؤمنوا

ولم يقبلوا منه لعلمه بما يصيرون إليه من المقاب فسلّاه الله بهذا القول . وإنه لا يذممي ترك مواساة ذوي القربى من أهل الشرك ليدخلوا في الاسلام فيكون ذلك مبيحاً للصدقة المندوبة عليهم . وقال ابن عباس ، وابن الحنفية ، وسميد بن جبير : نزلت هذه الآية لأنهم كانوا يتقون الصدقة على المشركين حتى نزلت « ليس عليك هدام » وقوله . « ولكن الله يهدي من يشاء » إنما علق الهداية بالمشيئة لمن كان في المعلوم أنه يصلح باللطف وليس كل أحد يصلح به فذلك جاء الاختصاص بالمشيئة . وقال أبو علي الجبائي : الهداية في الآية هو إلى طريق الجنة وذلك يختص بالمؤمنين المستحقين للشواب والأول اختيار البلخي وابن الاخشاد والزجاج وأكثر أهل العلم .

وقوله : ﴿ وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ﴾ معناه فهذا يجب ألا تمنوا بالصدقة والاتفاق : إذ كان لأنفسكم من حيث هو ذخر لكم ولا ابتغاء وجه الله الذي هو يوفّر به الجزاء لكم فهو من كل وجه عائد عليكم وليس كتمليك الله لعباده إذ نعمه راجع عليهم كيف تصرف الحال بهم ، فذلك افترق ذكر العطية منه (تعالى) ، والعطية من غيره . ومعنى قوله « إلا ابتغاء وجه الله » إلا ابتغاء رضوان الله . واستدل بذلك على حسن باطن المعنيين بالآية . وأنهم كانوا ينفقونه لوجه الله خالصاً . وقيل معناه وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ، فكيف يضيع سعيكم وإتفاقكم . وقيل في ذكر الوجه قولان : أحدهما - لتحقيق الاضائة إليه ، لأن ذكره يزيل الابهام انه له أو لغيره ، لأنك إذا اختصمت ذكر الوجه ومعناه التبيين ، دل على أنك أردت الاختصاص وإزالة الابهام ، ورفع الاشتراك وحققت الاضافة .

والثاني - لأشرف الذكرين في الصفة لأنه إذا قلت : فعلته لوجه زيد فهو أشرف في الذكر من فعلته [زيد] . لأن وجه الشيء في الاصل أشرف ما فيه ثم كثر حتى صار يدل على شرف للذكر في الصفة فقط من غير تحقيق وجه ألا ترى أنك تقول : وجه هذا الأمر كذا وهذا أوجه الرأي وهذا أوجه الدليل فلا تريد تحقيق الوجه

وإنما يريد أشرف ما فيه من أجل شدة ظهوره وشدة بيانه .

قوله تعالى :

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا
فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّمَعُّفِ لَعَرَفُهُمْ بَسْمَاتِهِمْ
لَا يُسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْلَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾
(٢٧٣) آية واحدة .

قرأ حمزة وعاصم وابن عامر « يحسبهم » - بفتح السين - الباقون بكسرها .
قال مجاهد ، والسدي : الفقراء المذكورون في الآية هم فقراء المهاجرين . وقال أبو
جعفر (ع) نزلت في أصحاب الصفة . والعامل في الفقراء محذوف وتقديره النفقة
للفقراء وقد تقدم ما يدل عليه . وقال بعضهم هو مردود على اللام الاولى في قوله :
﴿ وما تنفقوا من خير فلا نسكم ﴾ قال الرماني هذا لا يجوز لأن بدل الشيء من غيره
لا يكون إلا والمعنى يشتمل عليه . وليس كذلك ذكر النفس ههنا ، لأن الاتفاق
لها من حيث هو عائد عليها ، والفقراء من حيث هو . واصل إليهم وليس من
باب « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » لأن الأمر لازم للمستطيع
خاصة ولا يجوز أن يكون العامل فيه « تنفقوا » لأنه لا يفصل بين العامل والمعمول
فيه بما ليس منه كما لا يجوز كانت الجمي تأخذ .

اللفظ :

وقوله : ﴿ الذين احصروا ﴾ فالاحصار منع النفس عن التصرف لمرض أو
حاجة أو مخافة والحصر هو منع الغير وليس كالأول ، لأنه منع النفس . وقال قتادة
وابن زيد : منعوا أنفسهم من التصرف في التجارة للمعاش خوف العدو من الكفار .
وقال السدي : منعهم الكفار والخوف منهم ، ولو كان الأمر على ما ذكر لكان

حصروا لأن الذي يمنعه العدو محصور والذي يمنع نفسه محصر ، ويحسبهم - بفتح السين وكسرهما - لغتان ومعناه يظنهم ولا يعرف حالهم « أغنياء من التعفف » وقوله : « لا يستطيرون ضرباً في الأرض » ليس معناه أنهم لا يقدرون وإنما معناه أنهم أزموا أنفسهم أمر الجهاد فمنهم ذلك من التصرف كقولك : أمرني الوالي أن أقيم ، فما أقدر أن أبرح معناه أزمتم نفسي طاعته لا أتي لا أقدر عليه . وتقول ضربت في الأرض ضرباً ومضرباً إذا سرت فيها وضرب الجرح إذا ألم ضرباناً وضرباً ، وضرب الفحل الناقة : إذا طرقتها ضرباً والضرب . الجليد تقول : ضربت الأرض وجلدت . رواه الكسائي . وقوله : « تعرفهم بسيماهم » فالسيما العلامة .

المعنى :

وقال مجاهد : معناه ههنا التخضع . وقال السدي ، والربيع : علامة الفقر وأصل سيماء الارتفاع لأنها علامة رفعت للظهور . ومنه السؤم في البيع : وهو الزيادة في مقدار الثمن ، للارتفاع فيه عن الحد . ومنه سوم الخسف للتوقع فيه بتحميل ما يشق . ومنه سوم الماشية إرسالها في المرعى . وقوله : « لا يسألون الناس إلحافاً » لا يدل على أنهم كانوا يسألون غير إلحاف - في قول الغبراء ، والزجاج ، والبلخي ، والجبائي - وإنما هو كقولك ما رأيت مثله . وأنت لم ترد أن له مثلاً ما رأيت مثله وإنما تريد أنه ليس له مثل فيرى . وقال الزجاج معناه لم يكن سؤال ، فيكون إلحاح كما قال امرؤ القيس :

على لاحب لا يهتدى بمناره إذا سافه العود النباطي جرجرا (١)

والمعنى لا منار به فيهتدى بها ، وإنما وجهوه على ذلك ، لأن في الكلام

« ١ » ديوانه : ٨٩ . الاحب : الطريق الواضح . والمنار : العلامة توضع لارشاد المسافرين . سافه : شمه . العود : أجل المسن الضخم . جرجر : رغا وضع . وقد مرصده في ١ : ١٨٩ - ٢٨٩ - ٤٤٤ . في المطبوعة وآمال المرتضى ١ : ٢٢٨ الباطي بدل (النباطي)

دليلاً عليه ، لأنه (تعالى) وصفهم بالتمعظف والمعرفة بسيماهم دون الافصاح بسؤالهم لأنهم لو أفصحوا به لم يحسبهم الجاهل أغنياً ، لأنه إنما يجهل ما ينال بالاستدلال وإنما جاز هذا الاختصاص بالذكر لأن المعنى في صفة الذم عنهم . وقوله « إلخافاً » قال الزجاج هو مأخوذ من اللخاف لاشتماله على وجود الطلب في المسألة كاشتمال اللخاف في التغطية وقال غيره : لأنه يلزم لزوم اللخاف في غير وقته . وفي الآية دلالة على فساد قول المجبرة في الاستطاعة ، لأنه تعالى إذا عذر من لا يستطيع للمخافة كان من لا يستطيع لعدم القدرة أعذر . وقوله ﴿ وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ﴾ معناه يجازيكم عليه كما قال ﴿ وما تنفقوا من خير يملئه الله ﴾ .

قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
(٢٧٤) آية .

ذكر ابن عباس أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب (ع) كانت معه أربعة دراهم فانفقها على هذه الصفة بالليل والنهار . وفي السر والعلانية . وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) وروى عن أبي ذر (رة) والأوزاعي إنها نزلت في النفقة على الخليل في سبيل الله . وقيل هي في كل من أنفق ماله في طاعة الله على هذه الصفة وإذا قلنا أنها نزلت في علي (ع) فخكها سار في كل من فعل مثل فعله . واه فضل الاختصاص بالسبق إلى ذلك . ونزول الآية من جهته . وقيل في قسمة الأموال في الاتفاق على الليل والنهار والاسرار والاعلان أفضل من الاتفاق على غير ذلك الوجه قولان : قال ابن عباس : إن هذا كان يعمل به حتى نزل فرض الزكاة في براءة . والثاني - ان الأفضل موافقة هذه الصفة التي وصفها الله . وهو الأقوى لأنه الظاهر ، وقال الرماني ، ومن تابعه من المعتزلة لا يجب هذا الوعد

إذا ارتكب صاحبها الكبيرة من الجرم كما لا يجب إن ارتد عن الإيمان إلى الكفر وإنما يجب لمن أخلصها مما يفسق بها وهذا عندنا ليس بصحيح ، لأن القول بالأحباط باطل ومفارقة الكبيرة بعد فعل الطاعة لا تحبط ثواب الطاعة بحال . وإنما يستحق بمصيبته العقاب والله فيه المشيئة ، فأما الارتداد فعندنا أن المؤمن على الحقيقة لا يجوز أن يقع منه كفر ، ومتى وقع ممن كان على ظاهر الإيمان ارتداد علمنا أن ما كان يظهره لم يكن إيماناً على الحقيقة ، وإنما قلنا ذلك لأنه لو كان إيماناً لكان مستحقاً به الثواب الدائم فاذا ارتد فيما بعد استحق بارتداده عقاباً دائماً فيجتمع له استحقاق الثواب الدائم والعقاب الدائم وذلك خلاف الإجماع وقوله : « الذين رفع بالابتداء » وما بعده صلة له وخبره « فلهم أجرهم عند ربهم » وإنما دخل الفاء في خبر الذين لأن فيها معنى الجزاء ، لأنه يدل على أن الأجر من أجل الاتفاق في طاعة الله . ولا يجوز أن يقال زيد فله درهم لأنه ليس فيه معنى الجزاء وإنما رفع ﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ونصب « لا ريب فيه » لأجل تكرير (لا) في جواب إذا قال الشاعر :

وما صرمتك حتى قلت معلنة لا ناقة لي في هذا ولا جمل
فأما « لا ريب فيه » ، فجواب (هل) من ريب فيه ، فتقيل لا ريب فيه على عموم النفي كما أن السؤال على استغراق الجنس بمن فالاعتماد في أحدهما على عموم النفي وفي الآخر على اشتغال النفي على شيئين قد توهم إثبات أحدهما . والاتفاق إخراج ما كان من المال عن الملك ولهذا لا يصح في صفة الله (تعالى) الاتفاق : وهو موصوف بالاعطاء لعباده ما شاء من نعمه لأن الاعطاء إيصال الشيء إلى الآخذ له والسر : إخفاء الشيء في النفس فأما إخفاؤه في خباء ، فليس بسر في الحقيقة ، ومنه السرار والمسارة لأن كل واحد منهما يخفي الشيء عن غيره إلا عن صاحبه ، والعلانية ، نقيض السر وهو إظهار الشيء وإبرازه من النفس .

قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَأْكُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا
وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّبَعَهَا
فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) آية .

المعنى :

أصل الربا : الزيادة من قولهم ربا الشيء، يربو ربواً إذا زاد . والربا : هو
الزيادة على رأس المال . في نسيئة أو مماثلة وذلك كالزيادة على مقدار الدين للزيادة في
الأجل أو كاعطاء درهم بدرهمين أو دينار بدينارين ، والمنصوص عن النبي (ص)
تحريم التفاضل في ستة أشياء . الذهب ، والفضة ، والحنطة ، والشعير ، والتمر ،
والملح . وقيل : الزبيب : فقال النبي (ص) فيها مثلاً بمثل يبدأ بيد من زاد أو
استزاد ، فقد أربى . هذه الستة أشياء لاخلاف في حصول الربا فيها ، وباقي الأشياء
عند الفقهاء مقيس عليها . وفيها خلاف بينهم ، وعندنا أن الربا في كل ما يكال أو
يوزن إذا كان الجنس واحداً ، منصوص عليه . والربا محرم متوعد عليه كبيرة بلا
خلاف ، بهذه الآية ، وبقوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ
الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ وَلَمْ يَمْلِكْ فَإِنَّهُ مُجْرِمٌ مِمَّا نَدَّبَكُمْ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴿١﴾
وقوله ﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ قال ابن عباس ،
وسعيد بن جبير ، والحسن ، ومجاهد ، وقنادة : إن قيامهم على هذه الصفة يكون

يوم القيامة : إذا قاموا من قبورهم ، ويكون ذلك إمامة لأهل الموقف على أنهم
أكلة الربا . وقوله : « يتخبطه الشيطان » مثل عند أبي علي الجبائي لا حقيقة على
وجه التشبيه بحال من تغلب عليه المرة السوداء ، فتضعف نفسه ويلج الشيطان
بأغوائه عليه فيقع عند تلك الحال ويحصل به الصرع من فعل الله . ونسب إلى
الشيطان مجازاً لما كان عند وسوسته . وكان أبو الهذيل وابن الاخشاد يجيزان أن
يكون الصرع من فعل الشيطان في بعض الناس دون بعض قالا . لأن الظاهر من
القرآن يشهد به ، وليس في العقل ما يمنع منه وقال الجبائي : لا يجوز ذلك ، لأن
الشيطان خلق ضعيف لم يقدره الله على كيد البشر بالقتل والتخبيط ولو قوي على
ذلك لقتل المؤمنين الصالحين والداعين إلى الخير ، لأنهم أعداؤه ، ومن أشد
الأشياء عليه . وفي ذلك نظر وأصل الخبط : الضرب على غير استواء ، خبطته
أخبطه خبطاً . والخبط ضرب البعير الأرض بيديه والتخبط المس بالجنون أو
التخبيط ، لأنه كالضرب على غير استواء في الادهاش . والخبطة البقية من طعام
أو ماء أو غيره لأنه كالصبة من الدلو وهي الخبطة به ، والخبط : ورق تلعغه الابل .
والخبط : داء كالجنون ، لأنه اضطراب في العقل كالاضطراب في الضرب .
والخبطة كالركمة ، لأنها تضرب بالانحدار على اضطراب . والخبط سمة في الفخذ
لأنها تضرب فيه على اضطراب ومعنى قوله : ﴿ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل
الربا ﴾ إن المشركين قالوا : الزيادة على رأس المال بعد مصيره على جهة الدين كالزيادة
عليه في ابتداء البيع وذلك خطأ ، لأن أحدهما محرم والآخر مباح ، وهو أيضاً
منفصل منه في العقد ، لأن الزيادة في أحدهما لتأخير الدين وفي الآخر لأجل
البيع . والفرق بين البيع والربا : أن البيع يبذل لأن الثمن فيه بدل المثل . والربا
ليس كذلك وإنما هو زيادة من غير بدل للتأخير في الأجل أو زيادة في الجنس
﴿ وقد أحل الله البيع وحرم الربا ﴾ وقوله : ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله
ما سلف ﴾ قال أبو جعفر من أدرك الاسلام وتاب مما كان عمله في الجاهلية ، وضع
الله عنه ما سلف . وقال السدي : له ما أكل ، وليس عليه رد ما سلف ، فأما ما لم

يقبض بعد ، فلا يجوز له أخذه . وله رأس المال . وقال الطبري : الموعظة التذكير والتخويف الذي ذكره الله وخوفهم به من آي القرآن وأوعدهم عليه إذا أكلوا الربا من أنواع العقاب . وقوله : « وأمره إلى الله » معناه بعد مجيء الموعظة والتحريم ، وبعد انتهاء أكله إلى الله (تعالى) عصيته ، وتوفيقه إن شاء عصمه عن أكله وثبته في انتهائه عنه ، وإن شاء خذله . ويحتمل أن يكون أراد ، فله ما سلف يعني من الربا المأخوذ دون العقاب الذي استحقه .

اللغة :

وقوله : ﴿ وأمره إلى الله ﴾ معناه في جواز العفو عنه إن لم يتب وكل شيء قدمته امامك فهو سلف . والسلف التقدم يقال : سلف يسلف سلوفاً ومنه الأمم السالفة أي الماضية . والسالفة أعلى العنق . والاسلاف الاعطاء قبل الاستحقاق تقول أسلفت المال إسلافاً ، وسلافة الحجر : صفوها لأنه أول ما يخرج من عصيرها والسافة : جلد رقيق يجعل بطانة للخفاف . وسلف الرجل : المتزوج باخت امرأته والسافة ما تدخره المرأة لتتحف به زائراً ، وأصل الباب التقدم . وقوله : « ومن عاد » فالعود هو الرجوع تقول عاد يعود عاداً إذا رجع . وعبادة المريض : المصير إليه لتعرف خبره . والعود : من عيدان الشجر ، لأنه يعود إذا قطع ومنه العود الذي يتبخر به . والعود : المسن من الابل . والمعاد كل شيء إليه المصير . فالآخرة معاد الناس أي مرجع . وقوله : « لرادك إلى معاد » (١) يعني مكة بأن يفتحها عليه .

والاعادة : فعل الشيء ثانية وهو المبدى . العيد . والعادة تكرر الشيء مرة بعد مرة . وتعود الخير عادة . والعيد كل يوم مجمع عظيم ، لأنه يعود في السنة أو في الاسبوع . والعائدة الصلة لأنها تعود بنفع على صاحبها وأصل الباب الرجوع .

تقول : عاد عوداً واعتاد اعتياداً واستعاد استعادة وعوداً تعويداً ، وتعود تعوداً ،
وعاد معاودة .

المعنى :

ومعنى الآية ومن عاد لا كل الربا بعد التحريم . وقال ما كان يقوله قبل
حجي ، الموعظة من أن البيع مثل الربا ﴿ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ لأن
ذلك لا يصدر إلا من كافر ، لأن مستحل الربا كافر بالاجماع فذلك توعد به بعذاب
الأبد . والخلود والوعيد في الآية يتوجه إلى من أربى ، وإن لم يأكله وإنما ذكر
الله الذين يأكلون الربا لأنها نزلت في قوم كانوا يأكلونه ، فوصفهم بصفةهم وحكمها
سائر في جميع من أربى . والآية الأخرى التي ذكرناها وتبين معناها فيما بعد تبين
ما قلناه وعليه أيضاً الاجماع وقيل في علة تحريم الربا أن فيه تعطيل المعايير والاجلاب
والمناجر إذا وجد المرابي من يعطيه دراهم وفضلاً بدراهم . وقال أبو عبد الله (ع)
إنما شدد في تحريم الربا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف فرضاً أو رفقاً
وأما ذكر الموعظة ههنا وأنها في قوله : ﴿ قد جاءكم موعظة من ربكم ﴾ لأميرين :
أحدهما - أن كل تأنيب ليس بحقيقي جاز فيه التذكير والتأنيث فجاء القرآن بالوجهين
معاً . والثاني - أنه ذكر ههنا لوقوع الفصل بين الفعل والفاعل بالضمير وأنت في
الموضع الذي لم يفصل . والربا محرم في النقد والنسيئة بلا خلاف وكان بعض من
تقدم يقول لا ربا إلا في النسيئة والذي كان يريه أهل الجاهلية أن يؤخروا الدين
عن محله إلى محل آخر بزيادة فيه وهذا حرام بلا خلاف . ومسائل البيع الصحيح
منها والفساد وفروعها بينها في النهاية والمبسوط وكذلك مسائل الصرف فلان طول
بذكرها في هذا الكتاب .

قوله تعالى :

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ ﴾

أثم ﴿٢٧٦﴾ آية واحدة .

اللغز :

المحق : نقصان الشيء . حالا بعد حال . محقه الله بمحقه محقاً ، فأمحق وأمتحق أي هلك وتلف بذهابه حالا بعد حال . والمحاق آخر الشهر لا محاق الهلال فيه . والشيء محيق بمعنى ممحوق وأصل الباب المحق فان قيل بأي شيء «يمحق الله الربا ويربي الصدقات ؟» قلنا : يحقّه بأن ينقصه حالا بعد حال . وقال البلخي محقه في الدنيا بسقوط عدالته والحكم بنسقه وتسميته بالفسق .

المعنى :

وقوله ﴿ ويربي الصدقات ﴾ معناه يزيد بها بما يثمر المال في نفسه وبالأجر عليه وذلك بحسب الانتفاع بها وحسن النية فيها ووجه زيادته على المستحق بالعمل تفصل بالوعد به وقد روي عن النبي (ص) أن الله يقبل الصدقة ، ولا يقبل منها إلا الطيب ويربها لصاحبها كما يربي أحدكم مهره أو فصيله حتى أن اللقمة لتصير مثل أحد ، وذلك قوله : ﴿ يحق الله الربا ويربي الصدقات ﴾ وقوله : ﴿ والله لا يجب كل كفار أثم ﴾ إنما لم يقل كل كافر مع دخول الكفار في الكافر لأن كل كفار كافر وليس كل كافر كفار للدلالة على أن مستحل الربا في قوله « إنما البيع مثل الربا » مع أنه كافر كفار ، ويجوز للدلالة على صفات الدم إذ قد يتوهم أن الكفار من استكثر من كفر نعمة إنسان لا يبلغ به استحقاق العقاب ويجوز أن يكون من باب الاختصاص لعظم المنزلة في الأمر الذي تعلق به الذكر « والأثم » هو المتماذي في الأثم . والآثم : الفاعل للأثم وإنما قال لا يحبه ولم يقل يبغضه لأنه إذا لم يجب المكلف فهو يبغضه فقوله لا يحبه الله من صفات الذم كما أن قوله لم ينصف في المعاملة من صفات الذم .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا
الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
(٢٧٧) آية واحدة .

المعنى :

إن قيل: إذا كان الثواب يستحق بخلوص الايمان فلم يشترط غيره من الخصال؟
قلنا: لم يذكر ذلك ليكون شرطاً في استحقاق الثواب على الايمان وإنما بين أن كل
خصلة من هذه الخصال يستحق به الثواب ونظير ذلك ما ذكره في آية الوعيد في
قوله: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا
بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ إِتْمًا يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخذل
فيه مهاناً ﴾ (١) فالما بين أن كل خصلة من هذه الخصال يستحق بها العقاب لأن
من المعلوم أن من دعا مع الله إلهاً آخر لا يحتاج إلى شرط عمل آخر استحق العقاب
وإن كان الوعيد إنما يتوجه عليه بمجموع تلك الخصال لكان فيه تسهيل لكل
واحد منها وليس التقييد في آيتي الوعيد يجري مجرى قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يرمون
المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ﴾ (٢) من قبل أن هذا
معلق بحكم يجب بوجوبه ويرتفع بارتعائه باجماع وليس كذلك ذكر هذه الخصال.
وهذه الآية تدل على أن أفعال الجوارح ليست من الايمان وإن الايمان هو
التصديق بما وجب لأنها لو كانت من الايمان، لكان قوله « إن الذين آمنوا » قد
اشتمل عليها فلا معنى لذكرها بواو العطف إذ لا يعطف الشيء على نفسه . فان
قيل ذلك يجري مجرى قوله: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٣) وقوله :

﴿ ١ ﴾ - سورة الفرقان آية : ٦٨ . ﴿ ٢ ﴾ - سورة النور آية : ٤ .

﴿ ٣ ﴾ - سورة محمد آية : ١ ، وسورة النحل آية : ٨٨ .

﴿الذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ (١) قلنا واختلف في هاتين كالتخلاف في تلك لأننا لا نقول إن التكذيب بالآيات هو الكفر نفسه وإنما نقول هو دلالة على الكفر وكذلك الصد عن سبيل الله كما نقول : إن قول النبي (ص) فلان كافر يدل على كفره . وإن لم يكن ذلك كفراً وقال قوم : من المرجئة إن الوعد بهذه الخصال يدل على بطلان التحابط ، لأنه تعالى ضمن الثواب بنفس فعل هذه الخصال ، ولم يشترط ألا يأتي بما يحبطها فإن قيل لا بد أن يكون ذلك مشروطاً كما أن الوعيد على الكفر لا بد أن يكون مشروطاً بارتفاع التوبة منه ، لأن كل واحد من الأمرين إنما يستحق بخلوه مما ينافيه وإذا اتبع بكبيرة لم يخلص كما لم يخلص ما اتبع بتوبة . قلنا : إنما شرطنا الوعيد على الكفر بعدم التوبة لمكان الاجماع ، لا لأن التوبة تسقط العقاب على الكفر ، وإنما وعد الله (تعالى) تفضلاً باسقاط العقاب على المعاصي بالتوبة منها ، وليس مثل ذلك موجوداً في آية الوعد لأنه ليس على شرط انتفاء الكبيرة إجماع ، والعمل هو التغيير للشيء بالاحداث له أو فيه فإذا قيل : عمل فلان الصالحات كان معناه أحدثها وإذا قيل : عمل الموازين والخوض والتروج والصفر وغير ذلك ، كان المراد أنه أحدث فيها ما تتغير به صورتها .

قوله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ (٢٧٨) آية واحدة .

النزول :

ذكر السدي وابن جريج وعكرمة أن هذه الآية نزلت في بقية من الربا كانت للعباس ومسمود وعبدياً ليل وحبيب وربيعة . وبني عمرو بن عمير وروي عن أبي جعفر (ع) أن الوليد بن المغيرة كان يربي في الجاهلية وكان بقي له بقايا على

﴿١﴾ سورة البقرة آية : ٣٩ ، وسورة المائدة آية : ١١ ، ٨٩ ، وسورة الحج آية : ٥٧ ، وسورة الحديد آية : ١٩ ، وسورة التغابن آية : ١٠ .

تقيف فأراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد أن أسلم فنزلت هذه الآية في المنع من ذلك .

المعنى :

ومعنى « ذروا ما بقي من الربا » ظاهره تحريم ما بقي ديناً من الربا وإيجاب أخذ رأس المال دون الزيادة على جهة الربا . وقوله : « إن كنتم مؤمنين » قيل فيه قولان : أحدهما - من كان مؤمناً فهذا حكمه . والثاني - إذ كنتم مؤمنين . والآخر هو الأقوى .

اللفظ :

ومعنى « ذروا » أتركوا . ولم يستعمل منه وذر ، ولا واذر لكرهته الواو مبتدأة لأنها لم تزد أولاً في كلامهم كزيادة اختيها الياء والهمزة . قال الخليل : إذا التقت واوان في أول الكلمة أشبهه بنباح الكلب فرفضوا ذلك إلا فيما هو عارض لا يمتد به فاستعملوا يذر ، لأنه لا تظهر فيه الواو ، ومثله يدع . فأما وعد فجاء على الأصل . فان قيل : لم جاز وصف المبهم بالوصول ، ولم يحسن بالمضاف فجاز أن يقول : « يا أيها الذين آمنوا » ولم يحسن (يا أيها غلام زيد) قلنا : لأن المبهم حقه أن يوصف بالجنس المعروف بالالف واللام ، لأنه إذا عرض فيه تنكير بطلت دلالاته على الجنس ، فاحتيج إلى وصفه بالجنس لذلك . فان قيل : هلا جاز (يا أيها غلام الرجل) كما جاز (نعم غلام الرجل) إذ المضاف إلى الجنس يقوم مقام الجنس . قيل : لأنه لا يجوز في الاسماء التامة أن تكون ثلاثة أسماء بمنزلة إسم واحد منها . وقد جعل (يا أيها الرجل) بمنزلة اسمين ضم أحدهما إلى الآخر نحو (حضرموت) ليكون بذلك أشد اتصالاً بالموصوف من سائر الصفات ، فلم يجز في المضاف لما يجب له من شدة الاتصال وجاز في نعم ، لأنه على الاتصال .

قوله تعالى :

﴿ فَان لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا
فَلِكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلَمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٢٧٩) آية .

الفراة :

قرأ « فأذنوا » من الرباعي ممدودة حمزة وعاصم : من آذنت أي أعلمت .
الباقون (فأذنوا) .

المعنى :

والتقدير في قوله : « فان لم تفعلوا » يعني ترك ما بقي من الربا أو تجنب ما بقي
من الربا ، لأن ما تقدم دل عليه . وقال ابن عباس ، وقتادة ، والربيع : من عامل
بالربا استتابه الامام فان تاب ، وإلا قتله . وقال البلخي : لو اجتمع أهل قرية على
اظهار المعاملة بالربا ، لكان على الامام محاربتهم ، وإن كانوا محرمين له ، ولو فعل
الواحد بعد الواحد ، والأكثر منكر لفعله لم يقتل الواحد ، لكن يقام عليه من
الحكم ما يستحقه . وعندنا أنه يؤدبه الامام ثلاث مرات بما يرتدع معه عن فعل
مثله فان عاد رابعاً قتله .

اللفز :

ومعنى قوله : « فأذنوا » ممدوداً : علموا غيركم . ومن قرأ بالقصر فهو من
آذنت به آذن إذناً إذا علمت به . وقوله : « بحرب من الله » فالحرب : القتال .
والحرب : الشدة . والحربة : التي يطعن بها من آلة الحرب . والتحريب : التحريش .
لأنه حمل على ما هو كالحرب من الأذى . والمحراب : مقام الامام ، لأنه كوضع الحرب
في شدة التحفظ . والحربا : السمار الذي يجمع حلقتي الدرع . والحرباء : دوية

أكبر من العطاء، لأنه ينتصب على الشجرة كصلوب أخذ من الحرب لشدة طلبه للشمس تدور معها كيفما دارت. وأصل الباب الشدة. ومعنى قوله: ﴿وإن تبتم﴾ يعني من الربا لأن الكلام يدل عليه، فلکم رؤس أموالکم لا تظلمون بأخذ الزيادة على رأس المال ولا تظلمون بالنقصان. وروي في الشواذ «لا تظلمون ولا تظلمون» والمعنى واحد وإنما فيه تقديم وتأخير وموضع (لا تظلمون) نصب على الحال. وتقديره فلکم رؤس أموالکم غير ظالمين ولا مظلومين:
وقوله تعالى:

﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وإن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (٢٨٠).

معنى قوله: «وإن كان ذو عسرة أي من غرمائكم إن كان معسراً. وارتفع ذو عسرة لأحد وجهين:

أحدهما - حذف الخبر، وتقديره وإن كان ذو عسرة غريماً لكم. الثاني - أن تكون كان التامة المكتفية باسمها وتقديره وإن وقع ذو عسرة أو وجد ذو عسرة وكان يجوز وإن كان ذا عسرة على تقدير وإن كان الذي عليه الدين ذا عسرة. وروي ذلك في قراءة أبي. وقوله: ﴿فنظرة﴾ معناه فعليكم نظرة، وهل الانتظار واجب في كل دين أو في دين الربا فقط. قيل فيه ثلاثة أقوال:

أولها - قال شريح، وإبراهيم في دين الربا خاصة. والثاني - قال ابن عباس، والضحاك، والحسن: في كل دين. وهو قول أبي جعفر، وأبي عبد الله (ع). الثالث - بالآية يجب في دين الربا وبالقياس في كل دين، واستدل على أنه يجب في كل دين بأنه لا يخلو أن يجب في ذمته أو في رقبته أو عين ماله، فلو كان في رقبته لكان إذا مات بطل وجوبه، ولو كان في عين ماله كان إذا هلك بطل وجوبه فصح أنه في ذمته، ولا سبيل له عليه في غير ذلك من حبس أو نحوه.

وقرأ نافع (ميسرة) - بضم السين - الباقون بفتحها، وهما لغتان:

ومعناه إلى أن يوسع عليه . وقال أبو جعفر (ع) إلى أن يبلغ خبره الامام فيقضي عنه من سهم الغارمين إذا كان أنفقه في معروف .

وقوله : ﴿ وَإِنْ تَصَدَّقُوا خَيْرَ لَكُمْ ﴾ ومعناه على المعسر بما عليه من الدين خير لكم . وقيل إن معناه وإن تصدقوا بجميع المال على الفقراء . والاول أليق بما تقدم . وروي عن ابن عباس ، وعمر أن آخر ما نزل من القرآن آي الربا . وروي عن مجاهد (ميسره) بالهاء في الوصل مضافاً إلى الهاء . ولم يجز ذلك البصريون لأنه ليس في الكلام مفعله . والاعسار الذي يجب فيه الانظار قال الجبائي : التعذر بالاعدام أو بكساد المتاع ونحوه . وروي عن أبي عبد الله (ع) هو إذا لم يقدر على ما يفضل عن قوته وقوة عياله على الاقتصاد . وروي عن عطا (فناظرة) وهو شاذ ، وهو مصدر نحو قوله : « ليس لوقعتها كاذبة » (١) « وتظن أن يفعل بها فاقرة » (٢) وكذلك العاقبة والعافية .

قوله تعالى :

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٢٨١) آية واحدة .

الفراة والمزول :

قرأ أبو عمرو ، وحده (ترجعون) بفتح التاء الباقون بضمها . قال ابن عباس وعطية والسدي : هذه الآية آخر ما نزلت من القرآن . وقال جبريل (ع) ضمها في رأس الثمانين والمائتين من البقرة .

المعنى :

وقيل في معنى ترجعون فيه إلى الله قولان :
أحدهما - ترجعون فيه إلى جزاء الله . الثاني - ترجعون فيه إلى ملك الله

لنضعكم وضركم دون غيره ممن كان ملكه إياه في دار الدنيا . وقوله ﴿ ثم توفى كل
نفس ما كسبت ﴾ قيل فيه وجهان : أحدهما - توفى جزاء ما كسبت من الاعمال .
الثاني - توفى بما كسبت من الثواب أو العقاب ، لأن الكسب على وجهين : كسب
العبد لفعله وكسبه لما ليس من فعله ككسبه المال وقوله : ﴿ وهم لا يظلمون ﴾
معناه لا ينقصون ما يستحقونه من الثواب ولا يزداد عليهم فيما يستحقونه من
العقاب والآية تدل على أن الجزاء لا يكون إلا على الكسب لأنه لو كان خاصاً
لجرى مجرى توفى كل نفس ما قالت وليس مفهومه كذلك لأنه عام فيما يجازي به
العبد وموضع « ثم توفى كل نفس ما كسبت » نصب بانه عطف على صفة يوماً إلا أنه
حذف منه فيه لدلالة الأول عليه .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بِيَدِكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ
كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلَأِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا
يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَنْ يَمْلَأَ مَهْوً فليَمْلَأْ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ
فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ
أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْآخَرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا
مَا دُعُوا وَلَا نَسَاءُ مَوْأَنَ أَنْ تَكْتُبُوهُ ضَمِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلٍ ذَلِكُمْ
أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ

تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بِيَدَيْكُمْ فَذَيْمٌ عَلَىٰكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا
وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَاِنَّهٗ
فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾
آية واحدة .

الفرادة :

قرأ حمزة وحده « ان تفضل احداها » بكسر الالف . الباقون بفتحها . وقرأ
ابن كثير ، وأبو عمرو « فتذكر » بالتخفيف والنصب . وقرأ حمزة بالتشديد ،
والرفع . وقرأ (تجارة حاضرة) بالنصب عاصم . الباقون بالرفع .

المعنى :

قوله : « إذا تداينتم » معناه تعاملتم بدين . وإنما قال : « بدين » وإن
كان تداينتم أفاده لأمرين :
أحدهما - أنه على وجه التأكيد كما تقول ضربته ضرباً . والثاني - أن
تداينتم يكون بمعنى تجازيتم من الدين الذي هو الجزاء فإذا قال : بدين اختص
بالدين خاصة « إلى أجل مسمى » معناه معلوم وقوله : « فاكتبوه » ظاهره الأمر
بالكتابة . واختلغوا في مقتضاه ، فقال أبو سعيد الخدري ، والشعبي ، والحسن :
هو مندوب إليه . وقال الربيع ، وكمب : هو على الفرض . والاول أصح ، لاجماع
أهل عصرنا على ذلك . ولقوله تعالى « فإن أمن بعضهم بعضاً فليؤد الذي أوتى من
أمانته » ومفهومه فإن أمنه فيما له أن يأمنه . وقال ابن عباس : هذه الآية في السلم
خاصة . وقال غيره : حكها في كل دين من سلم أو تأخير نمن في بيع . وهو الأقوى
لآية العموم . فأما الفرض فلا مدخل له فيه لأنه لا يجوز مؤجلاً وقوله : « ولا يأت

كاتب ﴿ ظاهره النهي عن الامتناع من الكتابة ، والنهي يقتضي تحريم الامتناع . وقال عامر الشعبي هو فرض على الكفاية كالجهاد ، وهو اختيار الرماني ، والجبائي وجوز الجبائي أن يأخذ الكاتب والشاهد الأجرة على ذلك . وعندنا لا يجوز ذلك . والورق الذي يكتب فيه على صاحب الدين دون من عليه الدين . ويكون الكتاب في يده لأنه له . وقال السدي واجب على الكاتب في حال فراغه . وقال مجاهد وعطا هو واجب إذا أمر . وقال الضحاك نسختها قوله : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » .

وقوله : ﴿ أن يكتب كما علمه الله فليكتب ﴾ يعني الكاتب ﴿ ولجمل الذي عليه الحق ﴾ أمر لمن عليه الحق بالاملال وهو والاملاء بمعنى تقول أمليت عليه وأملت عليه بمعنى واحد . وقوله : ﴿ وليتق الله ربه ﴾ معناه لا يمل إلا الحق الذي عليه والاملال المراد به الندب لأنه لو أملاً غيره وأشهد هو . كان جائزاً بلا خلاف . وقوله : ﴿ ولا يبغض منه شيئاً ﴾ أي لا ينقص منه شيئاً والبغض النقص ظاهراً . وقد بخصه حقه يبغضه بخصاً إذا نقصه ظاهراً ومنه قوله تعالى « ولا تبغضوا الناس أشياءهم » أي لا تنقصوهم ظالمين لهم ومنه قوله ﴿ وشروه بثمن بخس ﴾ أي ناقص عن حقه والبغض فقاً العين لأنه إدخال نقص على صاحبها وتباخس القوم في البيع إذا تعانبوا وقوله : ﴿ فان كان الذي عليه الحق سفياً ﴾ قال مجاهد السفية : الجاهل . وقال السدي الصغير وأصل السفه الخفة ومن ذلك قول الشاعر :

مشين كما اهتزت رماح تسفيت أعاليها من الرياح النواصم (١)

أي استخفتها الرياح وقال الشاعر :

تخاف أن يسفه أحلامنا فنحمل الدهر مع الخامل

أي تخف أحلامنا فالسفيه الجاهل ، لأنه خفيف العقل بنقصه . وقوله : « أو ضعيفاً » قال مجاهد والشعبي : هو الاحق . وقال الطبري : هو العاجز عن الاملاء بالمي أو بالخرس « أو لا يستطيع أن يمل » قال ابن عباس : هو العمي الأخرس وقيل : المجنون . والهاء في قوله « وليه » عائدة إلى السفية - في قول

الضحاك ، وابن زيد - الذي يقوم مقامه . وقال الربيع : ترجع إلى ولي الحق .
والاول أقوى . وإذا أشهد الولي على نفسه فلا يلزمه المال في ذمته بل يلزم ذلك
في مال المولى عليه . وقوله : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم » يعني من رجال
الأحرار المسلمين دون الكفار والعييد - في قول مجاهد - والحرية ليست عندنا
شروطاً في قبول الشهادة وإنما الاسلام شرط من العدالة . وبه قال شريح والبتى ، وأبو
نور ، ومثله قوله : ﴿ وانكحوا الايما منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ﴾ (١)
وقوله : « فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان » يحتمل رفعه أربعة أوجه :

أحدها - فليكن رجل وامرأتان . الثاني - فليشهد رجل وامرأتان .
الثالث - فالشاهد رجل وامرأتان . الرابع - فرجل وامرأتان يشهدون وكل ذلك
حسن . وكان يجوز أن ينصب رجلاً وامرأتين بمعنى واستشهدوا رجلاً وامرأتين .
وقوله : « أن تفضل احدهما فتذكر احدهما الاخرى » يحتمل وجهين :

أحدهما - قال الربيع والسدي والضحاك وأكثر المفسرين إنه من الذكر الذي
هو ضد النسيان . وقال سفيان بن عيينة : هو من الذكر . ومعناه أن تجعلها
كذكر من الرجال . ومعنى أن تفضل لأن تفضل أو من أجل أن . فان قيل لم قال « إن
تفضل » وإنما الاشهاد ، للاذكار لا للضلال قيل عنه جوابان :

أحدهما - قال سيديويه أنه لما كان الضلال سبب الاذكار قدم لذلك وجاز
اتعلق كل واحد منهما بالآخر في حكم واحد فصار بمنزلة ما وقع الاشهاد للمرأتين
من أجل الضلال ، كما وقع من أجل الاذكار وكثيراً في السبب والمسبب أن
يحمل كل واحد منهما على الآخر ، ومثله أعددت الخشبة أن تميل الحائط فأدعمه
وإنما أعددته في الحقيقة الدعم ولكن حمل عليه الميل لأنه سببه .

الثاني - قال الفراء إنه بمعنى الجزاء على أن تذكر احدهما الاخرى إن ضلت
إلا أنه لما قدمت (أن) اتصلت بما قبلها من العامل فانفتحت . ومثله يعجبني أن
سأل السائل فيعطى . وإنما يعجبك الاعطاء دون المسألة . ومثله قوله : « ولولا أن

تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا « (١) ومعناه ولولا أن يقولوا أن اصابهم مصيبة ، وإنما قدم وأخر . قال الرماني قول سيبويه في هذا أقوى لما في الثاني من الدعوى لاخراج الجزاء إلى المصدر لغير فائدة .

وأنكر بعضهم قراءة حمزة « إن تفضل » - بكسر الهمزة - وقال الرماني : لا معنى لهذا الإنكار ، لأن عليها إجماع الأمة وتسليم القراءة بها ولها وجه صحيح في العربية . وقال أبو علي الفارسي إن حمزة جعل إن للجزاء ، والفاء في قوله « فتذكر » جواب الجزاء ، ويكون موضع جوابه رفعاً بكونها وصفاً للمتكلمين وهما المرأتان في الآي وقوله : ﴿ فرجل وامرأتان ﴾ خبر ابتداء محذوف ، وتقديره فمن يشهد رجل وامرأتان ، وانفتحت اللام في هذه القراءة لالتقاء الساكنين ، وموضعها الجزم ولو كسرت ، لكان جائزاً وقال قوم : غلط سفيان بن عيينة في تأويله ، لأن أحدها إذا نسيت لم تجعلها الأخرى ذكراً وهذا ليس بشيء ، لأن المعنى تذكرها تصير معها بمنزلة الذكر لأن بعدها من النسيان إذا اجتمعا بمنزلة بعد الذكر ، فان قيل : فلم قال « فتذكر أحدها الأخرى » فكرر لفظ أحدها ، ولو قال فتذكرها الأخرى لقام مقامه مع اختصاره . قيل قال الحسين بن علي المغربي : إن تفضل أحدها يعني إحدى الشهادات أي تضيع بالنسيان فتذكر إحدى المرأتين الأخرى ، لئلا يتكرر لفظ أحدها بلا معنى ويؤيد ذلك أنه يسمى ناسي الشهادة ضالاً . ويجوز أن يقال : ضلت الشهادة إذا ضاعت كما قال تعالى : « قالوا ضلوا عنا » (٢) أي ضاعوا منا ويحتمل أن يكون إنما كرر لئلا يفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول فان ذلك مكروه غير جيد ، فعلى هذا يكون أحدها الفاعلة والأخرى مفعولاً بها . وقوله : ﴿ ولا يَأبُ الشَّهَادَةَ إِذَا مَا دَعُوا ﴾ قيل في معنى ما دعوا إليه ثلاثة أقوال :

أحدها - لإثبات الشهادة في الكتاب وتحملها ذهب إليه ابن عباس ، وقتادة ،

﴿ ١ ﴾ سورة القصص آية : ٤٧ .

﴿ ٢ ﴾ سورة الأعراف آية ٣٦ ، سورة المؤمن آية : ٧٣ .

والربيع . الثاني - قال مجاهد ، وعامر ، وعطا ذلك إذا دعوا لاقامتها . الثالث - في رواية عن ابن عباس ، والحسن ، وأبي عبد الله (ع) لاقامتها وإثباتها . وهو أهم فائدة . وقال الطبري : لا يجوز إلا إذا دعوا لاقامتها ، لأن قبل أن يشهدوا لا يوصفون بأنهم شهداء . وهذا باطل لأنه تعالى قال : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم » فسيما شاهدين قبل إقامة الشهادة .

اللفظ :

وقوله : ﴿ ولا تساموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ﴾ فالسأم : الملل ، سُمَّ يسأم سأمًا إذا ملَّ من الشيء وضجر منه قال زهير :
سُمَّت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبالك يسأم (١)
والصغير : خلاف الكبير صغر الشيء يصغر صغراً ، وصغره تصغيراً واستصغره إستصغاراً وتصاغر تصاغراً . وصغر يصغر صغراً وصغاراً : إذا رضي بالضم ، لأنه رضي باستصغاره . وتصاغر إليه نفسه ذلاً ومهانة . والاصغار حين الناقة الحفيض والاكبار حينها الكبير . والهاء في قوله : « أجله » يحتمل أن تكون عائدة إلى أجل الدين . وهو الأقوى . والثاني إلى أجل الشاهد . أي الوقت الذي تجوز فيه الشهادة . وقوله : « ذلكم أقسط عند الله » معناه أعدل والقسط : العدل تقول : أقسط إقسطاً ، فهو مقسط إذا عدل ومنه قوله : « إن الله يحب المقسطين » والقسط : الحصاة تقول أخذ فلان قسطه أي حصته . وقد تقسطوا الشيء بينهم أي اقتسموه على القسط أي على العدل . وكل مقدار قسط لأنه عدل غيره بالساواة له . والقسوط : الجور لأنه عدول عن الحق قسط يقسط قسطاً ، فهو قاسط إذا جاز عن الحق . وقوله تعالى : « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » (٢) والرجل القسطاء : التي في ساقها أعوجاج لعدوله عن الاستقامة .

« ١ » من مملقته الشهيرة : ديوانه ٩ .

« ٢ » سورة الجن آية : ١٥ .

المعنى :

وقوله : « وأقوم للشهادة » معناه أصبح لها مأخوذ من الاستقامة . وقوله : « وأدنى ألا ترتابوا » أي أقرب ألا تشكوا بأن ينكر من عليه الحق . وقيل : بالارتابوا بالشاهد أن يضل ، وقوله : « إلا أن تكون تجارة حاضرة » فمن رفع احتمال رفعه أمرين :

أحدهما - أن تكون (كان) تامة بمعنى وقع ، فيكون اسم كان ، ويحتمل أن تكون ناقصة ويكون اسمها والخبر تديرونها . ومن نصب معناه أن تكون التبائع تجارة أو التجارة تجارة . وقوله : « واشهدوا إذا تبايعتم » قال الضحاك : الاشهاد ؛ فرض في التبائع وبه قال أصحاب الظاهر واختاره الطبري . وقال الحسن ، والشعبي ذو نذب . وهو الصحيح وبه قال جميع الفقهاء . وقوله « ولا يضار » أصله يضار - بكسر الراء - عند الحسن ، وقتادة ، وعطاء ، وابن زيد ، وقيل : المضارة وهو أن يشهد الشاهد بما لم يستشهد فيه ، ويكتب الكاتب بما لم يعمل عليه . ذهب إليه الحسن ، وطاووس ، وهو الأقوى . بدلالة قوله « وإن تفعلوا » يعني المضارة « فإنه فسوق بكم » أي معصية في قول ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك . ومن دعا الشاهد وهو مشغول ، فتأخر لا يكون فاسقاً بلا خلاف . وقال ابن مسعود ، ومجاهد - بفتح الراء - ومعناه لا يدعى الكاتب ، والشاهد ، وهو مشغول على وجه الاضرار به . ومعنى قوله : « صغيراً أو كبيراً » معناه هو في العادة صغير جرت العادة بكتب مثله ، ولا يريد بذلك ما قدره حبة أو قيراط ، لأن ذلك لم تجر العادة بكتب مثله ، والاشهاد عليه وليس في الآية ما يدل على أنه لا يجوز الحكم بالشاهد والميمين ، لأن الحكم بالشاهد والمرأتين أو بالشاهدين لا يمنع من قيام الدلالة على جواب الحكم بالشاهد مع الميمين . ولا يكون ذلك نسخاً لذلك ، لأنه ليس بمناف للمذكور في الآية والحكم بالشاهد والمرأتين يختص بما يكون مالا أو المقصد به المال فأما الحدود التي هي حق الله وحقوق الآدميين وما يوجب القصاص ، فلا يحكم

فيها بشهادة رجل وامرأتين ، وكذلك عندنا في الشاهد ، واليمين حكم الشاهد والمرأتين سواء . وقد بسطنا مسائل الشهادات ، وفروعها ، وما يقبل منها وما لا يقبل وأحكام شهادة النساء والعميد وغير ذلك في كتابينا النهاية ، والمبسوط ، فلا معنى للتطويل بذكرها ههنا . وقوله : ﴿ واتقوا الله ﴾ معناه اتقوا معاصيه وعقابه . وقوله : « ويعلمكم الله » معناه يعلمكم ما فيه صلاح دينكم ودنياكم وما ينبغي لكم فعله ، وما يحرم عليكم . والله عليم بذلك وبما سواه من المعلومات فذلك ، قال « بكل شيء عليم » .

الاعراب :

وقال أبو علي الفارسي « ان تفضل احداها فتذكر احداها الاخرى » لا يكون متعلقاً بقوله : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم » « ان تفضل احداها » ولكن يتعلق بأن يفعل مضمر دل عليه هذا الكلام ، لأن قوله : « فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان » يدل على قولك واستشهدوا رجلاً وامرأتين ، فتعلق (ان) إنما هو بهذا الفعل المدلول عليه . قال ويجوز أن تتعلق (ان) باحد ثلاثة أشياء .

أحدها - المضمر الذي دل عليه قوله : « واستشهدوا شهيدين » . الثاني - الفعل الذي هو فليشهد رجل وامرأتان . الثالث - الفعل الذي هو خبر المبتدأ ، وتقديره فرجل وامرأتان يشهدون ، فيكون يشهدون خبر المبتدأ . قال وقوله : « ممن رضون من الشهداء » فيه ذكر يعود إلى الموصوفين الذين هم « فرجل وامرأتان » ، ولا يجوز أن يكون فيه ذكر لشهيدين المتقدم ذكرهما لاختلاف إعراب الموصوفين ألا ترى أن شهيدين منصوبان ، ورجل وامرأتان اعرابهم الرفع ، فاذا كان كذلك علمت أن الوصف الذي هو ظرف إنما هو وصف لقوله : « فرجل وامرأتان » دون من تقدم ذكرهما من الشاهدين ، والشرط وجزاؤه وصف للمرأتين ، لأن الشرط ، والجزاء جملة يوصف بها كما يوصل بها في قوله : « الذين إن مكناهم الآية » (١) .

اللفظ :

وأما إحدى فهو مؤنث الواحد والواحد الذي مؤنثه إحدى إنما هو اسم وليس . بوصف ولذلك جاء إحدى على بناء لا يكون للصفات أبداً كما كان الذي هو مذكوره كذلك وقال أحمد بن يحيى قالوا : هو إحدى الاحد ، وواحد الاحدين وواحد الآحاد وأنشد :

عدوني الثعلب فيما عدوا حتى استثاروا في إحدى الأحد
ليثاً هزبراً ذا سلاح معتدى (١)

المعنى :

وقوله . (الا أن تكون تجارة حاضرة) استثناء من جملة ما أمر الله بكتابتها والاشهاد عليه عند التبائع فاستثنى منه يداً بيدٍ فإنه لا يحتاج إلى الكتابة ولا الاشهاد عليه ، والأول يحتاج إليه على خلاف ، في كونه ندباً أو وجوباً كما ذكرناه . وقيل في البقرة خمسمائة حكم وفي هذه الآية أربعة عشر حكماً أو لها قوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا تدايتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » والثاني - « وليكتب بينكم كاتب بالعدل » الثالث - « ولا يأب كاتب أن يكتب كما آمته الله والرابع - « وليلل الذي عليه الحق » وهو أقداره إذا أملاه . الخامس - « وليتق الله ربه ولا يبغض منه شيئاً » . أي لا يخون ، ولا ينقصه . السادس - « فان كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يعمل هو » أي لا يحسن « فليمل وليه بالعدل » السابع - « واستشهدوا شهيدين من رجالكم » والثامن - « فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تفضل احدهما فتذكر احدهما الاخرى » التاسع - « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » والعاشر - « ولا تساموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله » أي لا تضجروا . والحادي عشر - « ذلكم أفسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة

تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها « الثاني عشر - « واشهدوا إذا
تبايعتم « الثالث عشر - « ولا يضار كاتب ولا شهيد « الرابع عشر - « وإن
تعملوا فأنه فسوق بكم « وقال قوم : فيها إحدى وعشرون حكماً : « إذا تدايتم «
حكم « فاكتموه « حكم « ولا يبخص « حكم « فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً «
حكم « أو ضعيفاً « حكم « أو لا يستطيع « حكم « فليملل وليه « حكم « بالعدل «
حكم « واستشهدوا شهيدين « حكم « فرجل وامرأتان « حكم « ممن ترضون
من الشهداء « حكم « ولا ياب الشهداء « حكم « ولا تساموا « حكم « إلا أن
تكون تجارة حاضرة « حكم « واشهدوا إذا تبايعتم « حكم « ولا يضار كاتب «
حكم « ولا شهيد « حكم .
قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فليؤدِّ الَّذِي أَوْتِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ
وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فأنه آثمٌ قلبه وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ﴿ ٢٨٣ ﴾ آية بلا خلاف .

الفراءة واللفز :

قرأ أبو عمرو وابن كثير « فرهن » على وزن فعل . الباقيون « فرهان »
على فعال . الرهن مصدر رهنت الشيء . أرهنه رهناً وأرهنته إرهاناً . والأول أفصح .
قال الشاعر في أرهنت :

فلما خشيت أظافيره نجوت وأرهنته مالكا (١)

وقال الأزهري :

أرهنت في الشيء إذا سلفت فيه .

﴿ ١ ﴾ قيل إن البيت لهام بن مرة ، وفي الصحاح لعبد الله بن همام السلولي . اللسان
(رهن) وروايته (اظافيرم) بدل (اظافيره) . في المطبوعة (نحررت) بدل نجوت .

قال الشاعر :

عَيْدِيَّةٌ أُرْهَنْتُ فِيهَا الدَّنَانِيرَ (١)

وأرهننته إرتهاناً وتراهنوا تراهناء . وراهنه مراهنه واسترهنه استرهاناً .
والانسان رهين عمله . وكل شيء يخبس غيره فهو رهينة ومرتهنة . وأصل الباب الرهن :
حبس الشيء بما عليه وواحد الرهن رهان . وهو جمع الجمع نحو ثمار وثمر في قول
الكسائي ، والفراء . وقال أبو عبيدة : واحده رهن نحو سقف وسقف . وقيل
لا يعرف في الاسماء فعل وفعل غير هذين . وزاد بعضهم قلب النخلة وقلب . فأما
(رهان) فهو جمع رهن ، وهو على القياس نحو حبل وحبال ، وفعل وفعال ، وكبش
وكباش ، وإنما اختار أبو عمرو : فرهن لأنه موافق لخط المصحف ، ولغلبة
الاستعمال في الرهان في الخيل ، واختاره الزجاج أيضاً . ومن اختار (رهان)
فلا طراذه في باب الجمع . وكل حسن . وارتفع (فرهن) بأنه خبر ابتداء محذوف
تقديره فالوثيقة رهن ويجوز فعليه رهن . ولو قرئ « فرهنًا » بالنصب بمعنى فارتهنوا
رهناً جاز في العربية ، ولكن لم يقرأ به أحد . وشاهد الرهن قول قعنب بن أم
صاحب :

بانت سعاد وأسى دونها عدن وغلقت عندها من قبلك الرهن (٢)

المعنى :

ومن شرط صحة الرهن أن يكون مقبوضاً لقوله : « فرهان مقبوضة »
فإن لم يقبض لم ينعقد الرهن . ومسائل الرهن ذكرناها في النهاية والبسوط مستوفاة
فلا فائدة للتطويل بذكرها هنا . ويجوز أخذ الرهن في الحضر مع وجود الكاتب ،
لما روي أن النبي (ص) اشترى طعاماً نساء ورهن فيه درعاً . وقوله (ع) لا يغلط
الرهن . معناه أن يقول الراهن إن جئتك بفكاكه إلى شهر وإلا فهو لك بالدين .
وهذا باطل بلا خلاف .

« ١ » اللسان (عود) وصدرة : ظلت تجوب بها البلدان ناجية .

« ٢ » اللسان (رهن) .

وقوله : « ولا تكتموا الشهادة » يعني بعد تحملها « ومن يكتمها فإنه آثم قلبه » إنما أضاف إلى القلب مجازاً ، لأنه محل الكتمان ، وإلا فالآثم هو الحي .
وقوله : « فان آمن بمرضكم بعضاً » معناه ان آمنه فلم يقبض منه رهناً « فليؤد الذي أوتى من أمانته » يعني الذي عليه الدين « وليتق الله ربه » أن يظلمه أو يخونه « والله بما تعملون عليم » بما تسرونه وتكتمونونه .

ودل قوله : « فان آمن بمرضكم بعضاً » على أن الاشهاد والكتابة في المدينة ليس بواجب ، وإنما هو على جهة الاحتياط . وقد روي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وغيرهما « فان لم تجدوا كتاباً » يعني ما تكتبون فيه من طرس أو غيره . والمشهور هو الاول الذي حكيناه عن قراء أهل الامصار ، وحكي عن بعضهم أنه قرأ « فانه آثم قلبه » بالنصب فان صح فهو من قوهم : سفهت تمسك وأتمت قلبك .

قوله تعالى :

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٨٤) آية واحدة بلا خلاف .

الفرادة :

قرأ « فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » بالرفع عاصم ، وابن عامر على الاستئناف في قول المبرد . ويجوز أن يكون محمولا على تأويل « بحاسبكم » لأنه لو دخلته الفاء كان رفعاً ، فيكون فيه على هذا معنى الجواب . وقرأ الباقر على الجزم : علماً على « بحاسبكم » وهو جواب الشرط ، وكان يجوز أن يقرأ فيغفر بالنصب على مصدر الفعل الأول وتقديره إن يكن محاسبة ، فيغفر لمن يشاء .
وروي ذلك عن ابن عباس .

المعنى :

واللام في قوله : « الله » لام الملك ومعناه ان الله تصريف السماوات والأرض وتديرها لقدرته على ذلك وليس لأحد منعه منه وإنما ذكر قوله : ﴿ وإن تبسدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ﴾ لأن المعنى فيه كتمان الشهادة . ويحتمل أن يريد جميع الاحكام التي تقدمت في السورة . خوفهم الله من العمل بخلافها . وقال قوم هذه الآية منسوخة بقوله : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ (١) ورووا في ذلك خبراً ضعيفاً ، وهذا لا يجوز لأمرين :

أحدهما - أن الاخبار التي لا تتضمن معنى الأمر والنهي والاباحة لا يجوز نسخها ، وهذا خبر محض خال من ذلك .

الثاني - لا يجوز تكليف نفس ما ليس في وسعها على وجه ، فينسخ . ويجوز أن تكون الآية الثانية بينت الاولى وأزالت توهم من صرف ذلك إلى غير وجهه ، فلم يضبط الرواية فيه ، وظن أن ما يخطر للنفس أو تحدث نفسه به مما لا يتعلق بتكليفه فان الله يؤاخذ به . والأمر بخلاف ذلك ، وإنما المراد بالآية ما يقنأوله الأمر والنهي من الاعتقادات والارادات وغير ذلك مما هو مستور عنا . فأما ما لا يدخل في التكليف فخارج عنه لدلالة العقل . ولقوله (ع) تجوز لهذه الأمة عن نسيانها وما حدثت به أنفسها . وقوله : ﴿ فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ معناه من يستحق العقاب بأنه إن شاء عاقبه ، وإن شاء غفرا عنه . وذلك يقوَّى جواز العفو عقلاً ، وإنما يقطع على عقاب بعض العصاة لدليل ، وهم الكفار - عندنا - فأما من عداهم فلا دليل يقطع به على أنهم معاقبون لا محالة . والآيات التي يستدلون بها نبيين الوجه فيها إذا انتهينا إليها إن شاء الله .

قوله تعالى :

﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن

بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا
 سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ آية .

الفراة :

قرأ حمزة والكسائي وخلف « وكتابه » : الباقون « وكتبه » على الجمع فمن
 وتحد احتمال وجهين :
 أحدهما - أن يكون أراد به القرآن لا غير . والثاني - أن يكون أراد جنس
 الكتاب ، فيوافق قراءة من قرأ على الجمع في المعنى . وقرأ يعقوب « لا يفرق »
 بالياء رداً على الرسول حسب . الباقون بالنون رداً على الرسول والمؤمنين وهذا
 أليق بسياق الآية .

المعنى والاعراب :

وقوله : ﴿ لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ معناه يقولون ذلك على الحكاية كما
 قال « والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا » (١) أي يقولون اخرجوا . والمعنى إنا
 لا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعض ، كما فعل اليهود ، والنصارى . وقوله : « سمعنا
 وأطعنا » تقديره سمعنا قوله وأطعنا أمره وقبلنا ما سمعنا ، لأن من لا يقبل ما يسمع
 يقال له أصم كما قال تعالى ﴿ صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ (٢) وإنما حذف لدلالة
 الكلام عليه لأنهم مدحوا به ، وكان اعترافاً منهم بما يلزمهم مثل ما قبله . وقوله :
 « غفرانك » نصب على أنه نزل من الفعل للأخوذ منه كأنه قيل : اللهم اغفر لنا
 غفرانك فاستغنى بالمصدر عن الفعل في الدعاء فصار بدلاً منه معاقباً له . وقال بعضهم
 معناه نسألك غفرانك والاول أقوى ، لأنه على الفعل الذي أخذ منه أولى من حيث
 كان يدل عليه بالتضمن نحو (حمداً وشكراً) أي أحمد حمداً ، وأشكر شكراً .

وأجاز الزجاج والفراء غفرانك بالرفع بمعنى غفرانك بغيتنا وأنشد الزجاج :
 ومن يغترب عن قومه لا يزل يرى مصارع مظلوم مجراً ومسحبا
 وتدفن منه الصالحات وإن يسيء يكن ما أساء النار في رأس ككببا (١)
 وقوله : ﴿ وإليك المصير ﴾ معناه وإلى جزائك المصير فجعل مصيرهم إلى جزائه
 مصيراً إليه كقول إبراهيم : « إني ذاهب إلى ربي سيهدين » (٢) ومعناه إلى
 نواب ربي أو إلى ما أمرني به ربي .
 قوله تعالى :

﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
 ربنا لا تؤاخذنا إن كسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما
 حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف
 عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾
 (٢٨٦) آية .

المعنى :

في هذه الآية دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة في تجويزهم تكليف الله
 العبد ما لا يطيقه لأنه صريح بأنه لا يكلفهم إلا ما يطيقونه لأن الوسع هو ما يتسع
 به قدرة الانسان وهو فوق المجهود واستفراغ القدرة . يقول القائل : ليس هذا

﴿ ١ ﴾ البيهقي للاعشى ديوانه ١١٣ رقم القصيدة ١٤ . واللسان (ككب) وفي الديوان
 هكذا :

من يغترب عن قومه لا يجده على من له رهط حوالبه مفضبا
 ويحطم يحطم لا يزال يرى له مصارع مظلوم مجراً ومسحبا
 وتدفن منه
 بحر ومسحوب مصدر ميمي من جر وسحب . ككب : جبل .
 ﴿ ٢ ﴾ سورة الصافات آية : ٩٩ .

في وسعي . أي لا أقدر عليه وإن قدرتي لا تتسع لذلك . ومن قال : معناه لا يكلف الله نفساً إلا ما يجل لها من قوتهم لا يسمعك هذا أي لا يجل لك أن تفعله كان ذلك خطأ ، لأن رجلاً لو قال لعبده : أنا لا آمرك إلا بما أطلقت لك أن تفعله كان ذلك خطأ وعبياً ، لأن نفس أمره اطلاق . وكأنه قال : أنا لا أطلق لك إلا ما أطلق . ولا آمرك إلا بما آمرك . وقوله : « لها ما كسبت » معناه لها ثواب ما كسبت من الطاعات وعليها جزاء ما كسبت من المعاصي والقبائح . ويجوز أيضاً أن يسمى الثواب والعقاب كسباً من حيث حصل بالكسبه . وقوله : ﴿ لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ إنما جاز الرغبة إليه تعالى في ذلك وإن علمنا أنه لا يؤاخذ بذلك ، ولم يجوز أن يقول : لا تجر علينا لأمرين أحدهما - أن قوله : لا تجر علينا يدل على تسخط الداعي ، وليس كذلك « لا تؤاخذنا إن نسينا » لأن الانسان قد يتعرض للنسيان ، فيقع منه الفعل الذي فيه جناية على النفس ، ويحسن الاعتذار بالنسيان ، فيجري الدعاء مجرى الاعتذار إذا قال العبد لسيدته لا تؤاخذني بكذا فإني نسيت ، فلحسن الاعتذار حسن الدعاء به . والثاني - « إن نسينا » . بمعنى تركنا لشبهة دخلت علينا .

والنسيان بمعنى الترك معروف . نحو قوله : « نسوا الله فنسيهم » (١) أي تركوا عبادته ، فترك نوابهم . وقال الجبائي معناه ما تركناه لخطأ في التأويل واعتقدنا صحته لشبهة وهو فاسد . فأما لا تجر علينا ، فلا يقال إلا لمن اعتيد منه الجور ، ولا يجوز أن يؤاخذ أحد أحداً بما نسيه عند أكثر أهل العدل إلا ما يحكى عن جعفر بن ميسر من أن الله تعالى يؤاخذ الانبياء بما يفعلونه من الصغائر على وجه السهو والنسيان لعظم اقدارهم . وقال كان يجوز أن يؤاخذ الله العبد بما يفعله ناسياً أو ساهياً ، ولكن تفضل بالعمو في قوله : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ ذكر ذلك البلخي ، وهذا غلط ، لأنه كما لم يجوز تكليف فعله ولا تركه لم

يجز أن يؤخذ به ، ولا يشبه ذلك المتولد الذي لا يصح تكليفه بعد وجود سببه ، لأنه يجوز أن يتعمده بأن يتعمد سببه ، وليس كذلك ما يفعله على جهة السهو والسيان .

اللغة ، والمعنى :

وقوله : ﴿ ولا تحمل علينا إصرا ﴾ قيل في معنى الاصر قولان : أحدهما - لا تحمل علينا عهداً فنعجز عن القيام به . ذهب إليه ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد .

الثاني - قال الربيع ، ومالك : معناه لا تحمل علينا ثقلاً والاصر في اللغة الثقل قال النابغة :

يامانع الضيم إن يغشى سراهم والحامل الاصر منهم بعد ما غرقوا (١)
وكما عطفك على شيء ، فهو إصر من عهد أو رحم ، وجمعه إصار . تقول
أصره يصره إصرأ . والاسم الاصر قال الخطيب :

عطفوا عليّ بغير آ صرة فقد عظم الاواصر (٢)
وقال النابغة :

ايا بن الحواضن والحاضنات أينقض أصرك حالا فخالا (٣)
أي عهدك . والايصر : حبل قصير يشد به أسفل الخباء إلى وتد لأنه يعطف به . والاصرة : صلة الرحم للعطف بها والماصر حبل على طريق أو نهر تحبس به السفن أو السابلة لتؤخذ منهم العشور وكلاً آصر أي يحبس من ينتهي إليه لكثرة . والاصار : كساء يجتث فيه الحشيش . وأصل الباب العطف ، فالاصر : الثقل لأنه يعطف حامله بثقله عليه . وقوله : ﴿ لا تحملنا مالا طاقة لنا به ﴾ قيل

« ١ » في المطبوعة (يامانم) بدل (يامانم) و (والحامل) بدل (والحامل) .

« ٢ » اللسان (أصر) .

« ٣ » في المطبوعة (انقض) بدل (اينقض) .

فيه قولان :

أحدهما - ما يثقل علينا من نحو ما كلف بني إسرائيل من قتل أنفسهم وبتيه أربعين سنة وغير ذلك كما يقول القائل لا أطيق أنظر إلى فلان ولا أسمع كلامه .
 الثاني - مالا طاقة لنا به من العذاب في دار الدنيا . وقوله ﴿ أنت مولانا ﴾ معناه أنت ولينا أي أولى بالتصرف فينا ، وقال الحسن هذا على وجه التعليم للدعاء ، ومعناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا . والثاني - أنه على وجه الحكاية أي يقولون ربنا . والفرق بين أخطأ وخطئ . أن أخطأ قد يكون على وجه الانم ، وغير الانم فأما خطئ ، فأنم لا غير قال الشاعر :

والناس يلحون الامير إذا هم خطئوا الصواب ولا يلام المرشد (١)

« ١ » قاله عبيدة بن الارص الاسدي . ديوانه : ٥٤ ، وحاشية البحري : ٢٣٦ ،
 واللسان (أمر) ورواية الديوان :
 والناس يلحون الامير اذا غوي خطب الصواب ولا يلام المرشد

سورة آل عمران

مائتا آية في الكوفي

روي عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وجميع المفسرين أن هذه السورة مدنية وقيل إن من أولها إلى راس نيف وستين آية نزلت في قصة وفد نجران لما جاؤا يحاجون النبي (ص) في قول ابن اسحق والريعم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ألم (١) الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ (٢) آيتان في

الكوفي وآية واحدة في ما عداه .

الفراة واللفظ :

وقرأ أبو جعفر والاعشى والبرجمي (ألم) بسكون الميم (الله) بقطع الهمزة وقرأ عمر بن الخطاب « الحي القيوم » وهي لغة أهل الحجاز . ويقولون في الصواع صِاع . الباقيون (قيوم) وإنما فتحت الميم من (ألم الله) لأحد أمرين : أحدهما - استثقالاً للكسر بعد الياء الساكنة ، فصرف إلى الفتح ، لأنه أخف كما فعلوا في (كيف) (وأين) . وقال الزجاج ، والفراء : ألقي عليها حركة الهمزة وهي الفتحة من قولك : الله . وقال المبرد : هذا لا يجوز لأنها ألف وصل تسقط في الدرج ، فلا يجوز ذلك كما لا يجوز في (إن الكافرون) الفتح على النباء .

حركة الهمزة . قال الفراء : والفرق بين ذلك وبين الهجاء أنه لما كان ينوي به الوقف قوي بما بعده الاستيناف ، فكانت الهمزة في حكم الثبات كما كانت في انصاف البيوت . نحو قول الشاعر :

ولا يبادر في الشتاء وليدني القدر تنزلها بغير جمال (١)

وأجاز الأحنش الكسر ، وخالفه الزجاج ، وقال : لا يجوز لأن قبل الهمزة ياء ساكنة قبلها كسرة ، فلم يجز غير الفتح ، كما لا يجوز في كيف . ويمكن الفرق بينهما بأن كيف موصولة وهذا مفصول جاز أن ينوي به الوقف . وقد بينا معنى (الله) وهو أنه الذي تحق له العبادة .

اللفظ والمعنى :

وقوله : ﴿ لا إله إلا هو ﴾ معناه لا تحق العبادة لسواه ، وإنما كان كذلك لأنه الذي يقدر على أصول النعم التي يستحق بها العبادة ، ولأن نعمة كل منعم فرع على نعمه ، فصار لا تحق العبادة لسواه . و﴿ الحي ﴾ هو الذي لا يستحيل لما هو عليه من الصفة كونه عالماً قادراً . قال الرماني : والعالم : مدرك لمعلومه والمدرك هو المتبين للشيء على ما هو به من أي وجه صح تبينه ، فالرأي مدرك وكذلك العالم إلا أنه قد كثرت صفة الإدراك على ما طريقه الاحساس من العباد ، وهذا القول منه يدل على أنه كان يذهب مذهب البعداديين : في أن وصف القديم بأنه مدرك يرجع إلى كونه عالماً من أن يكون له صفة زائدة . وهذا بخلاف مذهب شيخه أبي علي ، والبصريين . « والقيوم » قيل في معناه قولان :

أحدهما - القائم بتدبير عباده في ما يضرهم وينفعهم ، وهو قول مجاهد ، والزبيعي ، والزجاج ، بدلالة قوله . « قائماً بالقسط » (٢) و « قائم على كل نفس بما كسبت » (٣) .

« ١ » اللسان (جعل) في المطبوعة (وليدنا) بدل (وليدني) الجمال ، والجمالة - بضم الجيم وكسرة - ما تنزل به القدر من خرقه وغيرها ، والجم جعل مثل كتاب وكتب .
« ٢ » سورة آل عمران آية : ١٨ . « ٣ » سورة الرعد آية : ٣٥ .

الثاني - حكى عن محمد بن جعفر بن الزبير ، واختاره الجبائي أنه الدائم .
وأصل الوصف بقيوم الاستقامة . فعلى قول مجاهد يكون لاستقامة التدبير ، وعلى
القول الآخر لاستقامة الصفة بالوجود من حيث لا يجوز عليه التغيير بوجه من
الوجوه كما يجوز على ما يحول ويتبدل . وتقول هذا معنى قائم في النفس أي
موجود على الاستقامة دون الاضطراب . وأصل « قيوم » قيوم على وزن فيعمل
فقلبت الواو الأولى ياء ، لأن ما قبلها ياء ساكنة ، وأدغمت نحو سيد وميت .
ولا يجوز أن يكون وزنه فعولا لأنه لو كان كذلك لكان قووما ، فوصف الله تعالى
بالحي القيوم يتضمن أنه يستحق العبادة من حيث أن هذه الصفة دلت على أنه
القادر على ما يستحق به العبادة دون غيره ، لأن صفة قيوم صفة مبالغة لا تجوز
إلا لله على المعنيين معاً من معنى الموجود أو [القائم على] عموم الخلق بالتدبير .

قوله تعالى :

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ

التوراة والإنجيل ﴾ (٣) آية .

قيل في معنى قوله : « نزل عليك الكتاب بالحق » وجهان :

أحدهما - بالصدق في أخباره وجميع دلالاته التي تقوم مقام الخبر في تعلقها
بمدلولها على ما هو به ، ففي جميع ذلك معنى التصديق .

والثاني - بالحق أي بما توجبه الحكمة من الانزال كما أتى بما يوجبه الحكم
من الارسال وهو حق من الوجهين . وقوله : ﴿ مصدقاً لما بين يديه ﴾ نصب على
الحال ومعناه لما قبله من كتاب أو رسول في قول مجاهد وقتادة والربيع وجميع
المفسرين . وإنما قيل لما قبله لما بين يديه ، لأنه ظاهر له كظهوره لما بين يديه .
وقيل في معنى « مصدقاً » ههنا قولان :

أحدهما - « مصدقاً لما بين يديه » وذلك لموافقته ما تقدم الخبر به وفيه آية
تدل على صحة نبوة النبي (ص) من حيث لا يكون ذلك إلا من عند علام الغيوب .

الثاني - مصدقاً أنه يخبر بصدق الانبياء في ما أتوا به خلاف من يؤمن ببعض، ويكفر ببعض . والنوراة مأخوذة من وريت بك زنادي إذا ظهر به الخبير كما يتقدح بالزناد النار فالاصل الظهور ، فهي تورية لظهور الحق . وقيل في وريها أقوال : أحدها - قال البصريون تورية فوعلة فقلبت (الواو) الأولى (تاء) لئلا يجتمع واوان في أول الكلمة نحو حوقلة ودوخلة . والثاني - قال الكوفيون : تفعلة على وزن ثقلة وثقلة ، وهو قليل جداً لا يكاد يعرف تفعلة في الكلام . الثالث - قال بعضهم هو تفعلة إلا أنه صرف إلى الفتح استثناءً للكسر في المعتل وهو بناء يكثر نحو توفية وتوقية وتوصية ، وما أشبه ذلك . قال الزجاج : وهذا ردي لأنه يجبي . منه في توفية توفاة وهذا لا يجوز . والانجيل مأخوذ من النجل ، وهو الاصل وقال الزجاج وزنه أفعيل من النجل باجماع أهل اللغة فسمي انجيلاً لأنه أصل من أصول العلم .

قوله تعالى :

﴿ مِنْ قَبْلِ مُهْدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ لِمَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ (٤) .

المعنى :

قوله : « من قبل » أي من قبل إنزال الكتاب فلما قطعه عن الاضافة نبأه على الضم . وقوله : « هدى للناس » أي بياناً ودلالة لهم ، وفي ذلك دلالة على أن الله تعالى هدى الكافر إلى الايمان ، كما هدى المؤمن بقوله « للناس » ، بخلاف ما تقوله المجبرة : إن الله ما هدى الكافر . وموضع (هدى) نصب على الحال من الكتاب وقوله : ﴿ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ يعني به القرآن وإنما كرر ذلك لما اختلفت دلالات صفاته وإن كانت لموصوف واحد لأن لكل صفة منها فائدة غير الأخرى لأن الفرقان هو الذي يفرق به بين الحق والباطل فيما يحتاج إليه من أمور الدين في الحجج ،

والاحكام ، وذلك كله في القرآن وقيل أراد بالفرقان النصر ووصفه بالكتاب يفيد ان من شأنه أن يكتب . وقد بينا لذلك نظائر في الشعر وغيره في ما تقدم . وقوله : ﴿ إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد ﴾ قرن بالوعيد لما بين الله الحجاج الدالة على توحيده ، وصفاته : أعقب ذلك بوعيد من يخالف في ذلك ويحجده ليتكامل به التكليف . وقوله : ﴿ والله عزيز ذو انتقام ﴾ معناه أنه قادر لا يتمكن أحد من منعه من عذاب من يريد عذابه لأنه « عزيز ذو انتقام » وإنما كان منيعاً لأنه قادر لنفسه لا يعجزه شيء .

اللفظ :

وأصل الاعزاز الامتناع ، ومنه أرض عزاز ممتنعة السكون لصعوبتها ، ومنه قولهم من عز ، بز : أي من غلب سلب لأن الغالب يمتنع من الضيم ، والنقمة ، العقوبة : نقم ينقم نقماً ونقمة ويقال نقت ، ونقت عليه أي أردت له عقوبة ، وانتقم منه انتقاماً أي عاقبه عقاباً وأصل الباب : العقوبة . ومنه النعمة خلاف النقمة .

قوله تعالى :

﴿ إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ (٥) آية .

المعنى :

لما ذكر الله تعالى الوعيد على الاخلال بمعرفته مع نصب الادلة على توحيده وصفاته اقتضى أن يذكر أنه لا يخفى عليه شيء في الارض ، ولا في السماء ، فيكون في ذلك تحذير من الاغترار بالاستسرار بمعصيته ، لأن المجازي لا تخفى عليه خافية ، فخرى ذلك موصولاً بذكر التوحيد في أول السورة ، لأنه من الصفات الدالة على

مالاتحق إلا له . فإن قيل لم قال : ﴿ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ ولم يقل لا يخفى عليه شيء على وجه من الوجوه إذ كان أشد مبالغة ؟ قيل : ليعلمنا أن الغرض علم ما يستسر به في الأرض أو في السماء . ولأن الافصاح بذكر ذلك أعظم في النفس وأهول في الصدر مع الدلالة على أنه عالم بكل شيء إلا أنه على وجه التصرف في العبارة عن وجوه الدلالة . فإن قيل : لم قال « لا يخفى عليه شيء » ولم يقل عالم بكل شيء في الأرض والسماء ؟ قيل لأن الوصف بأنه « لا يخفى عليه شيء » يدل على أنه يعلمه من كل وجه يصح أن يعلم منه مع ما فيه من التصرف في العبارة ، وإنما قلنا ؛ لا يخفى عليه شيء من حيث كان عالماً لنفسه . والعالم للنفس يجب أن يعلم كل ما يصح أن يكون معلوماً . وما يصح أن يكون معلوماً لا نهاية له ، فوجب أن يكون عالماً به وإنما يجوز أن يعلم الشيء من وجه دون وجه ، ويخفى عليه شيء من وجه دون وجه من كان عالماً بعلم يستفيده : العلم حالاً بعد حال . فأما من كان عالماً لنفسه ، فلا يجوز أن يخفى عليه شيء بوجه من الوجوه .

قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَإِلَٰهَ إِلَّا هُوَ السَّعْرِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٦) آية واحدة .

اللفظ :

التصوير : جعل الشيء على صورة لم يكن عليها . والصورة : هيئة يكون عليها الشيء بالتأليف . والفرق بين الصورة والصيغة أن الصيغة : عبارة عما وضع في اللغة لتدل على أمر من الأمور ، وليس كذلك الصورة ، لأن دلالتها على جعل جاعل قياسية . والارحام : جمع رحم وأصله : الرحمة ، وذلك لأنها مما يترحم به ويتعاطف يقولون : وصلتك رحم . وأصل الصورة : الميل يقولون صاره يصوره : إذا أماله ، فهي صورة لأنها مائلة إلى بذية بالشبه لها .

المعنى :

وقوله ﴿ كيف يشاء ﴾ معناه كيف يريد والمشيئة هي الارادة ومعنى « يصوركم في الارحام كيف يشاء » من ذكر أو أنثى أو أبيض أو أسود أو تام أو ناقص إلى غير ذلك ما يختلف به الصور ، وفيه حجة على النصارى في ادعائهم إلهية المسيح وذلك أن الله تعالى صوره في الرحم كما شاء ، فهو لذلك عبد مربوب وقوله : ﴿ لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ معناه أنه تعالى لما ذكر ما يدل عليه من قوله : ﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ ذكر الدليل والمدلول عليه وإنما ذكر « العزيز الحكيم » تحذيراً بعد ذكر الدليل ليعلم أنه عزيز لا يتهاون لأحد منعه من عقوبة من يريد عقابه حكيم في فعل العقاب وفي جميع أفعاله .

قوله تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ مِنْهُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٧).

المعنى :

قوله : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب ﴾ يعني القرآن ﴿ منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ فالمحكم هو ما علم المراد بظاهره من غير قرينة تقترن إليه ولا دلالة تدل على المراد به لوضوحه ، نحو قوله : « إن الله لا يظلم

الناس شيئاً» (١) وقوله: «لا يظلم مثقال ذرة» (٢) لأنه لا يحتاج في معرفة المراد به إلى دليل. والمتشابه: مالا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد منه. نحو قوله: «وأضله الله على علم» (٣) فإنه يفارق قوله: «وأضلهم السامري» (٤) لأن اضلال السامري قبيح وإضلال الله بمعنى حكاه بأن العبد ضال ليس قبيح بل هو حسن. واختلف أهل التأويل في المحكم، والمتشابه على خمسة أقوال:

فقال ابن عباس: المحكم الناسخ، والمتشابه المنسوخ.

الثاني - قال مجاهد: المحكم ما لا يشتهبه معناه، والمتشابه ما اشتبهت معانيه. نحو قوله: «وما يضل به إلا الفاسقين» (٥) ونحو قوله: «والذين اهدوا زادهم هدى» (٦).

الثالث - قال محمد بن جعفر بن الزبير، والجبائي: إن المحكم مالا يحتمل إلا وجهاً واحداً، والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعداً.

الرابع - قال ابن زيد: إن المحكم: هو الذي لم تتكرر ألفاظه. والمتشابه هو المتكرر الألفاظ.

الخامس - ما روي عن جابر أن المحكم: ما يعلم تعيين تأويله، والمتشابه مالا يعلم تعيين تأويله. نحو قوله: «يسألونك عن الساعة أيان مرساها» (٧).

وقوله: «هن أم الكتاب» معناه أصل الكتاب الذي يستدل به على المتشابه، وغيره من أمور الدين. وقيل في توحيد أم الكتاب قولان: أحدهما - أنه قدر تقدير الجواب على وجه الحكاية كأنه قيل: ما أم الكتاب؟ فقيل هن أم الكتاب كما يقال: من نظير زيد؟ فيقال: نحن نظيره. الثاني - أن يكون ذلك

«١» سورة يونس آية: ٤٤ . «٢» سورة النساء آية: ٣٩ .

«٣» سورة الجاثية آية: ٢٢ . «٤» سورة طه آية: ٨٥ .

«٥» سورة البقرة آية: ٢٦ . «٦» سورة محمد آية: ١٧ .

«٧» سورة الاعراف آية: ١٨٦ ، وسورة النازعات آية: ٤٢ .

مثل قوله : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية » (١) بمعنى الجميع آية ولو أريد أن كل واحد منهما آية على التفصيل ، لقليل آيتين . فان قيل : لم أنزل في القرآن المتشابه ؟ وهلا أنزله كله محكماً ! قيل للبحث على النظر الذي يوجب العلم دون الاتكال ، على الخبر من غير نظر ، وذلك أنه لو لم يعلم بالنظر أن جميع ما يأتي به الرسول حق يجوز أن يكون الخبر كذباً ، وبطلت دلالة السمع ، وفائدته ، فلحاجة العباد إلى ذلك من الوجه الذي بيناه ، أنزل الله متشابهاً ، ولولا ذلك لما بان منزلة العلماء ، وفضلهم على غيرهم ، لأنه لو كان كله محكماً لكان من يتكلم باللغة العربية عالماً به ، ولا كان يشتهبه على أحد المراد به فيتساوى الناس في علم ذلك ، على أن المصلحة معتبرة في انزال القرآن ، فما أنزله متشابهاً لأن المصلحة اقتضت ذلك ، وما أنزله محكماً فمثل ذلك . والمتشابه في القرآن يقع فيما اختلف الناس فيه من أمور الدين : من ذلك قوله تعالى « ثم استوى على العرش » (٢) فاحتمل في اللغة أن يكون كاستواء الجالس على السرير واحتمل أن يكون بمعنى الاستيلاء نحو قول الشاعر :

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق (٣)

وأحد الوجهين لا يجوز عليه تعالى لقوله : « ليس كمثل شيء » (٤)

وقوله « لم يكن له كفواً أحد » .

والآخر يجوز عليه ، فهذا من المحكم الذي يرد إليه المتشابه . ومن ذلك قوله :

« ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به » (٥) فاحتمل ظاهره تكليف المشاق ، واحتمل

تكليف ما لا يطاق وأحدهما لا يجوز عليه تعالى « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » (٦)

« ١ » سورة المؤمنون آية : ٥١ .

« ٢ » سورة الاعراف آية : ٥٣ ، وسورة يونس آية : ٣ ، وسورة الفرقان آية : ٥٩ ،

وسورة ألم السجدة آية : ٤ ، وسورة الحديد آية : ٤ .

« ٣ » مر تخریجہ فی ١ : ١٢٥ .

« ٤ » سورة الشورى آية : ١١ . « ٥ » سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

« ٦ » سورة البقرة آية : ٢٨٦ ، وسورة الطلاق آية : ٧ .

فرددنا إليه المتشابه ومن ذلك قوله : « قل كل من عند الله » (١) فرددناه إلى المحكم الذي هو قوله : « ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » (٢) ومن ذلك قوله : « وما تشاؤون إلا أن يشاء الله » (٣) متشابه ، وبين المراد بالمحكم الذي هو قوله : « وما الله يريد ظلعاً للعالمين » (٤) ومن ذلك اعتراض الملحدين في باب النبوة بما يؤهم المناقضة كقوله : ﴿ قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ (٥) فقال اليومان والأربعة واليومان ثمانية ثم قال « هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام » فأوهما أن ذلك مناقضة وليس الأمر على ما ظنوه لأن ذلك يجري مجرى قول القائل : سرنا من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام وسرنا إلى الكوفة في خمسة عشر يوماً فالعشرة داخلة في الخمسة عشر ولا يضاف فيقال : عشرة ، وخمسة عشر خمسة وعشرون يوماً كما في السير ، فكذلك خلق الله الأرض في يومين وقضاهن سبع سموات في يومين وتم خلقهن في ستة أيام . وتقديره خلق الأرض في يومين من غير تتميم وجعل فيها رواسي وما تم به خلقها في أربعة أيام فيها اليومان الأولان كما يقال : جعل الدور في شهرين وفرغ منهن في أربعة أشهر . فيكون المحكم قد أبان عن معناه أنه على جهة خلق الأرض في يومين من غير تتميم ، وليس على وجه التضاد على ما ظنوه .

فإن قيل : كيف يكون المحكم حجة مع جواز تقييده بما في العقل ؟ وفي ذلك إمكان كل مبطل أن يدعيه فتذهب فائدة الاحتجاج بالمحكم ؟ قلنا : لا يجب ذلك من قبل أن التقييد بما في العقل إنما يجوز فيما كان رداً إلى تعارف من جهة

﴿ ١ ﴾ سورة النساء آية : ٧٧ . ﴿ ٢ ﴾ سورة آل عمران آية : ٧٨ .

﴿ ٣ ﴾ سورة التكاوير آية : ٢٩ ، وسورة النمر آية : ٣٠ .

﴿ ٤ ﴾ سورة آل عمران آية : ١٠٨ . ﴿ ٥ ﴾ سورة حم السجدة آية : ٩ - ١٢ .

العقول دون مالا يتعارف في العقول بل يحتاج إلى مقدمات لا يتعارفها العقلاء من أهل اللغة ، والمراعى في ذلك أن يكون هناك تعارف من جهة العقل تقتضيه الحكمة دون عادة أو تعارف شيء لأن الحججة في الأول دون الثاني ، ومن جهة التباس ذلك دخل الغلط على كثير من الناس .

فان قيل : كيف عدتّم من جملة المحكم قوله : « ليس كمثل شيء » مع الاشتباه فيه بدخول الكاف ؟ قلنا إنما قلنا أنه محكم لأن مفهومه ليس مثله شيء على وجه من الوجوه دون أن يكون عند أحد من أهل التأويل ليس مثل مثله شيء ، فدخول الكاف وإن اشتبه على بعض الناس لم دخلت فلم يشتبه عليه المعنى الأول الذي من أجله كان محكماً . وقد حكينا فيما مضى عن المرتضى (ره) علي بن الحسين الموسوي أنه قال : الكاف ليست زائدة وإنما نفي أن يكون لمثله مثل فإذا ثبت ذلك علم أنه لا مثل له ، لأنه لو كان له مثل لكان له أمثال ، فكان يكون لمثله مثل ، فإذا لم يكن له مثل مثل دل على أنه لا مثل له غير أن هذا تدقيق في المعنى ، فتصير الآية على هذا متشابهة ، لأن ذلك معلوم بالادلة . وقد يكون الشيء محكماً من وجهه ومتشابهاً من وجه كما يكون معلوماً من وجه ، ومجهولاً من وجه ، فتصح الحججة به من وجه المعلوم دون المجهول .

الاعراب :

و(آخر) لا ينصرف لأنه معدول عن الالف واللام وهو صفة . وقال الكسائي : لأنه صفة . قال المبرد : هذا غلط ، وقال (لُبْد) صفة وكذلك (حُطْم) وهما منصرفان قال الله تعالى « أهلكت مالا لبدا » (١) وحكي عن أبي عبيدة أنه قال : لم يصرفوا (آخر) لأن واحده لا ينصرف في معرفة ولا نكرة . قال المبرد : وهذا غلط ، لأنه يلزم أن لا يصرف غضاباً وعطاشاً ، لأن واحده غضبان وعطشان . وهو لا ينصرف .

اللفظ والمعنى :

وقوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ يعني ميل يقال : أزاغته الله إزاغة أي أماله إمالة قال تعالى ﴿ فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ﴾ (١) ومنه قوله : « لا ترغ قلوبنا » (٢) والزايغ التمايل في الاسنان . والمعنى إن الذين في قلوبهم ميل عن الحق اما بشك أو جهل فان كليهما زايغ « يتبعون ما تشابه منه » ومعناه يحتجون به في باطلهم « ابتغاء الفتنة » ومعناه طلباً للفتنة « وابتغاء تأويله » والتأويل : التفسير وأصله المرجع ، والمصير من قولهم : آل أمره إلى كذا يؤول أولاً : إذ صار إليه . وأولته تأويلاً إذا صيرته إليه . وقوله : « وأحسن تأويلاً » (٣) قيل معناه أحسن جزاء ، لأن أمر العباد يؤول إلى الجزاء . وأصل الباب : المصير « وما يعلم تأويله » يعني تفسيره « إلا الله والراسخون في العلم » يعني الثابتون فيه تقول : رسخ الشيء رسوخاً إذا ثبت في موضعه . وأرسخته إرساخاً ، كما أن الخبر يرسخ في الصحيفة ، ورسخ الغدير إذا ذهب ماؤه ، فنضب ، لأنه ثبت وحده من غير ماء ، وأصل الباب الثبوت .

النزول :

وقال الربيع : نزلت هذه الآية في وفد نجران ، لما حاجوا النبي (ص) في المسيح ، فقالوا : أليس هو كلمة الله وروح منه ؟ فقال بلى ، فقالوا : حسبنا ، فأنزل الله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ ثم أنزل ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ (٤) وقال قتادة : بل كل من احتج بالمتشابه لباطله ، داخل فيه ، فمنهم الحرورية والسبائية ، وغيرهم .

﴿ ١ ﴾ سورة الصف آية : ٥ . ﴿ ٢ ﴾ سورة آل عمران آية : ٨ .

﴿ ٣ ﴾ سورة النساء آية : ٥٨ ، وسورة الاسرى آية : ٣٥ .

﴿ ٤ ﴾ سورة آل عمران آية : ٥٩ .

المعنى والاعراب اللفظ :

وقوله : « ابتغاء الفتنة » قال السدي : الفتنة ههنا الشرك . وقال مجاهد : الملبس . وقيل الضلال عن الحق ، وهو أهم فائدة . وأصل الفتنة : التخليص من قولهم فتنت الذهب بالنار : إذا أخلصته ، فالذي يبتغي الفتنة ، يبتغي التخليص إلى الضلال بما يورده من الاشياء . وقوله : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ قيل في معناه قولان : أحدهما - ما يعلم تأويل جميع المتشابه « إلا الله » ، لأن فيه ما يعلم الناس ، وفيه مالا يعلمه الناس من نحو تعيين الصغيرة عند من قال بها ، ووقت الساعة ، وما بيننا وبينها من المدة . هذا قول عائشة ، والحسن ، ومالك ، واختاره الجبائي ، وأكثر المتأولين . وعندهم أن الوقف على قوله « إلا الله » ويكون قوله : « والراسخون في العلم يقولون آمنا به » مستأنفاً والتأويل على قولهم : معناه المتأول ، كما قال تعالى « هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله » يعني الموعود به . والوجه الثاني - ما قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والربيع « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم » يعلمونه قائلين آمنا كما قال الشاعر :

والريح تبكي شجوة والبرق يلعب في الغمامة

يعني والبرق أيضاً يبكيه لامعاً في غمامة . وقوله : ﴿ كل من عند ربنا ﴾ حذف المضاف من « كل » عند البصريين ، لأنه اسم دال على المضاف كثير في الكلام فلا يجوزون « إنا كل فيها » على الصفة ويجوز الكوفيون ، لأنه إنما حذف عندهم لدلالته على المضاف فقط إسماعاً كان أو صفة . وإنما بني قبل على الغاية ، ولم يبن كل ، وإن حذف من كل واحد منهما المضاف ، لأن قبل ظرف يعرف ، وينكر ، ففرق بين ذلك بالبناء الذي يدل على تعريفه بالمضاف ، والاعراب الذي يدل على تنكيره بالانفصال ، وليس كذلك كل لأنه معرفة في الافراد دون نكرة فأما (ليس غير) فشبّه بحسب لما فيه من معنى الأمر .

وقوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَدًّا إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٨) آية .

المعنى :

هذه حكاية عن الراسخين في العلم الذين ذكروهم في الآية الاولى ، القائلين
« آمنا به كل من عند ربنا » القائلين « ربنا لا تزغ قلوبنا » وقيل في معنى
لا تزغ قلوبنا قولان :

أحدهما - « لا تزغ قلوبنا » عن الحق بمنع اللطف الذي يستحق معه أن
تنسب قلوبنا إلى الزيف . والثاني - قال أبو علي معناه لا تزغ قلوبنا عن الثواب بعد
أن دعوتنا إليه ودللتنا عليه ، ولا يجوز أن يكون المراد لا تزغ قلوبنا عن
الايمان ، لأنه تعالى كما لا يأمر بالكفر كذلك لا يزيع عن الايمان . فان قيل : هلا
جاز على هذا أن يقولوا : ربنا لا تظلمنا ، ولا تجر علينا ؟ قلنا لأن في تجر علينا
تسخط السائل لاستعماله ممن جرت عادته بالجور ، وليس كذلك « لا تزغ قلوبنا »
على معنى سؤال اللطف ، وان كان لا يجوز في حكمته تعالى منع اللطف . كما لا يجوز
فعل الجور وذلك بمنزلة سؤال الملائكة في قولهم « فاعمر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم » (١) والله لا يجوز
عليه خلف الوعد ، كما لا يجوز عليه فعل الجور يبين ذلك قوله : « فلما زاغوا
أزاغ الله قلوبهم » (٢) ومعناه فلما مالوا عن الحق نسب الله قلوبهم إلى الزيف ، لما
كانت عليه . وإنما أضاف الزيف إلى القلب ، وإن كان المراد به الجملة لأن القلب أشرف
الاعضاء ، وهو محل السرور ، والغم فإذلك خص بالذكر .

المفرد :

وقوله : ﴿ وعب لنا من لدنك رحمة ﴾ فاهبة مصدر وهبه يهبه هبة ، فهو واهب . والشئ موهوب وتواهب الناس بينهم تواهباً واستوهبه استيهاباً . وأصل الباب الهبة ، وهي تملك الشئ من غير مثامنة . والهبة والنحلة والصلة نظائر . ومعنى من لدنك من عندك وفي لدن خمس لغات : لدن ، ولدن - بضم اللام والبدال - ولدن - بفتح اللام وتسكين الدال ، وكسر النون - ولد - بحذف النون .

قوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلَفُ

الميعاد ﴾ (٩) آية بلا خلاف .

معنى الآية ﴿ ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ﴾ للجزاء « إن الله لا يخلف الميعاد » في وعد ولا وعيد « فأغفر لنا » فان قيل هل في قوله : « إن الله لا يخلف الميعاد » متصل بالدعاء على جهة الحكاية أو استئناف . قلنا عنه جوابان : أحدهما - أنه متصل بالدعاء ، لأن حمل الكلام على الاتصال إذا صح المعنى أولى من حمله على الانفصال ، لأن الاتصال أقرب إلى التشاكل ، وأبعد من التنافر . الثاني - أنه على الاستئناف لأنه لو كان على الاتصال لقال انك لا تخلف الميعاد ، فاختار أبو علي الجبائي هذا الوجه ، وأجاز الزجاج الأمرين . وقد يجوز حمل الكلام تارة على المخاطبة وتارة على الغيبة تصرفاً في الكلام ، كما قال : « حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة » (١) والآية دالة على أنه لا يخلف وعده ، ولا وعيده ، ولا ينافي ذلك ما يجوزه من العفو عن فساق أهل الملة ، لأن ما يجوز العفو عنه إذا عفا كشف ذلك عندنا أنه ما عناه بالمخاطب ، وإنما المنوع منه أن يعنيه بالمخاطب وبأنه لا يعمو عنه ثم يعمو ، فيكون ذلك خلافاً في الوعيد وذلك لا يجوز عليه تعالى .

والميعاد، والوعد إذا اطلقا تناولا الخير، والشر. يبين ذلك قوله ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ﴾ (١) ولا يجوز أن يقال وعد بالخير فأما وعد بالشر، فيجوز. واللام في قوله: « ليوم لا ريب فيه » معناه في يوم وإنما جاز ذلك لما دخل الكلام من معنى اللام وتقديره جامع للناس للجزاء في يوم لا ريب فيه، فلما حذف لفظ الجزاء دخلت على ما يليه فأغنيت عن في لأن حروف الاضافة متأخية، لما يجمعها من معنى الاضافة. وقد كان يجوز فتح أن في قوله: « إن الله لا يخلف » على تقدير « جامع الناس ليوم لا ريب فيه » لـ « إن الله لا يخلف الميعاد » ولم يقرأ به. قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا كُنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقَوْمُهُمْ لِنَارٍ ﴾ (١٠) آية واحدة بلا خلاف.

المعنى:

إن قيل كيف تتصل هذه الآية بما قبلها؟ قلنا: اتصال الوعيد بالدعاء، للاخلاص منه خوفاً من استحقاق المتوعد به، والفرق بين « لن تغني عنهم من الله » وبين لن تغنيهم عن الله شيئاً. أن لن تغنيهم عن الله لا يدل على الوعيد كما يدل « لن تغني عنهم من الله » لأن تقديره من عذاب الله. ومعنى من ههنا يحتمل أمرين: قال أبو عبيدة معناها: عند. وقال المبرد: من ههنا على أصلها، لا ابتداء الغاية. وتقديره « لن تغني عنهم » غناء ابتداء الشيء الذي خلقه، ولا يكون الغناء إلا منه، فمن هذه تقع على ما هو أول الغناء، وآخره والوقود: الحطب، والوقود الذهب. وهو إيقاد النار. والغنى ضد الحاجة. وبمعنى « لن تغني عنهم من الله » أنه إن يكون شيء تبقى الحاجة إلى الله تعالى بل الحاجة باقية على كل حال.

قوله تعالى :

﴿ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١١) آية بلا خلاف .

اللغة :

الدأب : العادة ، يقال دأب يدأب دأباً ودأباً إذا اعتاد الشيء . وتعرن عليه .

قال امرؤ القيس :

كذأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل (١)

أي كعادتك من أم الحويرث .

المعنى :

ومعنى قوله : « كذاب آل فرعون » كعادتهم في التكذيب بالحق وقيل

في السكر وقيل في قبح الفعل وقيل في تكذيب الرسل وكل ذلك متقارب في

المعنى . وقال قوم : معناه كذاب آل فرعون في عقاب الله إياهم على ما سلف من

ذنوبهم ، ومعاصيهم ، والكاف في قوله : « كذاب آل فرعون » متصلة بمحذوف .

وتقديره عادتهم كذاب آل فرعون . وموضع الكاف رفع لأنها في موضع خير

الابتداء ، ولا يجوز أن يعمل فيها كفروا ، لأن صلة الذي قد انقطعت بالخبر ،

وهو « لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم ولكن يجوز نصبه بـ (وقود النار) ،

لأن فيه معنى الفعل على تقدير تتقد النار بأجسادهم كما تتقد بأجسام آل فرعون

(١) ديوان : ١٢٥ . معلقته المشهورة وقيله :

وان شفاثي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

مر في ٢ : ١٤٨ برواية : (كديتك) بدل (كذابك) وقد استشهد به الشيخ (قدمه)

على ان الدين هو العادة .

فهذا تقديره في المعنى . وقوله : « فاخذم الله بذنوبهم » بمعنى عاقبهم الله بذنوبهم وسمى المعاقبة مؤاخذاً لأنها أخذ بالذنوب والاخذ بالذنوب عقوبة والذنوب والجرم واحد تقول أذنب يذنب اذناً فهو مذنب والذنوب التلو للشيء . ذنبه يذنبه ذنباً إذا تلا والذنوب الدلو لأنها تالية للحبل في الجذب والذنوب النصيب لأنه كالدلو في الانعام قال الشاعر :

لنا ذنوب ولكم ذنوب فان أبيتم فلنا قليب (١)
والذنوب : الفرس الوافر شعر الذنب . وأصل الباب : التلو ، فالذنوب الجرم لما يتلوه من استحقاق الذم كما قيل العقاب ، لأنه يستحق عقيب الذنب .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَمُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبئسَ الْمَهَادُ ﴾ (١٢) آية .

الفراءة ، والحجبة :

قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً سيغلبون ، ويحشرون بالياء ، فيهما : الباقون بالتاء . من اختار التاء ، فلقوله : « قد كان لكم آية في فئتين » فأجري جميعه على الخطاب . ومن اختار الياء ، فالتصرف في الكلام والانتقال من خطاب المواجه إلى الخبر بلفظ الغائب . وقيل : إن الخطاب لليهود . والاختبار عن عبدة الأوثان لأن اليهود أظهروا ، الشمانة بما كان من المشركين يوم أحد ، فقيل لهم سيغلبون يعني المشركين . وعلى هذا لا يجوز إلا بالياء . وقيل التاء في عموم الفريقين . ومثله قال زيد المال ماله . وقال المال مالي . وقل له سنخرج وسيخرج . وكل ذلك جائز حسن .

« ١ » اللسان : (ذنب) . وروايته : (لها ذنوب) بدل (لنا ذنوب) و (القليب) بدل (قليب) .

الغزول :

وقال ابن عباس ، وقتادة وابن اسحاق : إن هذه الآية نزلت لما هلكت قريش يوم بدر ، فجمع النبي (ص) اليهود بسوق قينقاع فدعاهم إلى الاسلام وحذرهم مثل ما نزل بقريش من الانتقام ، فقالوا : اسنا كقريش الاغمار الذين لا يعرفون القتال ، لأن حاربنا لتعرفن البأس . فانزل الله « قل للذين كفروا سيغلبون ويخشرون » الآية

المعنى :

ومعنى « وبئس المهاد » قال مجاهد : بئس ما مهدوا ، لأنفسهم . وقال الحسن : معناه بئس القرار ، وقيل بئس الفراش المهدهم ، وقال البلخي : لا يجوز الوعد ، والوعيد بغير شرط ، لأن فيه بأساً من الايمان أو الكفر وذلك بمنزلة الصد عنه . وتأول الآية على حذف الشرط ، فكأنه قال : وبئس المهاد لمن مات على كفره غير تائب منه . وقال الرماني : وهذا لا يصح من قبل أن السورة قد دلت على معنى الوعد من غير شرط يوجب الشك ، فلو كان في قطع الوعيد بأس بمنزلة الصد عن الايمان لكان في قطع الوعد بأمان ما يوجب الاتكال عليه دون ما يلزم من الاجتهاد . والذي يخرج من ذلك أن العقاب من أجل الكفر كما أن الثواب من أجل الايمان . وهذا ليس بشيء ، لأن للبلخي أن يشرط الوعد بالثواب بانتفاء ما يبطله من الكبائر ، كما أنه شرط الوعيد بالعقاب بانتفاء ما يزيله من التوبة ، فقد سوى بين الأمرين . وقال البلخي والجبائي : قوله : « وبئس المهاد » مجاز كما قيل للمرء : شر ، وإن كان خيراً من جهة أنه حكمة ، وصواب ، فقيل لجهنم « بئس المهاد » لعظيم الآلام ، لأن أصل نعم وبئس : الحمد ، والذم إلا أنه كثر استعماله في المنافع ، والمضار حتى سقط عن اسم مجاز . وإن كان مغيراً عن أصله . وفي الآية دلالة على صحة نبوة النبي (ص) لأنها تضمنت الخبر عما يكون من

غلبة المؤمنين للمشركين . وكان الأمر على ما قال ، ولا يكون ذلك على الاتفاق ، وكما أنه بين أخباراً كثيرة من الاستقبال ، فكان كما قال ، فكما أن كل واحد منهما كان معجزاً ، لأنه من علام الغيوب اختص به الرسول ليبينه من سائر الناس كذلك هذه الآية .

قوله تعالى :

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّحْتَانِ فِئَةٌ تَقَاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ لَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (١٣) آية واحدة .

الفراة ، والحجوة :

قرأ أهل المدينة ، وأبان عن عاصم ، وابن شامي عن حفص « ترونهم » بالتاء الباقون بالياء . من قرأ بالياء ، فلأن الخطاب لليهود والخبر عن غيرهم ممن حضر بدرأ . ومن قرأ بالتاء وجه الخطاب إلى الجميع .

اللفز ، والمعنى ، والاعراب :

الآية : العلامة ، والدلالة على صدق النبي (ص) . والفئة الفرقة من فأوت رأسه بالسيف إذا فلقته . وقال ابن عباس : ههنا هم المؤمنون من أهل بدر ومشركوا قريش ، وبه قال الحسن ، ومجاهد . وقوله : ﴿ فِئَةٌ ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب : الرفع على الاستئناف بتقدير منهم فئة كذا ، وأخرى كذا . ويجوز الجر على البدل . ويجوز النصب على الحال كقول كثير :
و كنت كذبي رجلين رجل صحيحة . ورجل رمى فيها الزمان فشلت (١)
أنشد بالرفع والجر وقال ابن مفرغ :

« ١ » ديوانه ١ : ٤٦ ، ومعاني القرآن للفراء ١ : ١٩٢ وهو من تصديده الثانية المشهورة في المطبوعة (هي) بدل (رمى) .

و كنت كذبي رجلين رجل صحيحه ورجل رماها صائب الحدائق
فأما التي صحت فأزد شنوءة وأما التي شلت فأزد عمان (١)
وقال آخر :

إذا مت كان الناس نصفين شامت وآخر مثن بالذي كنت أصنع
ولا يجوز أن تقول مررت بثلاثة صريع وجريح بالجر ، لأنه لم يستوف العدة
ولكن يجوز بالرفع على تقدير منهم صريع ومنهم جريح . فان قلت : مررت بثلاثة
صريع ، وجريح ، وسليم ، جاز فيه الرفع والجر ، فان زدت فيه اقتتلوا جاز فيه
الأوجه الثلاثة . ولم يقرأ إلا بالرفع .

المعنى :

وقال ابن مسعود ، والحسن : الفئة : المسلمة هي التي كانت ترى الكفارة
مثليهم . وقال السدي : رأى المشركون المسلمين مثل عددهم ، لأنهم كانوا ثلاثمائة
وبضعة عشر فأوهم أضعاف ذلك . وهذا يحتمل على قراءة من قرأ بالياء ، فأما من
قرأ بالتاء ، فلا يحتمل ذلك إلا أن يكون الخطاب لليهود الذين ما حضروا وهم
المعنيون بقوله : « مثل الذين كفروا » وهم يهود بني قنقاع فكأنه قيل لهم ترون
المشركين مثلي المسلمين مع أن الله ظفرهم بهم ، فلا تغفروا بكثرتم . واختار البلخي
هذا الوجه واختلفوا في عدة الشركيين يوم بدر ، فروي عن علي (ع) وابن
مسعود أنهم كانوا الفأ . وقال عروة بن الزبير ، وقتادة ، والربيع كانوا بين
تسمائة إلى الالف وأما عدة المسلمين ، فثلاثمائة وبضعة عشر في قول قتادة ، والربيع ،
وأكثر المفسرين . وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) . ومعنى « يرونهم

« ١ » الوحشيات لأبي تمام : ١٨٣ ، وخزانة الأدب ٢ : ٣٧٨ . وازد شنوءة : قبيلة
كانت مع أهل الشام في حرب صفين ، وازد عمان : قبيلة كانت مع أهل العراق ورواية الشعر :

فكنتم كذبي رجلين : رجل صحيحه ورجل رماها ريب من الحدائق

مثليهم « يحتمل وجوهاً أحدها - ما روي عن ابن مسعود ، وغيره من أهل العلم أن الله قلل المشركين يوم بدر في أعين المسلمين لتقوى قلوبهم فرأوهم مثلي عدتهم . وقال الفراء يحتمل ثلاثة أمثالهم كما يقول القائل إلى الف و احناج إلى مثليه أي مضافاً إليه لا بمعنى بدلا منه ، فكذلك تروونهم مثليهم مضافاً إليهم فذلك ثلاثة أمثالهم ، وأنكر هذا الوجه الزجاج ، لمخالفته لظاهر الكلام . وما جاء في الآية الأخرى في الانفال من تقليل الاعداد . فان قيل كيف يصح تقليل الاعداد مع حصول الرؤية وارتفاع الموانع وهل هذا إلا ما تقوله الحجرية من أنه يجوز أن يكون بحضرتنا أشياء تدرك بعضها دون بعض بحسب ما يفعل فيتنا من الادراك والشو هذا عندنا سعة تقليل في المشاهدات ؟ قلنا . يحتمل أن يكون التقليل في أعين المؤمنين بأن يظنونهم قليلي العدد ، لأنهم أدركوا بعضهم دون بعض ، لأن العلم بما يدركه الانسان جملة غير العلم بما يدركه مفصلاً ، ولهذا : إذا رأينا جيشاً كبيراً أو جمعاً عظيماً ندرك جميعهم ، ونتبين أطرافهم ومع هذا نشك في أعدادهم حتى يقسع الخلف بين الناس في حزر عددهم ، فعلى هذا يكون تأويل الآية . وقد ذكر الفراء عن ابن عباس أنه قال : رأى المسلمون المشركين مثليهم في الحزر بستائة وكان المشركون سبعمائة وخمسين . فأما قوله في الأنفال : « وإذ يريكم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم » (٣) فلا ينافي هذا لأن هذه آية للمسلمين أخبرهم بها وتلك آية لأهل الكفر حجة عليهم . على أنك تقول في الكلام إني لأرى كثيركم قليلاً أي تهونون علي لا تي أرى الثلاثة اثنين ذكره الفراء ، وهو جيد . وقيل : الوجه في تقليل الكفار في أعين المؤمنين أن يكون أقوى لقلوب المؤمنين ، فلا يفزعوا ، ولا يفشلوا ، ويتجرأوا على قتالهم . والوجه في تقليل المؤمنين في أعين الكفار إذا رأوهم قليلين استهانوا بهم واستحقرهم فلم يأخذوا إهبتهم ولم يستعدوا كل الاستعداد فيظنر بهم المؤمنون ، وهو جيد أيضاً . وقال البلخي إنما قال مثليهم وهم كانوا ثلاثة أمثالهم لأنه أقام الحجة عليهم بأنهم وإن كانوا ثلاثة أمثالهم فلم يخرجوا من أن يكونوا

مثليهم . والمعتمد ما قلناه أولاً .

اللفظ والمعنى :

وقوله : ﴿ والله يؤيد بنصره من يشاء ﴾ فالأيد القوة ومنه قوله : « داود ذا الأيد » (١) وتقول : ادته أئيده أيداً ، كقولك بعته أبيعته ببعاً بمعنى قوته . وأيدته أؤيده تأييداً . والنصر : المعونة على الأعداء ، وهو على وجهين : نصر بالغلبة ، ونصر بالحجة ، ولو هزم قوم من المؤمنين ، لجاز أن يقال : هم المنصورون بالحجة ومحودوا العاقبة ، وإن سرعدوهم بظفر العاجل .

والآية التي ذكرها الله تعالى كانت في الفئتين من وجهين :

أحدهما - غلبة القليل العدد في نفسه للكثير في ذلك بخلاف ما تجري به العادة بما أمدهم الله به من الملائكة وقوى به نفوسهم من تقليل العدة . والثاني - بالوعد المتقدم بالغلبة لاحدى الطائفتين لا محالة . وقوله : ﴿ إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾ معناه لأولي العقول ، كما يقال له بصر بالأمور ، وليس المراد بالأبصار الحواس التي يشترك فيها سائر الحيوان . والعبرة الآية تقول : اعتبرت بالشيء عبرة واعتباراً والعبور : النفوذ عبرت النهر أعبره عبوراً : إذا قطعته . والمعبرة : السفينة التي يعبر فيها . والعبارة الكلام ، يعبر بالمعنى إلى المخاطب ، فالعبارة تفسير الرؤيا . والتعبير وزن الدنانير ، وغيرها . والعبرة : الدمعة من العين . وأصل الباب العبور النفوذ .

قوله تعالى :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
الْمَقْنُطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ذَلِكَ

مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ ﴿١٤﴾ آية واحدة

بلا خلاف .

المعنى ، واللفظ :

قيل في المزين لحب الشهوات ثلاثة أقوال : قال الحسن : زينته الشيطان ، لأنه لا أحد أشد ذمًا لها من خالقها . الثاني - ما قاله الزجاج : أنه زينته الله بما جعل في الطباع من المنازعة ، كما قال تعالى « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها » (١) الثالث - ما قاله أبو علي أنه زين الله عز وجل ما يحسن منه ، وزين الشيطان ما يقيح منه .

والشهوة : جمع شهوة وهي توفيق النفس إلى الشيء يقال : اشتبهى يشتهي شهوة ، واشتهاء وشهاهة تشهية ، وتشهى تشهياً . والشهوة من فعل الله تعالى لا يقدر عليها أحد من البشر ، وهي ضرورية فينا ، لأنه لا يمكننا دفعها عن أنفسنا . والقناطر : جمع قنطار . واختلفوا في مقدار القنطار ، فقال معاذ بن جبل ، وابن عمر ، وأبي بن كعب ، وأبو هريرة : هو ألف ومأتا أوقية . وقال ابن عباس ، والحسن ، والضحاك : هو ألف ومأتا مثقال . وروى عن الحسن أيضاً أنه ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم . وقال قتادة : ثمانون ألفاً من الدراهم أو مائة رطل . وقال مجاهد ، وعطاء : سبعون ألف دينار . وقال أبو نصر هو مليء منسك ثور ذهباً . وبه قال الفراء : وهو المروي عن أبي جعفر . وقال الربيع وابن أنس : هو المال الكثير . ومعنى المقنطرة : المضاعفة - على قول قتادة - وقال الفراء : هي تسعة قناطر ، وقيل هي كقولك دراهم مدرهمة أي بمجولة كذلك . وقال السدي مضروبة دراهم أو دنانير . والقنطرة : البناء المعقود للعبور والقنطر الداهية . وأصل الباب القنطرة المعروفة . والقنطار لأنه مال عظيم كالقنطرة . والذهب ، والفضة معروفان .

وتقول فضضته تفضيضاً . وفض الجمع يفضه فضا إذا فرقه . ومنه قوله : « لانفضوا من حواث » (١) وفضضت الخاتم كسرتة ولا يفضض الله فاك أي لا يكسره . وافتضضت الماء : إذا شربته . وأصل الباب التفرق .

والخيل : الافراس سميت خيلا ، لاختيالها في مشيها . والاختيال : من التخيل ، لأنه يتخيل به صاحبه في صورة من هو أعظم منه كبراً . والخيال كالظل ، لأنه يتخيل به صورة الشيء ، تقول : خلت زيدا أخال خيلاً إذا خشيته لأنه يتخيل إلى النفس أنه هو . والاخليل : الشقراق وهو طائر الغالب عليه الخضرة مشرب حمرة ، لأنه يتخيل مرة أخضر ومرة أحمر . وأصل الباب التخيل : التشبه بالشيء ، ومنه أخال عليه الأمر يتخيل إذا اشتبه عليه ، فهو مخيل .

وقوله : « المسومة » قيل في معناه أربعة أقوال قال سعيد بن جبير وابن عباس والحسن والربيع هي الراعية وقال مجاهد وعكرمة والسدي : هي الحسنة ، وقال ابن عباس في رواية ، وقتادة : المعلمة . وقال ابن زيد : هي المعدة للجهاد فمن قال : هي الراعية ، فمن قولهم : اسمت الماشية وسومتها إذا رعيها . وسأمت ، فهي سأمة إذا كانت راعية ، ومنه تسيمون : أي ترعون . ومن قال : الحسنة فمن السيا مقصور . ويقال فيه سيمياً أيضاً وهو الحسن . قال الشاعر :

غلام رماد الله بالحسن يانعاً له سيمياً لا يشق على البصر

ومن قال المعلمة ، فمن السيام التي هي العلامة كقوله تعالى : « بمرف المجرمون بسيام » ومن قال المعدة للجهاد ، فهو راجع إلى العلامة لأنها معدة بالعلامة وأصل الباب العلامة . وقوله : « والانعام » فهي الإبل ، والبقر ، والغنم من الضان والمعز ولا يقال لجنس منها على الانفراد نعم إلا الإبل خاصة لأنه غلب عليها في التنصيص والجملة . والحرت : الزرع . وقوله : « ذلك متاع الحياة الدنيا » فالمتاع : ما يستمتع به مدة ثم ينفى . وقوله : « والله عنده حسن المالب » فالمالب :

المرجع من آب يؤوب أبوباً وإياباً وأوبه ، وما أباً إذا رجع وتأوب تأوباً : إذا ترجع وأوبه تأوبياً : إذا رجمه . وأصل الباب الأوب الرجوع .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَوْئِبْتِكُمْ بَخِيرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (١٥) آية واحدة بلا خلاف .

الفراة والمعنى :

قرأ عاصم وحده في رواية أبي بكر ورضوان - بضم الراء - الباقون بكسرهما فالضم لغة قيس ، وتميم . والكسر لغة أهل الحجاز . قيل في آخر الاستفهام بقوله أَوْئِبْتِكُمْ قولان :

أحدهما - ان أخيه عند قوله بَخِيرٍ مِنْ ذَلِكَ ، ثم استأنف للذين اتقوا . الثاني - عند قوله : « عند ربهم » ثم استأنف جنات على تقدير الجواب ، كأنه قيل : ما هو ذلك الخير ، فقيل هو جنات . ومثله : « قل أَوْئِبْتِكُمْ بشر من ذلك النار » (١) أي هي النار ، ويجوز في إعراب جنات في العربية الرفع ، والجر ، فالجر على أن يكون في آخر الكلام عند ربهم . ولا يجوز الجر على الوجه الآخر للفصل باللام ، كما لا يجوز أمرت لك بالعين ولاخيك مأتين حتى تقول بمائتين ولو قدمت فقلت ومأتين لاخيك جاز ، ولا يجوز النصب في جنات على موضع الباء فيما لم يكن الباء فيه زائدة كما لا يحسن أمرت برجل زيدا ويحسن خشنت بصدرة وصدرة زيد ، لأن الباء زائدة ، ولا يجوز أن تكون زائدة في بخير لأن نبات لا يجوز الاقتصار فيه على المفعول الثاني دون الثالث ، لأنه بمعنى أعلمت ، ولا يجوز أعلمت زيدا

أخاك حتى تقول خيراً من عمرو ، أو نحوه . وقد تقدم تفسير الجنات والأنهار .
 وقوله : ﴿ خالدين ﴾ نصب على الحال ومعنى تأويل قوله : « وأزواج مطهرة » فلا
 معنى لاعادته . والرضا والمرضاة : معنى واحد . ومعنى قوله : « للذين اتقوا »
 يعني ما حرم عليهم - في قول الحسن - . فان قيل ما تقولون أنتم لأنكم تقولون
 إن من لا يتقى جميع ما حرم عليه إذا كان عارفاً بالله ومصداقاً لجميع ما وجب عليه
 موعود له بالجنة ؟ قلنا : تقول إن هذه الآية تدل على أن من اتقى جميع ما حرم
 عليه ، فله الجنة ، وما وعد بها من غير أن يقترب بها شيء من استحقاق العقاب
 قطعاً . ومن ليس معه إلا التصديق بجميع ما وجب عليه وقد أخل بكثير من
 الواجبات وارتكب كثيراً من المحظورات فانا نقطع على استحقاقه الثواب مع
 استحقاقه للعقاب ونجوز فعل العقاب به ونجوز العفو عنه مع القطع على وجوب
 الثواب له ، ففارق المتقى على ما تراه .

قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا آٰمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا

عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١٦) آية بلا خلاف .

الاعراب :

موضع الذين يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب الجر . والرفع ، والنصب ،
 فالجر للاتباع ، للذين اتقوا والرفع على تقديرهم الذين يقولون . والنصب على المدح
 وتقديره أعني .

اللفظ :

وقوله : ﴿ فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ فالغفرة هي الستر للذنب برفع التبعة ، والذنب ،
 والجرم بمعنى واحد وإنما الفرق بينهما من جهة الأصل ، لأن أصل الذنب الاتباع ،

فالذنب ما يتبع عليه العبد من قبيح عمله كالتبمة والجرم أصله القطع ، فالجرم القبيح الذي ينقطع به عن الواجب ، والفرق بين القول ، والكلام أن القول فيه معنى الحكاية وليس كذلك الكلام .

المعنى :

وقوله : ﴿ وقنا عذاب النار ﴾ قيل في معنى هذه المسألة قولان :
أحدهما - مسألة الله ما هو من حكمه نحو قوله : « فاغمر الذين تابوا »
والفائدة في هذا الدعاء التعبد بما فيه مصلحة للعباد . الثاني - مسألة الله عز وجل مالا يجوز أن يعطيه العبد إلا بعد المسألة لأنه لا يكون لطمأ إلا بعد المسألة وعلى مذهبنا وجه حسن السؤال إن العفو تفضل من الله لا يجب عند التوبة ، ويجوز أيضاً العفو مع عدم التوبة ، فيكون وجه السؤال « اغمر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار » ان منا مصرين ولم نتب .

قوله تعالى :

﴿ الصابرينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَائِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ

بِالْأَسْحَارِ ﴾ (١٧) .

الاعراب ، والمغز ، والمعنى :

الصابرين نصب على المدح وكذلك باقي الصفات ، ويجوز أن تكون جراً صفات « الذين اتقوا » ومعنى الصابرين : الحابسين نفوسهم بمنعها عما حرم الله (تعالى) عليها ، فالصابر الممدوح : هو الحابس نفسه عن جميع معاصي الله ، والمقيم على ما أوجب عليه من العبادات ، والصادقين هم المخبرون بالشيء على ما هو به وهي أيضاً صفة مدح « والقائتين » قال قتادة : هم المطيعون . وقال الزجاج : هم الدائمون على العبادة ، لأن أصل القنوت الدوام . « والمنفقين » : الذين يخرجون ما أوجب الله عليهم من الزكوات ، وغيرها من الحقوق . ويدخل في ذلك المتطوعون

بالاتفاق فيما رغب الله في الاتفاق فيه . « والمستغفرين بالاسحار » قال قتادة : هم المصلون بالاسحار . وقال أنس بن مالك : هم الذين يسألون المغفرة ، وهو الأظهر . والأول جائز أيضاً ، لأنه قد تطلب المغفرة بالصلاة ، كما تطلب بالدعاء .

اللفظ :

والاسحار : جمع سحر ، وهو الوقت الذي قبل طلوع الفجر . وأصله : الخفاء ، وسمي السحر ، خفاء الشخص فيه . ومنه السحر ، خفاء سببه . ومنه السحر الرثة خفاء موضعها . والمسحر الذي يأكل الطعام خفاء مسالكه .
وروي عن أبي عبد الله أن من استغفر الله سبعين مرة في وقت السحر ، فهو من أهل هذه الآية .

قوله تعالى :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ
قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) .

المعنى :

حقيقة الشهادة الاخبار بالشيء عن مشاهدة أو ما يقوم مقام الشهادة من الدلالات الواضحة ، والحجج اللامحة على وحدانيته من عجيب خلقه ، ولطيف حكمته في ما خلق . وقال أبو عبيدة : معنى « شهد الله » قضى الله « أنه لا إله إلا هو والملائكة » شهود « وأولوا العلم » وحكى عمرو بن عبيد عن الحسن ، وروي ذلك في تفسيرنا أن في الآية تقدماً ، وتأخيراً . وتقديرها « شهد الله أنه لا إله إلا هو قانماً بالقسط » أي بالعدل ، وشهد الملائكة أنه لا إله إلا هو قانماً بالقسط ، وشهد أولوا العلم أنه لا إله إلا هو قانماً بالقسط . وأولوا العلم : هم المؤمنون .

الفرازة ، والحجزة ، والاعراب :

وقرأ أبو المهبلي عمر بن محارب بن دثار « شهداء لله » على وزن فعلاء جمع شهيد ، نصب على الحال برده على ما قبله من الكلام كأنه قال : الذين يقولون ربنا إننا آمننا شهداء لله أنه لا إله إلا هو ، وهي جائزة غير أنها شهادة لم يوافق عليها أحد من قراء الامصار ، ذكر ذلك البلخي . و(إن) الأولى ، والثانية تحتل أربعة أوجه من العربية ، فتحها جميعاً وكسرها جميعاً ، وفتح الأولى وكسر الثانية ، وكسر الأولى وفتح الثانية . فن فتحها أوقع الشهادة على أن الثانية وحذف حرف الاضافة من الأولى ، وتقديره « شهد الله أنه لا إله إلا هو » « إن الدين عند الله الاسلام » (١) وقال أبو علي الفارسي: يجوز أن يكون نصبها على البديل من شيئين .

أحدهما - من قوله « إنه لا إله » وتقديره شهد الله « إن الدين عند الله الاسلام » ويجوز بدل الشيء من الشيء وهو هو .

والثاني - أن يكون بدل الاشغال ، لأن الاسلام يشتمل على التوحيد والعدل وغير ذلك . ومن كسرها اعترض بالأولى للمعظم لله عز وجل به كما قيل لبيك إن الحمد . وكسر الثانية على الحكاية ، لأن في معنى شهد معنى قال . وقال المؤرخ : شهد بمعنى قال بلغة قيس عيلان .

الثالث - من فتح الأولى وكسر الثانية - وهو أجودها ، وعليه أكثر القراء - أوقع الشهادة على الأولى واستأنف الثانية وهو أحسن الوجود وأظهرها .
الرابع - من كسر الأولى ، فعلى الاعتراض ، ثم فتح الثانية بإيقاع الشهادة عليها . وهو المروي عن ابن عباس ، وقيل في نصب قائماً قولان :

أحدهما - أنه حال من اسم الله على تقدير شهد الله قائماً بالقسط .

الثاني - على الحال من هو وتقديره لا إله إلا هو قائماً بالقسط . وقال مجاهد:

معنى قائماً بالقسط أي قائماً بالعدل كما تقول: قائماً بالتدبير أي يجريه على الاستقامة
فكذلك يجري التدبير على الاستقامة والعدل في جميع الامور .
قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أوتُوا
الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ
اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١٩) آية .

الفراة ، واللفظ ، والمعنى :

قرأ « أن الدين » بفتح الهمزة الكسائي وحكي ذلك عن ابن مسعود . الباقر
بكرها وقد بينا الوجه فيه . معنى الدين ههنا الطاعة فمعناه أن الطاعة لله عزوجل
هي الاسلام . قال الاعشى :

هودان الرباب إذ كرهوا الد . ين دراكا بغزوة وصيال (١)

ومعناه ذلهم للطاعة إذ كرهوا الطاعة ، والدين الجزاء . من قولهم كما تدين
تدان أي كما تجزي تجزي . ومنه قوله : « مالك يوم الدين » أي يوم الجزاء ،
وسميت الطاعة ديناً ، لأنها للجزاء ، ومنه الدين ، لأنه كالجزاء في وجوب القضاء .
والاسلام أصله السلم ، فأسلم معناه دخل في السلم كقولهم أقحط بمعنى دخل القحط .
وأربع دخل في الربيع ، وأصل السلم السلامة ، لأنه انقياد على السلامة ، ويصلح
أن يكون أصله التسليم ، لأنه تسليم ، لأمر الله ، والتسليم من السلامة ، لأنه
تأدية الشيء على السلامة من الفساد والنقصان ، فالاسلام : هو تأدية الطاعات على
السلامة من الادغال ، والاسلام ، والايمان عندنا وعند المعتزلة بمعنى واحد غير
أن عندهم أن فعل الواجبات من أفعال الجوارح من الايمان (وعندنا أن أفعال

الواجبات من أفعال الجوارح من الايمان (١) وعندنا أن أفعال الواجبات من أفعال القلوب - التي هي التصديق - من الايمان ، فأما أفعال الجوارح ، فليست من الايمان ، وإن كانت واجبة . وقد بينا ذلك في ما مضى وسنبينه إن شاء الله .
والاسلام : يفيد الانقياد لكل ما جاء به النبي (ص) من العبادات الشرعية وترك النكير عليه ، والاستسلام له ، فاذا قلنا : دين المؤمن هو الايمان ، وهو الاسلام ، فالاسلام هو الايمان . ونظير ذلك قولنا . الانسان ، والانسان حيوان على الصورة الانسانية ، فالحيوان على الصورة الانسانية بشر .

وقوله : ﴿ وما اختلف الذين اوتوا الكتاب ﴾ قال الربيع : المراد بالكتاب : التوراة . وقال محمد بن جعفر بن الزبير : هو الانجيل . وقال الجبائي : خرج مخرج الجذس ، ومعناه كتب الله المتقدمة التي بين فيها الحلال والحرام .
والاختلاف ذهاب أحد النفيسين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر فهذا الاختلاف في الأديان . فأما الاختلاف في الاجناس ، فهو امتناع أحد الشيعيين أن يسد مسد الآخر فيما يرجع إلى ذاته . والبغوي : طلب الاستعلاء بالظلم وأصله من بغيت الحاجة إذا طلبتها ، وليس في الآية ما يدل على أن الذين اختلفوا بغياً كانوا معاندين ، لأن البغوي قد يحمل على العدول عن طريق العلم ، كما يحمل على عناد أهل العلم . ولأنه قد يقع الخلف بينهم وإن كانوا بأجمعهم مبطلين ، كاختلاف اليهود والنصارى في المسيح ، فنسبه النصارى إلى الآلهية ، واليهود إلى القرية .

الاعراب ، والمعنى :

والعامل في « بغياً بينهم » يحتمل أمرين : أحدهما - (اختلف) هذا المذكور ، وتقديره : وما اختلف فيه بغياً بينهم إلا الذين اوتوه من بعد ما جاءهم العلم ، وهذا قول الاخفش وقال الزجاج : نصبه محذوف دل عليه اختلف المذكور ، وتقديره اختلفوا بغياً بينهم . وقوله : ﴿ ومن يكفر بآيات الله ﴾ معناه : من يجحد آيات الله

يعني أدلته وبيناته « فان الله سريع الحساب » وفي الآخر سريع الحساب للجزاء .
قوله تعالى :

﴿ فَاِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ اَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّٰهِ وَمَنِ اتَّبَعْنَ وَقُلْ
لِلَّذِيْنَ اٰتَوْا الْكِتٰبَ وَالْاُمِّيْنَ ؕ اَسْلَمْتُمْ ؕ فَاِنْ اَسْلَمُوْا فَقَدْ اِهْتَدَوْا
وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللّٰهُ بِصِيْرٍ بِالْعِبَادِ ﴾ (٢٠) آية بلاخلاف .

المعنى :

المعنى بقوله : « فان حاجوك » نصارى تجران - على قول جميع المفسرين -
فان قيل : لم قال : « ومن اتبعن » ولم يؤكد الضمير ، فلم يقل : اسلمت أنا ولا
يجوز أن يقول القائل قت وزيد إلا بعد أن يقول قت أنا وزيد ؟ قيل : إنما جاز
هنا لطول الكلام ، فصار طوله عوضاً من تأكيد الضمير المتصل ، ولو قال اسلمت
وزيد لم يجز حتى يقول : اسلمت أنا وزيد ، فاذا قال : اسلمت اليوم بالشرح
صدري ومن جاء معي حسن . فان قيل ما الحججة في قوله : « فقل اسلمت وجهي
للّه » ؟ قلنا فيه وجهان :

أحدهما - أنه أراد إزامهم على - ما أقروا به من أن الله خالقهم - اتباع
أمره في « ألا تعبدوا إلا إياه » (١) فذلك قال : « اسلمت وجهي لله » أي
انقدت لأمره في الاخلاص التوحيد له .

الثاني - أنه ذكر الأصل الذي يلزم جميع المكلمين الاقرار به لأنه لا يفتقن
في ما يحتاج إلى العمل عليه في الدين الذي هو طريق النجاة من العذاب إلى النعيم ،
ومعنى قوله : « وجهي » يريد تقسي وإنما أضاف الاسلام إلى الوجه ، لأنه لما
كان وجه الشيء أشرف ما فيه ذكر بدلاً منه ليدل على شرف الذكر . ومثله « كل
شيء هالك إلا وجهه » (٢) أي إلا هو . وقوله : ﴿ وقل للذين اوتوا الكتاب ﴾

يعني اليهود والنصارى ، « والاميين » الذين لا كتاب لهم على قول ابن عباس وغيره . من أهل التأويل ، وهم مشركوا العرب ، كما قال : « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم » (١) وقال : « النبي الأمي » (٢) أي الذي لا يكتب . وإنما قيل لمن لا يكتب أمي ، لأنه نسب إلى ما عليه الأمة في الخلقة لأنهم خلقوا لا يكتبون شيئاً . وإنما يستفيدون الكتابة .

وقوله : ﴿ ومن اتبعن ﴾ من حذف الياء اجتزاء بالكسرة وإنما حذفها حمزة ، والكسائي وعاصم ، وحذف الياء في أواخر الآي أحسن لأنها تشبه القوافي . ويجوز في وسط الآي أيضاً وأحسنها ما كان قبلها نون مثل قوله : « ومن اتبعن » ، فإن لم يكن نون ، فإنه يجوز أيضاً نحو قولك هذا غلام ، وما أشبه ذلك . والاجود أن تقول هذا غلامي وإن شئت أسكنت الياء . وإن شئت فتحتها . وقوله : ﴿ وأسلمتم ﴾ أمر في صورة الاستفهام ، وإنما كان كذلك ، لأنه بمنزلة طلب الفعل ، والاستدعاء إليه فذكر ذلك للدلالة على أمرين من غير تصريح به ليقر المأمور به بما يلزمه فيه ، كما تقول لمن توصيه بما هو أعود عليه : أقبلت هذا . ومعناه اقبل ، ومثله قوله تعالى : « فهل أنتم منتهون » (٣) معناه انتهوا ، وأقروا به . وتقول لغيرك : هل أنت كاف عنا . ومعناه اكفف . ويقول القائل لغيره : أين أنت ، ومعناه اثبت مكانك لا تبرح .

وقوله : ﴿ فإن أسلموا فقد اهتدوا ﴾ معناه اهتدوا إلى طريق الحق « وإن تولوا » معناه كفروا ، ولم يقبلوا وارضوا عنه « فأنما عليك البلاغ » ومعناه عليك البلاغ ، فقط دون ألا يتولوا ، لأنه ليس عليك ، ألا يتولوا . وقوله : « والله بصير بالعباد » معناه ههنا لا يفوته شيء من أعمالهم التي يجازيهم بها ، لأنه بصير بهم أي عالم بهم وبسرارهم وظواهر أعمالهم ، لا يخفى عليه خافية . وقيل معناه يعلم ما يكون منك في التبليغ ، ومنهم في الايمان ، والكفر .

١ « سورة الجمعة آية : ٢ .
٢ « سورة الاعراف آية : ١٥٦ ، ١٥٧ .
٣ « سورة المائدة آية : ٩٤ .

قوله تعالى :

﴿ لَمَّا الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴾ (٢١) آية واحدة .

الفراة :

قرأ حمزة ونصير « ويقاتلون الذين يأمررون » بالف لأن في مصحف عبد الله
« وقاتلوا » والأجود ما عليه الجماعة .

المعنى :

وقوله : « إن الذين يكفرون » معناه يجحدون « آيات الله » يعني حججه
وبيناته « ويقتلون النبيين » روى أبو عبيدة بن الجراح قال : قلت يا رسول الله
أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة قال : رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر بمعروف ونهى
عن منكر ، ثم قرأ رسول الله « ويقتلون الذين يأمررون بالقسط من الناس فبشرهم
بعذاب أليم » ثم قال يا أبا عبيدة ، قتل بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول
النهار في ساعة واحدة ، فقام مائة رجل واثنا عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل
فأمرروا من قتلهم بالمعروف ، ونهوا عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار في ذلك
اليوم ، وهم الذين ذكرهم الله . واستدل الرماني بذلك على جواز إنكار المنكر مع
خوف القتل ، وبالخير الذي رواه الحسن عن النبي (ص) أنه قال : أفضل الجهاد
كلمة حق عند سلطان جائر يقتل عليها . وقال عمرو بن عبيد : لا نعلم عملاً من أعمال
البشر أفضل من القيام بالقسط يقتل عليه . وهذا الذي ذكروه غير صحيح ، لأن
من شرط إنكار المنكر ألا يكون فيه مفسدة ، وألا يؤدي إلى قتل المنكر ، ومتى
أدى ذلك إلى قتله ، فقد انتفى عنه الشرطان معاً فيجب أن يكون قبيحاً ، والاختبار

التي رووها أخبار آحاد لا يعارض بها على أدلة العقول على أنه لا يمتنع أن يكون الوجه فيها وفي قوله : « ويقتلون الذين يأمرسون بالقسط » هو من غلب على ظنه أن انكاره لا يؤدي إلى مفسدة فحسن منه ذلك بل وجب وإن تعقب - في ما بعد - القتل ، لأنه ليس من شرطه أن يعلم ذلك بل يكفي فيه غلبة الظن .

وقوله : ﴿ بغير حق ﴾ لا يسدل على أن قتل النبيين يكون بحق بل المراد بذلك أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق ، كما قال : « ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به » (١) . والمعنى ان ذلك لا يكون عليه برهان كما قال امرؤ القيس :
على لا أحب لا يهتدى بماره إذا سافه العود الديا في جرجرا (٢)
وتقول : لا خير عنده يرجى . وأنت تريد لا خير عنده أصلاً . وكذلك أراد امرؤ القيس أنه لا منار هناك ، فيهتدى به قال أبو ذؤيب :

متفلق انشاؤها عن ثاني كالقرط صاو غيره لا يرضع

أي ليس له بقية لبن فيرضع ، ومعنى صاو في البيت صوت يابس النخلة .
وقوله : ﴿ ويقتلون الذين يأمرسون بالقسط من الناس ﴾ معناه الذين يأمرسون بالمعروف وينهون عن المنكر . وقوله : « فبشرهم بعذاب أليم » إنما خاطبهم بذلك وإن كان الخبر عن أسلافهم من حيث رضواهم بافعالهم ، فأجلوا معهم على تقدير فبشر أخلافهم بأن العقاب لهم ، وكأ أسلافهم . فان قيل لم جاز أن تقول إن الذي يقوم ، فيكرمك ، ولم يجز لبيت الذي يقوم فيكرمك ؟ قلنا : لأن دخول الفاء لشبهه الجزاء ، لأن الذي يحتاج إلى صلة فصلتها قامت مقام الشرط ، فإذ ذلك دخل الفاء في الجواب كما دخل في جواب الشرط ، وليت تبطل معنى الجزاء وليس كذلك أن لاؤها بمنزلة الابتداء .

قوله تعالى :

﴿ أولئك الذين حبّطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما

لهم من ناصرين ﴿ (٢٢) آية بلا خلاف .

المعنى :

حبوط العمل - عندنا - هو إيقاعه على خلاف الوجه المأمور به ، فإذا أوقعه كذلك لم يستحق عليه الثواب ، فجاز لذلك أن يقال : أحبط عمله ، ومتى أوقعه على الوجه المنهي عنه ، استحق مع ذلك العقاب ، وليس المراد بذلك بطلان ما يستحق عليه من الحمد والثناء . ولا بطلان الثواب بما يستحق من العقاب ، لأن الثواب إذا ثبت فلا يزول على وجه بما يستحق صاحبه من العقاب ، لأنه لا تنافي بين المستحقين ، ولا تضاد . وأما حبوطها في الدنيا ، فلا أنهم لم ينالوا بها مدحاً ولا ثناء .

وأصل الحبوط مأخوذ من قولهم : حبطت بطون الماشية : إذا فسدت من مآكل الربيع . فعلى ما حررناه إنما تبطل الطاعة حتى تصير بمنزلة ما لم تفعل إذا وقعت على خلاف الوجه المأمور به وعند المعتزلة ، ومن خالفنا في ذلك أن أحدها يبطل صاحبه إذا كان ما يستحق عليه من الثواب أو العقاب أكثر مما يستحق على الآخر فإنه يبطل الأقل على خلاف بينهم في أنه يتحبط على طريق الموازنة أو غير الموازنة ، قال الرماني : والفرق بين حبوط الفريضة وحبوط النافلة أن النافلة من الفاسق لا بد عليها من منفعة عاجلة ، لأن الله رغب فيها إن أقام على فسقه أو لم يقم . والترغيب من الحكيم لا يكون إلا لمنفعة ، فأما الفريضة من الفاسق ، فلا تتقاض المضرة التي كانت يستحقها على ترك المضرة ، وهذا - على مذهبنا - لا يصح على ما فصلناه ، ولا على مذهب شيوخي ، لأن المستحق على النوافل لا يكون إلا ثواباً والثواب لا يصح فعله في دار التكليف ، فكيف يصح ما قاله . وقوله : ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ يدل على أنه تعالى لا ينصر كافراً لأنه لو نصره ، لكان أعظم ناصر والله تعالى نقي على وجه العموم أن يكون لهم ناصر ، ولأن مفهوم الكلام أنه لا ينفعهم نصر لكفرهم .

قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَمُمْ مُمْرَضُونَ ﴾
(٢٣) آية بلا خلاف .

المعنى :

معنى « أَلَمْ تَرَ » ألم تعلم « إلى الذين أُوتوا » معناه الذين أعطوا « نصيباً » أي حظاً وإنما قيل « أُوتوا نصيباً » منه ، لأنهم يعامون بعض ما فيه « من الكتاب » قال ابن عباس ، والزجاج ، والجبائي : إنه التوراة دعي إليها اليهود فأبوا لعلمهم بلزوم الحججة عليهم بما فيه من الدلالة على نبوة نبينا (ص) وتصديقه . والثاني - قال الحسن ، وقتادة : دعوا إلى القرآن ، لأن ما فيه موافق ما في التوراة في أصول الديانة وأركان الشريعة . وفي الصفة التي تقدمت البشارة بها .

والحكم الذي دعوا فيه إلى الكتاب يحتمل ثلاثة أشياء : أحدها - أن يكون نبوة النبي (ص) . والثاني - أن يكون أمر إبراهيم فان دينه الاسلام . والثالث - أن يكون حداً من الحدود ، لأنهم نازعوا في ذلك ، وليس في القرآن دليل على تعيين ذلك وإنما هو محتمل لكل واحد منها .

والفرق بين الدعاء إلى الشيء ، والأمر به أن الأمر له صيغة مخصوصة وفيه زجر عن المخالفة عند من قال : إنه يقتضي الايجاب . والدعاء قد يكون بالخبر وغيره من الدلالات على معنى الخبر وإنما دعوا إلى المحاكمة لتظهر الحججة فأبوا إلا المخالفة . والحكم هو الخبر الذي يفصل الحق من الباطل بامتناعه من الالباس وهو مأخوذ من الحكمة . وهو الخبر الذي توجب صحته الحكمة . وإنما يقال حكم بالباطل لأنه جعل موضع الحق باطلاً بدلا منه . وقولهم ليس هذا حكم كذا معناه ليس هذا حقه فأما دعوا إلى كتاب الله ليفصل الحق من الباطل فيما اختلفوا فيه . ومعنى

قوله : ﴿ يتولى فريق منهم وهم معرضون ﴾ فالتولى عن الشيء هو الاعراض عنه ، فليس على وجه التكرار لأن معناه يتولى عن الداعي ، وهو معرض عما دعا إليه ، لأنه قد كان يمكنه أن يتولى عنه وهو متأمل لما دعا إليه ، فلما لم يفعل كان العيب له أزم والذم على ما فعل أعظم .

قوله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمسَسَنَّ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهمْ

فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٢٤) آية بلا خلاف .

المعنى :

الايام المعدودات قيل فيها قولان :

أحدهما - هي الايام التي عبدوا فيها المعجل وهي أربعون يوماً . ذكره قتادة ، والريبيع ، والحسن إلا أن الحسن قال : سبعة أيام . والثاني - قال الجبائي : أرادوا أياماً منقطعة لانقضاء العذاب فيها وانقطاعه .

اللفظ :

وقوله : ﴿ وغرهم في دينهم ﴾ فالغرور الاطماع في مالا يصح . غره يغره غروراً ، فهو مغرور واعتراه اغتراراً . والغرور : الشيطان ، لأنه يغر الناس . والغار : الغافل ، لأنه كالمغتر . والغرارة : الدنيا ، لأنها تغر أهلها . والغر : الغمر الذي لم يجرب الامور ، ومصدره الغرارة ، لأن من شأنه أن يقبل الغرور . والغرر : الخطر الذي يقدم فيه على مالا ينبغي ، لأنه كحال الغرور في الطمع المذموم . والغرارة : الوعاء ، لأنها تغر بعظمها وخفاء ما فيها . والغر : آثار طي الثوب . أطوه على غره أي على آثار طيه . والغرغرة : التفرغ في الحلق . والغرغرة : حكاية صوت الراعي . والغر : زق الطائر فرخه . غره يغره غراً : إذا زقه وذلك ، لأنه كالغرغرة في الحلق .

والغُرة : الجبهة . وأصل الباب الغرور الطماع في غير مطمع .
 وقوله : ﴿ ما كانوا يفترون ﴾ فالافتراء : الكذب ، وفري فلان كذباً يفريه
 فرية ، والفري : الشق ، فريت الأديم فرياً ، وفرية . مفرية : مشقوقة . وقد تفرؤ
 بجورها أي تشق . والفري : الاصر العظيم ، لأنه يشق على النفس . وأصل الباب :
 الفري : الشق . ومنه الافتراء ، لأنه يشق على النفس .

المعنى :

والافتراء الذي غرهم قيل فيه قولان : أحدهما - قوله : « نحن أبناء الله
 وأحباؤه » في قول قتادة ، وقال مجاهد غرهم قوله : ﴿ لن تمسنا النار إلا أياماً
 معدودات ﴾ وليس في الآية ما يدل على خلاف ما نذهب إليه من جواز العفو
 واخراج المعاقبين من أهل الملة من النار من حيث أن الله ذم هؤلاء بأنه لا تمسهم النار
 إلا أياماً معدودات . وذلك انا لا نقول أن الايام التي يعاقب فيها الفاسق بعدد أيام
 عصيانه بل إنما نقول: إن عقاب من ثبت دوام ثوابه لا يكون إلا منقطعاً وإن لم
 يحط العلم بمقداره . والله تعالى عاب أهل الكتاب بذلك من حيث قطعوا على ما قالوه
 وحكموا به وذلك بخلاف ما قلناه .

قوله تعالى :

﴿ فكيف إذا جمعناهم ليومٍ لا ريبَ فيه ووفيت كل نفسٍ

ما كسبت وهم لا يُظلمون ﴾ (٢٥) آية بلا خلاف .

« كيف » موضوعة للسؤال عن الحال . ومعناها ههنا التنبيه بصيغة السؤال
 عن حال من يساق إلى النار . وفيه بلاغة ، واختصار شديد ، لأن تقديره أي حال
 يكون حال من اغتر بالدعوى الباطلة حتى أداه ذلك إلى الخلود في العقوبة ؟ ونظيره
 قول القائل : أنا أكرمك وإن لم نجئني فكيف إذا جئني ؟ معناه فكيف إكرامي
 لك إذا جئني . والتقدير : كيف حاله إذا جمعناهم ؟ لأنه خير ابتداء محذوف .

وقوله : ﴿ ليوم لا ريب فيه ﴾ معناه جزاء يوم . واللام يدل على هذا التقدير . ولو قال : جمعناهم في يوم لما دل على ذلك . ومثله جئته ليوم الخميس أي لما يكون في يوم الخميس . وقال الفراء . معناه في يوم .

وقوله : ﴿ ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ قيل في معناه قولان : أحدهما - « وفيت كل نفس ما كسبت » من ثواب أو عقاب . الثاني - ما كسبت من ثواب أو عقاب بمعنى اجتلبت بعملها من الثواب أو العقاب ، كما تقول كسب فلان المال بالتجارة والزراعة . فان قيل : كيف قال : « وفيت كل نفس ما كسبت » وما كسبت ، لا نهاية له ، لأنه دائم وما لا نهاية له لا يصح فعله ؟ قلنا : معناه أنه توفي كل نفس ما كسبت حالا بعد حال ، فأما أن يفعل جميع المستحق فمحال لكن لا ينتهي إلى حد ينقطع ولا يعمل فيها بعده . « وهم لا يظلمون » معناه لا يبخسون ، فلا يبخس المحسن جزاء إحسانه ، ولا يعاقب مسيء فوق جزائه .

وقوله تعالى :

﴿ قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ شَاءَ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ شَاءَ وَتُعْزِزُ مَنْ شَاءَ وَتُذَلِّقُ مَنْ شَاءَ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٦) آية واحدة .

الغزة :

قيل في زيادة الميم في اللهم قولان : أحدهما - قال الخليل : إنها عوض من يا . التي هي أداة للنداء . بدلالة أنه لا يجوز أن تقول غنم اللهم لي ، ولا يجوز أيضاً مع (يا) في الكلام . والثاني - ما قاله الفراء : إنها الميم في قولك يا الله أما بخير فألقيت الهمزة وطرحت حركتها على ما قبلها . ومثله هلم وإنما هي هل أم ، قال : وما قاله الخليل لا يجوز لأن الميم إنما تزد مخففة في مثل قم وإبم ، ولأنها قد اجتمعت مع (يا) في قول الشاعر :

وما عليك أن تقولي كما سبحت أو صليت يا الله

أردد علينا شيخنا مسلماً (١)

قال الرماني : لا يفسد قول الخليل بما قاله ، لأنها عوض من حرفين فشددت كما قيل قمن وضربتن لما كانت النون عوضاً من حرفين في قتم ، وذهبتن ، فأما قمن وذهبتن فعوض من حرف واحد ، وأما البيت فأما جاز فيه لضرورة الشعر ، وأما هل ، فلا تدخل على (أم) بوجه من الوجوه . والاصل في (ها) أنها للتنبية دخلت على (لم) في قول الخليل .

الاعراب :

وقوله : ﴿ مالك الملك ﴾ أكثر النحويين على أنه منصوب بأنه منادى مضاف وتقديره يا مالك الملك . وقال الزجاج : يحتمل هذا ويحتمل أيضاً أن يكون صفة من اللهم ، لأن اللهم منادى ، والميم في آخره عوض من ياء في أوله ثم وصفه بعد ذلك كما تقول يا زيد ذا الحجة .

المعنى :

ومعنى الآية قيل فيه أربعة أقوال :
أحدها - أن الملك ههنا النبوة ذكره مجاهد . و [الثاني] قال الزجاج : مالك العباد ، وما ملكوا . و [الثالث] قال قوم : مالك أمر الدنيا والآخرة . والرابع : انه أفاد صفة لا تجوز الاله من أنه مالك كل ملك .
وقوله : ﴿ تؤتي الملك من تشاء ﴾ تقديره من تشاء أن تؤتية وتزعم الملك ممن تشاء أن تزعمه ، كما تقول : خذ ما شئت وانرك ماشئت . ومعناه ما شئت أن تتركه .

﴿ ١ ﴾ اللسان (آله) ، ومعاني القرآن للفراء ١ : ٢٠٣ وغيرهما من كتب اللغة والنحو

والادب ، ورايتها مختلفة .

اللفظة :

والنزع : قلع الشيء عن الشيء ، نزع ينزع نزعاً . ومنه قوله : « والنازعات غرقاً » قال أبو عبيدة هي النجوم تنزع أي تطلع والنزع الشبه للقوم نزع إلى أخواله أي نزع إليهم بالشبه ، فصار واحداً منهم بشبهه لهم . والنزاع : الحنين إلى الشيء . والمنازعة : الخصومة . والنزوع عن الشيء الترك له . والنزع : ذهاب الشعر عن مقدم الرأس . والمنزعة : آلة النزع . وأصل الباب النزع : القلع .

المعنى :

وقال البلخي والجبائي لا يجوز أن يعطي الله الملك للفاسق لأنه تمليك الأمر العظيم من السياسة والتدبير مع المال الكثير ، لقوله : ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ (١) والملك من أعظم العهود ، ولا ينافي ذلك قوله : ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك ﴾ (٢) لا أمرين : أحدهما - قال مجاهد الهاء كناية عن إبراهيم والملك المراد به النبوة والتقدير أن آتى الله إبراهيم النبوة . والثاني - أن يكون المراد بالملك المال دون السياسة ، والتدبير فإن قيل : ما الفرق بين تمليك الكافر العبيد والاماء وبين تمليكه السياسة والتدبير : قيل : لأن لا يجعل للجاهل أن يسوس العالم ، وهذا الذي ذكره البلخي بعينه يُستدل به على الامام يجب أن يكون معصوماً ، ولا يكون في باطنه كافراً ، ولا فاسقاً .

فإن قيل : إن ذلك عادة وجزاز أن يكلفنا الله اختياره على ظاهر العدالة فاذ أبان فسقه انحلت إمامته وإنما لا يجوز أن يختار الله (تعالى) من في باطنه فاسق ، لأنه يعلم البواطن لما جاز منا أن نختاره ؟ قلنا عن ذلك جوابان : أحدهما - أن الامام - عندنا - الله (تعالى) يختاره ، فوجب أن يكون

« ١ » سورة البقرة آية : ١٢٤ .

« ٢ » سورة البقرة آية : ٢٥٨ .

مأمون الباطن على ما قلموه . وما الفرق بين أن يختار من في باطنه فاسق وبين أن يكلمنا ذلك مع علمه بأننا لا نختار إلا الفاسق .

والجواب الثاني - أنه إذا كانت علة الحاجة إلى الامام ارتفاع العصمة فلو كان الامام غير معصوم لاحتاج إلى امام آخر وأدى ذلك إلى التسلسل وذلك باطل .

وقوله : ﴿ بيدك الخير ﴾ معناه إنك قادر على الخير وإنما خص الخير بالذكر وإن كان بيده كل شيء . من خير أو شر ، لأن الغرض ترغيب العبد ، وإنما يرغب في الخير دون الشر ، وقال الحسن ، وقتادة : هذه الآية نزلت جواباً لما سأل الله النبي (ص) أن يجعل لأمته ملك فارس والروم فأنزل الله الآية .

قوله تعالى :

﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ كَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢٧) آية بلا خلاف .

القرأة واللفظ :

قرأ بتشديد الياء « من الميت » نافع وحمة والكسائي وحفص الباقون بالتخفيف .

الايلاج : الادخال يقال : أولجه ايلاجاً ، وولج ولوجاً . ومنه قوله : « حتى يلج الجمل في سم الخياط » (١) والوليجة بطانة الرجل لأنه يطلعه على داخل أمره . ومنه قوله : ﴿ ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ﴾ (٢) والتولج كناس الظبي لأنه يدخله ليأوي إليه والولجة شيء يكون بين يدي فناء القوم لأنه مدخل إلى أفنائهم وأصل الباب الدخول .

المعنى :

قيل في معنى الآية قولان : أحدهما - ما روي عن ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، والضحاك ، وابن زيد : انه يجعل ما نقص من أحدهما زيادة في الآخر . وقال الجبائي : معناه يدخل أحدهما في الآخر باتيانه بدلا منه في مكانه .

وقوله : ﴿ وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ﴾ قيل في معناه قولان :

أحدهما - يخرج الحي من النطفة ، وهي ميتة ، والنطفة من الحي وكذلك الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة ، هذا قول عبد الله بن مسعود ، ومجاهد ، والضحاك ، والسدي ، وقتادة ، وابن زيد .

الثاني - ما قاله الحسن وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) أنه إخراج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن . والفرق بين تخفيف الياء وتشديدها أن الميت بالتخفيف الذي قد مات وبالتثقيب الذي لم يميت قال المبرد : ولا خلاف بين علماء البصريين أنهما سواء وأنشد لابن الرعلاء الغساني :

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء
انما الميت من يعيش كثيباً كاسفاً باله قليل الرخاء (١)
فجمع بين اللفتين وإنما كرر في عدة مواضع في القرآن لما فيه من عظم المنفعة وجزيل الفائدة .

وقوله : ﴿ بغير حساب ﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال : أولها - قال الحسن والربيع : بغير نقصان ، لأنه لا نهاية لما في مقدوره فما يوجد منه لا ينقصه ، ولا هو على حساب جزء من كذا وكذا جزءاً منه ، فهو بغير حساب التجزئة . الثاني - بغير حساب التقتير كما يقال فلان ينفق بغير حساب ، لأن من عادة المقتر ألا ينفق إلا

بحساب ذكره الزجاج . الثالث - مقاله الجبائي : ان معناه بغير حساب الاستحقاق ، لأنه تفضل وذلك ، لأن النعيم منه بحساب ومنه بغير حساب فأما العقاب فجميعه بحساب .

قوله تعالى :

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتًا وَيُنذِرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (٢٨) آية واحدة .

الفراء ، والحجوز :

قال الفراء ، والحسن ، ومجاهد : « تقية » وبه قرأ يعقوب . الباؤون « نقاة » وأمال « نقاة » الكسائي . وقرأ حمزة ، ونافع بين بين . الباؤون بالتفخيم ، وهو الأجود ، لأن فيه حرفاً مستعليماً ، وهو القاف . ومن أمال ، ليؤذن أن الالف منقلبة من الياء . معنى قوله : ﴿ يتخذ المؤمنون ﴾ نهي للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء يعني أنصاراً ، وكسر الذال لالتقاء الساكنين ، ولو رفع ، لكان جائزاً بمعنى لا ينبغي لهم أن يتخذوا .

المعنى :

وقوله : ﴿ من دون المؤمنين ﴾ من لا ابتداء الغاية . وتقدير الآية لا يجعلوا ابتداء الولاية مكاناً دون المؤمنين لأن مكان المؤمن الأعلى ومكان الكافر الأدنى ، كما تقول زيد دونك ولست تريد أنه في موضع مسفل ، وأنت في موضع مرتفع لكن جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع والحيانة كالاتفال . وفي الآية دلالة على أنه لا يجوز ملاطفة الكفار . قال ابن عباس : نهي الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم

خبالا ﴿ (١) ﴾ وقال : ﴿ لا تجدد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ (٢) وقال : ﴿ فلا تقدم بعد الذكري مع القوم الظالمين ﴾ (٣) وقال ﴿ واعرض عن الجاهلين ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم ﴾ (٥) وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم ﴾ (٦) وكل ذلك يدل على أنه ينبغي أن ياماموا بالغلظة والجفوة دون الملائمة ، والملائمة إلا ما وقع من النادر لعارض من الأمور .

النتظم :

ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه (تعالى) لما بين عظيم آياته بما في مقدوراته مما لا يقدر عليه سواه ، دل على أنه ينبغي أن تكون الرغبة في ما عنده وعند أوليائه من المؤمنين دون أعدائه الكافرين ، فنهى عن اتخاذهم أولياء دون أهل التقوى الذين سلكوا طريق الهدى . والولي هو الأولى ، وهو أيضاً الذي يلي أمر من ارتضى فعله بالمعونة والذصرة . وتجري على وجهين :

أحدهما - المعين بالذصرة . والآخ - المعان فن ذلك قوله : « الله ولي الذين آمنوا » أي معينهم بذصرته ، والمؤمن ولي الله أي معان بذصرة الله . وقوله : « ومن يفعل ذلك » يعني من اتخذ الكافرين أولياء « فليس من الله في شيء » أي ليس هو من أولياء الله الصالحين والله بريء منهم « إلا أن تتقوا منهم تقاة » فالتقية الاظهار باللسان خلاف ما ينطوي عليه القلب لاخوف على النفس إذا كان ما يبطنه هو الحق فإن كان ما يبطنه باطلا كان ذلك تقافاً .

اللفظ :

وقوله : ﴿ تقاة ﴾ أصله وقاة فابدلت الواو المضمومة تاء استثقالا لها ، لأنهم

- ١ د - سورة آل عمران آية : ١١٨ . ٢ د - سورة المجادلة آية : ٢٢ .
 ٣ د - سورة الانعام آية ٨ . ٤ د - سورة الاعراف آية : ١٦٨ .
 ٥ د - سورة التوبة آية : ٧٤ . ٦ د - سورة المائدة آية : ٥٤ .

يفرون منها إلى الهمزة تارة وإلى التاء أخرى فأما التاء فلقرّبها من الواو مع أنها من حروف الزيادة . وأما الهمزة فلاؤها نظيرتها في الطرف الآخر من مخارج الحروف مع حسن زيادتها أولاً ، ووزن تقاة فعله مثل تودة ، ونخمة ونكاة ، وهي مصدر اتقى تقاة ، وتقية ، وتقوى ، واتقاء .

حكم التنقية :

والتقية - عندنا - واجبة عند الخوف على النفس وقد روي رخصة في جواز الافصاح بالحق عندها . روى الحسن أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله (ص) فقال لاحدهما أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . قال : أفشهد أي رسول الله ؟ قال نعم ، ثم دعا بالآخر فقال أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال له أفشهد أي رسول الله ؟ قال إني أصم - قالها ثلاثاً كل ذلك تقية - فتقول ذلك فضرب عنقه فبلغ ذلك (١) فقال أما هذا المقتول فمضى على صدقه وتقيته وأخذ بفضله فهنيئاً له . وأما الآخر فقبل رخصة الله ، فلا تبعه عليه فعلى هذا التقية رخصة والافصاح بالحق فضيلة . وظاهر أخبارنا يدل على أنها واجبة ، وخلافها خطأ .

وقوله ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ يعني إياه فوضع نفسه مكان إياه ، ونفسه يعني عذابه ، وأضافه إلى نفسه على وجه الاختصاص ، والتحقيق كما لو حققه بصفة بأن يقول يحذركم الله المجازي لكم . وقوله : ﴿ وإلى الله المصير ﴾ معناه إلى جزاء الله المصير أي المرجع .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَنْ تَخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُبَلِّغُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٩)
آية واحدة .

النظم :

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها . أنه لما تقدم النهي عن اتخاذ الكفار أولياء .
خوفوا من الاعلان بخلاف الاظهار في ما نهوا عنه بأن الله (تعالى) يعلم الأسرار
كما يعلم الاعلان .

المعنى :

والصدر معروف . والصدر : أعلى مقدم كل شيء . والصدر : الانصراف
عن الماء بعد الري . تقول : صدرت الابل عن الماء فهي صادرة . والمصدر : الحوض
الذي تصدر عنه الابل . والتصدير : حزام الرجل لميله إلى الصدور . والصدار :
شبيهة بالفقيرة تلبسها المرأة لأنه قصير يغطي الصدر وما حاذاه وكذلك الصدر .
وأصل الباب الصدر المعروف .

وقوله : ﴿ يعلمه الله ﴾ جزم ، لأنه جواب الشرط ، وان كان الله يعلمه كان
أو لم يكن ، ومعناه يعلمه كائناً . ولا يصح وصفه بذلك قبل أن يكون . والمعنى :
وما تعملوا من خير يجاز الله عليه ، لأنه يعلمه ، فلا يذهب عليه شيء منه وإنما
قال : « ويعلم ما في السموات وما في الارض » ليذكر بمعلومات الله على التفصيل بعلم
الضمير وإنما رفعه على الاستئناف . وقوله : ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ معناه
التحذير من عقاب من لا يمجزه شيء أصلاً من حيث أنه قادر على كل شيء بصح
أن يكون مقدوراً له .

قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ
مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ
وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٣٠) آية بلا خلاف .

الاعراب :

قيل في انتصاب يوم ثلاثة أوجه : أحدها - أنه منصوب بـ (يحذركم) الله أي يحذركم نفسه يوم تجد . الثاني - بالمصير وتقديره وإلى الله المصير يوم تجد . الثالث - إذكر يوم تجد . وقوله : « ما عملت » معنى (ما) ههنا الذي لأنه عمل فيها (تجد) وتكون في موضع نصب . ويحتمل أيضاً أن تكون مع ما بعدها بمنزلة المصدر ، وتقديره : يوم تجد كل نفس عملها ، بمعنى جزاء عملها . وقوله : « وما عملت » يجوز أن تكون (ما) بمعنى الذي ، ويقوي ذلك قوله : « تود » بالرفع ويجوز أن يكون بمعنى الجزاء ، وتود على هذا يحتمل أن يكون مفتوحاً أو مكسوراً . والرفع جائز على ضعف .

المعنى :

ومعنى تجد النفس عملها يحتمل أمرين : أحدهما - جزاء عملها من الثواب أو العقاب . الثاني - تجد بيان عملها بما ترى من صفات الحسنات ، والسيئات . وحكم الآية جار على فريقين ولي الله وعدوه ، فأحدها يرى حسناته ، والآخري سيئاته . ويحتمل أيضاً أن يكون متناولاً لمن جمع بين الطاعة والمعصية ، فإن من جمع بينها فإنه يرى استحقاقه للعقاب على معاصيه حاصلًا ، فإنه يود أيضاً أنه لم يكن فعلها . والامد الغاية التي ينتهي إليها قال الطرماح :

كل حي مستكمل عدة العمر ومهد إذا انقضى أمده
أي غاية أجله . فإن قيل كيف يتصل التحذير بالرأفة ؟ قيل : قال الحسن :
إن من رأفته بهم أن حذرهم نفسه ، وقد بينا أن معنى قوله « ويحذركم الله نفسه »
عذابه . وفسرنا معنى رؤوف في ما مضى . وإن معناه رحيم بعباده .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾

ذُنُوبِكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ آية .

النزول:

قيل : إن هذه الآية نزلت في قوم من أهل الكتاب ، قالوا : نحن الذين نحب ربنا فجعل الله تصديق ذلك اتباع رسوله . هذا قول الحسن وابن جريج . وقال محمد بن جعفر بن الزبير : إنها نزلت في وفد نجران من النصارى .

الغز:

والحبة : هي الارادة إلا أنها تضاف إلى المراد تارة ، وإلى متعلق المراد أخرى نحو أن تقول : أحب زيداً واحب إكرام زيد ، ولا تقول في الارادة ذلك لأنك تقول : أريد إكرام زيد ، ولا تقول أريد زيداً . وإنما كان كذلك لقوة تصرف المحبة في موضع مثل الطباع الذي يجري مجرى الشهوة ، فعومت تلك المعاملة في الاضافة ومحبة الله للعبد هي ارادته لثوابه ومحبة العبد لله هي ارادته لطاعته .

المراد ، والمحبة ، والاعراب :

وقوله : ﴿ فاتبعوني ﴾ أثبتت الياء فيه بلا خلاف ، لأنها في وسط آية وحذفت من قوله : ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ لأنها رأس آية نوي بها الوقف لتشاكل رءوس الآي ، لأن سبيل القواصل سبيل القوافي . وقيل أحبت فلاناً ، فهو محبوب ، فجاء مفعول للاستغناء به عن حبت حتى صار ذلك مهملًا ، وقد جاء على الاصل قول عنتره :

ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم (١)

وقد حكى الزجاج عن الكسائي (حبت) من الثلاثي ، وأجاز القراءة بفتح

التاء غير أنه قال هذه لغة قد ماتت . وقوله : ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ لا يجوز في القياس إدغام الراء في اللام كما جاز إدغام اللام في الراء في الراء ، لأن الراء مكررة ، ولا يدغم الزائد في الناقص للاختلال به ، وقياسها في ذلك قياس الضاد ، لأنه يجوز هل ضربت بالادغام ولا يجوز انقض له إلا بالاظهار لما في الضاد من الاستطالة ، وقال الزجاج : روي عن أبي عمرو إدغام الراء في اللام ، وغلظ عليه لأنه خطأ فاحش باجماع علماء النحويين : الموثوق بهم ، وأجاز الفراء إدغامها في اللام كما يجوز إدغام الياء في الميم .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٢) آية بلا خلاف .

قال محمد بن جعفر بن الزبير : نزلت هذه الآية في وفد نجران ، وفيها دلالة على بطلان مذهب المجبرة ، لأنه قال لا يحب الكافرين ومعنى لا يحبهم لا يريد نوابهم من أجل كفرهم ، فأذن لا يريد كفرهم ، لأنه لو أرادهم لم يكن نفي محبته لكفرهم ، والطاعة إتباع الداعي فيما دعا إليه بأمره أو إرادته ، ولذلك قد يكون الانسان مطيعاً للشيطان فيما يدعو إليه ، وإن لم يقصد أن يطيعه ، لأنه إذا مال مع ما يجده في نفسه من الدعاء إلى المعصية ، فقد أطاع الداعي إليها . فان قيل ما الفرق بين الطاعة وموافقة الارادة ؟ قيل : موافقة الارادة قد تكون طاعة ، وقد تكون غير طاعة إذا لم تقع موقع الداعي إلى الفعل نحو ارادتي ، لأن يتصدق زيد بدرهم من غير أن يشعر بذلك ، فلا يكون بفعله مطيعاً لي ولو فعله من أجل ارادتي لكان مطيعاً وكذلك لو أحسن بدعائي إلى ذلك فال معه . وقوله : ﴿ إِنْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُ وَيُحِبُّ اللَّهُ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُ وَيُخَوِّفُهُمْ وَلَا يَجْعَلْ لِقَوْمٍ ظُلْمًا وَلَا مِحْرًا ﴾ (٣٢) الآية ، فدل بالنفي على الامتثال وكان ذلك أبلغ ، لأنه لو قال إنه يبغضهم لجاز أن يتوهم أنه يبغضهم من وجه ويحبهم من وجه كما يعلم الشيء من وجه ، ويجهل من وجه ، فإذا قيل لا يعامه

لم يحتمل الوجوه .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٣) آية واحدة .

معنى اصطفى : اختار واجتبي وأصله من الصفوة ، وهذا من حسن البيان
الذي يمثل فيه المعلوم بالمرئي وذلك أن الصافي هو النقي من شائب الكدر فيما يشاهد
فمثل به خلوص هؤلاء القوم من الفساد لما علم الله ذلك من حالهم لأنهم كخلوص
الصافي من شائب الادناس . فان قيل : بماذا اختارهم أباختيار دينهم أو بغيره ؟
قيل فيه ثلاثة أقوال :

أحدها - بمعنى أنه اختار دينهم واصطفاه ، كما قال : « وأسأل القرية » (١)
وهذا قول الفراء :

و [الثاني] قال الزجاج واختاره الجبائي : انه اختيارهم للنبوته على عالمي
زمانهم .

الثالث - قال البلاخي : بالترفضيل على غيرهم بما رتبهم عليه من الامور الجليلة ،
لما في ذلك من المصلحة .

والاصطفاء هو الاختصاص بحال خالصة من الادناس . ويقال ذلك على
وجهين . يقال : اصطفاه لنفسه أي جعله خالصاً له يختص به . والثاني - اصطفاه على
غيره أي اختصه بالترفضيل على غيره وهو معنى الآية فان قيل : كيف يجوز اختصاصهم
بالترفضيل قبل العمل ؟ قيل : إذا كان في المعلوم أن صلاح الخلق لا يتم إلا بتقديم
الاعلام لذلك بما قدم من البشارة بهم ، والاعبار بما يكون من حسن أفعالهم
والتشويق إليهم بما يكون من جلالتهم إلى غيره من الآيات التي تشهد لهم ،
والقوى في العقول والافهام التي كانت لهم ، وجب في الحكمة تقديم ذلك لما فيه

من حسن التدبير .

فان قيل : من آل ابراهيم ؟ قيل : قال ابن عباس ، والحسن : هم المؤمنون الذين على دينه ، فيكون بمعنى اختصاصهم بميزة كانت منهم على علمي زمانهم . وقيل : آل عمران هم آل ابراهيم كما قال : « ذرية بعضها من بعض » فهم موسى وهرون ابنا عمران . وقال الحسن : آل عمران المسيح ، لأن أمه مريم بنت عمران . وفي قراءة أهل البيت « وآل محمد على العالمين » . وقال أيضاً : إن آل ابراهيم : هم آل محمد الذين هم أهله . وقد بينا فيما مضى أن الآل بمعنى الأهل . والآية تدل على أن الذين اصطفاهم معصومون منزهون ، لأنه لا يختار ولا يصطفى إلا من كان كذلك ، ويكون ظاهره وباطنه واحداً ، فإذا يجب أن يختص الاصطفاء بآل ابراهيم وآل عمران من كان مرضياً معصوماً سواء كان نبياً أو إماماً .

قوله تعالى :

﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣٤) .

اللفظ ، والاعراب :

وزن ذرية فعلية ، مثل قرية . ويحتمل أن يكون على وزن فعلولة . وأصله ضرورة إلا أنه كره التضعيف ، فقلبت الراء الأخيرة ياء ، فصار ذروية وقلبت الواو للياء التي بعدها ياء ، وادغمت احداها في الاخرى ، فصار ذرية . قال الزجاج : والاول أجود وأقيس . ويحتمل نصبها وجهين :

أحدها - أن يكون حالا والعامل فيها اصطفى . والثاني - أن يكون على البديل من مفعول اصطفى .

المعنى :

ومعنى قوله : ﴿ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ أي في الاجتماع على الصواب . قال الحسن :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » (١) في الاجتماع على الهدى . وبه قال قتادة . الثاني - قال الجبائي وغيره : إنه في التناسل إذ جميعهم ذرية آدم ، ثم ذرية نوح ، ثم ذرية إبراهيم ، وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ، لأنه قال الذين اصطفاهم الله بعضهم من نسل بعض . وقوله : ﴿ والله سميع عليم ﴾ قيل فيه قولان : أحدهما - أنه سميع لما تقوله الذرية عليهم بما تضمنه ، فذلك فضلها على غيرها لما في معلومه من استقامتها في قولها ، وفعلها . والثاني - سميع لما تقوله امرأة عمران من قوله : « اني نذرت لك ما في بطني محرراً » عليهم بما تضمنه ليدل على أنه لا يضيع لها شيء . من جزاء عملها ونبه بذلك على استحسان ذلك منها ، لأن قول القائل قد علمت ما فعلت يجري في الوعد والوعيد معاً على حد واحد .

قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي
مُحَرَّرًا قَتِيلًا أَمْ أَنَا حَرَامٌ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٥) آية واحدة
بلا خلاف .

الاعراب ، والمعنى :

امرأة عمران المذكورة في الآية هي أم مريم بنت عمران أم المسيح ، وقيل أن اسمها كانت حنة . و (إذ) تدل على ما مضى . وقيل فما يتعلق به (إذ) أربعة أقوال :

أحدها - قال الاخفش والمبرد : أنه اذ ذكر إذ قالت .

الثاني - قال الزجاج : انه متعلق باصطفى آل عمران إذا قالت .

الثالث - يتعلق بسميع عليهم إذ قالت ، فيعمل فيه معنى الصفتين على تقدير مدرك لنيتها وقولها إذ قالت ذكره الرماني .

الرابع - قال أبو عبيدة : ان (إذ) زائدة ، فلا موضع لها من الاعراب

وهذا خطأ عند البصريين . وقوله : ﴿ نذرت لك ما في بطني محرراً ﴾ فالنذر قد بيناه فيما مضى ، وهو قول القائل : لله علي كذا وكذا . وقيل في معنى (محرراً) ثلاثة أقوال : أحدها - قال الشعبي : معناه مخلصاً للعبادة . وقال مجاهد : خادماً للبيعة . وقال محمد بن جعفر بن الزبير : عتيقاً من الدنيا لطاعة الله .

اللغة :

ومعنى (محرر) في اللغة يحتمل أمرين : أحدهما - معتق من الحرية . تقول : حررتَه تحريراً : إذا أعتقته أي جعلته حرراً . الثاني - من تحرير الكتاب وهو إخلاصه من الضرر والفساد . وأصل الباب الحرارة ، لأن الحر يحمي في مواضع الاتفة . فالمحرر يخلص من الاضطراب كما يخلص حرارة النار الذهب ونحوه من شائبة الفساد ، وهو نصب على الحال من (ما) وتقديره نذرت لك الذي في بطني محرراً والعامل فيه نذرت .

وقوله : « فتقبل مني » فأصل التقبل المقابلة ، وذلك للاعتداد بالشيء فيما يقابل بالجزاء عليه . وتقبل الصنيع مشبه بتقبل الهدية من جهة أخذه دون رده . وقوله ﴿ إنك أنت السميع العليم ﴾ معناه السميع لما أقول العليم بما أنوي ، فهذا صحت الثقة لي .

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (٣٦) آية بلا خلاف .

الفرادة ، والمعنى :

قرأ « والله أعلم بما وضعت » ابن عامر ، وأبو عمرو عن عاصم ، ويعقوب

بمعنى قولني : « فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها اتني » قيل : فيه قولان : أحدهما - الاعتذار من العدول عن النذر ، لأنها اتني . الثاني - تقديم الذكر في السؤال لها بانها اتني وذلك ان عيب الاتني أفظع ، وهو إليها أسرع ، وسميها أضعف ، وعقلها أنقص فقدمت ذكر الاتني ليصح القصد لها في السؤال على هذا الوجه . وقوله : « وليس الذكر كالاتني » اعتذار بأن الاتني لا تصلح لما يصلح له الذكر ، وإنما كان يجوز لهم التحرير في الذكور دون الاناث ، لأنها لا تصلح لما يصلح له الذكر من التحرير لخدمة المسجد المقدس ، لما يلحقها من الحيض والنفاس ، والصيانة عن التبرج للناس . وقال قتادة : لم يكن التحرير إلا للغلمان فيما جرت به العادة . والهاء في قوله : « وضعتها » يحتمل أن يكون كناية عن (ما) في قوله « نذرت لك ما في بطني » وجاز ذلك لوقوع (ما) على مؤنث . ويحتمل أن يكون كناية عن معلوم قد دل عليه الكلام .

اللفظ :

وأصل الوضع : الخط . وضعه يضعه وضعاً . ووضعت بمعنى ولدت أي وضعت الولد . ومنه الموضع : مكان الوضع . والتواضع : خلاف التكبر لأنه وضع العبد من نفسه . والضة : الخساسة لأنها تضع من قدر صاحبها . والوضيعة : ذهاب شيء من رأس المال . والمواضعة : المواهب في التباع لوضع ما ينفق عليه في ذلك . والايضاع في السير : الرفق فيه لأنه حط عن شدة الاسراع . ومنه قوله تعالى : « ولأوضحوا خلالكم » (١) وأصل الباب : الخط .

المعنى :

فان قيل هل يجوز أن تقول : والله أعلم بأن الجسم يحدث من زيد العالم به ، كما قالت : « والله أعلم بما وضعت » ؟ قيل : لا يجوز لأن علم كل واحد منهما يجوز أن ينقلب عنه إلى خلافه ، وليس كذلك بأنه يعلم الله ، وأفعل من كذا إنما يقال للمبالغة في الصفة . ومن ضم الناء جعل ذلك من كلام أم مريم على وجه

التسييح والانقطاع إليه تعالى كما يقول القائل : قد كان كذا وكذا ، وأنت تعلم لا على وجه الاعلام بل على ما قلناه . واسكان التاء أجود لامرين : أحدهما - أن قولها « إني وضعتها اتني » قد أغنى عن ذلك . والثاني - أنه كان يجب أن تقول وأنت أعلم ، لأنها تخاطب الله تعالى .

وقوله : « وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » قيل في معناه قولان : أحدهما - الاستعاذة من طعن الشيطان للطفل الذي له يستهل صارخاً ، فوقها الله عز وجل وولدها عيسى منه بحجاب على ما رواه أبو هريرة عن النبي (ص) الثاني - قال الحسن انها استعاذت من إغواء الشيطان .

اللعن :

والرجيم بمعنى الموجود بالشبهة وأصل الرجم : الرمي بالحجارة رجم يرمي رجماً والرجم القذف بالغيب لأنه رمى العبد به . ومنه « لارجنك وأهجرني ملياً » (١) والرجم الاخبار عن الظن لأنه رمى بالخبر لاعتن يقين . ومنه « رجماً بالغيب » (٢) والرجوم النجوم ، لأن من شأنها أن يرمى بها الشياطين ومنه قوله : « وجعلناها رجوماً للشياطين » (٣) . والرجام القبور التي عليها الحجارة . والمراجعة المبراة في الكلام ، والعمل له من كل واحد من النفيسين لرمي صاحبه بما يكيدوه وأصل الباب الرمي .

قوله تعالى :

﴿ فَتَقْبِئْهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا
كَلِمًا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى

(١) - سورة مريم آية : ٤٦ . (٢) - سورة الكهف آية : ٢٣ .

(٣) - سورة الملك آية : ٥ .

لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ آية واحدة بلا خلاف .

الفراة ، والمعنى ، واللفز :

قرأ أهل الكوفة « كفلها » بالتشديد . الباقون بالتخفيف . والتخفيف أليق
بقوله « أيهم يكفل مريم » (١) وقرأ أهل الكوفة إلا أبابكر (زكريا) مقصوراً .
الباقون بالمد . ونصب (زكرياه) مع المد أبو بكر . الباقون بالرفع .
قوله : « فتقبلها ربها بقبول حسن » معناه رضيها في النذر الذي نذرته
بالاخلاص للعبادة في بيت المقدس ، ولم يقبل قبلها أنى في ذلك المعنى . وإنما جاء
مصدر تقبلها على القبول دون التقبل ، لأن فيه معنى قبلها . وقال أبو عمرو :
لا نظير للقبول في المصادر ، ففتح فاء الفعل والباب كله مضموم الفاء كالدخول ،
والخروج ، وقال سيديويه : جاءت خمسة مصادر على فعول : قبول ، ووضوح ،
وظهور ، وولوج ، ووقود إلا أن الاكثر في وقود الضم إذا أريد المصدر .
وأجاز الزجاج في القبول الضم .

وقوله : « وأنبئها نبأنا حسناً » معناه أنشأها إنشاء حسناً في عذابها
وحسن تربيتها . والكفل تضمن مؤنة الانسان كفلته أ كمله كفلا فأنا كافل :
إذا تكلفت مؤنته . ومنه « وكفلها زكريا » ومن قرأ بالثقل فمعنا كفلها الله زكريا
والكفيل : الضامن . والكفل : مؤخر العجز . والكفل من الرجال الذي يكون في
مؤخر الحرب همته الفرار . والكفل النصيب .

ومنه قوله : ﴿ يَوْمَ كَفَلْتُم مِّن رَّحْمَتِهِ ﴾ (٢) وقوله : ﴿ وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً
سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كَفَلٌ مِنْهَا ﴾ (٣) وأصل الباب التأخر فنه الكفالة الضمان . وفي زكريا
ثلاث لغات : المد ، والقصر . وقد قرئ بها وزكري بالياء المشددة وأحكامها مختلفة

« ١ » سورة آل عمران آية : ٤٤ .

« ٢ » سورة الحديد آية : ٢٨ .

« ٣ » سورة النساء آية : ٨٤ .

في الجمع . والتثنية ، فمن مد قال في التثنية : زكريا وان . وفي الجمع زكريا وون .
ومن قصر قال في التثنية زكريان . وفي الجمع زكريون . والذي بالياء زكريان في
التثنية ، وزكريون في الجمع ، وزكرياه بالمد لا يجوز صرفه لأن فيه ألني التأنيت .
ومن قال : لأنه أعجمي معرفة يلزمه إذا نكر أن يصرفه ، وهذا لا يجوز . وأما
زكري ، فإنه ينصرف لأنه بناؤ الذنب خرج إلى شبه العربي كما خرج مدائني إلى
شبه الواحد على قول البرد . والمحراب : مقام الامام من المسجد وأصله أكرم مريض
في المجلس وأشرفه قال عدي بن زيد العبادي :

كدمي المعجاج في المحاريب أو كالمبيض في الروض زهره مستدير (١)

وقيل هو المكان العالي ذكره الزجاج قال الشاعر :

ربة محراب إذا جئتها لم ألقها أو أرتقي سلما (٢)

وقوله : « وجد عندها رزقا » ، فالرزق هو ما للانسان ، الانتفاع به على

وجه ليس لأحد منعه .

المعنى :

وقيل إنه كان فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف في قول
ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، وابن اسحق . وقال : تكلمت في المهد ،
ولم تلقم ثدياً قط ، وإنما كان يأتيها رزقها من الجنة ، وهذه تكريمة من الله تعالى
لها . وعندنا يجوز فعل ذلك بالأولياء والصالحين ، وإن لم يكونوا أنبياء . ومن منع
منه قالوا فيه قولين : أحدهما - أن ذلك كان آية لدعوة زكريا لها بالرزق في الجملة .
والثاني - قال قوم : هو تأسيس لنبوة المسيح ، والأول قول الجبائي . واختار وجهاً
آخر أن يكون الله (تعالى) سخر لها بعض عباده أن يأتيها به بلطفه على مجرى

« ١ » ديوانه في شعراء الجاهلية : ٤٥٥ . يصف نساء يقول : هن كتائب العاج في

محاريب المعابد . والبيض : يعني بيض النعام . والروض جمع روضة وهي البستان .

« ٢ » قائله وضاح الجيني اللسان (حرب) . وقد استشهد به على أن المحراب صدر البيت ،

وأكرم موضع فيه ، والجمع المحاريب .

العادة ، ولا يكون معجزاً ، وهذا خلاف جميع أقوال المفسرين ، لأنهم كلهم قالوا لما رأى زكريا ذلك قال: الذي يقدر على أن يأتي مريم بالرزق يقدر أن يخلق الولد من امرأة عاقر ، فهناك سأله أن يرزقه ولداً . ويحتمل إيصال قوله : « إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » بما تقدم من وجهين : أحدهما - أن يكون حكاية لقول مريم . والثاني - أن يكون استثناءً من الله الأخبار به . والأولى أن يكون على الاستثناء ، لأنه ليس من معنى الجواب عما سئلت عنه في شيء . وقال الحسن : هو على الحكاية . وقوله : « بغير حساب » معناه بغير حساب الاستحقاق على العمل ، لأنه تفضل يبتدىء الله به من يشاء من خلقه . ويحتمل أن يكون المراد بغير تقدير كما يحسب الذي يخاف الاملاق . وقد بينا فيما مضى معنى (أنى) وأن معناه من أين لك . وقال قوم معناه كيف لك . والأول أظهر .

قوله تعالى :

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (٣٨) آية واحدة .

اللفظ والمعنى :

معنى هنالك : عند ذلك . والأصل فيه الطرف من المكان نحو رأيتك هنا وهناك ، وهنالك ، والفصل بينهما ، القرب والبعد ، فهنا للقريب وهنالك للبعيد ، وهناك لما بينهما . وقال الزجاج : ويستعمل في الحال كقوله من هنا قلت : كذا أي من هذا الوجه . وفيه معنى الإشارة كقولك : ذا ، وذاك . وزيدت اللام لتأكيد التعريف ، لأن الأصل في زيادتها التعريف إلا أنها كسرت لالتقاء الساكنين كما كسرت في ذلك . ولا يجوز إعرابها ، لأن فيها معنى الحرف .

ومعنى الآية عند ذلك الذي رأى من فأكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف على خلاف ما جرت به العادة ، طمع في رزق الولد من العاقر

على خلاف مجرى العادة ، فسأل ذلك . وزكريا (ع) وإن كان عالماً بأنه تعالى يقدر على خلق الولد من العاقر ، وإن لم تجربه العادة ، فإنه كان يجوز ألا يفعل ذلك لبعض التدبير ، فلما رأى خرق العادة بخلق الفاكهة في غير وقتها قوي ظنه أنه يفعل ذلك: إذا اقتضت المصلحة ، وقوي في نفسه ما كان علمه ، كما أن إبراهيم وإن كان عالماً بأنه (تعالى) يقدر على إحياء الميت سأله ذلك مشاهدة لتأكيد معرفته وتزول عنه خواطره . وقال الجبائي: إن الله تعالى كان أذن له في المسألة وجعل وقته الذي أذن له فيه الوقت الذي رأى فيه المعجزة الظاهرة فذلك دعا .

وقوله ﴿ قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ﴾ فالهبة تملك الشيء من غير ثمن تقول : وهب هب ، فهو واهب والشيء موهوب ، وتواهبوا الأمر بينهم تواهباً ، واستوهبه استهباباً . وقوله من لدنك معناه من عندك وإنما بني ولم ين عند ، لأنه استبهم استبهم الحروف ، لأنه لا يقع في جواب أين كما يقع عند نحو قوله أين زيد فتقول عندك ، ولا تقول لدنك . « ذرية » تقع على الجمع ، والواحد . وقيل أن المراد ههنا واحد لقوله « هب لي من لدنك ولياً » (١) وأما بمعنى الجمع ، فمثل قوله : « ذرية من حملنا من نوح » (٢) وقوله : « طيبة » قال السدي معناه مباركة . وإنما أنت طيبة ، وهو سأل ولداً ذكراً على تأنيث الذرية كما قال الشاعر :

أبوك خليفة ولدته أخرى وأنت خليفة ذاك بالكمال (٣)
وقال آخر :

فما نردري من حية جبلية سكات إذا ما غاض ليس بأدردا (٤)
فجمع التأنيث ، والتذكير في بيت واحد مره على اللفظ ، ومره على المعنى .

﴿ ١ ﴾ سورة مريم آية : ٤ . ﴿ ٢ ﴾ سورة الاسراء آية : ٣ .

﴿ ٣ ﴾ اللسان : (خلف) ، ومعاني القرآن للفراء ١ : ٢٠٨ .

﴿ ٤ ﴾ اللسان : (سكت) ، ومعاني القرآن للفراء ١ : ٢٠٨ . الحية الجبلية اسمها أشد . وحية سكوت وسكات - بضم السين - : إذا لم يشعر الملسوع بها حتى تلتصق . والأردد : الذي سقطت أسنانه ، فلم يبق في فمه سن . يصف رجلاً داهية شبيهة بالحية الجبلية السكوت .

وإنما يجوز هذا في أسماء الأجناس دون الأعلام نحو طلحة ، وحمة ، وعنترة ، لا يجوز أن تقول جاءت طلحة من قبل أن التذكير الحقيقي يغلب على تأنيث اللفظ فأما قوله :

وعنترة الفيحاء جاءت ملاماً كأنك فند من عمية أسود

فإنما أراد شفة عنترة ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وقوله :

﴿ إنك سميع الدعاء ﴾ معناه سامع الدعاء بمعنى قابل الدعاء . ومنه قول القائل : سمع الله لمن حمده أي قبل الله دعاه وأصل السمع ادراك السموع وإنما قيل للقابل سامع لأن من كان أهلاً أن يسمع منه فهو أهل أن يقبل منه خلاف من لا يعتمد بكلامه فيكلامه بمنزلة ما لم يسمع .

قوله تعالى

﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب إن الله يبشرك

ببني مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً وبدياً من الصالحين ﴾

(٣٩) آية واحدة بلا خلاف .

الفراء :

قرأ حمزة والكسائي وخلف «فناداه الملائكة» على التذكير ، والامانة . الباقر على التأنيث ، فالاول على المعنى ، والثاني على اللفظ . وقرأ حمزة وابن عامر « إن الله » بكسر الهمزة على الحكاية . الباقر بفتحها على أعمال المناداة ، وتقديره نادته بأن الله . وقرأ حمزة والكسائي « يبشرك » بفتح الياء وتخفيف الشين وضمها . الباقر بضم الياء وتشديد الشين .

المعنى والمغزى

وقال السدي الذي نادى زكريا جبريل وحده ، فعلى هذا يكون ذهب مذهب

الجمع كما يقولون : ذهب في السفن وإنما خرج في سفينة وخرج على البغال وإنما ركب بغلاً واحداً . وقال غيره : ناداه جماعة من الملائكة كأنه قيل : النداء جاء من قبل الملائكة وإنما جاز ذلك لمادة جارية نحو قولهم : ناداه أهل العسكر ، وناداه أهل البلد . وقوله : (وهو قائم يصلي) جملة في موضع الحال . وقوله : ﴿ إن الله يبشرك ﴾ في بشره من البشري ثلاث لغات : بشره يبشره وبشره يبشره بشرأ ، وبأبشره بشرأ عن أبي العباس . وقرأ حميد « يبشرك » من أبشر ، وكل ذلك لظهور السرور في بشرة الوجه . وقيل إن الثقل من البشارة ، والمخفف من السرور ، والمعنيان متقاربان . وأنشد الاخفش :

وإذا لقيت الباهشين بلى الندى غرباً أ كفهم بقاع محل

فاعنهم وابشر بما بشروا به وإذا هم نزلوا بضنك فانزل (١)

قال الزجاج هذا على بشر يبشر إذا فرح . وأصل هذا كله أن بشرة الانسان تنبسط عند السرور . وقوله : ﴿ يبشرك ﴾ قال قتادة سمي يبشرك ، لأن الله تعالى أحياه بالايمن سماه الله بهذا الاسم قبل مولده .

وقوله : ﴿ مصدقاً ﴾ نصب على الحال من يحيى « بكلمة » يعني المسيح (ع) في قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والزبيح ، والضحاك ، والسدي وجميع أهل التأويل إلا ما حكى عن أبي عبيدة أنه قال « بكلمة » أي بكتاب الله كما يقولون أنشدني فلان كلمة فلان أي قصيدته وإن طالت ، وإنما سمي المسيح كلمة الله لاسمرين :

أحدهما - أنه كان بكلمة الله من غير أب من ولد آدم .

والثاني - لأن الناس يهتدون به في الدين كما يهتدون بكلام الله .

وقوله : ﴿ وسيداً ﴾ يعني مالكالمن يجب عليه طاعته ، ومن ذلك سيد الغلام

« ١ » قوله عبد قيس بن خفاف البرجمي . اللسان : (كرب) ، (بشر) ، (يسر) ، معاني القرآن لفراء ، ١ : ٢١٢ والبيتان من قصيدة ينصح بهسا ولده جليل . ورواية المصادر مختلفة . الهش : المرح . بهش الى التي : فرح به وأمرع اليه . التمدى : الكرم . المحل : الجذب الضك : الضيق .

يعني مالكة ، ولا يقال سيد الثوب بمعنى مالك الثوب ، لأنه لا يتصور هناك
 لوجوب طاعته . وأصل السواد الشخص ، فقيل سيد القوم بمعنى مالك السواد
 الاعظم ، وهو الشخص الذي يجب طاعته لمالكة ، وهذا إذا قيل مضافاً أو مقيداً
 فأما إذا اطلق فلا ينبني إلا لله تعالى ، لأنه المالك لجميع الخلق . وقيل : معناه هنا
 وسيداً في العلم والعبادة في قول قتادة . وقال الجبائي : معناه وسيداً للمؤمنين بالرياسة
 لهم . وقال الضحاك : سيداً في الحلم والتقى . وقيل سواد الانسان لشخصه ، لأنه
 يستر به لستر سواد الظلمة بتكائه ، ونسوله . « وحسورا » معناه الممتنع من الجماع .
 ومنه قيل للذي يمتنع أن يخرج مع ندمائه شيئاً للنفقة حصور قال الأخطل :

وشارب مرشح بالكاس ناديني لا بالحصور ولا فيها بسوار (١)

يعني معربد ويقال للذي يكتم سره حصور ويقال : حصر في قراءته إذا
 امتنع بالاقطاع فيها . ومنه حصر العدو منعه الناس من التصرف . وقال عبدالله :
 الحصور العنين . وقال سعيد بن المسيب إنما كان معه مثل هذب الثوب . وقال
 الحسن ، وقتادة هو الذي لا يأتي النساء ، وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ، وقال
 بعضهم هو الذي لا يبالي ألا يأتي النساء ، وقوله : « ونبيا من الصالحين » (من)
 هنا لتبيين الصفة ليس المراد به التبعيض ، لأن النبي لا يكون إلا صالحاً .

قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ انى يَكُونُ لى غُلامٌ وَقَدْ بَلَغنى السِّكْرُ وامْرأتى ﴾

عاقِرٌ قال كذلك الله يفعل ما يشاء ﴿ (٤٠) .

١٤١٦ دبوته : ١١٦ ، واللسان : (حصر) ، (سار) ، (سور) ، وطبقات الخول
 الشراء : ٤٣٢ ، ومجاز القرآن ١ : ٩٢ . المربح : المعطي الربح للتاجر .
 يريد أنه يغلى بنمن الحر ولا يبالى بما يبدل فيها . والسوار : الذي تسور الحر في دماغه ،
 يعربد على رفاقه .

المعنى

إن قيل لم راجع هذه المراجعة مع ما بشره الله تعالى بأنه يهب له ذرية طيبة ، وبعد أن سأل ذلك ؟ قيل : إنما راجع ليعرف على أي حال يكون ذلك أيرده إلى حال الشباب وامرأته ، أم مع الكبر ، فقال الله (تعالى) « كذلك الله يفعل ما يشاء » أي على هذه الحال ، وتقديره كذلك الأمر الذي أنت عليه « يفعل الله ما يشاء » هذا قاله الحسن . وقيل في وجه آخر ، وهو أنه قال على وجه الاستعظام لمقدور الله والتمعجب الذي يحدث للانسان عند ظهور آية عظيمة من آيات الله ، كما يقول القائل : كيف سمحت نفسك باخراج الملك النفيس من يدك أمجباً من جوده ، واعترافاً بعظمه . وقال بعضهم : إن ذلك إنما كان للوسوسة التي خالطت قلبه من قبل الشيطان حتى خيلت إليه أن النداء كان من غير الملائكة . وهذا لا يجوز ، لأن النداء كان على وجه الإعجاز على عادة الملك فيما يأتي به من الوحي عن الله ، والانبياء (ع) لا يجوز عليهم تلاعب الشيطان بهم حتى يختلط عليهم طريق الافهام ، فلا يعرفوا نداء ملك من نداء شيطان أو انسان .

اللفظ :

والغلام : هو الشباب من الناس . يقال : غلام بين الغلومية والغلومة والغلعة . والاختلام : شدة طلب النكاح . والغيلم (١) منع الماء من الآبار ، لأنه طلب الظهور . وغلم الادب جمع له في غامة ليتفسخ عنه صوفه ، لأنه طلب لتقطعه . وقوله : ﴿ وقد بلغني الكبر ﴾ والمراد بلغت الكبر ، لأن الكبر بمنزلة الطالب له ، فهو يأتيه بحدوثه فيه . والانسان أيضاً يأتيه بمرور السنين عليه ، كما يقول القائل : يقطعني الثوب وإنما هو يقطع الثوب . ولا يجوز أن يقول بلغني البلد بمعنى بلغت البلد ، لأن البلد لا يأتيه أصلاً . وقوله : ﴿ وامرأني عاقر ﴾ فالعاقر من النساء التي لا تلد . يقال : امرأة عاقر ، ورجل عاقر . وقال عامر بن الطفيل :

« ١ » الضمد ع . ذكر الساجدة . الشاب الكثير الشعر .

لبئس الفتى ان كنت أعور عاقراً جباناً فاعذري لدى كل محضر (١)
 وذلك لأنه كالذي حدث به عقر يقمده مما يحاول من الامر . وعقر كل
 شيء أصله . وعقر العاقر المصدر . والعقر دية فرج المرأة : إذا غضبت نفسها
 وبيضة العقر آخر بيضة . والعقر : الجرح . والعقر : محلة القوم . والعاقر معروف .
 والعاقر الحجر . والمعاقرة إدمان شربها مع أهلها . وأصل الباب : العقر الذي هو أصل
 كل شيء ، فعقر العاقر لانقطاع أصل النسل .
 قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ

أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ (٤١) .

الآية : العلامة وإنما سأل العلامة ، والآية لوقت الحمل الذي سأل ربه ليتمجّل
 السرور به في قول الحسن ، فجعل الله تعالى آيته في امسك لسانه ، فلم يقدر أن
 يكلم الناس إلا بإيماء من غير آفة حدثت في لسانه ، كما يقال في مريم « ثلاث ليال
 سويًا » هذا قول الحسن ، وقتادة ، والربيع ، وأكثر المفسرين .

اللفظ :

وفي وزن « آية » : ثلاثة أقوال :

أحدها - فعلة إلا أنه شذ من جهة إعلال العين مع كون اللام حرف علة .
 وإنما القياس في مثله أعلال اللام نحو حياة ونواة . ونظيرها راية وطاية ، وشذ
 ذلك ، للاشمار بقوة اعلال العين .

الثاني - فعلة آية إلا أنها قلبت كراهية التضعيف نحو طاي في طيي .

« ١ » ديوانه : ١١٩ ؛ ومجاز القرآن ١ : ٩٢ في المطبوعة (اشدر) بدل (اعور) .
 وصار بن الطفيل أحد العوران . ذهبت عينه يوم فبغ الرج وأما عقبه ، فقد قال : مالي ولد واني
 لاهر الذكر ، واني لأعور البصر .

الثالث - فاعلة منقوصة وهذا ضعيف ، لأنهم صغروها أيية ولو كانت فاعلة لقالوا أوية إلا أنه يجوز على ترخيم التصغير نحو فطيمة . « والرمز » الایماء بالشفعتين . وقد يستعمل في الایماء بالحاجبين ، والعيزين واليدين . والاول أغلب . قال جؤية بن عائد :

وكان تنكلم الابطال رمزا
وغمغمة لهم مثل الهرير (١) .
يقال منه : رمز يرمز رمزا . ويقال : ارتمز : إذا تحرك . واصله الحركة .

المعنى ، واللفظ :

وقال مجاهد : الرمز تحريك الشفتين . وقال قتادة الرمز الاشارة . وقوله :
(واذكر ربك كثيراً) معناه أنه لما منع من كلام الناس عرف أنه لا يمنع من
الذکر لله والتسبيح له ، وذلك أعظم الآیة وأبين المعجزة . وقوله : (سبح)
معناه هنا صل يقال فرغت من سبحتي أي من صلاتي . وأصل التسبيح التعظيم لله
وتزيهه عما لا يليق به . والعشي من حين زوال الشمس إلى غروب الشمس في قول
مجاهد . قال الشاعر :

فلا الظل من برد الضحى يستطيعه ولا الغي من برد العشي تذوق
والعشاء من لدن غروب الشمس إلى أن يولي صدر الليل . والعشاء طعام العشي .
والعشا ضعف العين والتعاشي : التعامي ، لا بهام أنه بمنزلة من هو في ظلمة لا يبصر
وأصل الباب الظلمة . والابكار من حين طلوع الفجر إلى وقت الضحى . وأصله
التمجيل بالشيء . يقال : أبكر ابكاراً وبكر يبكر بكوراً . وقال عمر بن أبي ربيعة :

أمن آل نعم أنت عاد فببكر (٢)

وقال جرير :

ألا بكرت سامي فخذ بكورها وشق العصا بعد اجتماع أميرها (٣)

« ١ » لم نجد هذا البيت . في المطبوعة (كأن) بدل (وكان) والصحيح ما ذكرنا .
« ٢ » ديوانه مطلم قصيدته الرائية المشهورة وتتمه البيت : غداة شدأم رائج فمجر .
« ٣ » د و ا : ١٣٦ . يجيب حكيم بن مبة الربيعي ، وكان هجا جريراً . شق العصا : التفرق .

ويقال في كل شيء تقدم : بكر ومنه الباكورة أول ما يجيء من الناقة كبه .
وقوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ
وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٢) آية واحدة .

العامل في (إذ) يحتمل أن يكون أحد شيئين :

أحدهما - سميع عليم إذ قالت امرأة عمران . وإذ قالت الملائكة يكون عطفاً
على (إذ) الأولى .

الثاني - اذكر إذ قالت ، لأن المخاطب في حال تذكير وتعريف . وقوله :
﴿ اصطفاك على نساء العالمين ﴾ يحتمل وجهين : قال الحسن وابن جريج على علمي
زمانها . وهو قول أبي جعفر (ع) ، لأن فاطمة سيدة نساء العالمين . وروي عن النبي (ص)
أنه قال : فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين . وقال
أيضاً (ع) حسبك من نساء العالمين بأربع مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون
وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد (ص) .

الثاني - ما قاله الزجاج ، واختاره الجبائي : إن معناه اختارك على نساء
العالمين بحال جليلة من ولادة المسيح عيسى (ع) .

وقوله : ﴿ وطهرك ﴾ في معناه قولان :

أحدهما - قال الحسن ، ومجاهد : طهرك من الكفر .

والثاني - ذكره الزجاج أن معناه طهرك من سائر الادناس : الحيض ،
والنفاس ، وغيرها . وإنما كرر لفظ اصطفاك ، لأن معنى الأول اصطفاك بالتفريغ
لعبادته بما لطف لك حتى انقطعت إلى طاعته وصرت متوفرة على اتباع مرضاته
ومعنى الثاني اصطفاك بالاختيار لولادة نبيه عيسى (ع) على قول الجبائي . وقال
أبو جعفر (ع) اصطفاهما أولاً من ذرية الانبياء وطهرها من السفاح . والثاني -

اصطفاها لولادة عيسى (ع) من غير نخل . وفي ظهور الملائكة لمريم قالوا قولين : أحدهما - أن ذلك معجزة لذكريا (ع) ، لأن مريم لم تكن نبية ، لقول الله تعالى « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم » (١) . والثاني - أن يكون ذلك برهاناً لنبوة عيسى (ع) كما كان ظهور الشهب والغمامة وغير ذلك معجزة للنبي (ص) قبل بعثته ، فالاول قول الجبائي ، والثاني قول ابن الاخشاد . ويجوز عندنا أن يكون ذلك معجزة لها وكرامة ، وإن لم تكن نبية لأن اظهار المعجزات - عندنا - تجوز على يد الأولياء ، والصالحين ، لأنها إنما تدل على صدق من ظهرت على يده سواء كان نبياً أو إماماً أو صالحاً ، على أنه يحتمل أن يكون الله تعالى قال ذلك لمريم على لسان زكريا (ع) . وقد يقال : قال الله لها ، وإن كان بواسطة كما تقول : قال الله للخلق كذا وكذا وإن كان على لسان النبي (ص) ، ولا يحتاج مع ذلك إلى ما قالوه .

قوله تعالى :

﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾

(٤٣) آية واحدة بلا خلاف .

قيل في معنى قوله : « اقنتي » ثلاثة أقوال :

أحدها - قال سعيد بن جبیر أن معناه اخلصي لربك العبادة . الثاني - قال قتادة معناه ادبني الطاعة . الثالث - قال مجاهد اطلبي القيام في الصلاة . وأصل القنوت الدوام على الشيء . وقوله : ﴿ واسجدي ﴾ وأصل السجود الانخفاض الشديد للخضوع قال الشاعر :

فكلتاهما خرت واسجد راسها كما سجدت نصرانه لم تحنف (٢)
وكذلك القول في الركوع إلا أن السجود أشد انخفاضاً . وقد بينا فيما

« ١ » سورة يوسف آية : ١٠٩ وسورة النحل آية : ٤٣ وسورة الانبياء آية : ٧ .

« ٢ » سر نخر بجه في ١ : ٢٨١ .

مضى حقيقته . وإنما قدم ذكر السجود في الآية على الركوع ، لأن النية بالتأخير والتقدير اركعي واسجدي ، لأن الواو لا توجب الترتيب ، لأنها نظيرة التثنية إذا اتفقت الاسماء والصفات . تقول جاءني زيد وعمرو ، ولو جمعت بينهما في الخبر لقلت جاءني الزيدان . وقوله : ﴿ مع الراكعين ﴾ فيه قولان : أحدهما - أن معناه افعلنى مثل فعلهم . الثاني - قال الجبائي : أي في صلاة الجماعة .

قوله تعالى :

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُبْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (٤٤) آية .

المعنى ، والنفذ :

ذلك إشارة إلى الاخبار عما تقدم من القصاص . وفيه احتجاج على المشركين ، من حيث أنه جاء بما لا يعلم إلا من أربعة أوجه : إما مشاهدة الحبال ، أو قراءة الكتب ، أو تعليم بعض العباد ، أو بوحى من الله . وقد بطلت الأوجه الثلاثة للعلم بأنها لم تكن حاصلة للنبي (ص) ، فصح أنه على الوجه الرابع : بوحى من الله (تعالى) . والايحاء : هو القاء المعنى إلى صاحبه فقوله : « نوحيه إليك » أي نلتني بمعناه إليك . والايحاء : الارسال إلى الانبياء . تقول : أوحى الله إليه أي أرسل إليه ملكا . والايحاء الالهام ومنه قوله تعالى « وأوحى ربك إلى النحل » (١) أي ألهمها وقوله : « بأن ربك أوحى لها » (٢) معناه ألقى إليها معنى ما أراد فيها . قال المعجاج :

﴿ ١ ﴾ سورة النحل آية : ٦٨ .

﴿ ٢ ﴾ سورة الزلزال آية : ٥ .

أوحى لها القرار فاستقرت (١)
والابحاء الابعاء قال الشاعر :
فأوحت إلينا والانامل رسلها
ومنه قوله : « فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا » (٢) أي أشار إليهم ،
والوحي : الكتاب . يقال : وحي يحي وحيأ أي كتب ، لأن به يلقي المعنى إلى
صاحبه قال رؤبة :

لقدر كان وحاه الواحي

وقال :

في سور من ربنا موحية

وقال آخر :

من رسم آثار كوحى الواحي

وأصل الباب القاء المعنى إلى صاحبه . وقوله . « أوحيت إلى الحواريين » (٣)
أي ألقى إليهم وألهمهم إلهاماً . ومنه قوله : « وإن الشياطين ليوحون إلى
أوليائهم » (٤) أي يلقون إليهم وقوله : « وأوحى إلي هذا القرآن » (٥) أي
ألقى إلي . والغيب : خفاء الشيء . عن الادراك . تقول غاب عني كذا يغيب غيباً
وغيباباً . والغائب : تقيض الحاضر .

وقوله : ﴿ وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ﴾ قيل فيه
قولان :

أحدهما : التعجب من حرصهم على كفالتها ، لفضلها . ذكره قتادة ، لأنه

« ١ » ديوانه : ٥ والاسان (وحى) من رجز يذكر فيه ربه ويثني عليه بآلانه ، أوله :
الحمد لله الذي استقلت بأذنه السماء واطمأنت
بأذنه الأرض وما تعنت
وشدها بالراسيات التبت
رب البلاد والعباد القنت

وفي أحد روايتي الاسان (وحى لها) بدل (أوحى لها) .

« ٢ » سورة مريم آية : ١١ . « ٣ » سورة المائدة آية : ١١٤ .

« ٤ » سورة الانعام آية : ١٢١ . « ٥ » سورة الانعام آية : ١٩ .

قال : فشاح القوم عليها ، فقال زكريا : أنا أولى ، لأن خالتها عندي . وقال القوم : نحن أولى لأنها بنت إمامنا ، لأن عمران كان إمام الجماعة .

الثاني - التعجب من تدافعهم لكفالتها ، لشدة الأزمة التي لحقتهم حتى وفق لها خير الكفلاء بهازكريا (ع) . وفي الآية حذف وتقديرها « إذ يلقون أقلامهم » لينظروا « أيهم يكفل مريم » أي أيهم أحق بكفالتها . والأقلام معناها ههنا القداح وذلك أنهم ألقوها تلقاء الجرية ، فاستقبلت عصا زكريا جرية الماء مصعدة . وانحدرت أقلام الباقين ، فقرءهم زكريا في قول الربيع ، وكان ذلك معجزته (ع) . والقلم : الذي يكتب به . والقلم : الذي يجال بين القوم ، كل إنسان وقامه ، وهو القدح . والقلم : قص الظفر قامته تفليناً . ومقالم الرمح كعوبه . والقلامه هي المقلومة عن طرف الظفر وأصل الباب قطع طرف الشيء .

وقوله : ﴿ وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ فيه دلالة على أنهم قد بلغوا في التشاح عليها إلى حد الخصومة ، وفي وقت التشاح قولان : أحدهما - حين ولادتها وحمل أمها إياها إلى الكنيسة تشاحوا في الذي يخصها ويخصنها ويكفل بتربيتها ، وهو الأكثر . وقال بعضهم إنه كان ذلك بعد كبرها وعجز زكريا عن تربيتها .

و (إذ) الأولى متعاقبة بقوله : ﴿ وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم ﴾ والثانية بقوله : ﴿ يختصمون ﴾ على قول الزجاج .

قوله تعالى :

﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمهُ
المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾ (٤٥)
آية عند الجميع .

الامل في (إذ) يحتمل أمرين أحدهما - وما كنت لديهم إذ قالت الملائكة . الثاني - يختصمون « إذ قالت الملائكة » : « إن الله يبشرك » فالتبشير إخبار المرء بما يسر

من الأمر سمي بذلك لظهور السرور في بشرة وجهه عند إخباره بما يسره ، لأن أصله البشرة وهي ظاهر الجلد . وقوله : ﴿ بكلمة منه ﴾ هو المسيح سماه الله كلمة على قول ابن عباس وقتادة وذلك بحتمل ثلاثة أوجه : سمي بذلك ، لأنه كان بكلمة الله من غير والد وهو قوله : « كن فيكون » (١) . الثاني - لأن الله تعالى بشر به في الكتب السالفة ، كما تقول : الذي يخبرنا بأمر يكون [إذا خرج موافقاً لأمره] (٢) قد جاء في قول لي وكلامي . فمن البشارة به في التوراة آتانا الله من سبينا ، فأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران . وساعير هو الموضع الذي بعث منه المسيح (ع) . الثالث - لأن الله يهدي به كما يهدي بكلمته . والقول الثاني مما قيل في الكلمة : أنها بمعنى البشارة كأنه قيل ببشارة منه : ولد اسمه المسيح والتأويل الأول أقوى ، لقوله : « إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (٣) ، ولأنه معلوم من دين المسلمين أن كلمة الله المسيح (ع) وإنما ذكر الضمير في اسمه وهو عائد إلى الكلمة ، لأنه واقع على مذكر ، فإذا ذكر ذهب إلى المعنى ، وإذا أنت ذهب إلى اللفظ . وقيل في تسمية المسيح مسيحاً : قولان :

أحدهما - قال الحسن ، وسعيد : لأنه مُسح بالبركة . وقال آخرون : لأنه مسح بالتطهر من الذنوب . وقال الجبائي سمي بذلك ، لأنه مسح بدهن زيت بورك فيه . وكانت الانبياء تتمسح به . فان قيل : يجب على ذلك أن يكون الانبياء كلهم يسمون مسيحاً ؟ قلنا : لا يمتنع أن يختص بذلك بعضهم ، وإن كان المعنى في الجميع حاصلًا ، كما قالوا في ابراهيم خليل الله . وأصله ممسوح عدل عن مفعول إلى فعمل . وقوله : ﴿ وجيهاً ﴾ نصب على الحال . ومعنى الوجيه الكريم على من يسأله

١ ﴿ سورة البقرة آية : ١١٨ - سورة آل عمران آية : ٤٧ - سورة الانعام آية : ٧٣ - سورة النحل : ٤٠ - سورة مريم آية : ٣٥ - سورة يس آية : ٨٢ - سورة المؤمن آية : ٦٨ .
٢ ما بين الفرسين من مجمع البيان وكان في المطبوعة نفس في هذا الموضع كما أن الجملة التي بعدها لا تقرأ .

٣ ﴿ سورة آل عمران : ١٧٠ .

لأنه لا يردده لكريم وجهه عنده ، خلاف من يبذل وجهه للمسألة فيرد ، يقال منه وجه الرجل يوجه وجهه ، وله جاه عند الناس وجاهة أي منزلة رفيعة . قوله : « ومن القربين » معناه إلى ثواب الله وكرامته ، وكذلك التقرب إلى الله إنما هو التقرب إلى ثوابه وكرامته . وفي الآية دلالة على تكذيب اليهود في الفرية على أم المسيح وتكذيب النصارى في ادعاء إلهيته على ما ذكره محمد بن جعفر بن الزبير وغيره .

قوله تعالى :

﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٤٦) آية .

الاعراب :

موضع « ويكلم الناس في المهد » نصب على الحال عطفاً على (وجيهاً) ومكلمها وكذلك عطف عليه (وكهلاً) بالنصب . ويجوز عطف الفاعل على الفعل لتقارب معنيهما قال الشاعر :

بات بمشاهها بعضب بار يقصد في أسوقها وجائر (١)
أي ويجوز وقال آخر :

يا ليتني علقت غير خارج قبل الصباح ذات خلق بارج
أم صبي قد حبا أم دارج (٢)

أي أو درج ويجوز في قوله : « وكهلاً » أن يكون معطوفاً على الظرف من قوله : « في المهد » .

اللفظ :

والمهد مضجع الصبي في رضاعه في قول ابن عباس ، مأخوذ من التمهد .

« ١ » معاني القرآن للفرأ ، ١ : ٢١٣ وأمالى ابن السجري ٢ : ١٦٧ ونزارة الادب

٢ : ٣٤٥ واللسان (كهل) ورواية البيت مختلفة . بعضها (بت أعشيها ...) .

« ٢ » مكذافي المطبوعة ورواية اللسان (درج) :

يا ليتني قد زرت غير خارج أم صبي قد حبا ودارج

والكهل : من كان فوق حال الغلومة ، ودون الشيخوخة . ومنه اكهتل النبات : إذا طال ، وقوي . ومنه الكاهل فوق الظهر إلى ما يلي العنق والمرأة كهلة . قال الراجز :
ولا أعود بعدها كريا أمارس الكهلة والصبيا (١)
وقيل الكهولة بلوغ أربع وثلاثين سنة . وقال مجاهد : الكهل : الحليم وأصل الباب العلو ، فالكهل لعلو سنه ، أو لعلو منزلته .

المعنى :

ووجه كلامه في المهد تبرئة لأمه مما قذفت به ، وجلالة له بالمعجزة التي ظهرت فيه . فان قيل : فما معنى « وكهلا » وليس بمنكر الكلام من الكهل ؟ قيل فيه ثلاثة أوجه :

أحدها - يكلمهم كهلا بالوحي الذي يأتيه من قبل الله . الثاني - انه يبلغ حال الكهل في السن ، وفي ذلك أيضاً إعجاز لكون المخبر على ما أخبر به . الثالث - أن المراد به الرد على النصارى بما كان منه من التقلب في الأحوال ، لأنه مناف لصفة الآله . فان قيل كيف جحدت النصارى كلام المسيح في المهد وهو معجزة عظيمة ؟ قلنا : لأن في ذلك ابطال مذهبهم ، لأنه قال : « إني عبدالله » (٢) فاستمروا على تكذيب من أخبر أنه شاهده كذلك . وفي ظهور المعجزة في تلك الحال قيل فيه قولان :
أحدها - إنها كانت مقرونة بنبوة المسيح ، لأنه كمل عقله في تلك الحال حتى عرف الله بالاستدلال ، ثم أوحى إليه بما تكلم به ، هذا قول أبي علي الجبائي . وقال ابن الاخشاذ : إن كل ذلك كان على جهة التأسيس لنبوته ، والتمكين لها بما يكون دالا عليها ، وبشارة متقدمة لها . ويجوز - عندنا - الوجهان . ويجوز

« ١ » قاله عذافر الفقيمي أمالي القالي ٢ : ٢١٥ وشرح أدب الكاتب لابن السيد : ٢١٧ ، ٣٨٩ ، واللسان (كهل) ، (كرا) ، (شعفر) ، (أمم) وغيرها كثير . كريا : مكاري . وكان عذافر يكرى ابله إلى مكة فأكرمه - رجل من أهل البصرة - بعبراً بركبه هو وزوجته وفي الطريق قال بهما رجز طويل

« ٢ » سورة مريم آية : ٣٠

أيضاً أن يكون ذلك معجزة لمريم تدل على براءة ساحتها مما قذفت على ما بيننا جوارحه فيما مضى .

قوله تعالى :

قالت رَبِّ انى يَكُونُ لى وَلدٌ ولم يَمَسَّنى بَشَرٌ قالَ كَذَلِكَ اللهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ إذا قَضى أَمراً فأنما يَقولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧) آية واحدة .

المعنى :

إن قيل كيف سألت مريم عن خلق الولد من غير مسيس مع أنها لا تنكر ذلك في مقدور الله تعالى؟ قلنا : فيه وجهان : أحدهما - أنها استفهمت أيكون ذلك ، وهي على حالتها من غير بشر أم على مجرى العادة من بشر ، كما يقول القائل : كيف تبعت بفلان في هذا السفر ، وليس معه ما يركبه معناه ، لأنه قوي أم هناك سر كوب ؟ الثاني - ان في البشرية : التعجب مما خرج عن المعتاد فتعجبت من عظم قدرة الله كما يقول القائل عند الآية يراها : ما أعظم الله ، وكما يقول القائل لغيره كيف تهب ضيعةك ، وهي أجل شيء لك . وليس يشك في هبته وإنما يتعجب من جوده . وقوله : ﴿ قال كذلك الله ﴾ حكاية ما قال لها الملك . وقوله : « كُنْ فَيَكُونُ » قيل في معناه قولان :

أحدهما - أنه على جهة المثل لأن منزلة جميع ما يريد إحداثه من جسم أو عرض أكثر ذلك أو قل ، فأما هو بمنزلة قول القائل : كن ، في أنه يكون بغير علاج ، ولا معاناة ، ولا تكلف سبب ، ولا أداة ، ولا شغل ببعض عن بعض ، ولا انتهاء فيه إلى حد لا يمكن ضعفه ، ولا زيادة عليه .

الثاني - ان معناه أن الله تعالى جعل (كن) علامة للملائكة فيما يريد إحداثه

لما فيها من اللطف ، والاعتبار . ويمكن الدلالة على الأمور المقدورة لله تعالى .
وقول من قال ان قوله : « كن » سبب للحوادث التي يفعلها الله تعالى فأسد من
وجوه :

أحدها - ان القادر بقدره يقدر على أن يفعل من غير سبب ، فالقادر للنفس
بذلك أولى . ومنها أن « كن » محدثة فلو احتاجت إلى « كن » أخرى لتسلسل ،
وذلك فأسد . ولو استند ذلك إلى كن قديمة ، لوجب قدم المكون ، لأنه كان
يجب أن يكون عقيب ، لأن الفاء توجب التعقيب وذلك يؤدي إلى قدم
المكونات .

ومنها أنه لو ولدت لولدت من فعلنا كالأعماد . وإنما استعمل القديم لفظه
الأمر فيما ليس بأمر هاهنا ليدل بذلك على أن فعله بمنزلة فعل المأمور في أنه
لا كلفة على الأمر ، فكذلك هذا لا كلفة على الفاعل ، وذلك على عادة العرب
في جعلهم وقوع الشيء عقيب الإرادة بمنزلة الجواب عن السؤال قال الشاعر :

وقالت لنا العينان سمعاً وطاعة وحدرتا كالدر لما يثقب (١)

فجعل انحدر الدمع قولاً على الوجه الذي بيناه . وقوله : ﴿ كن فيكون ﴾
ههنا لا يجوز فيه إلا الرفع ، لأنه لا يصلح أن يكون جواباً للآم في كن لأن
الجواب يجب بوجوده الأول نحواتي فأكرمك وتم فاقوم معك . ولا يجوز تم فيقوم ،
لأنه بتقدير تم فأنك إن تقم يقم . وهذا لا معنى له ، ولكن يجوز الرفع على
الاختيار انه سيقوم ويجوز في قوله : « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له
كن فيكون » (٢) النصب ، لأنه معطوف على « أن نقول » كأنه قيل أن نقول
فيكون .

قوله تعالى :

﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ (٤٨) .

« ١ » سر تخريجه في ١ : ٤٣١ .

« ٢ » سورة النحل آية : ٤٠ .

الفرازة ، والحج :

قرأ أهل المدينة ، وعاصم ، ويمقوب « ويعلمه » بالياء الباقون بالنون . فمن
قرأ بالياء حملة على « يخلق ما يشاء » ويعلمه . ومن قرأ بالنون حملة على قوله :
« نوحيه إليك » . والنون أنخم في الاخبار ، لأن الياء حكاية عن الملك .

المعنى ، والاعراب :

ومعنى قوله : « ويعلمه الكتاب » قال ابن جرير : الكتابة بيده . وقال أبو علي :
كتاب آخر غير التوراة ، والانجيل نحو الزبور أو غيره . فان قيل : لم أفرد التوراة
والانجيل بالذكر مع دخولهما في الحكمة ؟ قيل : إنما أفردهما بالذكر تنبيهاً على فضلها
مع جلالة موقعهما كما قال : « وملائكته ورسله وجبريل وميكال » (١) وموضع
يعلمه من الاعراب يحتمل أن يكون نصباً بالعطف على وجيهاً . ويحتمل أن يكون
لا موضع له من الاعراب ، لأنه عطف على جملة لا موضع لها ، وهي قوله : « كذلك
الله يخلق ما يشاء » . وقال بعضهم : هو عطف على « نوحيه إليك » قال الرماني :
هذا لا يجوز ، لأنه يخرج من معنى البشارة به لمريم . وإنما هو محمول على مشا كلته
لا على جهة العطف عليه . وعد أهل الكوفة التوراة والانجيل ، ولم يعدوا رسولا
إلى بني إسرائيل لتكذب الاستئناف بأن المفتوحة . والاستئناف بذكر المنصوب
كثير في الكلام . وأما أهل المدينة فأنما طلبوا تمام صفة المسيح ، لأن تقديره ومعانها
كذا ورسولا إلى كذا .

قوله تعالى :

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ
إِنِّي أَخَاقُكُمْ مِنْ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفِخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِأَذْنِ

اللَّهِ وَأُبرىءُ الأَكْمَةِ وَالأَبْرَصِ وَأُحْيى المَوْتى بآذِنِ اللّهِ وَآتَبَّكُمْ بما
تَأْكُلُونَ وما تَدْخِرُونَ فى بُيوتِكُمْ لئن فى ذلِكَ لآيةٌ لكم لئن
كنتم مؤمنين (٤٩) آية .

القراءة :

قرأ أهل المدينة ويعقوب « طائراً بأذن الله » الباقون . « طيراً » وهو
الاجود ، لأنه إسم جنس وطائر صفة . وقرأ نافع وحده « إني أخلق » بكسر
الهمزة . الباقون بفتحها .

العرب ، والحجزة :

يحتمل نصب قوله : « ورسولا » وجهين :

أحدهما - بتقدير ويجعله رسولا فحذف لدلالة الاشارة عليه . والثاني - أن
يكون نصبا على الحال عطفاً على وجيهاً ، لا أنه فى ذلك الوقت يكون رسولا بمعنى
أنه يرسل رسولا . وقال الزجاج وجهاً ثالثاً بمعنى يكاسمهم رسولا فى المهد بـ « أنى
قد جئتم بأية من ربكم » ولو قرئت (إني) بالكسر (قد جئتم) كان صواباً .
والمعنى يقول « إني قد جئتم بأية من ربكم » أي بعلامة تدل على نبوت رسالتى .
وموضع « إني أخلق » يحتمل أن يكون خفضاً ورفعاً ، فمن قرأ بالخفض فعلى البدل
من آية بمعنى جئتم بأنى أخلق لكم من الطين . والرفع أريد به الآية إني أخلق من
الطين . وجاز أن يكون (إني أخلق لكم) مخبرهم بهذه الآية ما هي أي أقول لكم
« إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير » .

المعنى :

والمراد بالخلق التقدير دون الاحداث ، يقال فى التفسير أنه صنع من الطين
كهيئة الخفاش ، وتفتح فيه فصار طائراً . وجاز أن يقول فيه لفظ الطين . وقال فى

موضع آخر « فينفخ فيها فتكون طائراً بأذني » (١) للفظ الهيئة .

اللغة :

والطين معروف . ومنه طنت الكتاب طيناً أي جعلت عليه طيناً ، لا ختمه .
وطينت البيت تطييناً . والطيانة : حرفة الطيان والطينة : قطعة من طين يحنم بها
الصك ونحوه . والهيأة : الحال الظاهرة هاء فلان يهأ هيئة . ومن قرأ (هيئت)
معناه تهيأت لك فأما « هيئت لك » فهلم لك والهيء : الحسن الهيئة من كل شيء .
والمهاياة : أمر يتهايا عليه القوم فيتراضون به . وقوله : « فأنفخ فيه » النفخ معروف
تقول نفخ ينفخ نفخاً ، وانتفخ انتفاخاً ، وتنفخ تنفخاً . والنفخة للماء ، والنفخة
نحو الورم في البطن . والنفخة : نفخة الصور يوم القيامة . والمنفاخ كبير الحداد .
وأصل الباب نفخ الريح التي تخرج من الفم .

المعنى :

ومعنى « أنفخ فيه » يعني أنفخ فيه الروح وهو جسم رقيق كالريح ، وهو
غير الحياة ، لأن الجسم إنما يحيا بما يفعله الله تعالى فيه من الحياة ، لأن الأجسام
كلها متائلة يحيي الله منها ما يشاء . وإنما قيد قوله : « فيكون طيراً بأذن الله » ولم
يقيد قوله : « أخلق من الطين كهيئة الطير » بذكر إذن الله لينبه بذكر الاذن أنه
من فعل الله دون عيسى . وأما التصوير والنفخ ، ففعله ، لأنه مما يدخل تحت
مقدور القدر ، وليس كذلك انقلاب الجماد حيواناً فإنه لا يقدر على ذلك أحد
سواه تعالى . وقوله : ﴿ وأحي الموتى بأذن الله ﴾ على وجه المجاز إضافة إلى نفسه
وحقيقته ادعوا الله بأحياء الموتى فيحييهم الله فيحيون بأذنه .

اللفظ والمعنى :

وقوله : « وأبرىء الأكمه » فالبرء والشفاء والعافية نظائر في اللفظ .

والألمة الذي يولد أعمى في قول قتادة ، وأبي علي وقال الحسن ، والسدي : هو
الاعمى . والكمة عند العرب العمى كمة يكمة كماً قال سويد بن أبي كاهل :

كمت عيناه حتى ابيضتا فهو يلحي نفسه لما نزع (١)

والابرس معروف . وقوله : ﴿ وأنبئكم بما تَأْكُلُونَ وما تدخرون في
بيوتكم ﴾ أي أخبركم وأعلمكم بالذي تَأْكُلُونَهُ ، فتكون (ما) بمعنى الذي ويحتمل
أن تكون (ما) مع ما بعدها بمنزلة المصدر ، ويكون تقديره أخبركم بأكلكم .
والأول أجود لقوله : « وما تدخرون » ويحتمل أن يكون المراد أيضاً وادخاركم .
والادخار الافتعال من الذخر ذخرت أذخر ذخراً وأذخرت ادخاراً . وأصل الباب
الذخر ، وهو خبء الشيء لتأنيته . وإنما أبدلت الدال من الذال في « تدخرون »
لتعديل الحروف أو أبدلت الدال من الذال بوجهين الجهر واختلاف المخرج ، فبدل
ذلك بالدال ، لأنها موافقة للتاء بالمخرج والدال بالجهر ، فلذلك كان الاختيار ،
وكان يجوز تدخرون بالذال على الأصل ونظير ذلك في التعديل بين الحروف وازدجر ،
فمن اضطر ، واصطر ، لموافقة الطاء للضاد والضاد بالاستعلاء والاطباق ، ولم يجوز إدغام الزاي
في الدال ، لأنها من حروف الصغير . ولكن يجوز مزجر . ولم يدغم الضاد في الطاء
لأن فيها استتالة . والمجهور من الحروف : كل حرف اشبع الاعتماد عليه في موضعه
ومنع النفس أن يجري معه . والمهموس : كل حرف أضعف الاعتماد عليه في موضعه
وجرى معه النمس . وقوله : ﴿ إن في ذلك لآية لـمـ إن كنتم مؤمنين ﴾ وإن
كانت آية للجميع ، لأن معناه « إن كنتم مؤمنين » بالله إذ كان لا يصح العلم
بمدلول المعجزة إلا لمن آمن بالله ، لأن العلم بالمرسل قبل العلم بالرسول . وإنما يقال
هي آية للجميع بأن يقدموا قبل ذلك الاستدلال على التوحيد . وأيضاً بأن من
استحق وصفه بأنه مؤمن علم أن ذلك من آيات الله عز وجل .

« ١ » اللسان (كمة) وروايته (لما) بدل (حتى) وكذلك رواية المنفليات : ٤٠٥ .

يلحي نفسه أي يلومها . لما نزع يعني لما ترك .

قوله تعالى :

﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أُولَئِكَ ﴾ (٥٠) آية واحدة .

الاعراب :

ومصدقاً نصب على الحال وتقديره قد جيئتم مصدقاً ، لأن أول الكلام يدل عليه ونظيره جيئته بما يجب ومعرفة له ، وليس عطفاً على وجيهاً ولا رسولا لقوله « لما بين يدي » ولم يقل لما بين يديه .

المعنى :

وقوله : ﴿ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ فأنما أحل لهم لحوم الابل والثروب وأشياء من الطير والحيتان ، مما كان محرماً في شرع موسى (ع) ولم يحل لهم جميع ما كان محرماً عليهم من الظلم ، والغصب ، والكذب ، والعبث وغير ذلك ، فإذن قال « بعض الذي حرم عليكم » وبمثل هذا قال قتادة والربيع ، وابن جريج ووهب ابن منية ، وأكثر المفسرين . وقال أبو عبيدة أراد كل الذي حرم عليكم واستشهد على ذلك بقول لبيد :

تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يمتلق بعض النفوس حمامها (١)
قال معناه أو يمتلق نفسي حمامها . وأنكر الزجاج تأويله . وقال : هو خطأ

من وجهين :

أحدهما - أن البعض لا يكون بمعنى الكل . والآخر - أنه لا يجوز تحليل

المحرمات أجمع ، لأنه يدخل في ذلك الكذب ، والظلم ، والكفر قال : ومعنى البيت أو يعتلق تسمي حمامها ، كما يقول القائل : بعضنا يعرفك يريد أنا أعرفك ، وهذا أيضاً إنما هو تبويض صحيح . ووجه الآية ما ذكره أبو علي ، وجماعة من المفسرين أن قوماً من اليهود حرموا على نفوسهم أشياء ما حرمها الله عليهم ، فجاء بتحليل ذلك . قال الرماني : تأويل الآية على ما قالوه ، لكنه لا يمتنع أن يوضع البعض في موضع الكل إذا كانت هناك قرينة تدل عليه ، كما يجوز وضع الكل في موضع البعض بقرينة .

قوله : ﴿ ولأحل لكم ﴾ معطوف على معنى الكلام الأول ، لأن معناه جئتمكم لأصدق ما بين يدي من التوراة ، ولأحل لكم ، كما يقول القائل : جئته معذراً ولأجتلب عطفه . والاحلال هو الاطلاق في الفعل بتحسينه ، والتحريم هو حظر الفعل بتقبيحه . والفرق بين التصديق ، والتقليد أن التصديق لا يكون إلا فيما يبرهن عند صاحبه . والتقليد يكون فيما لم يبرهن ، ولهذا لم تكن مقلدين للنبي (ص) وإن كنا مصدقين له .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾

(٥١) آية .

قوله : ﴿ إن الله ربي وربكم ﴾ استئناف كلام ، لأنه رأس آية ، وعليه جميع العلماء . وكان يجوز أن تفتح الهمزة على قوله : « وجئتمكم » بـ « أن الله ربي وربكم » . والفرق بين قوله « إن الله ربي وربكم » وقوله « ربنا » أن الأول أكد في إقراره بالربوبية ، لأنه ذكر على التفصيل ، فهو أبعد من الغلط في التأويل ، لأن لقائل أن يقول الذكر قد يجوز في الجملة على التغليب كما يغلب التذكير على التأنيث في الجملة دون التفصيل .

والربوبية هي تنشئة الشيء حالاً بعد حال حتى يبلغ حد الكمال في التربية ،

فلما كان الله تعالى مالكا لانشاء العالم كان رباً ، ولا تطلق هذه الصفة إلا عليه تعالى ، لأن اطلاقها يقتضي الملك بجميع الخلق ، فأما إجراؤها على غيره ، فعلى وجه التقييد ، كقولك رب الدار ، ورب الضيعة . وقالوا في وصف قوم من العلماء : هم أرباب البيان يراد به شدة اقتدارهم عليه . وقوله : « هذا صراط مستقيم » فالاستقامة استمرار الشيء في جهة واحدة ، ونظيرها الاستواء : خلاف الاعوجاج ، فإذ ذلك قيل للطريق المؤدي إلى المراد الموصل إلى الحق : طريق الاستقامة ، لأنه يفضي بصاحبه إلى غرضه ، وقد استوفينا معناه في سورة الحمد . وقد يوصف الدليل بأنه طريق مستقيم ، لأنه يؤدي إلى الحق اليقين . وفي الآية حجة على النصارى بما قاله المسيح مما يقرون به أنه في الانجيل من نحو هذا الكلام ، لأن فيه أذهب إلى إلهي ، وإلهكم ، كقوله ههنا : « إن الله ربي وربكم » .
قوله تعالى :

﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال
الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون ﴾ (٥٢) آية .

اللفظ :

الاحساس هو الوجود بالحاسة ، أحس يحس إحساساً . والحس القتل ، لأنه يحس بألمه ، ومنه قوله : « إذ تحسونهم » بأذنه « (١) والحس : العطف ، لاحساس الرقة على صاحبه . والأصل فيه إدراك الشيء من جهة الملابس . ومعنى الآية : فلما علم عيسى منهم الكفر ، قال : « من أنصاري إلى الله » . والانصار جمع نصير مثل شريف وأشرف ، وشهيد وأشهد . وإنما لم يحمل على ناصر لأنه يجب أن يحمل على نظيره من فعيل وأفعال .

المعنى :

وقوله : « من أنصاري إلى الله » قيل فيه ثلاثة أقوال :
 أحدها - من أعواني على هؤلاء الكفار إلى معونة الله أي مع معونة الله
 في قول السدي ، وابن جريج . وإنما جاز أن تكون (إلى) بمعنى (مع) لما دخل
 الكلام من معنى الاضافة ومعنى المصاحبة ، ونظيره (الذود إلى الذود إبل) أي مع
 الذود . ومثله « ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم » (١) أي مع أموالكم ،
 وقولك : قدم زيد ومعه مال ، فلا يجوز فيه إلى وكذلك قدم إلى أهله ، لا يجوز فيه
 مع ، لاختلاف المعنى .

الثاني - قال الحسن من أنصاري في السبيل إلى الله ، لأنه دعاهم إلى سبيل الله .
 الثالث - قال الجبائي : من أنصاري لله ، كما قال : « هل من شركائكم من
 يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق » (٢) ووجه ذلك أن العرض يصلح فيه اللام
 على طريق العلة وإلى طريق النهاية . فان قيل عيسى إنما بعث بالوعظ دون الحرب
 لم استنصر عليهم ؟ قلنا : للحماية من الكافرين الذين أرادوا قتله عند اظهار الدعوة
 - في قول الحسن ومجاهد - وقال آخرون : يجوز أن يكون طلب النصر للتمكين
 من إقامة الحجّة وإنما قاله ليشتم الموافق من المخالف . وقوله : « قال الحواريون »
 اختلفوا في تسميتهم حواريين على ثلاثة أقوال قال سعيد بن جبير : سموا بذلك
 لنقاء ثيابهم . الثاني - قال ابن جريج عن أبي أرطاة أنهم كانوا قصارين يبيضون
 الثياب . الثالث - قال قتادة ، والضحاك : لأنهم خاصة الأنبياء يذهب إلى نقاء
 قلوبهم كنقاء الابيض بالتحوير . وقد روي عن النبي (ص) أنه قال : الزبير ابن
 عمي وحواري من أمي .

« ١ » - سورة النساء آية : ٢ .

« ٢ » - سورة يونس آية : ٣٥ .

اللفظ :

وأصل الحواري الحور ، وهو شدة البياض . ومنه الحواري من الطعام لشدة بياضه . ومنه الأحور ، والحوراء لنقاء بياض العين ، ومنه الحواريات نساء الانصار لبياضهن . قال أبو جلدة اليشكري (١) :

فقل للحواريات يبيكين غيرنا ولا تبكنا إلا الكلاب النواجح (٢)
وقال بعض بني كلاب :

ولسكنه ألقى زمام قلوبه ليحيا كريماً أو يموت حواريًا
أي ناصرًا لرفاقه غير خاذل لهم . والمحور : الحديدية التي تدور عليها البكرة ، لأنها تنصقل حتى تبيض وحر يحور : إذا رجع ، لا انقلابه في الطريق الذي جاء فيه كانقلاب المحور بالتحوير .

المعنى :

وفي الآية حجة على من زعم أن المسيح والذين آمنوا به ، كانوا نصارى فبين الله تعالى أنهم كانوا مسلمين كما بين ذلك في قصة ابراهيم (ع) حيث قال « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً » .

قوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَسَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾

(٥٣) آية واحدة بلا خلاف .

« ١ » هو أبو جلدة بن عبيد بن منقذ اليشكري من شعراء الدولة الاموية ، وكان من أخس الناس بالحجاج ثم فرقه وخرج مع ابن الاشعث ، وصار من أشد الناس تحريصاً على الحجاج .
« ٢ » اللسان (حور) ، والاذناني ١١ : ٣١١ وحاسة بن الشجري : ٦٥ وهو من أبيات قلها في التحريص على قتال أهل الشام .

هذا حكاية لقول الحواريين حيث قالوا « آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » . قالوا « ربنا » ومعناه ياربنا ونصبه ، لأنه نداء مضاف . « آمنا » أي صدقنا . وإنما لم يقل رب العباد آمنا للاختصاص بما أنعم به عليهم من الايمان الذي أجابوا إليه دون غيرهم ممن عدل عنه . وإنما قال « ربنا آمنا » على لفظ الخطاب ولم يعدل إلى لفظ الغائب ، فكان أبلغ في التعظيم ، كما تقول السمع والطاعة للملك ، فيكون أخف من أن يقال : لك أيها الملك ، لأن المشاهدة أغنت عن التصريح بالخطاب وصار كالاستدلال له مع الغنى عنه وايس كذلك استعماله مع الحاجة إليه ، لأنه لا يدل على ابتداء له . فان قيل لم حذف (يا) من ياربنا آمنا ، ولم يحذف من « يا عبادي لا خوف عليكم » (١) ؟ قلنا حذف للاستغناء عن توبيه المدعو ، وليس كذلك الثاني لأنه بشارة للعباد ينبغي أن يمد بها لأن سماعها مما يسر . وقوله : ﴿ واتبعنا الرسول ﴾ فالاتباع سلوك طريقة الداعي على الاجابة إلى ما دعا إليه ، وليس كل اجابة اتباعاً ، لأن اجابة الدعاء يجوز على الله تعالى ولا يجوز عليه الاتباع . وقوله : ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ قيل معناه قولان :

أحدهما - اثبت اسماءنا مع اسمائهم لنفوز بمثل ما فازوا ، وننال من الكرامة مثل ما نالوا ، ونستمتع بالدخول في جملتهم والانضمام إليهم . الثاني - يصل ما بيننا وبينهم بالخلة على التقوى ، والمودة على سلوك طريق الهدى ، وتجنب طريق الردى ، وعلى هذا يكونون فيه بمنزلة من كتب عليهم . وحقيقة الشاهد المخبر بالشيء عن مشاهدة ، وقد يتصرف فيه ، فيقال : البرهان شاهد بحق أي هو بمنزلة المخبر به عن مشاهدة . ويقال هذا شاهد أي معد للشهادة والمراد في الآية الشاهدين بالحق المنكرين للباطل .

قوله تعالى :

﴿ وَمَكْرَوا وَمَكْرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٥٤) آية .

المعنى :

قيل في معنى الآية قولان :

أحدهما - قال السدي مكروا بالمسيح بالحيلة عليه ، لقتله « ومكر الله بردم » بالخفية ، للاقائه شبه المسيح على غيره . الثاني - « مكروا » باضمار الكفر « ومكر الله » بمجازاتهم عليه بالعقوبة . والمكر ، وإن كان قبيحاً فأنما أضافه تعالى إلى نفسه لمزاوجة الكلام ، كما قال : « فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم » (١) وليس باعتداء وإنما هو جزاء ، وهذا أحد وجوه البلاغة ، لأنه على أربعة أقسام :

أحدها - المزاوجة نحو « ومكروا ومكر الله » . والثاني - المجانسة نحو قوله : « يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار » (٢) . الثالث - المطابقة نحو قوله : « ماذا أنزل زبكم قالوا خيراً » (٣) بالنصب على مطابقة الجواب للسؤال . والرابع - المقابلة نحو قوله : « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة » (٤) قال الشاعر :

واعلم وأيقن ان ملكك زائل واعلم بأن كما تدين تدان (٥)

أي كما تجزي تجزي . والأول ليس بجزاء وأصل المكر الالتفاف ، منه المكر ضروب من الشجر مثل الدعل ونحوه ، لالتفافه . والمعكورة من النساء الملتفة والمكرطين أحمر شبيهة بالمنفرة . ونوب مذكور إذا صبغ بذلك الطين . والمكر الاحتيال

« ١ » - سورة البقرة آية ١٩٤ . « ٢ » - سورة النور آية : ٣٧ .

« ٣ » - سورة النحل آية : ٣٠ . « ٤ » - سورة القيامة آية ٢٢ - ٢٥ .

« ٥ » - اللسان (زنا) ، (دان) وجهرة الامثال للعسكري : ١٦٩ وغيرها وقد نسبة في اللسان الى خلويك بن نوفل الكلاني . وقيل : هو لبعض الكلبيين . وقيل : يزيد بن الصق الكلبي . وقد مر البيت في ١ : ٣٦ دروايته هناك (بأنتك ما تدين تدان) .
ودرويته اللسان :

يا حار ايقن أن ملكك زائل واعلم بأن كما تدين تدان

وحار : ترخيم حارث . والمخاطب هنا الحارث بن أبي شمر الغساني وكان قد اشتعب ابنة الشاعر فخطبه في قصيدة منها هذا البيت .

على العبد ، لالتفاف المكروه عليه . وخذ المكر : خب . يخبثدع به العبد لايقاعه في الضر . والفرق بين المكر والحيلة أن الحيلة قد تكون ، لاطهار ما تعسر من الفعل من غير قصد إلى الاضرار بالعبد . والمكر حيلة على العبد توقعه في مثل الرهق .

قوله تعالى :

« إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ سُبِّحْ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَنْ يَكْفُرْ يَكْفُرْ عَلَى لِقَاءِ رَبِّهِ يَوْمَ يَنفُخُ فِي سُورٍ مُّتَمِّدَةٍ تَتَلَوْنَ بِهَا كُفْرَهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِكَ لَا يَصُدُّونَ عَنْ كُفْرِهِمْ هَذَا وَلَا يَتَذَكَّرُونَ لَهُمْ إِلَّا نَجْمًا كَاذِبًا » (٥٥) آية .

الاعراب :

العامل في (إذ) يحتمل أحد أمرين .

أحدهما - قوله : « ومكروا ومكر الله » « إذ قال » . والآخر ذلك « إذ قال يا عيسى » وعيسى في موضع الضم ، لأنه مناداً مفرد ، ولكن لا يبين فيه لأنه منقوص ، وعيسى لا يذصرف لاجتماع العجمة والتمريف على قول الزجاج ، لأنه حمل الألف على حكم الملحق بمخرج ولم يحملها على التأنيث ، فأما الألف في زكريا ، فلا يكون إلا للتأنيث ، لأنه لا مثال له في الاصول . وإذا عرب جرى على قياس كلامهم في أن الألف الزائدة لا تخلو أن تكون للتأنيث أو لللاحق ، فإذا بطل أحدهما صح أنها للآخر . وإنما وجب ذلك ، لأنه يجري مجرى الاعراب بالعوامل ، فأما الاشتقاق ، فلا يجب ، لأنه تصرف من أصل المشتق ، وليس العربي بأصل للعجمي ، وذلك نحو العيس وهو بياض الابل والعوس وهو السياسة لو كان عربياً ، لصلح أخذه من أحد الاصلين . وإذا أخذ من أحدهما

امتنع من الآخر ، فلذلك إذا أخذ من المعجمي امتنع من العربي .
وقوله : ﴿ إني متوفيك ﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال :

أحدها - قابضك برفعك من الارض إلى السماء من غير وفاة موت في قول
الحسن وابن جرير وابن زيد . الثاني - متوفيك وفاة نوم في قول ابن عباس ووهب
ابن منية . والثالث - ان فيه تقدماً وتأخيراً ، ومعناه إني رافعك ، ومتوفيك فيما
بعد ذكره الفراء . وقوله : « ورافعك » قيل في معناه قولان :

أحدها - رافعك في السماء فجعل ذلك رفعاً إليه للتفخيم واجراءه على طريق
التعظيم . والآخر - مصيرك إلى كرامتي كما يقال رفع إلى السلطان ، ورفع الكتاب
إلى الديوان . وقال ابراهيم « إني ذاهب الى ربي » (٦) . وإنما ذهب من العراق
إلى الشام . وإنما أراد إلى حيث أمرني ربي بالمضي إليه . وقوله : ﴿ ومطهرك ﴾
قيل فيه قولان :

أحدها - مطهرك باخراجك من بين الارجاس ، لأن كونه في جملتهم بمنزلة
التنجيس له بهم ، وإن كان عليه السلام طاهراً في كل حال ، وإنما ذلك على ازالته
عن مجاورة الأرجاس . والثاني - قال أبو علي : تطهيره : منعه من كفر يفعلونه بالقتل
الذي كانوا هموا به لأن ذلك نجس طهره الله منه . وقوله : ﴿ وجاعل الذين اتبعوك
فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة يحتمل أن يكون جعلهم فوقهم بالحجة والبرهان ،
ويحتمل أن يكون ذلك بالعمز والغلبة ، وقال الحسن ، وقتادة ، والربيع : المعني
بهذه الآية أهل الايمان . وما جاء به دون الذين كذبوه أو كذبوا عليه . وقال
ابن زيد : المعني به النصارى ، وهم فرق اليهود من حيث كانوا اليهود أذل منهم
إلى يوم القيامة ، ولهذا زال الملك عنهم وإن كان ثابتاً في النصارى في بلاد الروم
وغيرها ، فهم أعز منهم وفوقهم . وقال الجبائي فيه دلالة على أنه لا يكون لليهود
مملكة إلى يوم القيامة كما للروم . والوجه الأول أقوى ، لأنه أظهر إذا كان على جهة

الترغيب في الحق ، وقوله : ﴿ ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ وجه اتصاله بالكلام كأنه قال أما الدنيا فأنتم فيها على هذه الحال ، وأما الآخرة ، فيقع فيها التوفية للحقوق على التمام والكمال . وإنما عدل عن الغيبة إلى الخطاب في قوله : ﴿ ثم إلي مرجعكم ﴾ لتغلب الحاضر على الغائب لما دخل معه في المعنى كما يقول بعض الملوك : قد بلغني عن أهل بلد كذا جميل ، فأحسن إليكم معشر الرعية .

وقوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَّبْنَا بِهِمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (٥٦) آية واحدة بلا خلاف .

معنى قوله « فأما » تفصيل المجمل على قولك فيجازي العباد أما المؤمن فبالثواب وأما الكافر فبالعقاب . وقوله : « فاعذبهم » فالعذاب : استمرار الآلام لأن أصله استمرار الشيء ، فنه العذوبة لاستمرار العذب في الحلق ، ومنه العذبة لاستمرارها بالحركة . وقوله « شديداً » فالشدة صعوبة بالانتقام . والقوة : عظم القدرة ، فالشدة تقيض الرخاوة . والقوة تقيض الضعف ، فشدة العذاب قد تكون بالتضعيف ، وقد تكون بالتحجيس . وقوله : ﴿ في الدنيا والآخرة ﴾ فمعذابهم في الدنيا اذلالهم بالقتل ، والأسر ، والسبي ، والخسف ، والجزية ، وكلما فعل على وجه الذلة والاهانة . وفي الآخرة عذاب الأبد . والفرق بين الآخرة والانتهاه أن الآخرة قد تكون بعد العمل ، فأما الانتهاه فجزء منه لا يكون بعد كماله هذا إذا اطلق فإن اضيف فقبل آخر العمل فعناه انتهاء العمل . وقوله : ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ فالنصرة هي المعونة على العدو خاصة . والمعونة هي زيادة في القوة وقد تكون على العدو ، وغير العدو .

قوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥٧) آية واحدة بلا خلاف .

قرأ « فيوفيههم » بالياء . حفص ورويس . الباقر بن النون .

فان قيل : لم كرر الوعد ههنا وقد ذكر في غير هذا الموضع من القرآن ؟ قلنا : ليس ذلك بتكرير في المعنى ، لأن معنى ذلك آمنوا بك يا عيسى وعملوا الصالحات فيما دعوتهم إليه من الهدى ، لأنه تفصيل ما أجمل في قوله : « ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون » وقوله : « وعملوا الصالحات » ليس بتقييد للوعد بكل واحدة من الخصلتين على اختلاف فائدة الصفتين ، وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة في أن الله تعالى يريد الظلم ، لأنه قال : « لا يحب الظالمين » وإذا لم يحب الظالم لم يحب فعل الظلم ، لأنه إنما لم يجز محبة الظالم لظلمه .

والحجة هي الإرادة ، وفي الآية دلالة على أنه لا يجازي المحسن بما يستحقه المسيء ، ولا المسيء بما يستحقه المحسن ، لأن ذلك ظلم . ومعنى التوفية في الآية مساواة مقدار الاستحقاق لأن المقدار لا يخلو أن يكون مساوياً أو زائداً أو ناقصاً ، والزيادة على مقدار الاستحقاق لا يجوز أن يعطي ثواب العمل من ليس بعامل لكن تجوز الزيادة على وجه التفضل ، فأما التوفية ، فواجبة في الحكمة والنقصان لا يجوز ، لأنه ظلم . وفي الآية دلالة على بطلان القول بالتحباط ، لأنه تعالى وعد بتوفية الاجور ولم يشترط الاحباط ، فوجب حمل الكلام على ظاهره .

قوله تعالى :

« ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ » (٥٨)

آية واحدة .

المعنى :

«ذلك» إشارة إلى الاخبار عن عيسى ، وزكريا ، ويحيى ، عن الحواريين ، واليهود من بني إسرائيل ، وهو في موضع نصب بما تقدم . و«تتلوه عليك» لما فيه من الآية لمن تذكر في ذلك واعتبر به . والذكر وإن كان حكمة فانما وصفه بأنه حكيم من حيث لما كان ما فيه من الدلالة بمنزلة الناطق بالحكمة حسن وصفه بأنه حكيم من هذه الجهة ، كما وصفت الدلالة بأنها دليل لما فيها من البيان ، وذلك لأنه الناطق بالبيان .

الاعراب :

وموضع «تتلوه» من الاعراب يحتمل أمرين :
أحدهما - أن يكون رفعاً بأنه خير ذلك ، والثاني - ألا يكون له موضع ، لأنه صلة ذلك وتقديره : الذي تتلوه عليك من الآيات ، ويكون موضع «من الآيات» رفعاً بأنه خير ذلك . ذكره الزجاج وأنشدوا في مثله :

عدس ما للعباد عليك إمامة أمنت وهذا تحمليين طليق (١)
بمعنى والذي تحمليين طليق .

المعنى :

وقيل في معنى قوله : «تتلوه عليك» قولان :
أحدهما - نكلمك به ، ويكون وضع «تتلوه» موضع نكلم كما يقول القائل :
انشأ زيد الكتاب وتلاوة عمرو ، فالتلاوة تكون اظهار الكلام على جهة الحكاية
الثاني - «تتلوه عليك» بأمرنا جبريل أن يتلوه عليك على قول الجبائي ، والذكر
حصول ما به يظهر المعنى للنفس ويكون كلاماً وغير كلام من بيان أو خاطر على

البال ، وليس إذا ظهر الشيء للنفس دل على صحته ، لأن الضدين قد يظهران ولا يجوز صحتهما معاً .

قوله تعالى :

﴿ لَنْ مَثَلِ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٥٩) آية .

قال ابن عباس ، والحسن وقتادة : هذه الآية نزلت في وفد نجران : السيد والعاقب ، قال للنبي (ص) هل رأيت ولداً من غير ذكر ، فأُنزل الله تعالى الآية . والمثل ذكر سائر يدل على أن سبيل الثاني سبيل الأول ، فذكر الله آدم بأن انشاء من غير والد يدل على أن سبيل الثاني سبيل الأول في باب الامكان ، والقدرة . وفي ذلك دلالة على [بطلان قول] من حرم النظر ، لأن الله تعالى احتج به على المشركين ولا يجوز أن يدلهم إلا بما فيه دليل فقياس خلق عيسى من غير ذكر كقياس خلق آدم بل هو فيه أوجب ، لأنه في آدم من غير أني ، ولا ذكر . ومعنى « خلقه » أنشاء ، ولا موضع له من الاعراب ، لأنه لا يصلح أن يكون صفة لآدم من حيث هو نكرة ، ولا يكون حالاً له ، لأنه ماض فهو متصل في المعنى غير متصل في اللفظ من علامات الاتصال من اعراب أو مرتبة كالصلة . وقوله : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ قد بينا معناه فيما مضى وأنه اخبار عن سرعة الفعل وتيسره من غير مشقة ولا إبطاء . وقيل إنه يفعله عند قوله : « كُنْ » ويكون ذلك علامة للملائكة على ما يريد الله إنشائه ، وقوله : « فَيَكُونُ » رفع لا يجوز فيه النصب على جواب الأمر في كُنْ ، لأن جواب الشرط غيره في نفسه أو معناه نحو اتني فاكرمك واتني فتحسن إلي ، فهذا يجوز ، لأن تقديره فانك إن تأتني تحسن إلي ، ولا يجوز تقدير (أن) ، فيكون بالنصب ، لأن تقديره كُنْ فانك أن تكن . فهذا لا يصح ، لأن الجواب هو الشرط على معناه ، ولكن يجوز الرفع على فهو يكون .

قوله تعالى :

﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (٦٠) آية .

الاعراب :

الحق رفع بأنه خير ابتداء محذوف وتقديره ذلك الاخبار في أمر عيسى
الحق من ربك ، فحذف ، لتقدم ذكره وأغنى بشاهد الحال عن الاشارة إليه كما
تقول الهلال أي هذا الهلال .

المعنى واللفظ :

وقوله : ﴿ فلا تكن من الممترين ﴾ يحتمل أمرين :

أحدهما - أن يكون خطاباً للنبي (ص) والمراد به غيره ، كما قال . « يا أيها
النبي إذا طلقتم النساء » (١) . والآخر - « فلا تكن من الممترين » أيها السامع
للبرهان من المكلفين كائناً من كان .

والامتراء الشك ، ومثله المرية وأصله الاستخراج مرمى الضرع يمر به مريباً :
إذا استخراج اللبن منه يمسحه ليدر ، وكذلك الريح تمرى السحاب مريباً . فالامتراء
شك كحال المستخرج لما لا يعرف . وإنما قال : « الحق من ربك » ولم يقتصر
على قوله : « ذلك الحق » « فلا تكن من الممترين » لأن في هذه الآية دلالة على أنه
الحق ، لأنه من ربك ، ولو قال ذلك الحق « فلا تكن من الممترين » لأن في هذه
الآية دلالة على أنه الحق ، لأنه من ربك . ولو قال : ذلك الحق فلا تكن (٢) لم يفد
هذه الفائدة . والفرق بين قوله : « فلا تكن من الممترين » وبين قوله : فلا تكن
ممترياً أن ذلك أبلغ في النهي ، لأنه اشارة إلى قوم قد عرفت حالهم في
النقص والعيب .

قوله تعالى :

﴿ كَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ
تَعَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ
نَبْتَهِلْ فَنَجْمِلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (٦١) آية بلا خلاف .

المعنى :

الهاء في قوله : « فيه » يحتمل أن تكون عائدة إلى أحد أمرين :
أحدهما - إلى عيسى في قوله : « إن مثل عيسى عند الله » في قول قتادة .
الثاني - أن تكون عائدة على الحق في قوله « الحق من ربك » . والذين دعاهم
النبي (ص) في المباهلة نصارى نجران ، ولما نزلت الآية أخذ النبي (ص) بيده
علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، ثم دعا النصارى إلى المباهلة ، فاحجموا
عنها ، وأقروا بالذلة والجزية . ويقال : إن بعضهم قال لبعض إن باهلتموه اضطررم
الوادي ناباً عليكم ولم يبق نصراني ولا نصرانية إلى يوم القيامة .
وروي أن النبي (ص) قال لأصحابه : مثل ذلك . ولا خلاف بين أهل العلم
أنهم لم يجيبوا إلى المباهلة .

اللفظ ، والمعنى :

« وتعالوا » أصله من العلو ، يقال منه تعاليت أنه إلى تعالياً : إذا جئت
وأصله المجيء إلى الارتفاع إلا أنه كثر في الاستعمال حتى صار لكل مجيء وصار
تعالى بمنزلة هلم . وقيل في معنى الابتهاال قولان :
أحدهما - الالتعان بهله الله أي لعنه وعليه بهلة الله . الثاني « نبتهل » ندعوا
بهلاك الكاذب . وقال لبيد :

نظر الدهر إليهم فابتهل (١)

أي دعا عليهم بالهلاك كاللعن ، وهو المباحدة من رحمة الله عقاباً على معصيته
فلذلك لا يجوز أن يلعن من ليس بعاص من طفل أو بهيمة أو نحو ذلك ، وقال
أبو بكر الرازي : الآية تدل على أن الحسن والحسين ابناه ، وأن ولد البنت ابن علي
الحقيقة . وقال ابن أبي علان : فيها دلالة على أن الحسن والحسين كانا مكلفين في
تلك الحال ، لأن المباهلة لا تجوز إلا مع البالغين .
واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن أمير المؤمنين (ع) كان أفضل الصحابة
من وجهين :

أحدهما - أن موضوع المباهلة ليطمئذ المحق من المبطل وذلك لا يصح أن
يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن مقطوعاً على صحة عقيدته أفضل الناس عند الله .
والثاني - أنه (ص) جعله مثل نفسه بقوله : « وأنفسنا وأتفكم » لأنه
أراد بقوله « أبناءنا » الحسن والحسين (ع) بلا خلاف . وبقوله : « ونساءنا
ونساءكم » فاطمة (ع) وبقوله : « وأنفسنا » أراد به نفسه ، ونفس علي (ع)
لأنه لم يحضر غيرها بلا خلاف ، وإذا جعله مثل نفسه ، وجب ألا يدانيه أحد في
الفضل ، ولا يقاربه . ومتى قيل لهم أنه أدخل في المباهلة الحسن والحسين (ع)
مع كونهما غير البالغين وغير مستحقين للثواب ، وإن كانا مستحقين للثواب لم يكونا
أفضل الصحابة . قال لهم أصحابنا : إن الحسن والحسين (ع) . كانا بالغاين مكلفين ،
لأن البلوغ وكمال العقل لا يفتقر إلى شرط مخصوص ، ولذلك تكلم عيسى في المهد
بما دل على كونه مكلفاً عاقلاً ، وقد حكيت ذلك عن امام من أئمة المعتزلة مثل ذلك
وقالوا أيضاً أعني أصحابنا : إنهما كانا أفضل الصحابة بعد أبيهما وجدهما ، لأن
كثرة الثواب ليس بموقوف على كثرة الأفعال ، فصغر سنهما لا يمنع من أن يكون

« ١ » ديوانه قصيدة ٣٩ البيت ٨١ ، وأمالى الشريف المرتضى ١ : ٤٥ وأساس البلاغة

(بهل) وصدوره :

معرفة وطاعتها لله ، وإقرارها بالنبي (ص) وقع على وجه يستحق به من الثواب ما يزيد على ثواب كل من عاصرها سوى جدتها وأبيها . وقد فرغنا الكلام في ذلك واستقصيناه في كتاب الامامة .

قوله تعالى :

﴿ لَإِن هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِن لَّآئِهِ إِلاَّ أَنَّهُ وَلَإِنِ اللَّهُ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٦٢) آية .

المعنى ، واللفظ :

إن قيل : لم قال : « إن هذا هو القصص » مع قيام الحجة ، وشهادة المعجزة له ؟ قلنا : معناه البيان عن أن مخالفتهم له بعد وضوح أمره يجري مجرى العناد فيه ، وكذلك قوله : « وما من إله إلا الله » . والقصص : الخبر الذي يتابع فيه المعاني وأصله اتباع الأثر ، وفلان يقص أثر فلان أي يتبعه . وقوله : ﴿ وما من إله إلا الله ﴾ دخول (من) فيه تدل على عموم النفي لكل إله غير الله . ولو قال : ما إله إلا الله لم يفد ذلك وإنما أفادت (من) هذا المعنى ، لأن أصلها لا ابتداء الغاية فدل على استغراق النفي من ابتداء الغاية إلى انتهائها . ولا يجوز جر اسم الله على البديل من إله ، لأن ذلك لا يحسن في الكلام ، لأن (من) لا تدخل في الإيجاب وما بعد (إلا) هنا إيجاب ، ولا تدخل أيضاً على المعرفة للعموم ، ولا يحسن إلا رفعه على الموضع ، كأنه قيل ما لكم إله إلا الله . وما لكم مستحق للعبادة إلا الله قال الشاعر :

ابني لبيني لستم بيد
الأيدي ليست لها عضد

أنشدوه بالجر ، فعلى هذا يجوز ما جاءني من رجل إلا زيد ، وليس هو وجه الكلام ، ولكنه يتبعه وإن لم يصلح إعادة العامل فيه ، كما يقال : اختصم زيد وعمرو ، ولا يجوزواختصم عمرو ، وقوله : « وإن الله هو العزيز الحكيم » معناه

لا أحد يستحق إطلاق هذه الصفة إلا هو ، فوصل ذلك بذكر التوحيد في الآلية لأنه حجة على صحته من حيث لو كان إله آخر ، لبطل إطلاق هذه الصفة .

الاعراب :

وموضع هو من الاعراب يحتمل أمرين :
أحدهما - أن يكون فصلاً ، وهو الذي تسمية الكوفيون عماداً ، فلا يكون له موضع من الاعراب ، لأنه في حكم الحرف ويكون القصص خبر إن . والآخر - أن يكون إسماً موضعه رفع بالابتداء والقصص خبر إن والجملة خبر إن .

قوله تعالى :

﴿ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌ بِالْمُفْسِدِيْنَ ﴾ (٦٣) .

اللفظ والمعنى :

التولي عن الحق هو اعتقاد خلافه بعد ظهوره ، لأنه كالادبار عنه بعد الاقبال . وتولي عنه خلاف تولى إليه . والاصل واحد كما أن رغب عنه خلاف رغب فيه . وهو الزوال بالوجه عن جهته إلى غيره ، فأصل التولي كون الشيء يلي غيره من غير فصل بينه وبينه ، فقبل تولى عنه أي زال عن جهته . وقوله : ﴿ فَاِنْ اللّٰهَ عَلِيْمٌ بِالْمُفْسِدِيْنَ ﴾ إنما خص المفسدين بأنه عليهم بهم على جهة التهديد لهم ، والوعد بما يعلمه مما وقع من إفسادهم كما يقول القائل أنا أعلم بسر فلان ، وما يجري إليه من الفساد . والافساد إيقاع الشيء على خلاف ما توجبه الحكمة ، وهو ضد الاصلاح ، لأنه إيقاع الشيء على مقدار ما توجبه الحكمة . والفرق بين الفساد ، والقبیح : أن الفساد تغيير عن المقدار الذي تدعو إليه الحكمة بدلالة أن نقيضه الصلاح ، فإذا قصر عن المقدار أو أفرط لم يصلح ، فإذا كان على المقدار صلح ، وليس كذلك القبیح ، لأنه ليس فيه معنى المقدار . وإنما القبیح ما تزجر عنه الحكمة كما أن الحسن ما تدعو إليه الحكمة .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤) آية واحدة .

النزول :

قيل في من نزلت هذه الآية ثلاثة أقوال :

أحدها - ذكره الحسن ، والسدي ، وابن زيد ، ومحمد بن جعفر بن الزبير : أنهم نصارى نجران . والثاني - قال قتادة ، والربيع ، وابن جريج : أنهم يهود المدينة ، وقد روى ذلك أصحابنا . ووجه هذا القول أنهم أطاعوا الاحبار طاعة الأرباب ، فسلكوا بهم طريق الضلال . ويسدل على ذلك قوله : (عز وجل) « اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ » (١) وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال ما عبدوهم من دون الله وإنما حرموا لهم حلالا وأحلوا لهم حراما ، فكان ذلك اتخاذا الأرباب من دون الله . الثالث - ذكره أبو علي الجبائي أنها في الفريقين من أهل الكتاب على ظاهر الكلام .

المعنى ، والاعراب ، واللفظ :

وقوله : ﴿ إلى كلمة سواء ﴾ فسواء إسم وليس بصفة وإنما جر سواء بتقدير ذات سواء في قول الزجاج . وكان يجوز نصبه على المصدر ، وموضع « أن لا » خفض على البسمل من (كلمة) . وقال الرماني : إنما أجراه على الاول ، وهو الثاني ولا يجوز في مثل قولك مهرت برجل سواء عليه الخير والشر غير الرفع لأميرين : أحدهما - أن رفع الثاني بتقدير محذوف ، كأنه قال هي « ألا تعبد إلا

الله ، فيكون سواء من صفة الكلمة في اللفظ ، والمعنى . ويجوز أن يكون موضعه خفضاً على البدل من الكلمة ، وتقديره تعالوا إلى ألا نعبد إلا الله ، وكذلك جاء مالا يصلح للأول على الاستئناف ، نحو « الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد » (١) وكذلك « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم » (٢) . الثاني - أن يقع بمعنى المصدر في موضع الصفة الجارية بتقدير (كلمة) مستوية « بيننا وبينكم » فيها الامتناع من عبادة غير الله . وإنما جاز ، لأن لا نعت بغير معنى الكلمة ، فصار بمنزلة إضمار الكلمة . والفرق بين كلمة عدل وكلمة سواء [أن « كلمة سواء »] بمعنى مستوية وأن عدل بمعنى عادلة فيما يكون منها ، كما تقول رجل عدل أي عادل ، فاما كلمة مستوية فستقيمة ، كما يقال : الرجل مستو - في نفسه - غير مائل عن جهته ، فلذلك فسر سواء على الوجهين ، فكان يجوز في العربية الجزم في « ألا نعبد إلا الله » على طريق النهي ، كقولك اتني وقت يأتي الناس لا تجيء في غير ذلك من الأوقات ، ويجوز فيه الرفع أيضاً بمعنى الحكاية على أن تقول « لا نعبد إلا الله » وأجاز الفراء الجزم عطفاً على موضع (أن) لأنها في موضع جواب الامر على تقدير « تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً » كما تقول : تعالوا لا تقل إلا خيراً ، وهذا لا يجوز عند البصريين ، لأن (أن) لا توافق معنى الجواب كالفاء في قوله : « فأصدق وأكن من الصالحين » (٣) كما توافقه « إذا » في قوله : « وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون » (٤) واللام في قوله : « فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » إنما اتصل بما قبله على تقدير : قابلوا إعراضهم عن الحق بخلافه للانكار عليهم وتجديداً للاقرار به عند صدم أي أقيموا على إسلامكم ، وقولوا لهم : « اشهدوا بأنا مسلمون » مقيمون على الاسلام .

٢ « سورة الجاثية آية : ٢٠ .

٤ « سورة الروم آية ٣٦ .

١ « سورة الحج آية : ٢٥ .

٣ « سورة المنافقين آية : ١٠ .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُتِرَتْ
التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦٥) آية واحدة .

النزول :

روي عن ابن عباس ، والحسن ، وقتادة والسدي أن أحبار اليهود ونصارى
نجران اجتمعوا عند رسول الله (ص) فتنازعوا في إبراهيم ، فقالت اليهود :
ما كان إلا يهودياً . وقالت النصارى ما كان إلا نصرانياً ، فأنزل الله تعالى هذه
الآية .

اللفظ :

وقوله : « لم تحاجون » فالحجاج ، والمحاجة واحد ، وهو الجدل أما بحجة
أو شبهة ، وقد يسمى الجدل بابهام الحجة حججاً ، وعلى ذلك كان أهل الكتاب
في ادعائهم لإبراهيم ، لأنهم أو هموا صحة الدعوى من غير سلوك لطريق الهدى ولا
تعلق بما يظن به صحة المعنى . وأما الحجة فهو البيان الذي يشهد لصحة المقالة ،
وهي والدلالة بمعنى واحد . والفرق بين الحجج والجدال أن الحجج يتضمن ما بحجة
أو شبهة أو ابهام في الحقيقة ، لأن أصله من الجدل ، وهو شدة الفتل .

المعنى :

وقوله : ﴿ أفلا تعقلون ﴾ معناه أفلا تعلمون فساد هذه الدعوى إذ العقل
يمنع من الاقامة على دعوى بغير حجة ، فكيف بما قد علم ، وظهر فساد المناقضة .
وفي ذلك دلالة على أن العاقل لا يمدرك في الاقامة على الدعوى من غير حجة ، لما
فيه من البيان عن الفساد والاتقاض . ولأن العقل طريق العلم ، فكيف يضل عن
الرشد من قد جعل الله إليه السبيل ! .

قوله تعالى :

﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا
لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٦٦) آية واحدة .

الفرادة :

قرأ أهل المدينة وأبو عمرو « ها أنتم » بتخفيف الهمزة حيث وقع الباقون
بتخفيفها (١) وكلهم أثبت الالف قبل الهمزة إلا ابن عامر عن قنبل فإنه حذفها .

المعنى واللفظ :

« ها » للتنبيه وإنما نبههم على أنفسهم وإن كان الانسان لا يذنبه على نفسه
وإنما يذنبه على ما أغفله من حاله ، لأن المراد بذلك تنبيههم بذكر ما يعلمون على ما لا
يعلمون ، فذلك خرج التنبيه على النفس ، والمراد على حال النفس . ولو جاء على
الاصل ، لكان لا بد من ذكر النفس للبيان ، ففيه مع ذلك إيجاز . وقد كثر التنبيه
في هذا ولم يكثر في « ها أنت » ، لأن ذا مبهم من حيث يصلح لكل حاضر والمعنى فيه
على واحد بعينه مما يصلح له فقوى بالتنبيه ، لتحريك النفس على طلبه بعينه ، وليس
كذلك أنت ، لأنه لا يصلح لكل حاضر في الجملة ، وإنما هو للمخاطب . إن قيل أين
خبر أنتم في « ها أنتم » ؟ قيل : يحتمل أمرين :

أحدهما - حاججتم على أن يكون « هؤلاء » تابعا عاطف بيان .

والثاني - أن يكون الخبر « هؤلاء » على معنى هؤلاء بمعنى الذين وما بعده
صلة له . فإن قيل : ما الذي حاجوا فيه مما لهم به علم ؟ قلنا : أما الذي لهم به علم
فما وجدوه في كتبهم ، لأنهم يعلمون أنهم وجدوه فيها وأما الذي ليس لهم به علم

« ١ » هكذا وجدناه في الاصل وهو كان نرى . وفي نجم البيان . قرأ أهل الكوفة (ها أنتم)
بالمد والهمزة وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو وغير مد ولا همزة الا بقدر خروج الالف الساكنة .
وقرأ ابن عامر بالمد دون الهمزة .

فشان إبراهيم على قول السدي وأبي علي . وقوله : « والله يعلم » يعني شأن إبراهيم وكما ليس عليه دليل ، لأنه علام الغيوب العالم بغير تعليم « وأنتم لا تعلمون » ذلك ، فيدبغني أن تلتمسوا حقه من باطله من جهة عالم به . قال أبو علي الفارسي : وجه قراءة ابن كثير أنه أبدل من الهمزة هاء والتقدير أنتم ، فأبدل من همزة الاستفهام هاء ، وذلك جائز . قال : ولا يجوز على هذا أن تكون (ها) للتنييس . وحذف الألف منها في مثل هلم ، لأن الحذف إنما يجوز إذا كان فيها تضعيف .
قوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦٧) آية .

المعنى :

ذكر الحسن ، وقتادة ، وعامر ، وهو المروي عن أبي جعفر (ع) : أن اليهود قالت : كان إبراهيم يهودياً ، وقالت النصارى كان نصرانياً ، فأكذبهم الله في ذلك بأنزال هذه الآية . فان قيل : هل كان الله تعبد باليهودية والنصرانية ثم نسخها أم لا ؟ قلنا : كان الذي بعثه الله به شرع موسى ثم شرع عيسى ثم نسخها فأما اليهودية والنصرانية فصفتا ذم قد دل القرآن والاجماع على ذلك ، لأن موسى لم يكن يهودياً ، وعيسى لم يكن نصرانياً ، لقوله تعالى : « ان الدين عند الله الاسلام » واليهودية ملة محرفة عن شرع موسى وكذلك النصرانية محرفة عن شرع عيسى . وقيل في أصل الصفة يهود قولان :

أحدهما - أنهم ولد يهود . والآخر - أنه مأخوذ من هاد يهود إذا رجع .
وفي النصارى قولان :

أحدهما - أنه مأخوذ من ناصرة قرية بالشام . والآخر - أنه من نصر المسيح . وكيف نصرفت الحال فقد صارتا صفتي ذم تجريان على فرقتين ضالتين .

فان قيل : إن كان إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، لأن التوراة والانجيل أنزلا بعده ، فيجب أن لا يكون مسلماً ، لأن القرآن أيضاً أنزل بعده ؟ فلنا : لا يجب ذلك ، لأن التوراة والانجيل أنزلا من بعده من غير أن يكون فيها ذكر له بأنه كان يهودياً أو نصرانياً . والقرآن أنزل من بعده وفيه الذكر له بأنه كان حنيفاً مسلماً . وقيل في معنى الحنيف قولان :

أحدهما - المستقيم الدين ، لأن الحنف هو الاستقامة في اللغة . وإنما سمي من كان معوج الرجل أحنف على طريق التفاؤل كما قيل للضرب إنه بصير . والثاني - إن الحنيف هو المائل إلى الحق في الدين فيكون مأخوذاً من الحنف في القدم ، وهو الميل . فان قيل : هل كان إبراهيم على جميع ما نحن عليه الآن من شرع الاسلام ؟ قلنا . هو (ع) كان مسلماً ، وإن كان على بعض شريعتنا ، لأن في شرعنا تلاوة الكتاب في صلاتنا وما أنزل القرآن إلا على نبينا ، وإنما قلنا : إنه مسلم باقامة بعض الشريعة ، لأن أصحاب النبي (ص) كانوا مسلمين في الابتداء قبل استكمال الشرع . وقد سماه الله تعالى مسلماً ، فلا مربة تبقى بعد ذلك .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦٨) آية واحدة .

المعنى :

معنى قوله : « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي » أي أحقهم بنصرته بالمعونة أو الحجّة ، لأن الذين اتبعوه في زمانه تولوه بالنصرة على عدوه حتى ظهر أمره ، وعلت كلمته . وسائر المؤمنين يتولونه بالحجّة بما كان عليه من الحق وتبرئته من كل عيب ، فالله تعالى ولي المؤمنين ، لأنه يوليهم النصرة ، والمؤمن ولي الله لهذا المعنى بعينه . وقيل ، لأنه يولي صفاته التعظيم . ويجوز ،

لأنهم يتولون نصرة ما أمر به من الدين . وقيل والله ولي المؤمنين ، لأنه يتولى نصرهم . والمؤمنون أولياء الله ، لأنهم يتولون نصر دينه الذي أمرهم به .

اللفظ :

«وأولى» الذي هو بمعنى أفعال من غيره لا يجمع ولا يثنى ، لأنه يتضمن معنى الفعل والمصدر على تقدير يزيد فضله على فضله في أفضل منه . ومعنى قولنا: هذا الفعل أولى من غيره أي بأن يفعل . وقولنا زيد أولى من غيره معناه : أنه على حال هو بها أحق من غيره . وقوله : «الذين اتبعوه» فالاتباع جريان الثاني على طريقة الاول من حيث هو عليه كالمدلول الذي يتبع الدليل في سلوك الطريق أو في التصحيح ، لأنه إن صح الدليل صح المدلول عليه لصحته ، وكذلك المأموم الذي يتبع الامام .

فان قيل : لم فصل ذكر النبي (ص) من ذكر المؤمنين ؟ قلنا : يحتمل أمرين : أحدهما - أنه بمعنى والذين آمنوا به ، فتقدم ذكره ليدخل في الولاية ويعود إليه الكتابة . والثاني - أن اختصاصه بالذكر بالحال العليا في الفضل .

قوله تعالى :

﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٦٩) .

اللفظ :

معنى ودت : تمنى وإذا كانت بمعنى التمني ، فهي تصلح للماضي والحاضر والمستقبل فذلك جاز به (لو) وليس كذلك المحبة والارادة ، لأنها لا يتعلقان إلا بالمستقبل فلا يجوز أن يكون بمعنى أرادت « لو يضلونكم » كما يجوز ودت « لو يضلونكم » ، لأن الارادة تجري مجرى الاستدعاء إلى الفعل أو مجرى العلة

في ترتيب الفعل ، فأما التمني ، فهو تقدير شيء في النفس يستمتع بتقريره . والفرق بين *ود لو يضلّه* ، وبين *ود أن يضلّه* : أن (أن) للاستقبال وليس كذلك (لو) وقوله : ﴿ لو يضلونكم ﴾ فالاضلال : الاهلاك بالدخول في الضلال . وأصل الضلال الهلاك من قوله : « أتئذا ضللنا في الارض » (١) أي هلكننا .

المعنى :

وقوله : ﴿ وما يضلون إلا أنفسهم ﴾ قيل فيه قولان : أحدهما - أن المؤمنين لا يقبلون ما يدعونهم إليه من ترك الاسلام إلى غيره من الاديان فيحصل عليهم حينئذ الأثم والوبال ، والاستدعاء إلى الضلال . والثاني - « وما يضلون إلا أنفسهم » بفعل الضلال كما يقال ما أهلك إلا نفسه أي لا يعتمد بهلاك غيره في عظم هلاكه .

اللفظ :

والفرق بين أضله عن الطريق وبين أخرجه عن الطريق : أن أضله عنه يكون بالاستدعاء إلى غيره دون فعل الضلال . وأخرجه عنه قد يكون بفعل الخروج منه . والفرق بين الاضلال والاستدعاء إلى الضلال أن الاضلال لا يكون إلا إذا قبل المدعو ، فأما الاستدعاء إلى الضلال ، فيكون ، قبل المدعو أم لم يقبل . وحقيقة الاضلال : الدعاء إلى الضلال الذي يقبله المدعو . وقال بعضهم : إنه لا يصح إضلال أحد بغيره . وإنما يقال ذلك على وجه المجاز ذهب إلى أنه يفعل فعل الضلال في غيره ، لأنه لا يوصف بأنه مضل لغيره إلا إذا أضل المدعو باغوائه . قال الرماني : وهذا غير صحيح ، لأنه يذم بالاستدعاء إلى الضلال الذي يقبله المدعو أكثر مما يذم بالاستدعاء إلى الضلال الذي لا يقبله المدعو ، فلذلك فرق بين الاستدعاء بين فوصف أحدهما بالاضلال ولم يوصف الآخر .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ ﴾

(٧٠) آية واحدة بلا خلاف .

اللفظ :

قوله : « يا أهل » نصب ، لأنه منادى مضاف . وقوله : « لم » أصله لما ، لأنها (ما) التي للاستفهام دخلت عليها اللام وإنما حذف لتصالها بحرف الاضافة مع وقوعها ظرفاً تدل عليها الفتحة . وكذلك قياسها مع سائر حروف الاضافة مثل « فيم تبشرون » (١) « وعم يتساءلون » (٢) وإنما حذفت الالف من (ما) في الاستفهام ، ولم تحذف من (ما) في الصلوات لأن الظرف أقوى على التغيير من وسط الاسم كما يقوى على التغيير بالاعراب ، والتنوين . والالف في الصلة بمنزلة حرف في وسط الاسم ، لأنه لا يتم إلا بصلته ، وليس كذلك الاستفهام ، لأن الالف فيه منتهى الاسم ، و (لم) أصلها (لما) وهي مخالفة عند البصريين لـ (كم) على ما قاله الكسائي أن أصلها كما ، لأن (كم) مخالفة (لما) في اللفظ ، والمعنى : أما في اللفظ ، فلأنه كان يجب أن تبقى الفتحة لتدل على الالف ، كما بقيت في (لم) ونحوه ، والامر بخلافه . وأما في المعنى ، فلأن (كم) سؤال عن العدد ، و (ما) سؤال عن الجنس ، فليست منها في شيء ، ولا لكاف التشبيه في (كم) معنى ، ويلزمه في متى أن تكون أصلها (ما) إلا أنهم زادوا التاء ، لأنه تغيير من غير دليل ، فاذا لم يمنع في أحدهما لم يمنع في الآخر . وإنما بني على نظيره في حذف الالف ، فلذلك يلزمه أن يبني على نظيره في زيادة التاء قبل الالف ، نحو (رهبوني خبر من رحمتي) قال الزجاج : قول الكسائي في هذا لا يعرج عليه .

المعنى :

وقوله : ﴿ لم تكفرون بآيات الله ﴾ معناه لم تمجدون آيات الله . « وأنتم تشهدون » قيل في معناه قولان :
أحدهما - وأنتم تشهدون بما يدل على صحتها من كتابكم الذي فيه البشارة بها في قول قتادة والربيع والسدي .
والثاني - وأنتم تشهدون بمثلها من آيات الانبياء التي تقررون بها . والشهادة الخبر بالشيء عن مشاهدة : إما للخبر به ، وإما لما يظهر به ظهوره بالمشاهدة . فإذا شهد بالاقرار ، فهو مشاهدة المخبر به ، وإذا شهد بالملك ، فهو يظهر به ظهوره بالمشاهدة . وإنما قيل : شهد بالباطل ، لأنه يخبر عن مشاهدة في دعواه . وقوله : ﴿ وأنتم تشهدون ﴾ فيه حذف ، وتقديره « وأنتم تشهدون » ما عليكم فيه الحجة فحذف للإيجاز مع الاستغناء عنه بالتوبيخ الذي تضمنه الكلام . والحجة في ذلك من وجهين :

أحدهما - الاقرار بما فيه من البشارة من الكتاب . والثاني - الاقرار بمثله من الآيات .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ
وَأنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٧١) آية بلا خلاف .

المعنى :

قيل في معنى قوله : « لم تلبسون الحق بالباطل » ثلاثة أقوال :
أحدها - بتحريف التوراة والانجيل في قول الحسن وابن زيد .
الثاني - قال ابن عباس ، وقتادة : باظهار الاسلام ، وإبطان النفاق ، وفي قلوبهم من اليهودية والنصرانية مأمناً ، لأنهم يدعوا إلى اظهار الاسلام في صدر

النهار والرجوع عنه في آخره لتشكيك الناس فيه .

الثالث - بالايمان بموسى ، وعيسى ، والكفر بمحمد (ص) .

والحق الذي كتموه - في قول الحسن ، وغيره من المفسرين - : هو ما وجدوه من صفة النبي (ص) والبشارة به في كتبهم على وجه العناد من علماءهم . وقوله : ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ فيه حذف وتقديره وأنتم تعلمون الحق ، لأن التقريع قد دل على أنهم كتموا الحق وهم يعلمون أنه حق . ولو كتموه وهم لا يعلمون أنه حق لم يلائم معنى التقريع الذي دل على أنهم كتموا الحق وهم يعلمون أنه حق ولم يلائم معنى التقريع الذي دل عليه الكلام . وقيل أيضاً : وأنتم تعلمون الأمور التي يصح بها التكليف . والأول أصح ، لما بيناه من الذم على الكتمان .

فإن قيل : إذا كانوا يعلمون الحق في الدين ، فقد صح كونهم معاندين فلم ينكر مذهب أصحاب المعارف الذين يقولون أن كل كافر معاند ؟ قلنا : هذا في قوم مخصوصين يجوز على مثلهم الكتمان ، فأما الخلق الكثير ، فلا يصح ذلك منهم ، كما يجوز الكتمان على القليل ، ولا يجوز على الكثير فيما طريقه الاخبار . على أن في الآية ما يدل على فساد قول أصحاب المعارف . وهو الاخبار بأنهم كتموا الحق الذي علموا ، فلو اشترك الناس فيه ، لما صح الكتمان كما لا يصح في ما يعلمونه من المشاهدات والضروريات ، لاشتراكهم في العلم به . وقوله : ﴿ وتكتمون الحق ﴾ رفع ، لأنه معطوف على قوله : « تلبسون » وكان يجوز النصب ، فتقول : وتكتموا الحق على الصرف ، كما لو قلت لم تقوم وتقدم كان جائزاً أي لم تجمع الفعلين وأنت مستغن باحدهما عن الآخر .

قوله تعالى :

﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى

الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٧٢) آية .

اللفظ :

الطائفة الجماعة . وقيل في أصلها قولان :
أحدهما - أنه كالرفقة التي من شأنها أن تطوف البلاد في السفر الذي يقع
عليه الاجتماع . والآخر - أنها جماعة يستوي بها حلقة يطاق حولها . وإنما دخلت
هاء التأنيث فيها لمعنى المضاعفة اللازمة كما دخلت في الجماعة ، لأن في أصل التأنيث
معنى التضعيف من أجل أنه مركب على التذكير .

المعنى :

وفي قوله : « آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره »
ثلاثة أقوال :
أولها - أظهروا الإيمان لهم في أول النهار وارجعوا عنه في آخره ، فإنه
أحرى أن ينقلبوا عن دينهم .
الثاني - آمنوا بصلاتهم إلى بيت المقدس في أول النهار ، واكفروا بصلاتهم
إلى الكعبة في آخره ليرجعوا بذلك عن دينهم .
الثالث - أظهروا الإيمان في صدر النهار لما سلف لكم من الاقرار بصفة
محمد (ص) ، ثم ارجعوا في آخره لتوهومهم أنه كان وقع عليكم غلط في صفتيه .
والوجه الأول قول أكثر أهل العلم . ووجه النهار هو أوله عند جميع المفسرين ،
كقتادة ، والربيع ، ومجاهد . وإنما سمي أول النهار بأنه وجهه لأحد أمرين :
أحدهما - لأنه أول ما يواجه منه كما يقال ، لأول الثوب وجه الثوب . الثاني -
لأنه كالأوجه في أنه أعلاه وأشرف ما فيه قال ربيع ابن زياد :
من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار (١)

(١) « السان (وجه) والاضائي ١٦ : ٢٧ ، ومجاز القرآن ١ : ٩٧ ، وحاشية أبي تمام
٣ : ٢٦ وخزانة الادب ٣ : ٥٣٨ من أبيات قلها لما قتل حبيبه مالك بن زهير ، وقد استعد
لطلب تاره وبعده : -

وقيل في معنى البيت : انه كان من عادتهم أن لا تنوح نساؤهم على قتلاهم إلا بعد أن يؤخذ بثارته ، فاراد الشاعر أن يبين أنهم أخذوا بثار مالك بأن النساء ينحن عليه . ولذلك قال في البيت الذي بعده :

يجد النساء حواسراً يندبنه

شبهه أوقوله : ﴿ لعلمهم يرجعون ﴾ فيه حذف وتقديره : لعلمهم يرجعون عن دينهم في قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد .
قوله تعالى :

« وَلَا تَوْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَهُدَى اللَّهُ أَنْ يُؤْتِي أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتَيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » (٧٣) آية .

المعنى ، والاعراب :

قال الحسن : الغائلين « لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم » هم يهود خيبر لليهود المدينة . وقال قتادة ، والربيع ، والسدي ، وابن زيد : هم بعض اليهود لبعض .
وقيل في معنى الآية ستة أقوال :

أحدها - قال الحسن ، ومجاهد : أعرض بقوله : « قل إن الهدى هدى الله » وتقديره : « ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم » ولا تؤمنوا « أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم » ولا تؤمنوا « أن يحاجوكم عند ربكم » لأنه لا حجة لهم . وقال أبو علي الفارسي . وتقديره ولا تصدقوا بـ « أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم » « إلا لمن تبع دينكم » .

- يجد النساء حواسراً يندبنه
قد كن يخآن الودوه تستراً
بجمن حران الوجوه على امرى .
بيكين قبل تبليج الاسجار
قالوم حين برزن للنظار
سهل الخليفة طيب الاخبار

الثاني - قال السدي ، وابن جريج : هو على الاتصال بالهدى دون الاعتراض ، والمعنى « قل إن الهدى هدى الله أن » لا « يؤتى أحد مثل ما أوتيتم » أيها المسامون ، كقوله : « يبين الله لكم أن تضلوا » (١) وأن لا « يحاجوكم عند ربكم » لأنه لا حجة لهم .

الثالث - قال الكسائي ، والفراء : « أو يحاجوكم عند ربكم » بمعنى حتى « يحاجوكم عند ربكم » على التبعيد كما يقال لا تلتقي معه أو تقوم الساعة .
الرابع - قال أبو علي : « قل إن الهدى هدى الله » فلا تجحدوا « أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم » .

الخامس - قال الزجاج : « ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم » لئلا تكون طريقاً لعبدة الأوثان إلى تصديقه .
السادس - « أو يحاجوكم عند ربكم » ان اعترفتم به ، فيلزمكم العمل به منهم ، لا قراركم بصحته .

وفي دخول اللام في قوله : « إلا لمن » قيل فيه قولان : أحدهما - أن تكون زائدة كاللام في قوله : « ردف لكم » (٢) أي ردفكم بمعنى لا تصدقوا إلا من تبع دينكم . قال المبرد : إنما يسوغ ذلك على تقدير المصدر بعد تمام الكلام ، فأما قام لزيد بمعنى قام زيد ، فلا يجوز ، لأنه لا يحمل على التأويل إلا بعد التمام .

والقول الآخر - لا اعترفوا بالحق « إلا لمن تبع دينكم » فتدخل للتعدية ، وقال أبو علي الفارسي لا يجوز أن يتعلق اللام في قوله : « لمن تبع دينكم » بقوله : « ولا تؤمنوا » ، لأنه قد تعلق به حرف الجر في قوله : « بأن يؤتى » كما لا يتعلق مفعولان بفعل واحد . فان قيل : لم جاز حذف (لا) من قوله تعالى « أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم » على قول من قال ذلك ؟ قلنا : الدلالة عليها كالدلالة في

« ١ » - سورة النساء آية : ١٧٥ .

« ٢ » - سورة النحل آية : ٧٢ .

جواب القسم ، نحو والله أقوم أي لا أقوم قال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي (١)
 أي لا أبرح . والدليل عليه في الآية اتصاله بالعرض في اختصاص أهل
 الإيمان ، ، فلا يتبعه في المعنى إلا على « أن لا » « يؤتى أحد مثل ما أوتيتهم »
 وكذلك « يبين الله لكم أن تضلوا » (٢) لأن البيان لا يكون طريقاً إلى الضلال .
 وقال المبرد تقديره كراهة « أن تضلوا » ، وكراهة « ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتهم »
 فحمله على الأكثر ، لأن حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أكثر من حذف
 (لا) . وقوله : ﴿ والله واسع عليم ﴾ معناه واسع الرحمة عليم بالمصلحة ، فنصلح
 له ذلك من غيركم فهو يؤتيه تفضلاً عليه .

قوله تعالى :

« يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » (٧٤) آية .

اللفظ :

الاختصاص : انفراد بعض الاشياء بمعنى دون غيره ، كالاتفراد بالملك أو الفعل
 أو العلم أو السبب أو الطلب أو غير ذلك . ويصح الانفراد بالنفس وغير النفس ،
 وليس كذلك الاختصاص ، لأنه نقيض الاشتراك . والانفراد نقيض الازدواج .
 والفرق بين الاختصاص ، والخاصة : أن الخاصة تحتمل الاضافة وغير الاضافة ،
 لأنها نقيض العامة ، فأما الاختصاص ، فلا يكون إلا على الاضافة ، لأنه اختصاص
 بكذا دون كذا .

المعنى :

وقيل في معنى الرحمة ههنا قولان :

« ١ » من البيت في ٢ : ٢٢٧ .

« ٢ » سورة النباء آية : ١٧٥ .

أحدهما - قال الحسن ، ومجاهد ، والربيع ، والجبائي : إنها السورة وقال ابن جريج : هي القرآن ، والاسلام . ووجه هذا القول أنه يختصهم بالاسلام بما لهم من اللطف فيه . وفي الآية دلالة على أن النبوة ليست مستحقة بالأفعال ، لأنها لو كانت جزاء ، لما جاز أن يقول يختص بها من يشاء ، كما لا يجوز أن يختص بعقابه من يشاء من عباده . فإن قيل اللطف مستحق ، وهو يختص به من يشاء من عباده ؟ قلنا : لأنه قد يكون لطفاً على وجه الاختصاص دون الاشتراك وليس كذلك الثواب .

اللفظ :

وقوله : ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ ، فالفضل الزيادة عن الاحسان وأصله على الطلاق الزيادة يقال في بدنه فضل أي زيادة . والفاضل : الزائد على غيره في خصال الخير ، فأما التفضل ، فزيادة النفع على مقدار الاستحقاق ثم كثر استعماله حتى صار لكل نفع قصد به فاعله أن ينعم صاحبه .

وقوله تعالى :

« وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ لَئِنْ آمَنُوا بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ
وَمِنْهُمْ مَنْ لَئِنْ آمَنُوا بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » (٧٥) آية بلا خلاف .

الفراة ، والحبة :

قرأ أبو عمرو « يؤده إليك » باسكان الهاء . الباؤون باشباعها .
قال الزجاج : هذا غلط من الراوي كما غلط في « بارئكم » (٤) باسكان

الهمزة ، وإنما كان أبو عمرو يختلس الحركة فيأرواه الضباط عنه كسيبويه وغيره .
وإنما لم يحذف الحركة ، كما لم يحذف في هذا غلام فاعلم ، لأنه لما حذفت الياء
تركت الكسرة لتدل عليها .

المعنى ، واللفظ :

والقنطار : قد ذكرنا الخلاف في مقدارها ، فإنه على قول الحسن ألف ومأتا
مثقال . وفي قول أبي نضرة ملاً مسك ثور ذهباً . وقيل سبعون ألفاً عن مجاهد .
وعن أبي صالح أنه مئة رطل . والفرق بين « تأمنه بقنطار » وتأمنه على قنطار أن
معنى الباء الصاق الأمانة ، ومعنى على استعلاء الأمانة ، وهما يتعاقبان في هذا
الموضع ، لتقارب المعنى ، كما يقال : مررت به ومررت عليه . وقوله : ﴿ إلامامت
عليه قائماً ﴾ قيل في معناه قولان :

أحدهما - « إلاما دمت عليه قائماً » بالتقاضي والمطالبة في قول قتادة ، ومجاهد
و [الثاني] قال السدي إلاما دمت عليه قائماً بالاجتماع معه ، والملازمة . ومعناه
إلاما دمت عليه قائماً على رأسه .

وَدِمْتُ وُدْمْتُ لغتان مثل مت ومت لكن من كسر الدال والميم قال في
المستقبل : تدام وتدمات ، وهي لغة ازد السراة ، ومن جاورهم .

وقوله : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل » قيل في معناه
قولان :

أحدهما - قال قتادة والسدي : قالت اليهود ليس علينا فيما أصبنا من أموال
العرب سبيل ، لأنهم مشركون . و [الثاني] قال الحسن وابن جريج : لأنهم تحولوا
عن دينهم الذي عاملناهم عليه وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم . وقوله : ﴿ وهم
يعلمون ﴾ معناه يعلمون هذا الكذب على الله تعالى ، فيقدمون عليه ، والحجة
قائمة عليهم فيه . وقال قوم : قوله : « ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده

إليك « يماني النصراني ، لأنهم لا يستحلون أموال من خالفهم ، وعنى بقوله :
 « ومنهم من إن تأمنه بدينار » اليهود لأنهم يستحلون مال كل من خالفهم في حل السبت .
 وعلى هذا يسقط سؤال من يقول أي فائدة في ذكر ذلك ، لأن من المعلوم في كل
 حال من كل أمة أن فيها من يؤدي الأمانة وفيها من لا يؤديها ، فلا فائدة في ذلك ؟
 فإن هذا ميز بين الفريقين . ومن قال بالأول يمكنه أن يقول فائدة الآية القطم على
 أن فيهم هؤلاء ، وهؤلاء وسائر الناس يجوز أن لا يكون فيهم إلا أحد الفريقين ،
 فإذلك فائدة بيّنة . ويمكن أيضاً أن تكون الفائدة أن هؤلاء لا يؤدون الأمانة
 لاستحلهم ذلك بقوله : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل » وسائر
 الفرق وإن كان منهم من لا يؤدي الأمانة ، لا نعلم أنه يستحلها وذلك فائدة .
 قوله تعالى :

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾

(٧٦) آية .

الهاء في قوله : « بعده » يحتمل أن تكون عائدة على اسم الله في قوله :
 « ويقولون على الله الكذب » ويحتمل أن تكون عائدة على (من) في قوله :
 « بلى من أوفى بعده » لأن العهد يضاف إلى الفاعل ، والمفعول . تقول هذا
 عهد فلان الذي عهد إليه به ، وهذا عهد فلان الذي عهده إلى غيره . ووفى وأوفى
 لغتان ، فأهل الحجاز يقولون أوفيت وأهل نجد يقولون وفيت . وقوله : « بلى »
 يحتمل معنيين :

أحدهما - الاضراب عن الأول على وجه الانكار للاول وعلى هذا الوجه
 « من أوفى بعده » تكون مكثفية ، نحو قولك : ما قدم فلان ، فتقول بلى أي بلى قد
 قدم . وقال الزجاج : بلى ههنا وقف تام لأنهم لما قالوا « ليس علينا في الاميين سبيل »
 قيل « بلى » أي بلى عليهم سبيل .

والثاني - الاضراب عن الأول والاعتماد على البيان الثاني وعلى هذا الوجه

لا تكون مكتفية ، نحوان تقول قد قدم زيد ، حدساً لغو آمن القول ، بلى لو كان متيقناً لعمل على قوله . فكذلك الآية تدل على ما تقدم على إدعائهم خلاف الصواب في التقوى فقيل : « بلى » للاضراب عن الأول ، والاعتماد على البيان الثاني . والفرق بين بلى ونعم أن بلى جواب النفي ، نحو قوله . « ألسنت بربكم قالوا بلى » (١) فأما أزيد في الدار فجوابه ، نعم ، أو ، لا . وإنما جاز إمالة بلى لمشابتها الاسم من وجهين :

أحدهما - أنه يوقف عليها في الجواب ، كما يوقف على الاسم نحو من رأيت من النساء ، فيقول الحبلى ، وكذلك إذا قال أليس زيد في الدار قلت بلى . ولأنها على ثلاثة أحرف وهي أصل العدة التي يكون عليها الاسم ولذلك خالفت (لا) في الإمالة .

وإنما قال « فإن الله يحب المتقين » ولم يقل فإن الله يحبه فيرد العامل إلى اللفظ ، لإبانة الصفة التي تجب بها محبة الله وإن كان فيه معنى فإن الله يحبهم .
قوله تعالى :

﴿ لَمَّا الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٧) آية واحدة .

النزول :

اختلفوا في سبب نزول هذه الآية ، فقال مجاهد ، وعامر الشعبي : إنها نزلت في رجل حلف بمينا فاجرة في تنفيذ سلمته . وقال ابن جريج : إنها نزلت في الأشعث بن قيس وخضم له في أرض قام ليحلف عند رسول الله ، فنزلت الآية فسكك الأشعث ، واعترف بالحق ، ورد الأرض . وقال عكرمة نزلت في جماعة من

اليهود : حي بن أخطب ، وكعب بن الأشرف ، وأبي رافع ، وكنانة بن أبي الحقيق . وقال الحسن كتبوا كتاباً بأيديهم ثم حلفوا أنه من عند الله فيما ادعوا من أنه ليس علينا في الاميين سبيل .

المعنى :

وعهد الله هو ما يلزم الوفاء به . ويستحق بنقضه الوعيد . وهو ما أخذه على العبد وأوجبه عليه بما جعل في عقله من قبض تركه ، وذلك في كل واجب عليه ، فإنه يلزم بنقضه الوعيد إلا أن يتوب أو يجتنب الكبيرة . والعهد : هو العقد الذي تقدم به إلى العبد بما يجده في عقله من الزجر عن خلاف الحق ، والدعاء إلى التمسك به ، والعمل عليه ، وإنما وصف ما اشتروه من عرض الدنيا بأنه ثمن قليل مع ما قرن به الوعيد لأمرين :

أحدهما - لأنه قليل في جنب ما يؤدي إليه من العقاب والتنكيل . والثاني - هو أنه مع كونه قليلاً ، الاقدام فيه على الجبن مع نقض العهد عظيم . وقوله : « أولئك لا خلاق لهم » معناه لا نصيب وافر لهم . وقيل في أصل الخلاف قولان : أحدهما - الخلق : التقدير ، فيوافق معناه ، لأن النصيب : الوافر من الخير بالتقدير لصاحبه يكون نصيباً له . والآخر - من الخلق ، لأنه نصيب مما يوجبه الخلق الكريم . وقوله : ﴿ ولا يكلمهم الله ﴾ قيل في معناه قولان :

أحدهما - « لا يكلمهم » بما يسرهم بل بما يسوءهم وقت الحساب لهم ، لأن الغرض إنما هو الوعيد ، فلذلك تبعه معنى لا يكلمهم بما يسر مع أن ظاهر قوله : « ثم أن علينا حسابهم » (١) أنه يكلمهم بما يسوءهم في محاسبته لهم ، وهذا قول أبي علي . الثاني - لا يكلمهم أصلاً ، وتثبت المحاسبة بكلام الملائكة لهم (ع) بأمر الله إياهم ، فيكون على العادة في احتقار إنسان على أن يكلمه الملك لنقصان المنزلة . وقوله :

﴿ ولا ينظر إليهم ﴾ أي لا يرحمهم ، كما يقول القائل لغيره . انظر إلي يريد أرحمني وفي ذلك دلالة على أن النظر مع تعديته بحرف (إلى) لا يفيد الرؤية ، لأنه لا يجوز حملها في الآية على أنه لا يراهم بلا خلاف . وقوله : ﴿ ولا يذكيتهم ﴾ معناه لا يحكم بركاتهم دون أن يكون معناه لا يفعل الايمان الذي هو الزكاة لهم ، لأنهم في ذلك ، والمؤمنين سواء ، فلو أوجب ما زعمت المجرة ، لكان لا يذكيتهم ، ولا يركي المؤمنين أيضاً في الآخرة وذلك باطل .

قوله تعالى :

« وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ
الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » (٧٨) آية .

اللفظ ، والمعنى ، والاعراب

« وإن منهم » الكناية بالهاء والميم راجعة على أهل الكتاب في قوله : « من أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار » في قول جميع المفسرين : الحسن وغيره . وقوله : « يلوون ألسنتهم » قال مجاهد ، وقتادة ، وابن جرير ، والربيع : معناه يحرفونه بالتغيير والتبديل . وأصل اللي : القتل من قولك لويت يده إذا قتلها قال الشاعر :

لوى يده الله الذي هو غالبه (١)

ومنه لويت العمود إذا تمذيته وقال الآخر :

« ١ » قاله فرعان بن الاعرف السعدي التميمي ، في دله منازل يدعو عليه . لان منازل ضرب والده عندما تزوج على ١٠٠ . وصدده :

نخون مالي ظالماً ولوى يدي !

وهو من أبيات يقوها في ابنة منازل لان منازل عتق اياه وهو فرعان وضربه لانه تزوج على أمه امرأة شابة ، فغضب لأمه ، ثم استاق مال أبيه واعتزل مع أمه فقال فيه الأبيات .

فلو كان في ليلي سدى من خصومة لوليت أعناق الخصوم الملاويا (١)

ومنه لويت الغريم لياً ولياناً إذا مطلته حقه قال الشاعر :

تطيلين لياني وأنت ملية واحسن باذات الوشاح التقاضيا

ف قيل لتحريف الكلام بقلبه عن وجهه : لمي اللسان به ، لأنه فتلته عن جهته . وقوله : ﴿ لفريقاً ﴾ نصب بأنه اسم (ان) واللام لام التأكيد ويجوز دخولها على اسم (ان) إذا كان مؤخرأ ، فان قدم لم يجز دخولها عليه ، لا تقول : ان لزيد أفي الدار . وإنما امتنع ذلك لثلاثا يجتمع حرفا التأكيد ، لأن (ان) للتأكيد واللام للتأكيد أيضاً فلم يجز الجمع بينهما لثلاثا يتوهم اختلاف المعنى ، كما لم يجز دخول التعريف على التعريف ، والتأنيث على التأنيث ، فأما قولهم : جاءني القوم كلهم أجمعون ، فكل تأكيد للقوم وأجمعون تأكيد لكل . وقوله : ﴿ لتسحبوه من الكتاب ﴾ معناه لتظنوه . والفرق بين حسبت وزعمت : أن زعمت يحتمل أن يكون يقيناً أو ظناً ، وحسبت لا يحتمل اليقين أصلاً . وقوله : ﴿ ألسنتهم ﴾ جمع لسان على التذكير كحمار وأحمره . ويقال ألسن على التانيث كعناق وأعناق .

المعنى :

وقوله : « وما هو من عند الله » دلالة على أن المعاصي ليست من عند الله بخلاف ما تقوله المجبرة . ولا من فعله ، لأنها لو كانت من فعله ، لكانت من عنده ، وليس لهم أن يقولوا إنها من عنده خلقاً وفعلأ ، وليست من عنده انزالاً ولا أمراً ، وذلك أنها لو كانت من عنده فعلأ أو خلقاً ، لكانت من عنده على أكد الوجوه فلم يجز إطلاق النبي بأنها ليست من عند الله . وكما لا يجوز أن تكون من عند الله من وجه من الوجوه ، لا إطلاق النبي بأنه ليس من عند الله ، فوجب العموم فيها باطلاق النبي .

« ١ » قاله مجنون بني عامر ، ولم نجد في ديوانه ، وهو في آلسان (شدا) ، (شدا) ،

(لوى) والافغاني ٢ : ٣٣ . وشبرها .

فان قيل : أليس الايمان عندكم من عنده ، ومع ذلك ليس من عنده من كل الوجوه ، فهلا جاز مثل ذلك في تأويل الآية ؟ قيل : لا يجوز ذلك ، لأن اطلاق النبي يوجب العموم ، وليس كذلك اطلاق الاثبات ألا ترى أنك تقول : ما عندي طعام ، فأما تنفي القليل ، والكثير ، وليس كذلك إذا قلت عندي طعام ، لأنه لا يجب أن يكون عندك جميع الطعام فبان الفرق بين النبي والاثبات .

قوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (٧٩)
آية واحدة .

الفراغ والنزول :

قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو « تعلمون » مخففاً الباقيون بالتشديد . روي عن ابن عباس أنه قال : سبب نزول هذه الآية أن قوماً من اليهود قالوا للنبي (ص) أتدعونا إلى عبادتك كما دعا المسيح النصارى فنزلت الآية .

اللفظ ، والمعنى :

وقوله : ﴿ لبشر ﴾ فإنه يقع على القليل والكثير وهو بمنزلة المصدر مثل اخلق وغيره ، تقول : هذا بشر وهؤلاء بشر كما تقول : هذا خلق وهؤلاء خلق . وإنما وقع المصدر على القليل ، والكثير ، لأنه جنس الفعل كما وجب في أسماء الاجناس كالماء والتراب ونحوه وقوله : « أن يؤتيه الله الكتاب » معناه أعطاه « الكتاب » والحكم والنبوة ، أن « يقول للناس : كونوا عباداً لي من دون الله ولكن » يقول لهم :

« كونوا ربانيين » . وحذف يقول لدلالة الكلام عليه . ومعناه في قول الحسن :
 علماء فقهاء . وقال سعيد بن جبير : حكماء أتقياء . وقال ابن أبي رزين : حكماء
 علماء . وقال الزجاج : معناه معلمي الناس . وقال غيره : مدبري أمر الناس في الولاية
 بالاصلاح .

الفرد :

وفي أصل رباني قولان :

أحدهما - الربان وهو الذي يرب الناس بتدبيره له وإصلاحه إياه ، يقال
 رب أمره يربه ربابة ، وهو ربان ؛ إذا دبره ، وأصلحه ، ونظيره نعس ينعس ، فهو
 نعسان . وأكثر ما يجيء فعلان من فعل يفعل ، نحو عطش يعطش ، فهو عطشان ؛
 فيكون العالم ربانياً ، لأنه بالعلم يدبر الأمر ويصلحه الثاني - إنه مضاف إلى علم
 الرب تعالى ، وهو على الدين الذي أمر به إلا أنه غير في الاضافة ، ليدل على هذا
 المعنى ، كما قيل : بحراني ، وكما قيل للعظيم الرقبة : رقباني ، والعظيم للحية : لحباني .
 وكما قيل لصاحب القصب : قصباني ، فكذلك صاحب علم الدين الذي أمر به
 الرب رباني .

الحجة ، والمعنى :

ومن قرأ بالتخفيف أراد بما كنتم تعلمونه أنتم . ومن قرأ بالتشديد أراد
 تعلمونه ، لسواكم . وقوله : « وبما كنتم تدرسون » يقوي قراءة من قرأ بالتخفيف .
 والتشديد أكثر فائدة ، لأنه يفيد أنهم علماء ، وأنهم يعلمون غيرهم . والتخفيف
 لا يفيد أكثر من كونهم عالمين . وإنما دخلت الباء في قوله : « بما كنتم تعلمون »
 لأحد ثلاثة أشياء :

أحدها - كونوا معلمي الناس بعلمكم ، كما تقول : انعموهم بالكم .
 الثاني - كونوا ممن يستحق أن يطلق عليه صفة عالم بعلمه على جهة المدح له

باخلاصه مما يحيطه .

الثالث - كونوا ربانيين في علمكم ودراستكم ووقعت الباء في موضع في .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ

بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٨٠) آية .

الفرازة ، والحجزة :

قرأ عاصم وحمة وابن عامر « ولا يأمرکم » بنصب الراء . الباقون برفعها
فن نصب عطف على ما عملت فيه (أن) على تقدير « ما كان لبشر أن يؤتیه الله »
كذا « ولا يأمرکم » بكذا ومن رفع استأنف الكلام ، لأنه بعد انقضاء الآية ،
وتامها .

المعنى :

وفي الآية دلالة على أن الانبياء لا يجوز أن يقع منهم ما ذكره دون أن
يكون ذلك اخباراً عن أنه لا يقع منهم ، لأنها خرجت مخرج التنزيه للنبي عن ذلك
كما قال : « ما كان لله أن يتخذ من ولد » (١) ومعناه لا يجوز ذلك عليه ،
وكذلك قوله : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله » (٢) يدل على أن
ذلك غير جائز عليه ، ولو جاز أن يحمل على نفي الوقوع دون الامتناع ، لجاز أن
يحمل على التحريم دون الانتفاء ، لأن اللفظ يصلح له ، لولا ما قرنه من ظاهر التعظيم
للانبياء ، والتنزيه لهم عن الدعاء إلى الفساد أو اعتقاد الضلال ، ويجب حمل الكلام
على ظاهر الحال إلا أن يكون هناك ما يقتضي صرفه عن ظاهره ، على أنه لو حمل
على النفي لما كان فيه تكذيب للمخالف . والآية خرجت مخرج التكذيب لهم في

دعواهم أن المسيح أمرهم بعبادته .

والالف في قوله : « أيأمركم » ألف انكار وأصلها الاستعهام . وإنما استعملت في الانكار ، لأنه مما لو أقربه المخاطب به ، لظهرت صحته وبان سقوطه ، فلذلك جاء الكلام على السؤال ، وإن لم يكن الغرض تعرف الجواب . وإنما لم تجز العبادة إلا لله تعالى ، لأنها تستحق باصول النعم من خلق القدرة ، والحياة ، والعقل ، والشهوة ، وغير ذلك مما لا يقدر عليه سواه . وليس في الآية ما يدل على أن في أفعال الجوارح كفرة ، لأن قوله : « أيأمركم بالكفر » معناه الامر باعتقاد أن الملائكة والنبیین أرباب ، وذلك كفر لا محالة . ولم يجز في الآية ، لتوجيه العبادة إليهم ذكر ، فأما من عند غير الله فإنا نقطع على أن فيه كفرة هو الجحد بالقلب ، لأن نفس هذا الفعل كفر ، فسقطت شبهة المخالف .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ
تَمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ
وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ
الشَّاهِدِينَ ﴾ (٨١) .

الفراة ، والمعنى :

قرأ نافع « لما آتيناكم » على الجمع . الباقون على التوحيد بالتاء . وقرأ حمزة « لما » بكسر اللام . الباقون بفتحها . التقدير اذكروا « إذ أخذ الله ميثاق النبیین » لأن (إذ) لما مضى ومعنى أخذ الميثاق من النبیین بنصرة من لم يلقوه ولم يدركوا زمانه هو أنهم ينصرونه بتصديقه عند قومهم ، ويأمرونهم بالاقرار به ، كما قيل : إنما أخذ الله ميثاق النبیین الماضين بتصديق محمد (ص) ، هذا قول علي (ع)

وعبد الله بن عباس (ره) ، وقتادة والسدي ، وقال طاوس : أخذ الميثاق الأول من الانبياء لتؤمنن بالآخر . وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال تقديره : وإذا أخذ الله ميثاق أمم النبيين بتصديق كل أمة نبيها ، والعمل بما جاءهم به ، وإنهم خالفوهم فيما بعد ، وما وفوا به وتركوا كثيراً من شريعته ، وحرفوا كثيراً منه .

الاعراب ، والمخبة ، والمعنى :

وقوله : ﴿ لما آتيتكم من كتاب ﴾ قيل في معنى (ما) في لما وجهان : أحدهما - أنها بمعنى الذي وتقديره الذي آتيتكموه من كتاب ، لتفعلن لأجله كذا . الثاني - أنها بمعنى الجزاء ، وتقديره ، لأن آتيتكم شيئاً « من كتاب ، وحكمة ثم جاءكم رسول » ، « لتؤمنن به » ، لأجله . وتقديره أي شيء آتيتكم . ومهما آتيتكم . ويكفي جواب القسم من جواب الجزاء ، كقوله : « لن أشركت ليحيطن عملك » (١) وفي معنى (من) قولان :

أحدهما - أنها للتبيين لـ (ما) كقولك ما عندك من ورق وعين . الثاني - أن تكون زائدة ، وتقديره الذي آتيتكم : كتاب وحكمة ، فيكون في موضع خير (ما) ، وأنكر هذا القول أكثر النحويين ، لأن (من) لا تزد إلا في غير الواجب من نحو النفي والاستفهام ، والجزاء . والأول أصح ، لأنه لا يجوز أن يحكم بزيادة حرف أو لفظ مع إمكان حمله على فائدة . واللام في قوله : « لما » لام الابتداء . واللام في قوله : « لتؤمنن به » لام القسم ، كما تقول لعبد الله : والله لتأتينه . وقال قوم : اللام الأول خلف من القسم يجاب بجوابه ، نحو لمن قدم ما أحسن ، ولمن أتاك لأتيته ، وأنكر هذا القائل أن تكون الثانية تأكيداً للأولى ، لوقوع (ما) و (لا) في جوابها ، كما تقع في جواب القسم . والقول الأول أصح ، لأن فيه إفصاحاً بالقسم ، نحو يزيد والله ما ضربته والقول

الثاني - صواب على تقدير آخر ، وان يكون اللام خلفاً من القسم ، كافياً منه ، فلا يحتاج إلى ذكره معه . ومن ذكره معه لم يجمله خلفاً منه ، لأنه أضعف منه ، والخلف أقوى من الدال الذي ليس بخلف ، لأنه بمنزلة الاصل الموضوع للمعنى يفهم به من غير واسطة . ومن كسر اللام في قوله : « لما » يحتمل أمرين : أحدهما - أن يكون على التقديم والتأخير . والثاني - بمعنى أخذ الله ميثاقهم لذلك . وقال بعضهم القراءة بالكسر لا تجوز ، لأنه ليس كل شيء أوتي الكتاب . وهذا غلط من وجهين :

أحدهما - أنه أوتي الكتاب لعلمه به مهتدياً بما فيه ، وان لم يزل عليه . والآخر - أنه يجوز ذلك على التغليب بالذكر في الجملة ، لأنه بمنزلة من أوتي الكتاب بما أوتي من الحكم والنبوة . فان قيل لم لا يجوز أن يكون (لما) آتيتكم من كتاب وحكمة) ، بمعنى لتبطلن ما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم يحذف ؟ قيل لأنه لا يجوز الحذف في الكلام من غير دليل يفي عن المراد . ومن زعم أن الدليل على حذف الفعل لام القسم ، فقد غلط ، لأنها لام الابتداء التي تدخل على الاسماء ، نحو « لمن تبعك منهم لا ملأن جهنم منكم أجمعين » (١) .

المعنى واللفظ :

وقيل في معنى قوله : « وأخذتم على ذلكم اصري » قولان : أحدهما - وقبلتم على ذلكم عهدي . والثاني - « وأخذتم على ذلكم اصري » من المتبعين لكم كما يقال : أخذت بيعة أي قبلتها ، وأخذتها على غيرك بمعنى عقدتها على غيرك . والاصر العقد ، وجمعه اصار وأصله العقد ومنه المأصر ، لأنه عقد يجبس به عن النفوذ إلا باذن . ومنه الأصر الثقل ، لأنه عقد يثقل القيام به . ومنه قولهم مالك اصرة تأصرني عليك أي عاطفة تعطيني عليك من عقد جوار

أو نحوه . وقوله : ﴿ فاشهدوا ﴾ معناه فاشهدوا على أئمتكم بذلك « وأنا معكم من الشاهدين » عليكم ، وعليهم روي ذلك عن علي بن أبي طالب عليه السلام .

قوله تعالى :

﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٨٢) آية .

المعنى :

التولي عن الايمان بالنبي (ص) كفر - بلا خلاف - وإنما قال « فاولئك هم الفاسقون » ولم يقل الكافرون ، لأن تقدير الكلام فاولئك هم الفاسقون في كفرهم أي المتمردون فيه بخروجهم إلى الأفخس منه ، وذلك أن أصل الفسق الخروج عن أمر الله إلى حال توبقه ، فإذ ذلك قيل للخارج عن أمر الله إلى أفخس منازل الكفر ، فاسق .

الاعراب :

وموضع (هم) من الاعراب يحتمل أمرين :

أحدهما - أن يكون رفعاً بأنه مبتدأ ثانٍ والفاسقون خبره . والجملة خبر أولئك . والآخر - أنه لا موضع له ، لأنه فصل جاء ليؤذن أن الخبر معرفة أو ما قارب المعرفة ويسمي الكوفيون ذلك عماداً . وقوله : ﴿ فمن تولى ﴾ وإن كان شرطاً وجزاء في المستقبل فإن الماضي يدخل فيه من وجهين :

أحدهما - أن يكون تقديره فمن يصح أنه تولى ، كما قال : « إن كان قبضه قد من قبل فصدقت » (١) أي إن يصح أن « قبضه قد من قبل فصدقت » والآخر مساواة الماضي للمستقبل ، فيدخل في دلالة . وإنما جاز جواب الجزاء بالنفاء ولم يجز د (ثم) ، لأن الثاني يجب بوجوب الأول بلا فصل ، فلذلك جاء

بالفاء دون (ثم) ، لأنها للتراخي بين الشئيين ، وذلك نحو قولك إن تأتي ، فلك درهم ، فوجوب الدرهم بالانتيان عقيبها بلا فصل . وإنما جاز وقوع الماضي موقع المستقبل في الجزاء ولم يجز في قام زيد غداً ، لأن حرف الجزاء ، لما كان يعمل في الفعل قوي على نقله من الماضي إلى الاستقبال ، وليس كذلك (غد) وما أشبهه مما يدل على الاستقبال ، لأنه نظير الفعل في الدلالة من غير عمل يوجب القوة ، فلذلك جرى على المناقضة .

قوله تعالى :

﴿ أَفَغَيْرِ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٨٣) . آية .

الفردة ، والحجزة ، والاعراب :

قرأ أهل البصرة ، وحفص يبعون بالياء . الباقيون بالتاء . وقرأ يعقوب وحفص وإليه يرجعون بالياء . وكسر يعقوب الجيم ، وفتح الياء . فن قرأ بالياء أراد الاخبار عن اليهود وغيرهم من المشركين والتناء لجميع المكائين . ومن قرأ بالتاء فيها ، فعلى الخطاب ، فيها . قوله : « أفغير دين الله » عطف جملة على جملة مثلها لو قيل أو غير دين الله يبعون إلا أن الفاء رتبت . كأنه قيل أبعد تلك الآيات غير دين الله تبغون أي تطلبون .

المعنى :

وقوله : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ قيل في معناه ستة أقوال :

أولها - قال ابن عباس : أسلم من في السماوات والأرض بالحالة الناطقة عنه الدالة عليه عند أخذ الميثاق عليهم .

الثاني - قول أبي العالية ، ومجاهد : ان معناه « أسلم » أي بالاقرار بالعبودية وإن كان فيهم من أشرك في العبادة ، كقوله : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » (١) وقوله : « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله » (٢) ومعناه ما ركب الله في عقول الخلائق من الدعاء إلى الاقرار بالربوبية ليتنبهوا على ما فيه من الدلالة .

الثالث - قال الحسن : « وله أسلم من في السموات والارض طوعاً وكرهاً » قال : أكره أقوام على الاسلام وجاء أقوام طائعين .

الرابع - قال قتادة : أسلم المؤمن طوعاً ، والكافر كرهاً عند موته ، كما قال : « فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » (٣) واختاره البلخي . ومعناه التخويف لهم من التأخر عما هذه سبيله .

الخامس - قال عامر ، والشعبي والزجاج ، والجبائي أن معناه : استسلم بالانقياد والذلة ، كما قال تعالى : « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » (٤) أي استسلمنا ، ومعناه الاحتجاج به .

وسادسها - قال القراء والأزهري إنما قال « طوعاً وكرهاً » لأن فيهم من أسلم ابتداء رغبة في الاسلام ، وفيهم من أسلم بعد أن قوتل وحارب ، فسمي ذلك كرهاً مجازاً وإن كان الاسلام وقع عنده طوعاً .

وقوله : « طوعاً وكرهاً » نصب على أنه مصدر ، وقع موقع الحال ، وتقديره طائماً أو كارهاً ، كما تقول أتاني ركضاً أي راكضاً . ولا يجوز أن تقول أتاني كلاماً أي متكلماً ، لأن الكلام ليس بضرب من الايتان والركض ضرب منه .

قوله : « إليه ترجعون » معنا تردون إليه للجزاء فأياكم ومخالفة الاسلام فيجازيكم بالعقاب . قال الله تعالى : « ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » (٥) .

« ٢ » - سورة لقمان آية : ٢٥ .

« ٤ » - سورة الحجرات آية : ١٤ .

« ١ » - سورة الزخرف آية : ٨٧ .

« ٣ » - سورة المؤمن آية : ٨٥ .

« ٥ » - سورة آل عمران آية : ٨٥ .

المرزول :

وروي عن أبي عبد الله (ع) أنها نزلت في الحارث بن سويد بن الصامت . وكان ارتد بعد قتله المحذر بن ديار البلوي غدراً في الاسلام ، وهرب وحديثه مشروح ثم ندم ، فكاتب قومه سلوا رسول الله (ص) هل لي توبة ، فنزلت الآيات إلى قوله : « إلا الذين تابوا » ، فرجع فأسلم .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٨٤) آية .

المعنى :

قيل في تأويل هذه الآية قولان :

أحدهما - أن معناها الإنكار على الكفار ما ذهبوا إليه من الإيمان ببعض النبيين دون بعض ، فأمر الله تعالى النبي (ص) ، والمؤمنين أن يقولوا : إنا نؤمن بجميع النبيين ، ولا نفرق بين أحد منهم . الثاني - أن معناها موافقة ما تقدم الوعد به من إيمان النبي الامي بجميع من تقدم من النبيين على التفصيل . وقال له في أول الآية (قل) خطاباً للنبي (ص) فجرى الكلام على التوحيد ، وما بعده على الجمع . وقيل في ذلك قولان :

أحدهما أن المتكلم قد يخبر عن نفسه بلفظ الجمع للتفخيم كما قال تعالى : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » (١) . والثاني - أنه أراد دخول الأمة في الخطاب الأول ، والأمر بالاقرار . ويجوز أن يقال : في الواحد

المتكلم ، فعلنا ولا يجوز للواحد المخاطب فعلم . والفرق بينهما : أن الكلام بالجملة الواحدة يصح بجماعة مخاطبين ، ولا يصح الكلام بالجملة الواحدة بجماعة متكلمين . فذلك جاز في فعلنا في الواحد للتفخيم ، لأنه لا يصح أن يكون خطاباً للجماعة فلم يصرف عنهم . بغير قرينة لما يدخله من الالباس في مفهوم العبارة . وقوله : « وما أنزل علينا » في الاخبار عن المسلمين إنما جاز ذلك ، وإن كان قد أنزل على النبي (ص) ، لأن التقدير أنزل علينا على لسان نبينا كما تقول : أمرنا به ونهيناه عنه - على لسان نبينا - ، ومثل ذلك ما قاله في سورة البقرة من قوله : « قولوا آمنا بالله وما أنزل علينا » (١) وقال بعضهم : لا يجوز أن يكون ذلك إلا إخباراً عن النبي (ص) الذي أنزل عليه ، وهذا غلط ، لأن الآية الأخرى تشهد بخلافه . فإن قيل : ما معنى قوله : « ونحن له مسلمون » بعد الاقرار بالايان على التفصيل ؟ قيل : معناه ونحن له مستسلمون بالطاعة في جميع ما أمر به ، ودعا إليه . ولأن أهل الملل المخالفة ، تعترف بصفة مؤمن ، ويفتني من صفة مسلم .
قوله تعالى ؟

« وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (١٥) آية واحدة .

اللفظ ، والنزول ، والمعنى :

الابتغاء : الطلب تقول : بغى فلان كذا أي طلبه ، ومنه بغى فلان على فلان : إذا طلب الاستعلاء عليه ظالماً ومنه البغى : الفاجرة ، لطلبها الزنى . ومنه يذبغي كذا ، لأنه حقيق بالطلب . والاسلام : هو الاستسلام لأمر الله بطاعته فيما دعا إليه ، فكل ذلك اسلام ، وإن اختلفت فيه الشرائع ، وتفرقت المذاهب ، لأن مبتغيه ديناً ناجح ، ومبتغى غيره ديناً هالك . والايان ، والاسلام واحد ،

لأن « من يبتغي غير الاسلام ديناً » فهو مبطل ، كما أن من يبتغي غير الايمان ديناً ، فهو مبطل ، وذلك كمن يبتغي غير عبادة الآله ديناً ، فهو كافر ، ومن يبتغ غير عبادة الخالق ديناً ، فهو كافر . والآله هو الخالق .

وقال عكرمة : إن قوماً من اليهود قالوا : نحن المسلمون ، فأنزله الله تعالى « والله على الناس حج البيت » (١) فأمرهم بالخروج إلى الحج الذي هو من فرض الاسلام ، ففقدوا عنه وبأن انسلخواهم من الاسلام ، لمخالفتهم له فأنزله الله تعالى « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » فالخسران ذهاب رأس المال . ويقال : خسر نفسه أي أهلك نفسه . وقيل خسر عمله أي أبطل عمله بأن أوقعه على وجه يقبح لا يستحق عليه الثواب . وكل واجدمنها خسر لذهاب رأس المال .

قوله تعالى :

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ
الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
(٨٦) آية .

النزول :

قال الحسن : نزلت هذه الآية في أهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبي (ص) قبل مبعضه بما يجذونه في كتبهم من صفاته ودلائله ، فلما بعثه الله جحدوا ذلك ، وانكروه . . وقال مجاهد ، والسدي : نزلت في رجل من الانصار يقال له الحارث بن سويد ارتد عن الاسلام ، ثم تاب ، وحسن إسلامه فقبل الله إسلامه بقوله : « إلا الذين تابوا » فيما بعد تمام الآية . وكذلك روينا عن أبي عبد الله (ع) وقيل نزلت في قوم أرادوا من النبي (ص) أن يحكم لهم بالاسلام ،

وفي قلوبهم الكفر ، فأطلعه الله على أسرارهم وما في ضمائرهم .

اللفظ ، والمعنى :

وقوله « كيف » أصلها للاستفهام ، والمراد بها هنا إنكار أن تقع هذه الهداية من الله تعالى . وإنما دخل (كيف) معنى الانكار مع أن أصلها الاستفهام ، لأن المسئول يسأل عن أغراض مختلفة ، فقد يسأل للتمجيز عن إقامة البرهان ، وقد يسأل للتوبيخ مما يظهر من معنى الجواب في السؤال ، وقد يسأل لما يظهر فيه من الانكار ، فالأصل فيه الاستفهام ، لكن من شأن العالم إذا أورد مثل هذا أن يصرف إلى غير الاستعلام إلا أنه يراد من المسئول طلب الجواب ، فان قيل كيف خص هؤلاء المذكورين بمجيء البيئات مع أنها قد جاءت كل مكاف للإيمان قيل عنه جوابان :

أحدهما - لأن البيئات التي جاءتهم هي ما في كتبهم من البشارة بالنبي (ص) .
الثاني - للتباعد من حال الهداية والتفحيش لتجويزها في هذه الفرقة . وقوله :
« والله لا يهدي القوم الظالمين » فالهداية هنا تحتمل ثلاثة أشياء .
أولها سلوك طريق أهل الحق المهتدين بهم في المدح لهم والثناء عليهم .
الثاني - في اللفظ الذي يصلح به من حسنت نيته . وكان الحق معتمده ، وهو أن يحكم لهم بالهداية .

الثالث - في إيجاب الجواب الذي يستحقه من خلصت طاعته ، ولم يحبطها بسوء عمله . فان قيل كيف أطلق قوله : « والله لا يهدي القوم الظالمين » مع قوله « فأما ثمود فهديناهم » قلنا : لأنه لا يستحق إطلاق الصفة بالهداية إلا على جهة المدحة كقوله أولئك الذين هدى الله . فأما بالتقييد ، فيجوز لكل مدلول إلى طريق الحق اليقين .

وليس في الآية ما يدل على صحة الاحباط ، للإيمان ولا إحباط المستحق عليه من الثواب ، لأنه لم يجر لذلك ذكر . وقوله : « كفروا بعد إيمانهم » يعني بعد

إظهارهم الايمان وشهادتهم أن الرسول حق ، وإن كانوا في باطنهم منافقين . وليس فيها أنهم كانوا في باطنهم مؤمنين مستحقين للشواب ، فزال ذلك بالكفر فلا متعاق بذلك في صحة الاحباط .

قوله تعالى :

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ نَعِيَهُمْ أَمْنَةً اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسِ

أَجْمَعِينَ﴾ (٨٧) آية .

إن قيل : إذا كان لعن الملائكة والناس أجمعين تابعا لعن الله ، فهلا اقتصر عليه في الذكر ؟ قيل الوجه في ذلك أن لا يؤم أن لعنهم لا يجوز إلا لله عز وجل كما لا يجوز أن يعاقبهم إلا الله أو من يأمرهم بذلك . وليس في قوله : « والناس أجمعين » دلالة على أنه يجوز للكافر أن يلعن نفسه ، لأن لعنه لنفسه دعاء عليها بالابعاد من رحمة الله . وذلك يوجب رغبته فيما دعا به ، ولا يجوز لأحد أن يرغب في أن يعاقبه الله ، لأن ذلك ينافي الزجر به والتحذير منه . وأما رغبة المؤمن في أن يعاقب الله الكافر فخايز حسن ، لأنه لا ينافي زجره بل هو أبلغ في زجره ، فان قيل : لم قال : « والناس أجمعين » ومن وافق الكافر في مذهبه لا يرى لعنه ؟ قيل عن ذلك ثلاثة أجوبة :

أحدها - إن له أن يلعنه ، وإنما لا يفعله لجهله بأنه يستحق اللعن . ويصح منه معرفة الله ، ومعرفة استحقاق اللعن لكل كافر ، فحينئذ يعلم أن له أن يلعنه وإنما لا يصح أن يلعن الكافر مع اعتقاده أنه لا يستحق اللعن ، لأنه لو صح ذلك لأدى إلى أن يصح أن يلعن نفسه لمشاركته له فيما استحق به اللعن . وقد بينا فسادة .

والثاني - أن ذلك في الآخرة ، لأن بعضهم يلعن بعضاً . وقد استقرت عليهم امنة الجميع ، وإن كانت على التفريق .

والثالث - أن يحمل لفظ الناس على الخصوص ، فيحمل على ثلاثة فصاعداً ،

فلذلك قال : « أجمعين » وكان يجوز أن يرفع « والملائكة والناس أجمعين » لأن الأول تقديره عليهم أن يلعنهم الله ، فيحمل الثاني على معنى الأول ، كما قال الشاعر :

هل أنت باعث دينار لحاجتنا أو عبد رب أخا عون بن مخراق (١)
والانباع أجود ليكون الكلام على نسق واحد ، وإنما ذكر وعيد الكفار
ههنا مع كونه مذكوراً في مواضع كثيرة في القرآن ، للتأكيده وتغليظاً في الزجر
لأنه لما جرى ذكر الكافر عقب ذلك بلعنه ، ووعيده ، كما إذا جرى ذكر المؤمن
عقب ذلك بالرحمة ليكون أرغب له في فعل الطاعة والتمسك بالآيمان .
قوله تعالى :

﴿ خالد بن زيد لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾

(٨٨) آية .

المعنى :

الخلود في اللعنة هو طول المكث ، ولذلك يقال خلده في السجن وخلد
الكتاب في الديوان . وقيل للأثافي : خوالد ما دامت في موضعها ، فإذا زالت
لا تسمى خوالد . والفرق بين الخلود والدوام : أن الخلود يقتضي (في) كقولك خلد
في الحبس ولا يقتضي ذلك الدوام ، ولذلك جاز وصفه تعالى بالدوام دون الخلود .
إلا أن خلود الكفار المراد به التأبيد بلا خلاف بين الأمة .

المعنى :

وقوله : « فيها » الهاء راجعة إلى اللعنة . ومعنى خلودهم فيها استحقاقهم
لها دائماً مع ما توجبه من أليم العقاب ، فأما من ليس بكافر من فساق أهل الصلاة

فلا يتوجه إليه الوعيد بالخلود ، لأنه لا يستحق إلا عقاباً منقطعاً به مع ثبوت استحقاقه للثواب الدائم ، لأنه لو كان كذلك لأدى إلى اجتماع استحقاق الثواب الدائم ، والعقاب الدائم لشخص واحد . والاجماع بخلافه . والاحباط - عندنا - باطل ، فلا يمكن أن يقال يجب أحدهما الآخر ، وإنما حسن العقاب الدائم على المعاصي المنقطعة ، كما حسن الثواب الدائم على الطاعة المنقطعة ، فلا يجوز أن يستحق الدوام على الأصغر ، ولا يستحق على الأكبر ، فلما كانت نعم الله تعالى أعظم النعم كانت معاصيه أعظم المعاصي ، وكانت طاعته أصغر منها . وأيضاً ، فإنه يحسن الذم للدائم على المعاصي المنقطعة فالعقاب يجري مجراه .

المعنى :

وقوله ﴿ لا يخفف عنهم العذاب ﴾ فالنخفيف هو تغيير الشيء عن حال الصعوبة إلى السهولة ، وهو تسهيل لما فيه كافة وشقة وأصله من خنة الجسم ضد ثقله . ومنه تخفيف المحنة معناه تسهيلها . وقوله : ﴿ ولا هم ينظرون ﴾ معناه لا يميلون وإنما نفى إنظارهم للانابة لما علم من حالهم أنهم لا يذنبون كما قال : « ولو ردوا لمادوا لما نهوا عنه » (١) على أن التبقية ليست واجبة . وإن علم أنه لو بقاء لتاب وأتاب عند أكثر المتكلمين . ومن قال يجب تبقيته متى علم أنه لو بقاء لآمن ، فجوابه هو الأول . وقيل في الفرق بين الانظار والامهال أن الانظار تأخير العبد لينظر في أمره . والامهال تأخيره لتسهيل ما يتكلمه من عمله .

قوله تعالى :

﴿ لَآ أَلْذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصَابُوا فَانَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴾ (١٨٩) آية .

المعنى :

إن قيل إذا كانت التوبة من الذنب لا تصلح إلا بعد فعله ، فلم قال : « من بعد ذلك » ؟ قيل فائدته أنه يفيد معنى تابوا منه ، لأن توبتهم من غيره لا تنفع في التخلص منه ، كما لا تنفع التوبة من الكبير في التخلص من الصغير ، فأما من قال : إن التوبة من معصية لا تصح مع الإقامة على معصية أخرى ، فإنه يقول ذلك على وجه التأكيد ، فإن قيل : إذا كانت التوبة وحدها تسقط العقاب وتحصل الثواب فلم شرط معها الإصلاح ؟ قيل الوجه في ذلك إزالة الإيهام لئلا يعتقد ، أنه إذا حصل الإيمان ، والتوبة من الكفر لا يضر معه شيء من أفعال القبائح ، كقوله : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون » (١) فذكر مع الإيمان عمل الصالحات ، لازالة الإيهام بأن من كان مؤمناً في الحكم ، لم يضره مع ذلك ما عمله من المعاصي . وقبول التوبة واجب ، لأنها طاعة واستحقاق الثواب بها ثابت عقلاً ، فأما سقوط العقاب عندها ، فإنما هو تفضل من الله ، ولولا أن السمع ورد بذلك ، وإلا ، فلا دلالة في العقل على ذلك . وقوله : « فإن الله غفور رحيم » دخلت الفاء لشبهه بالجزاء ، إذا كان الكلام قد تضمن معنى إن تابوا « فإن الله غفور رحيم » أي يغفر لهم وليست في موضع خبر الذين ، لأن الذين في موضع نصب بالاستثناء من الجملة الأولى التي هي قوله : « أولئك عليهم لعنة الله ... » الآية ، وذكر المغفرة في الآية دليل على أن إسقاط العقاب بالتوبة تفضل ، لأنه لو كان واجباً لما استحق بذلك الأثم بأنه غفور ، لأنه لا يقال هو غفور إلا فيما له المؤاخذة ، فأما ما لا يجوز المؤاخذة به فلا يجوز تعليقه بالمغفرة .

قوله تعالى :

﴿ إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل

تُوبَتِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ آية بلا خلاف .

المعنى :

قيل في المعنى بهذه الآية أربعة أقوال :

أحدها - قال ابن عباس هي فرقة ارتدت ثم عزمت على إظهار التوبة على جهة التورية ، فاطلع الله نبيه على ذلك بأنزال هذه الآية . وقال أبو العالبي لم تقبل توبتهم من ذنوب أصابوها مع الإقامة على كفرهم . وقال قتادة : هم اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعميسى « ثم ازدادوا كفراً » بمحمد (ص) « فلن تقبل توبتهم » عند حضور موتهم . وقال الحسن : هم اليهود والنصارى كفروا بالنبي (ص) « فلن تقبل توبتهم » التي كانت في حال إيمانهم ، فان قيل : لم لم تقبل التوبة من هذه الفرقة ؟ قيل : لأنها كفرت بعد إيمانها ثم ازدادت كفراً إلى انقضاء أجلها ، فحصلت على ضلالتها ، فلم تقبل منها التوبة الأولى في حال كفرها بعد إيمانها ، ولا التوبة الثانية في حال إيجابها . وقيل : إنما لم تقبل توبتهم ، لأنهم لم يكونوا فيها مخلصين بدلالة قوله : « وأولئك هم الضالون » . وقال الطبري : إنه لا يجوز تأويل من قال لن تقبل توبتهم عند حضور موتهم . قال : لأنه لا خلاف بين الأمة أن الكافر إذا أسلم قبل موته بطرفة عين في أن حكمه حكم المسلمين في وجوب الصلاة عليه وموارثته ودفنه في مقام المسلمين واجراء جميع أحكام الاسلام عليه ، ولو كان إسلامه غير صحيح ، لما جاز ذلك . وهذا الذي قاله ليس بصحيح ، لأنه لا يمتنع أن نتميد باجراء احكام الاسلام عليه وان كان اسلامه على وجه من الاجزاء لا يثبت معه استحقاق الثواب عليه ، كما أنا تعبدنا باجراء احكام الاسلام على المنافقين وإن كانوا كفاراً . وإنما لم يجز قبول التوبة في حال الاجزاء إليه ، لأن فعل الملقأ كعمل المكروه في سقوط الحمد والذم . وقد قال الله تعالى : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن » (١) . وقال :

« فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده و كففنا بما كفنا به مشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » (١) فأما إذا عاد في الذنب ، فلا يعود إليه العقاب الذي سقط بالتوبة ، لأنه إذا تاب منه صار بمنزلة ما لم يعمله ، فلا يجوز عقابه عليه كما لا يجوز عقابه على ما لم يعمله سواء قلنا أن سقوط العقاب عند التوبة كان تفضلاً أو واجباً . وقد دل السمع على وجوب قبول التوبة وعليه إجماع الأمة . وقال تعالى « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويمحو عن السيئات » (٢) وقال : « غافر الذنب وقابل التوب » (٣) وغير ذلك من الآي .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (٩١) آية .

اللفظ :

الماء أصله الملاء ، وهو تفتيح الأنا . ومنه الملاء الاشراف ، لأنهم يملأون العين هيبة وجلالة . ومنه رجل ملىء بالامر ، وهو أملأ به من غيره . والملاء اسم للمقدار الذي يملأ . والملاء بفتح العين مصدر ملأت الأنا ملاء . ومثله الرعي بكسر الراء : النبات ، وبتفتح الراء مصدر رعيته . قال الزجاج : ومن قال : هما سواء فقد غلط .

الاعراب :

وقوله : ﴿ ذَهَبًا ﴾ نصب على التمييز . والتمييز على ضربين تمييز المقادير وتمييز الأعداد وكله مستحق النصب لاشتغال العامل بالاضافة أو ما عاقبها من النون

﴿ ١ ﴾ - سورة المؤمن آية : ٨٤ - ٨٥ .

﴿ ٢ ﴾ - سورة الشورى آية : ٢٥ . ﴿ ٣ ﴾ - سورة المؤمن آية : ٣ .

الزائدة ، فجرى ذلك مجرى الحال في اشتغال العامل بصاحبها ، ومجرى المفعول في اشتغال العامل عنه بالفاعل . ومثل ذلك ، عندي ملء زق عسلاً وقدر نحي سمناً .

المعنى

وقوله : ﴿ ولو افتدى به ﴾ فالفدية البدل من الشيء في إزالة الاذية . ومنه قوله : « وفديناه بذبح عظيم » (١) لأنه بدل منه في إزالة الذبح عنه ، ومنه فداء الاسير بغيره ، لأنه بدل منه في إزالة القتل والاسر عنه . وقيل في معنى الافتداء ههنا قولان :

أحدهما - البيان عن أن ما كلفه في الدنيا يسير في جنب ما يبذله في الآخرة من الفداء الكثير لو وجد إليه السبيل ، قال قتادة يجاء بالكافري يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الارض ذهباً ، لكنت تفتدي به ، فيقول : نعم ، فيقال لقد سئلت أيسر من ذلك ، فلم تفعل .

والثاني - ما حكاه الزجاج أنه لو افتدى به في دار الدنيا مع الإقامة على الكفر لم يقبل منه . وقيل في دخول الواو في قوله « ولو افتدى به » قولان قال : قوم : هي زائدة اجاز ذلك الفراء . والمعنى لو افتدى به . قال الزجاج : وهذا غلط ، لأن الكلام يجب حمله على فائدة إذا أمكن ، ولا يحمل على الزيادة . والثاني - أنها دخلت لتفصيل نفي القبول بعد الاجمال ، وذلك أن قوله « فلن يقبل من أحدم ملء الارض ذهباً » قد عم وجوه القبول بالنفي ثم أتى بالتفصيل ، لئلا يتطرق عليه سوء التأويل ، ولو قيل : بغير واو لم يكن قد عم النفي وجوه القبول ، فقد دخلت الواو لهذه الفائدة من نفي التفصيل بعد الجملة ، فأما الواو في قوله « وليكون من الموقنين » فانها عاطفة على محذوف في التقدير ، والمعنى « وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والارض » ليعتبر « وليكون من الموقنين » (٢) .

١ - سورة الصافات آية : ٧ .

٢ - سورة الانعام آية : ٧٥ .

قوله تعالى :

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (٩٢) آية واحدة .

المعنى :

قيل في معنى البر قولان :

أحدهما - البر من الله بالشواب في الجنة . الثاني - البر بفعل الخير الذي يستحقون به الأجر . وقال السدي وعمرو بن ميمون : البر الجنة .

فان قيل : كيف قال ' لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ' والفقير لا يجب عليه الصدقة وينال الجنة ، وان لم ينفق ؟ قلنا : الكلام خرج مخرج الحث على الصدقة إلا أنه على ما يصح ويجوز من إكمال النفقة ، فهو مقيد بذلك في الجملة إلا أنه اطلق الكلام للعبارة في الترغيب فيه . ويجوز ' لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ' في سبيل الخير من الصدقة من وجوه الطاعة . وقال الحسن : هو الزكاة الواجبة وما فرض تعالى في الأموال خاصة . والأولى أن تحمل الآية على الخصوص بأن يقول : هي متوجهة إلى من يجب عليه إخراج شيء أوجبه الله عليه دون من لم يجب عليه ، ويكون ذلك أيضاً مشروطاً بأن لا يعفو الله عنه - على مذهبنا في جواز العفو - أو يقول ' لن تناولوا البر ' الكامل الواقع على أشرف الوجوه ' حتى تنفقوا مما تحبون ' . وقوله : ﴿ فان الله به عليم ﴾ إنما جاء على جهة جواب الشرط وإن كان الله يعلمه على كل حال ، لامرئ :

أحدهما - لأن فيه معنى الجزاء ، فتقديره « وما تنفقوا من شيء فإن الله »
 يجازيكم به قل أو أكثر ، لأنه عليم به لا يخفى عليه شيء منه .
 الثاني - فإنه يعلمه الله موجوداً على الحد الذي تعملونه من حسن النية
 أو قبحها .

اللفظ :

والفرق بين البر ، والخير : أن البر هو النفع الواصل إلى الغير مع القصد إلى
 ذلك ، والخير يكون خيراً ، وإن وقع عن سهو . وضد البر المعقوق . وضد الخير
 الشر ، فبذلك بين الفرق بينهما .

النظم :

ووجه إتصال هذه الآية بما قبلها أنه تعالى لما ذكر في الآية الأولى « فلن
 يقبل من أحدكم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به » وصل ذلك بقوله « لن تنالوا
 البر حتى تنفقوا مما تحبون » لئلا يؤدي امتناع غناء القدية إلى الفتور في الصدقة ،
 وما جرى مجراها من وجوه الطاعة .

قوله تعالى :

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ
 عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاتْلَوْهَا لَئِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٩٣) آية واحدة .

النظم :

وجه اتصال هذه الآية بما تقدم أنه تعالى ، لما ذكر الاتفاق مما يجب ، ومن
 جملة ما يجب الطعام ، فذكر حكمه ، وأنه كان مباحاً حلالاً « لبني إسرائيل
 إلا ما حرم إسرائيل على نفسه » .

النزول ، وانفصه ، والمعنى :

وكان سبب نزول هذه الآية أن اليهود أنكروا تحليل النبي (ص) لحوم الابل ، فبين الله تعالى أنها كانت محللة ، لابراهيم ، وولده إلى أن حرمها إسرائيل على نفسه ، وحاجهم بالتوراة ، فلم يجسروا على إحضار التوراة لعلمهم بصدق النبي (ص) فيما أخبر أنه فيها .

وكان إسرائيل وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم نذر إن برأ من النساء أن يحرم أحب الطعام والشراب إليه وهو لحوم الابل وألبانها ، فلما برأ وفي الله بنذره . وقال ابن عباس والحسن : إن إسرائيل أخذها وجع العرق الذي يقال له النساء ، فنذر إن شفاها الله أن يحرم العروق ولحم الابل [على نفسه] ، وهو أحب الطعام إليه . فان قيل : كيف يجوز للانسان أن يحرم على نفسه شيئاً ، وهو لا يعلم ماله فيه من المصلحة مما له فيه المفسدة ؟ قلنا : يجوز ذلك إذا أذن الله له في ذلك وأعلمه ، وكان الله أذن لإسرائيل في هذا النذر ، فذلك نذر . وفي الناس من استدل بهذه الآية على أنه يجوز للنبي (ص) أن يجتهد في الأحكام ، لأنه إذا كان أعلم ورأيه أفضل كان اجتهاده أحق وهذا الذي ذكروه إن جعل دليلاً على أنه كان يجوز أن يتعبد النبي بالاجتهاد ، كان صحيحاً ، وإن جعل دليلاً على أنه كان متعبداً به ، فليس فيه دليل عليه ، لأننا قد بينا أن إسرائيل ما حرم ذلك إلا بأذن الله ، فمن أين إن ذلك كان محرماً له من طريق الاجتهاد ، فأما من امتنع من جواز تعبد النبي (ص) بالاجتهاد ، بأن ذلك يؤدي إلى جواز مخالفة أمته له إذا اداها الاجتهاد إلى خلاف اجتهاده فقد أبعد ، لأنه لا يمتنع أن يجتهد النبي (ص) الاجتهاد إلى خلاف ما أدى اجتهاد الأمة إليه ، فوجب اتباعه ولا يلتفت إلى اجتهاد من يخالفه ، كما أن الأمة يجوز أن تجمع على حد عن اجتهاد ، وإن لم يعجز مخالفتها فبطل قول الفريقين .

قوله تعالى :

« فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم »

الظالمون» (٩٤) .

اللفظ :

الافتراء : اقرار الكذب وأصله قطع ما يقدر من الأدم ، يقال فرى الأدم
بفرية فرياً : إذا قطعه ، فليل للكذب الفرية ، لأنه يقطع به على التقدير من غير
تحقيق .

المعنى :

فان قيل : كيف قال : « افتري على الله الكذب » وعلى للاستعلاء ، فما معناها
هاعنا ؟ قلنا : معناها إضافة الكذب إليه من جهة أنه أمر بما لم يأمر به الله
فأوجب ما لم يوجبه ، وكذب عليه بخلاف كذب له ، لأن كذب عليه يفيد أنه
كذب فيما يكرهه ، وكذب له قد يجوز فيما يريد . فان قيل كيف قيد وعيد المفتري
على الله الكذب بـ « من بعد ذلك » وهو يستحق الوعيد بالكذب عليه على كل
حال ؟ قلنا : المراد به البيان أنه يلزم من بعد إقالة الحجة على العبد فيه ، لأنه لو
كذب على الله (عز وجل) فيما ليس بمحجوج فيه لجرى مجرى كذب الصبي الذي
لا يستحق الوعيد به . وإنما وصف المفتري على الله كذباً بأنه ظالم ، من حيث كان
ظالماً لنفسه ، ولما استدعى إلى مذهبه فيما يكذب به ، لأن ذلك الكذب يستحق به
العقاب .

والظلم والجور واحداً وإن كان أصلها مختلفاً ، لأن أصل الظلم النقصان للحق .
والجور العدول عن الحق ، ولذلك قيل في ضد الظلم الانصاف . وفي ضد الجور
العدل . والانصاف هو إعطاء الحق على التمام .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ

المشركين ﴿ (٩٥) آية .

لمعنى :

معنى قوله : « قل صدق الله » البيان عن أن الخبر بأن « كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه » صدق ، لأن الله تعالى أخبر به . وقوله : ﴿ فاتبعوا ﴾ فالاتباع إلحاق الثاني بالأول لما له به من التعلق بالقوة للأول ، والثاني يستمد منه ، فهم يلحقون إبراهيم (ع) لهمسكهم بملته والتابع ثان متدبر بتدبير الأول متصرف بتصرفه في نفسه ، والصحيح أن شريعة نبينا ناسخة لشريعة كل من تقدم من الانبياء ، وأن نبينا لم يكن متعبداً بشريعة من تقدم . وإنما وافقت شريعته شريعة إبراهيم ، فلذلك قال الله تعالى « فاتبعوا ملة إبراهيم » وإلا فالله هو الذي أوحى بها إليه وأوجبها عليه ، وكانت شريعة له . فان قيل إذا كانت الشرائع بحسب المصالح ، فكيف رغب في شريعة الاسلام بأنها ملة إبراهيم ؟ قلنا : لأن المصالح إذا وافقت ما تميل إليه النفس ويتقبله العقل بغير كراهة كانت أحق بالرغبة ، كما أنها إذا وافقت الغنى بدلا من الفقر ، كانت أعظم في النعمة ، وكان المشركون يميلون إلى اتباع ملة إبراهيم ، فلذلك خوطبوا بذلك . والحنيف : الاستقيم : الدين الذي على شريعة إبراهيم في حجه ونسكه وطيب ما كله ، وتلك الشريعة هي الحنيفية . وأصل الحنف الاستقامة وإنما وصف المائل القدم بالاحنف تفاعلاً بها . وقيل أصله الميل وإنما قيل الحنيف بمعنى المائل إلى الحق فيما كان عليه إبراهيم من الشرع .

قوله تعالى :

﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدياً

للعالمين ﴾ (٩٦) آية بلا خلاف .

المعنى ، واللفظ ، والاعراب :

أول الشيء ابتداءؤه ، ويجوز أن يكون المبتدأ له آخر ، ويجوز أن لا يكون له آخر ، لأن الواحد أول العدد . ولا نهاية ، لآخره ، ونعيم أهل الجنة له أول ، ولا آخر له ، فعلى هذا إنما كان أول بيت ، لأنه لم يكن قبله بيت يحج إليه .
وروي عن علي (ع) أنه قال : أول بيت وضع للعبادة البيت الحرام . وقد كانت قبله بيوت كثيرة . وقيل أول بيت رغب فيه ، وطلب به البركة مكة . وقال مجاهد : لم يوضع قبله بيت . وإنما دحيت الأرض من تحتها . وبه قال قتادة . وروي أصحابنا : أن أول شيء خلق الله من الأرض موضع الكعبة ، ثم دحيت الأرض من تحتها . وبكة قيل معناه ثلاثة أقوال :

أحدها - قال ابن شهاب وضمرة بن ربيعة : بكة هو المسجد ، ومكة الحرم كله تدخل فيه البيوت ، وهو قول أبي جعفر (ع) وقال أبو عبيدة : بكة هي بطن مكة ، وقال مجاهد : هي مكة .

وأصل بكة من البك ، وهو الزحم تقول بكه يبكه بكاً إذا زحمه وتباك الناس بالموضع إذا ازدحموا ، فبكة مزدهم الناس للطواف . وهو ما حول الكعبة من داخل المسجد الحرام ، ومنه البك : دق العنق ، لأنه فكك بشدة زحمة ، فقيل : سميت بكة ، لأنها تبك أعناق الجبابرة إذا ألدوا فيها بظلم لم يمهلوا . وأما مكة ، فقال الزجاج يجوز أن يكون اشتقاقها كاشتقاق بكة . وابدلت الهم من الباء ، كقولهم : ضربة لازب ولازم ، ويجوز أن يكون من قولهم : امبك التفصيل مافي ضرع الناقة إذا مص مصاً شديداً حتى لا يبقى منه شيئاً ، فسميت مكة بذلك لازدحام الناس فيه . قال والأول أحسن ، ويقال مك المشاش مكاً إذا تمشش بفيه .
ونصب قوله : « مباركا » يحتمل أمرين :

أحدهما - أن يكون حالا من الضمير الذي فيه . الثاني - على الظرف من بكة على معنى الذي استقر ببكة مباركا . وعلى هذا القول لا يكون قد وضع قبله بيت

كما يجوز في التقدير الأول . وقوله : « وهدى للعالمين » معناه أنه دلالة لهم على الله من حيث هو المدبر لهم بما لا يقدرون عليه من أمن الوحش فيه حتى يجتمع الكلب والظبي ، فلا يعدو عليه وحتى يأنس الطير فلا يمتنع منه كما يمتنع من غيره إلى غير ذلك من الآثار والبينة فيه مع البركة التي يجدها من حج إليه مع ماله من الثواب الجزيل عليه . وأصل البركة الثبوت من قولك برك وبروكا إذا ثبت على حاله ، فالبركة ثبوت الخير بنموه وتزايدده ومنه البركاه : الثبوت في الحرب . ومنه البركة شبه حوض يمسك الماء ، لثبوته فيه . ومنه قول الناس : تبارك الله ، لثبوته لم يزل ، ولا يزال وحده ، ومنه البرك الصدر ، لثبوت الحفظ فيه .

وقوله تعالى :

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا كَانُوا يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَمِنْ دَخَلِهِ كَانَ آمَنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ لَهُ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٩٧) آية .

الضراء :

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر « حج البيت » بكسر الحاء . الباقون بفتحها فن فتح أراد المصدر الجاري على فعله ، ومن كسر أراد الاسم

المعنى :

الآيات التي بمكة أشياء ، منها ما قال مجاهد في مقام إبراهيم ، وهو أترقديه داخلة في حجر صلد بقدره الله تعالى ، ليكون ذلك علامة يهتدى بها ، ودلالة يرجع إليها مع غير ذلك من الآيات التي فيه من أمن الخائف ، وإحراق الجمار على كثرة الرامي . وامتناع الطير من العلو عليه . واستشفاء المريض من ماء به . ومن تعجيل العقوبة لمن انتهك فيه حرمة على عادة كانت جارية . ومن إهلاك أصحاب القيل

لما قصدوا ، لتخريبه . وروى عن ابن عباس أنه قرأ « آية بينة مقام إبراهيم »
فجعل مقام إبراهيم هو الآية . والأول عليه القراء ، والمفسرون . وقوله : « مقام
إبراهيم » رفع بأنه خبر ابتداء محذوف . وتقديره هي مقام إبراهيم وغير مقام
إبراهيم ، وقيل التقدير منها مقام إبراهيم . وقوله : ﴿ ومن دخله كان آمناً ﴾ قيل
فيه قولان :

أحدهما - الدلالة على ما عطف عليه قلوب العرب في الجاهلية ، من أمر من
جنى جنابة ، ثم لاذ بالحرم ، ومن تبعه تلحقه أو مكروه ينزل به . فأما في الاسلام
فمن جنى فيه جنابة أقيم عليه الحد إلا القاتل ، فإنه يخرج منه ، فيقتل في قول
الحسن ، وقتادة . وعندنا أنه إذا قتل في الحرم قتل فيه .

الثاني - أنه خبر ، والمراد به الأمر ، ومعناه أن من وجب عليه حد ، فلاذ
بالحرم والتجأ إليه ، فلا يبايع ولا يشاري ولا يعامل حتى يخرج من الحرم ، فيقام
عليه الحد - في قول ابن عباس وابن عمر - وهو المروي عن أبي عبد الله وأبي
جعفر (ع) وأجمعت الصحابة على أن من كانت له جنابة في غيره ثم عاذ به أنه
لا يؤاخذ بتلك الجنابة فيه . وأجمعوا أيضاً أن من أصاب الحد فيه أنه يقام عليه
الحد فيه . وإنما اختلفوا فيما به يخرج ليقام عليه الحد .

وروى عن أبي جعفر (ع) أنه قال : من دخله عارفاً بجميع ما أوجب الله
عليه ، كان آمناً في الآخرة من أليم العقاب الدائم

والسبيل الذي يلزم بها الحج ، قال ابن عباس ، وابن عمر : هي الزاد ، والراحلة .
وقال ابن الزبير ، والحسن : ما يبلغه كائناً ما كان . وفيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه
في الخلاف . وعندنا هو وجود الزاد والراحلة ونفقة من تلزمه نفقته والرجوع إلى
كفاية عند العود إما من مال أو ضياع أو عتار أو صناعة أو حرفة مع الصحة
والسلامة وزوال الموانع وإمكان المسير .

وقوله : ﴿ ومن كفر ﴾ معناه من جحد فرض الحج فلم يره واجباً في قول

ابن عباس ، والحسن ، والضحاك . فأما من تركه وهو يعتقد فرضه ، فإنه لا يكون كافراً وإن كان عاصياً . وفي الآية دلالة على فساد مذهب المجبرة إن الاستطاعة مع الفعل ، لأن الله تعالى أوجب الحج على المستطيع . ومن لا يستطيع ، فلا يجب عليه وذلك لا يكون إلا قبل فعل الحج . وقال قوم : معنى « ومن كفر » يعني ترك الحج والسبب في ذلك أنه لما نزل قوله : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً » (١) قالت اليهود نحن المسلمون فأنزل الله هذه الآية فأمرهم بالحج إن كانوا صادقين فامتنعوا ، فقال الله تعالى ومن ترك من هؤلاء فهو كافر ، والله غني عن العالمين .
قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٨) آية .

المعنى :

قوله : « يا أهل الكتاب » خطاب لليهود والنصارى . وإنما أجرى عليهم أهل الكتاب مسم أنهم لا يعملون به ، ولم يجز ذلك في أهل القرآن حتى يقال ، فيمن لا يعمل بالقرآن أنه من أهل القرآن لأمرين : أحدهما - أن القرآن اسم خاص لكتاب الله ، فأما الكتاب فيجوز أن يراد به يا أهل الكتاب المحرف عن جهته ، والآخر - الاحتجاج عليهم بالكتاب ، لإقرارهم به ، كأنه قيل يا من يقر بأنه من أهل كتاب الله « لم تكفروا بآيات الله » وآيات الله المراد بها ههنا معجزات نبينا محمد (ص) التي كانت له ، والعلامات التي وافقت في صفته ، مما تقدمت به البشارة ، وخاطبهم الله في هذه بأن قال له « قل لم تكفرون بآيات الله » على وجه التلطف في استدعائهم إلى الحق ، وتوجيه الخطاب إليهم . وقال في موضع آخر « يا أهل الكتاب لم تكفرون » (٢) على وجه الإهانة

١ « سورة آل عمران آية : ٨٥ .

٢ « سورة آل عمران آية : ٧٠ .

لهم لصدوم عن الحق بتوجيه الخطاب إلى غيرهم وإنما جاء لفظ التوبيخ في الآية على لفظ الاستفهام ، لأنه كسؤال التعميز عن إقامة البرهان ، فكذلك سؤال التوبيخ سؤال تعجيز عن إقامة العذر كأنه قيل : هات العذر في ذلك إن أمكنك ، كما قيل له هات البرهان إن كنت محققاً في قولك ومذهبك .

الغز :

وأصل لم لما وحذفت الالف في الاستفهام منها ، ولم تحذف في الخبر لأنها في الاستفهام ظرف يقوى فيه التغيير قياساً على حروف الاعراب ونحوها ، وأما الخبر فإنها تقع وسطاً إذا كانت موصولة ، لأن تمامها آخر صلتها والجزء يجري مجرى الصلة ، لأن (ما) فيه عاملة .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمَنَ
تَبِعُونَهَا عَوجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِرٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٩)
آية بلا خلاف .

المعنى :

قوله : « لم تصدون » معناه لم تمنعون ، لأن الصد المنع . وقيل في كيفية صدوم عن سبيل الله قولان :

أحدهما - أنهم كانوا يغزون بين الأوس ، والخزرج ، بتذكيرهم الحروب التي كانت بينهم حتى تدخلهم العصبية وحمية الجاهلية فينسلخون عن الدين - هذا قول زيد بن أسلم - وقال الآية في اليهود خاصة . وقال الحسن الآية في اليهود والنصارى معاً ومعناها لم تصدون بالكذب بالنبي (ص) وإن صفته ليست في كتبهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقوله : « من آمن » موضعه النصب بأنه

مفعول تصدون . وقوله : ﴿ تبغونها عوجاً ﴾ الكناية راجعة إلى السبيل ، ومعناه تطلبون لها عوجاً يعني عدو لاعتن طريق الحق ، وهو الضلال كأنه قال تبغونها ضلالاً .

اللفظ :

والعوج - بفتح العين ، هو ميل كل شيء ، منتصب ، نحو القناة والحائط ، وبكسر العين - إم. هو الميل عن الاستواء في طريق الدين ، وفي القول ، وفي الأرض . ومنه قوله : « لا ترى فيها عوجاً » (١) وقال عبد بني الحسحاس :
بغاك وما تبغيه حتى وجدته كأنك قد واعدته أمس موعداً (٢)

أى طلبك وما تطلبه هذا في بغيت الحاجة فأما بغى عليه ، فمعناه تناول بظلمه له . وتقول : ابغني كذا بكسر الهمزة أي أطلبه لي . وإذا قلت : ابغني بفتح الهمزة ، فمعناه أعني على طلبه . ومثله إحملي وأحملي والمسني والمسني . واحلب لي واحلبي أي أعني على الحلب . وأصل ذلك ابغ لي غير أنه حذف اللام لكثرة الاستعمال .

المعنى :

وقوله : ﴿ وأنتم شهداء ﴾ قيل فيه قولان :
أحدهما - « أنتم شهداء » على بطلان صدكم عن دين الله ، وتكون الآية مختصة بتموم معاندين ، لأنهم جحدوا ما علموه ويجوز أن تكون في الجميع ، لإقرارهم بأذنه لا يجوز الصد عن دين الله ، فذلك صح ما أزموا .

الثاني - « وأنتم شهداء » أي عقلاء كما قال الله تعالى « أو التي السمع وهو شهيد » (٣) أي وهو عاقل ، وذلك أنه يشهد الدليل الذي يميز به الحق من الباطل

(١) - سورة طه آية : ١٠٧ .

(٢) « ديوانه : ٤١ دروايته (الا) بدل (حتى) وقد ذكره ابن هشام في المغني ١ :

١١١ ، وقال : الابعثني حتى .

(٣) سورة ق آية : ٣٧ .

فما يتعلق بالدين ويؤديه إليه .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَنْ تَظِيمُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ (١٠٠) آية .

النزول :

قال زيد بن أسلم والسدي أن هذه الآية نزلت في الأوس والخزرج لما
أغزى قوم من اليهود بينهم ليفتنوهم عن دينهم .

اللفظ ، والاعراب ، والمعنى :

وقوله : « إن تظيموا » فالطاعة موافقة الارادة الجاذبة للفعل بالترغيب
فيه ، والاجابة موافقة الارادة الداعية إلى الفعل ولذلك يجوز أن يكون الله تعالى
مجيئاً للعبد إذا فعل ما دعا العبد به ، ولم يجوز أن يكون مطيعاً له . و (يا) حرف
النداء وأي هو المنادى . و (ها) للتنبية وهو اسم مبهم يحتاج أن يوصف بالواحد
والجميع لشدة إبهامه من حيث ، لا يوقف عليه دون ما يوضحه . ولم يجوز مثل
ذلك في هذا ، وإن كان اسماً مبهماً ، لأنه يدخله التثنية ، والجمع ، نحو هؤلاء
وهذان وليس كذلك أي .

فإن قيل لم جاز صفة المبهم بالموصول ولم يجوز بالمعطوف ؟ قيل : لأن الموصول
بمزالة اسم واحد لنقصانه عن التمام إلا بصلته ، فعومل لذلك معاملة المفرد ، وليس
كذلك المعطوف ، لأنه اسم تام ، فذلك لم يجوز يا أيها الطويل والقصير على الصفة ،
وجاز يا أيها الذي أكرم زيدا على الصفة ، ويجوز يا أيها الطويل والقصير على أن
يكون القصير منادا أيضاً ويجوز أن تقول يا هذا وتقف عليه . ولا يجوز أن
تقول يا أيها وتقف ، وإن كانا مبهمين لا يحتاجان إلى صلة ، لأن أي وصلة إلى نداء

ما فيه الألف واللام ، كما أن الذي وصلت إلى صفة المعرفة بالجملة ، ولذلك جاز النصب في يا هذا الكريم ، ولم يجز في يا أيها الكريم . ومعنى الآية النهي عن طاعة الكفار وبيان أن من أطاعهم يدعوهم إلى الارتداد عن دينه بعد أن كان مؤمناً ورجوعه كافراً .

قوله تعالى :

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتْلُوا آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ
وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١٠١) آية .

النزول :

روي عن ابن عباس أن سبب نزول هذه الآية أنه كانت بين الأوس ، والخزرج حرب في الجاهلية كل شهر ، فبينما هم جلوس إذ ذكروا ما كان بينهم حتى غضبوا ، فقام بعضهم إلى بعض بالسلاح فنزلت هذه الآية وما بعدها . وقال الحسن نزلت في مشركي العرب .

المعنى واللفظ :

« وكيف » موضوعة للاستفهام ، ومعناها ههنا التعجب وإنما استعملت في ذلك ، لأنها طلب للجواب عما حمل على الفساد فيما لا يصح فيه الاعتذار . والتعجب هو حدوث إدراك ما لم يكن يقدر خلفاء سببه ، وخروجه عن العادة في مثله ، ولذلك لم يجز في صفة القديم ، ولكن يجوز في وصفه تعجيب العباد من بعض الأمور . وصيغة التعجب في اللغة ما أفعله ، وأفعل به إلا أنه قديح . كلام متضمن بمعنى التعجب ، وإن لم يكن في الأصل مما وضع له . وقوله : ﴿ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ خطاب للذين عاصروه ، فأما اليوم ، فقد قال الزجاج : يجوز أن يقال : فينا رسول الله ، ويراد به أن أناره قاعة فينا ، وأعلامه ظاهرة ، وذلك بمنزلة لو كان

موجوداً فينا . وقوله : ﴿ ومن يعتصم بالله ﴾ معناه يمتنع والمعصم : المنع . تقول عصمه يعصمه عصماً ، ومنه قوله : « لا عاصم اليوم من أمر الله » (١) أي لا مانع والمعصم : الأوتال لا تمتناعها بالجبال . والمعصم لأنه يمتنع . والمعصم : الحبل ، والسبب ، لأنه يعتصم به .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَموتُوا إِلَّا

وَأنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢) آية بلا خلاف .

المعنى :

ذكر ابن عباس وطاوس أن هذه الآية محكمة غير منسوخة . وقال قتادة ، والربيع ، والسدي ، وابن زيد : هي منسوخة بقوله : « فاتقوا الله ما استطعتم » (٢) وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) لأنهم ذهبوا إلى أنه يدخل فيه القيام بالقسط في حال الخوف ، والامن ، وأنكر أبو علي الجبائي نسخ الآية وذلك ، لأن من اتقى جميع معاصيه ، فقد اتقى الله حق تقاته . ومثل هذا لا يجوز أن ينسخ ، لأنه إباحة لبعض المعاصي . قال الرماني : والذي عندي أنه إذا وجه على « اتقوا الله حق تقاته » بأن تقوموا له بالحق في الخوف والامن لم يدخل عليه ما ذكره أبو علي . وهذا صحيح ، لأنه لا يمتنع أن يكون أوجب عليهم أن يتقوا الله على كل حال ثم أباح ترك الواجب عند الخوف على النفس ، كما قال « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » (٣) وأنكر البلخي أيضاً نسخ الآية وقال : لأن في ذلك إيجاب الأمر بما لا يستطاع . قال الرماني : وهذا أيضاً لا يلزم ، لأن « ما استطعتم » إنما هو من غير تحمل مشقة بتحريم التقية .

« ٢ » سورة التغابن آية : ١٦ .

« ١ » - سورة هود آية : ٤٣ .

« ٣ » سورة النحل آية : ١٠٦ .

وقيل في معنى قوله : « حق تقانه » قولان :

أحدهما - قال ابن مسعود ، والحسن ، وقتادة : إن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى ، وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) . وقال الجبائي : هو أن يتقى جميع معاصيه . وظاهر الآية يقتضي أنه خطاب للمؤمنين خاصة ، ويجوز أن يحمل من جهة المعنى على جميع المكافين على التغليب ، لأنه معلوم أنه يجب عليهم من ذلك مثل ما يجب على المؤمنين من اتقاء جميع معاصي الله .

اللفظ :

وقوله : « تقانه » هو من وقيت . قال الزجاج : يجوز فيه ثلاثة أوجه نقاة ووقاة واقاة وحمله على قياس وجوه وأجوه وإن كان هذا المثال لم يجيء منه شيء على الأصل نحو تخمة ونكاة ونقاة غير أنه حمله على الأكثر من نظائره وجعل اختصاص هذا البناء في الاستعمال ، لا يمنع من حمله على نظيره في القياس ، لأن بقاء قوة الاستعمال قوة النظر في الباب .

المعنى ، واللفظ :

وقوله : ﴿ ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ معناه لا تتركوا الإسلام وإنما قال : « فلا تموتن » بلفظ النهي عن الموت من حيث أن الموت لا بد منه ، فكأنه قال كونوا على الإسلام ، فإذا ورد عليكم الموت صادفكم على الإسلام ، فالنهي في الحقيقة عن ترك الإسلام ، لئلا يهلكوا بالافتقار عن التمسك منه بالموت إلا أنه وضع كلام موضع كلام على جهة تصرف الابدال ، لحسن الاستعارة ، وزوال اللبس ، لأنه لما كان يمكنهم أن يفارقوه بالإسلام فترك الإسلام صار بمنزلة ما قد دخل في إمكانهم . ومثله قولهم لا أراك ههنا أي لا تكونن ههنا ، فإن من كان ههنا رأيته إلا أن هذا خرج مخرج النهي لغير النهي عنه فتباعد عن الأصل ، فالأول أحسن ، لأنه أعدل . وروي عن أبي عبد الله (ع) « وأنتم مسلمون »

بالتشديد ، ومعناه إلا وأنتم مستسلمون لما أتى به النبي (ص) ومنقادون له .
قوله تعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٠٣) آية .

المعنى ، واللفظ ، والاعراب :

ومعنى قوله : « واعتصموا » امتنعوا بحبل الله واستمسكوا به أي بمهد الله ، لأنه سبب النجاة كالحبل الذي يتمسك به للنجاة من بئر أو نحوها . ومنه الحبل الأمان ، لأنه سبب النجاة . ومنه قوله : « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » (١) ومعناه بأمان ، قال الأعشى :

وإذا تجوزها حبال قبيصة أخذت من الأخرى إليك حبالها (٢)

ومنه الحبل الحمل في البطن وأصله الحبل المفتول قال ذو الرمة :

هل حبل خرقاء بعد اليوم مرموم أم هل لها آخر الأيام تكليم

وفي معنى قوله : « بحبل الله » قولان قال أبو سعيد الخدري عن النبي (ص) أنه كتاب الله . وبه قال ابن مسعود ، وقتادة والسدي . وقال ابن زيد « حبل الله » دين الله أي دين الإسلام . وقوله : « جميعاً » منصوب على الحال . والمعنى اعتصموا بحبل الله مجتمعين على الاعتصام به . وقوله : « ولا تفرقوا » أصله ولا تتفرقوا ،

١ « سورة آل عمران آية : ١١٢ .

٢ « ديوانه : ٢٤ رقم التصيدة ٣ في المطبوعة (أجوزها) بدل (تجوزها) وهو أيضاً في اللسان (حبل) ومشكل القرآن : ٣٥٨ وغيرها كما أبتناه . والبيت من قصيدته في قيس ابن معد بكرب . يصف ناقه يقول : لا تحتاج إلى حبل بل هي سريعة الجرى عارفة طرق القبائل .

فحذفت إحدى التائين ، لاجتماع المثلين . والمحذوفة الثانية ، لأن الأولى علامة الاستقبال ، وهو مجزوم بالنهي وعلامة الجزم سقوط النون . وقال ابن مسعود وقناة : معناه ولا تفرقوا عن دين الله الذي أمر فيه بلزوم الجماعة والائتلاف على الطاعة . وقال الحسن : معناه ولا تفرقوا عن رسول الله (ص) . وقوله : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء ﴾ معناه ما كان بين الأوس والخزرج من الحروب التي تطاولت مئة وعشرين سنة إلى أن ألفت بين قلوبهم بالاسلام ، وزالت تلك الاحقاد ، هذا قول ابن اسحاق . وقال الحسن : هو ما كان من مشركي العرب من الطوائف . وقوله : ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار ﴾ معنى الشفا الحرف ، لأن شفا الشيء حرفه ، ويثنى شفوان ، لأنه من الواو ، وجمعه اشفاء . ولا يجوز فيه الامالة . وإنما قال : « فأنقذكم منها » وإن لم يكونوا فيها ، لأنهم كانوا بمنزلة من هو فيها من حيث كانوا مستحقين لدخولها . وإنما أنقذهم النبي (ص) بدعائهم إلى الاسلام ، ودخولهم فيه ، فصاروا بمنزلة الخارج منها .

وأصل الاخ أن الاخ مقصده مقصد أخيه ، وكذلك في الصداقة أن تكون إرادة كل واحد منها موافقة الآخر يقولون : يتوخى فلان شأن فلان أي يقصده في سيره ، ويقولون : خذ على هذا الوخي أي على هذا القصد . وقوله : ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته ﴾ الكاف في موضع نصب ، والمعنى مثل البيان الذي تلي عليكم « يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » معناه لتهتدوا وتكونوا على رجاء هداية . والهاء في قوله فأنقذكم منها كناية عن الحفرة فترك شفا ، وردت الكناية على الحفرة . ومثل ذلك قول العجاج :

طول الليالي أسرعت في نقضي طوين طولي وطوين عرضي
فترك الطول وأخبر عن الليالي . فان قالوا إذا كان الله هو الذي ألفت بين قلوبهم وأنقذهم من النار ، فقد صح أن أعمال الخلق فعل له وخلق من خلقه ؟ قيل : لا يجب ذلك ، لأننا نقول أن النبي (ص) ألفت بين قلوب العرب وأنقذهم من

النار ، ولا يجب من ذلك أن تكون أفعالهم أفعالا للنبي (ص) ، ولا مشاركا لهم .
 ومعنى ألف بين قلوبهم وأنقذهم من النار أنه دعاهم إلى الإيمان وبين لهم وهداهم ،
 ورغبهم وحذرهم ، فلما كان إسلامهم ونجاتهم بمعونته ودعائه ، كان هو المؤلف
 لقلوبهم ، والمنقذ لهم من النار على هذا المعنى ، لا أنه صنع أفعالهم ، وأحدثها .
 فان قيل : فقد فعل الله مثل ذلك بالكافرين هلا قاتم أنه ألف بينهم ؟ قلنا : لا نقول
 ذلك وإن كان فعل بهم في الابتداء . مثل الذي فعل بالمؤمن ، لأنه لم يوجد منهم
 إيمان ، فلا يجوز إطلاق ذلك عليهم ، ولما وجد من المؤمن ذلك جاز إضافة ذلك إلى
 الله تعالى وجري ذلك مجرى قوله « هدى للمتقين » أنه اضيف إلى المتقين
 من حيث اهتدوا به . وان كان هداية للكافرين أيضا . ويجوز أن يقال : ألف الله
 بين الكفار ، فلم يأنفوا وانقذهم ، فلم يستنقذوا ، فيقيد ذلك ، كما قال : « وأما
 ثمود ، فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى » (١) ولا يجوز أن يقال : هدى
 الله ثمود ويسكت . ومثل ذلك لو أن إنسانا أعطى ولدين له مالا وأمرهما بالتجارة
 وبين لهما وجوه المكاسب فكسب أحدهما مالا واستغنى ، وضع الآخر ، فافتقر
 جاز أن يقال أن فلانا أغنى ولده الغني ، ولا يجوز أن يقال اغنى ولده الفقير على
 أنا لا نقول ان الله تعالى فعل بالكافر جسيم ما فعل بالمؤمن ، لأن الذي سوى بينها
 ما يتعلق بازاحة العلة في التكليف من الاقدار والاعلام والدلالة ، وما به يتمكن
 من فعل الإيمان ، فأما الاطاف التي يفعلها الله بالمؤمن بعد إيمانه التي علمها له بعد
 الإيمان ولم يعلمها للكافر ، فلا نقول أنه فعل بالكافر مثلها ، ولا بمنع أن تكون
 هذه الزيادة من الاطاف مشروطة بحال الإيمان ، فالإطلاق لا يصح على كل حال .

قوله تعالى :

﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ بِأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ آية .

الاعراب ، والمعنى :

قوله : « ولتكن » أمر واللام لام الأمر وإنما سكنت مع الواو ولم يكن لام الإضافة لأن تسكين لام الأمر يؤذن بعملها أنه الجزم ، وليس كذلك لام الإضافة . ولم يسكن مع ثم ، لأن ثم بمنزلة كلمة منفصلة لا وقوله : ﴿ منكم أمة ﴾ « من » هنا للتبويض على قول أكثر المفسرين ، لأن الأمر بانسكار المنكر ، والأمر بالمعروف متوجه إلى فرقة منهم غير معينة ، لأنه فرض على الكفاية فأى فرقة قامت به سقط عن الباقيين . وقال الزجاج التقدير « وليكن » جميعكم و (من) دخلت لتخص المخاطبين من بين سائر الاجناس ، كما قال : « فاجتذبوا الرجس من الاوثان » (١) وقال الشاعر :

أخو رغائب يعطيها ويسلبها يأبى الظلامة منه النوفل الزفر (٢)

لأنه وصفه باعطاء الرغائب ، والنوفل الكثير الاعطاء للنوافل . والزفر : الذي يحمل الأثقال ، فعلى هذا الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر من فرض الاعيان لا يسقط بقيام البعض عن الباقيين . وهو الذي اختاره الزجاج ، وبه قال الجبائي ، واختاره .

المغز :

والأمة في اللغة تنقسم خمسة أقسام :

أحدها - الجماعة . والثاني - القامة . والثالث - الاستقامة . والرابع - النعمة والخامس القدوة . والأصل في ذلك كله القصد من قولهم : أمة يؤمه . أما إذا

﴿ ١ ﴾ سورة الحج آية : ٣٠ .

﴿ ٢ ﴾ قوله أعشى بأهله اللسان زفر أو أمالي الشريف المرتضى ٢ : ٢١ وهو من تصيدته من المراني المفضلة المشهورة بالبلاغة والبراعة وروايتها (بسأها) بدل (يسلبها) .

قصده ، فالجماعة سميت أمة لاجتماعها على مقصد واحد . والأمة : القدوة ، لأنه تأتم به الجماعة . والأمة النعمة ، لأنها المقصد الذي هو البغية . والامة القامة ، لاستمرارها في العلو على مقصد واحد . والمعروف هو الفعل الحسن الذي له صفة زائدة على حسنه . وربما كان واجباً أو ندباً ، فان كان واجباً فالأمر به واجب . وان كان ندباً فالأمر به ندب . والمنكر هو القبيح فالنهي عنه كله واجب . والانكار هو إظهار كراهة الشيء لما فيه من وجه القبح ، وتقيضه الاقرار وهو إظهار تقبل الشيء من حيث هو صواب حسن .

المعنى :

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان بلا خلاف وأكثر المتكلمين يذهبون إلى أنه من فروض الكفايات . ومنهم من قال من فروض الاعيان ، وهو الصحيح على ما بيناه . واختلفوا ، فقال جماعة ان طريق وجوب انكار المنكر العقل ، لأنه كما نحب كراهته وجب المنع منه إذا لم يمكن قيام الدلالة على الكراهة . وإلا كان تاركه بمنزلة الراضي به . وقال آخرون وهو الصحيح عندنا : إن طريق وجوبه السمع وأجمت الأمة على ذلك ، ويكفي المكلف الدلالة على كراهته من جهة الخير وما جرى مجراه وقد استوفينا ما يتعلق بذلك في شرح جمل العلم . فان قيل هل يجب في إنكار المنكر حمل السلاح ؟ قلنا : نعم إذا احتيج إليه بحسب الامكان ، لأن الله تعالى قد أمر به ، فإذا لم ينجح فيه الوعظ والتخويف ، ولا التناول باليد وجب حمل السلاح ، لأن الفريضة لا تسقط مع الامكان إلا بزوال المنكر الذي لزم به الجهاد إلا أنه لا يجوز أن يقصد القتال إلا وغرضه إنكار المنكر . وأكثر أصحابنا على أن هذا النوع من إنكار المنكر لا يجوز الاقدام عليه إلا باذن سلطان الوقت . ومن خالفنا جوز ذلك من غير الاذن . مثل الدفاع عن النفس سواء . وقال البلخي : إنما يجوز لسائر الناس ذلك إذا لم يكن إمام ، ولا من نصبه ، فأما مع وجوده ، فلا ينبغي ، لأحد أن يفعل ذلك إلا عند الضرورة . وقوله :

﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ معناه هم الفائزون بثواب الله ، والخلاص من عقابه .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ

الْبَيِّنَاتِ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٠٥) آية .

المعنى :

قال الحسن ، والريبع : المعنى بهذا التفرق في الآية اليهود والنصارى ، فكأنه قال يا أيها المؤمنون « لا تكونوا كالذين تفرقوا » يعني اليهود والنصارى . وقوله : ﴿ من بعد ما جاءهم البينات ﴾ معناه من بعد ما نصبت لهم الأدلة ولا يدل ذلك على عناد الجميع ، لأن قيام البينات إنما يعلم بها الحق إذا نظر فيها واستدل بها على الحق ، فإن قيل إذا كان التفرق في الدين هو الاختلاف فيه ، فلم ذكر الوصفان ؟ قلنا : لأن معنى « تفرقوا » يعني بالمداد واختلّفوا في الديانة ، فعنى الصفة الأولى مخالف لمعنى الصفة الثانية ، وفيمن نفي القياس ، والاجتهاد من استدلال بهذه الآية على المنع من الاختلاف جملة في الأصول والفروع ، واعتراض من خالف في ذلك بأن قال لا يدل ذلك على فساد الاختلاف في مسائل الاجتهاد ، كما لا يدل على فساد الاختلاف في المسائل المنصوص عليها ، كاختلاف حكم المسافر والمقيم في الصلاة والصيام ، وغير ذلك من الأحكام ، لأن جميعه مدلول على صحته إما بالنص عليه وإما بالرضى به ، وهذا ليس بشيء ، لأن لمن خالف في ذلك أن يقول : الظاهر يمنع من الاختلاف على كل حال إلا ما أخرجه الدليل ، وما ذكره أخرجه بالاجماع فلا جود في الطعن أن يقال : وقد دل الدليل على وجوب التعبد بالقياس والاجتهاد ! قلنا : إن يخص ذلك أيضاً ويصير الكلام في صحة ذلك أو فساده ، فلا استدلال بالآية إذا صحیح على نفي الاجتهاد . وقوله : « جاءهم البينات » إنما حذف منه علامة التأنيث إذا تقدم ، فكذلك لا يلحقه علامة التأنيث لشبهها علامة التثنية والجمع .

قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾
(١٠٦) آية بلا خلاف .

الاعراب :

العامل في قوله : « يوم » قوله « عظيم » وتقديره عذابهم يوم تبيض وجوه . ولا يجوز أن يكون العامل فيه عذاب موصول ، قد فصلت صفة بينه ، وبين معموله ، لكن يجوز أن تعمل فيه الجملة ، لأنها في معنى يعذبون يوم تبيض وجوه ، كما تقول المال تزيد يوم الجمعة فالعامل الفعل والجملة خلف منه .

المعنى :

والمعنى بهذه الآية الذين كفروا بعد إيمانهم . وقيل فيهم أربعة أقوال :
أحدها - قال الحسن : الذين كفروا بعد اظهار الإيمان بالنفاق .
الثاني - قال قتادة الذين كفروا بالارتداد .

الثالث - قال أبي بن كعب : إنهم جميع الكفار ، لاعراضهم عما يوجبهم الاقرار بالتوحيد حين أشهدهم الله على أنفسهم ألسن ربكم قالوا بلى شهدنا .
الرابع - ذكره الزجاج وأبو علي الجبائي . الذين كفروا من أهل الكتاب بالنبي (ص) بعد إيمانهم به أي بنعته وصفته قبل مبعته ، وهذا الوجه ، والوجه الأول يليق بمذهبنا في الموافقة ، فأما الارتداد عن الإيمان الحقيقي ، فلا يجوز عندنا على ما مضى في غير موضع .

فان قيل : إذا كان « الذين اسودت وجوههم » كفاراً « والذين ابيضت وجوههم » مؤمنين هلاً دل ذلك على أنه لا واسطة بين الكفر ، والإيمان من

الفسق؟ قلنا: لا يجب ذلك، لأن ذكر اسوداد الوجوه وايضاؤها لا يمنع أن يكون هناك وجوه أخر مغبرة أو نحوها من الألوان أو يكون أدخلوا في جملة الكفار الذين اسودت وجوههم على التغليب لا عظم الصفتين كما يغلب المذكر على المؤنث، وليس ذكر اليوم بأنه تسود فيه وجوه وتبيض وجوه بمانع من أن يكون فيه وجوه عليها الغبرة، كما أن القائل إذا قال هذا يوم يعفو فيه السلطان عن قوم ويعاقب فيه قوماً لا يدل على أنه ليس هناك من لا يستحق واحداً من الأمرين على أن الآية تدل على أن «الذين اسودت وجوههم» هم المرتدون، لأنه قال «أ كفرتم بعد إيمانكم» وليس كل الكفار هذه صورتهم، جاز لنا إثبات فاسقين مثل ذلك، وليس قوله: «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه» يجري مجرى قوله: «وإذا بشر أحدهم بالآتي ظل وجهه مسوداً» (١) لأن ذلك إنما ذكر على وجه المثل، كأنه قال حال الذي يبشر بالآتي بمنزلة حالة من اسود وجهه، لما حدث فيه من التغير: وإن لم يسود في الحقيقة. وعرفنا عن ذلك دليل، وليس في هذه الآية ما يدلنا على المدول عن ظاهرها.

وجواب أما في قوله: «فأما الذين اسودت» محذوف وتقديره «فأما الذين اسودت وجوههم» فيقال لهم «أ كفرتم بعد إيمانكم» فحذف لدلالة اسوداد الوجوه على حال التوبيخ حتى كأنه ناطق به، وقد يحذف القول في مواضع كثيرة استغناء بما قبله من البيان، كقوله: «ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا» (٢) أي يقولون ربنا لدلالة تنكيس الرأس من المجرم على سؤال الاقالة. وقيل في قوله تعالى «وإذ يرفض إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا» (٣) معناه يقول «ربنا تقبل منا» ومثله «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم» (٤) أي يقولون «سلام عليكم» ونظائر ذلك كثيرة جداً.

«١» سورة النحل آ ٦٨ . «٢» سورة الم السجدة آية : ١٢ .
«٣» سورة البقرة آية : ١٢٧ . «٤» سورة الرعد آية : ٢٥ .

قوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴾ (١٠٧) .

إن قيل : لم ذكر تعالى حال الكافرين وحال المؤمنين ولم يذكر حال الفاسقين ؟ قلنا : ليقابل اسوداد الوجوه لا يبيضاض الوجوه بالعلامتين ، وحال الفاسقين موقوفة على دلالة أخرى وآية أخرى . وقوله : « في رحمة الله » قيل في معناه قولان : أحدهما - انهم في نواب الله وان الرحمة هي الثواب .

والثاني - انهم في نواب رحمة الله ، حذف ، كما قال : « واسأل القرية » (٥) ذكره الزجاج . والاول أجود ، لأن الرحمة ههنا هي الثواب وإذا صح حمل الكلام على ظاهره من غير حذف كان أولى من تقدير محذوف منه من غير ضرورة . والآية تدل على أن نواب الله تفضل ، لأن رحمة الله إنما هي نعمته ، وكل نعمة فانه يستحق بها الشكر ، وكل نعمة تفضل ، ولو لم تكن تفضلا لم تكن نعمة . وقيل في وجه كونه تفضلا قولان :

أحدهما - إنما كان تفضلا ، لأن السبب الذي هو التكليف تفضل .

والثاني - إنه تفضل لأنه بمنزلة ايجاز الوعد في أنه تفضل مستحق ، لأن المبتدئ به قد كان له أن لا يفعله ، فلما فعله وجب عليه الوفاء به ، لأنه لا يجوز الخلف ، وهو مع ذلك تفضلا ، لأنه جر إليه تفضل ، واختار الرماني هذا الوجه . وإنما كرر الظرف في قوله : « في رحمة الله هم فيها خالدون » لأمرين :

أحدهما - للتأكيد ، والثاني - للبيان عن صحة الصفتين أنهم في رحمة الله ، وانهم فيها خالدون ، وكل واحدة قائمة بنفسها .

قوله تعالى :

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا

لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٨) آية بلا خلاف .

المعنى :

قال الفراء معنى « تلك آيات الله نتلوها عليك » أي مواعظه وحججه ومعنى « نتلوها » أي نقرأها عليك . والفرق بين تلك ، وهذه أن تلك إشارة إلى ما هو بعيد فجازت الإشارة بها إليه لانقضاء الآية وصلاح هذه لقربها في التلاوة ، ولو كانت بعيدة لم يصلح أحدهما مكان الآخر . وإنما قال « آيات الله نتلوها عليك بالحق » فقيدته (بالحق) ، لأنه لما حقق الوعيد بأنه واقع لا محالة نفى عنه حال الظلم كعادة أهل الخير ، ليكون الانسان على بصيرة في سلوك الضلالة مع الهلاك أو الهدى مع النجاة ، ومعنى « نتلوها عليك بالحق » أي معاملتي حق ، ويحتمل أن يكون المراد « نتلوها » المعنى الحق ، لأن معنى التلاوة حق من حيث يتعلق معتقدها بالشيء على ما هو به .

اللفظ ، والمعنى :

والفرق بين تلوت عليه ، وتلوت لديه أن عليه يدل على إقرار التلاوة ، لأن معنى عليه استعماله الشيء ، فهي تذيء عن استعماله بالظهور للنفس ، كما يظهر لها بعلو الصوت وليس كذلك لديه ، لأن معناه عنده . وفي الآية دلالة على فساد قول المجبرة : أن الله تعالى يريد الظلم ، لأنه لو أراد ظلم بعضهم لبعض ، لكان قد أراد ظلمهم وكذلك لو أراد ظلم الانسان لغيره ، لجاز أن يريد أن يظلمه هو ، لأنه لا فرق بيننا في القبح ، ويدل أيضاً على أنه لا يفعل ظلمهم ، لأنه لا يفعل مالا يريد .

وقوله : ﴿ وما الله يريد ظلاماً للعالمين ﴾ فيه نفي لأرادة ظلمهم على كل حال بخلاف ما يقولونه .

قوله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾

(١٠٩) آية .

النظم :

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ، وجه اتصال الدليل بالمدلول عليه ، لأنه لما قال : « وما الله يريد ظلاماً للعالمين » وصله بذكر غناه عن الظلم إذ الغني عنه العالم بقبحه ، ومعناه لا يجوز وقوعه منه .

المعنى :

وقوله : ﴿ وإلى الله ترجع الامور ﴾ لا يدل على أن الامور كانت ذاهبة عنه ، لا مسرين :

أحدهما - لأنها بمنزلة الذاهبة بهلاكها وفنائها ثم اعادتها ، لأنه تعالى يعيدها للجزاء على الاعمال والعوض على الآلام .

والثاني - لأنه قد ملك العباد كثيراً من التدبير في الدنيا فيزول جميع ذلك في الآخرة ويرجع إليه كله . وقوله : « والله ما في السماوات » معناه والله ملك ما في السماوات . والملك : هو ماله أن يتصرف فيه . ولا يجوز أن يقول مكان ذلك والله خلق ما في السماوات ، لأن ذلك يدخل فيه معاصي العباد ، والله تعالى منزه عنها والآية خرجت مخرج التعظيم لله تعالى ، وذكر عظيم المدح .

وفي وقوع المظهر بموقع المضمحل في قوله : ﴿ وإلى الله ترجع الامور ﴾ فيه

قولان :

أحدهما - ليكون كل واحد من الكلامين مكتفياً بنفسه .
والثاني - لأن المظهر في اسم الله تعالى أنعم في الذكر من المضمرة وصفة ملكه
موضع تفخيم ، وليس كقول الشاعر (١)

لا أرى الموت يسبق الموت شيء نعص الموت ذا الغنى والفقيرا (٢)
لأن البيت مفتقر إلى الضمير والآية مستغينة عنه وإنما احتاج البيت إليه ،
لأن الخبر الذي هو جملة لا يتصل بالخبر عنه إلا بضمير يعود إليه . (وما) تقع
على ما يعقل وما لا يعقل إذا ذهب به مذهب الجنس ، فما يعقل داخل فيه حقيقة
ولو قال بدلا منه والله من في السماوات بلقطة (من) لما دخل فيه إلا العقلاء أو الكل
على جهة التغليب دون الحقيقة .

قوله تعالى :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ لَكُنَّ
خَيْرَ أَلْهَمٍ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١١٠) آية واحدة .

النظم :

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها اتصال المدح على الفعل الذي تقدم به الأمر ،
لأنه قد تقدم إيجاب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ثم مدح على قبوله والتمسك
به ، ويجوز أيضاً أن يكون اتصال التعظيم لله تعالى بمدح المطيعين له في الأشياء
التي يدين ، لأنهم بلطف الله تعالى أطاعوا .

﴿ ١ ﴾ هو ندي بن زيد . وقيل إنه ينسب إلى ولده سودة بن ندي . ونسبه بعضهم
لامية بن أبي الصلت .

﴿ ٢ ﴾ حاشية البحرى : ٩٨ وشعره الجاهلية : ٤٦٨ ، وسيبويه ١ : ٣٠ وخزانة الأدب
١ : ١٨٣ ، ٣ : ٤٠٣٤ ، ٤ : ٥٥٢ ، وأمثالي بن الشجري ١ : ٢٤٣ ، ٢٨٨ ، وشرح شواهد
المعنى ٢٩٦ وهو من أبيات متفرقة في هذه الكتب وغيرها من الحكيم في التأمل في الحياة والموت .

المعنى :

وقوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ إنما لم يقل أنتم لأحد أمور :

أحدها - قال الحسن أن ذلك لما قد كان في الكتب المتقدمة ما يسمم من الخير في هذه الأمة من جهة البشارة . وقال نحن آخرها وأكرمها على الله . وكذلك روي عن النبي (ص) أنه قال (أنتم تتعمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله) فهو موافق لمعنى أنتم خير أمة إلا أنه ذكر « كنتم » لتقدم البشارة به ، ويكون التقدير « كنتم خير أمة » في الكتب الماضية فحققوا ذلك بالأفعال الجميلة . الثاني - أن كان زائده ودخولها وخروجها بمعنى ، إلا أن فيها تأكيديد وقوع الأمر لا محالة ، لأنه بمنزلة ما قد كان في الحقيقة ، كما قال « واذكروا إذ أنتم قليل » (١) وفي موضع آخر « واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم » (٢) ونظيره قوله : « وكان الله غفورا رحيما » لأن مغفرته المستأنفة كالماضية في تحقيق الوقوع لا محالة .

الثالث - أن (كان) تامة ههنا ومعناه حدثتم خير أمة ويكون خير أمة نصبا

على الحال .

والرابع - « كنتم خير أمة » في اللوح المحفوظ .

والخامس - كنتم مذ أنتم ليبدل على أنهم كذلك مذ أول أمرهم . واختلف المفسرون في المعنى بقوله : « كنتم خير أمة » فقال قوم : هم الذين هاجروا مع النبي (ص) ذكره ابن عباس ، وعمر بن الخطاب ، والسدي . وقال عكرمة : نزلت في ابن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل . وقال الضحاك : هم أصحاب رسول الله (ص) خاصة . وقال مجاهد معناه « كنتم خير أمة » إذا فعلتم ، ما تضمنته الآية من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . والايان بالله والعمل بما أوجبه . وقال الربيع : معناه « كنتم خير أمة » ، لأنه لم

« ١ » - سورة الانفال آية : ٢٦ .

« ٢ » - سورة الاعراف آية : ٨٥ .

يكن أمة أكثر استجابة في الاسلام ، من هذه الأمة . فان قيل : لم قيل للحسن معروف مع أن القبيح أيضاً يعرف أنه قبيح ، ولا يجوز أن يطلق عليه اسم معروف ؟ قلنا : لأن القبيح بمنزلة مالا يعرف لحوله وسقوطه . والحسن بمنزلة النبي الذي يعرف بجلالته وعلو قدره . ويعرف أيضاً بالملابسة الظاهرة والمشاهدة فأما القبيح ، فلا يستحق هذه المنزلة . وقوله : ﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم ﴾ معناه لو صدقوا بالنبي (ص) وقوله : « منهم المؤمنون » يعني معترفون بما دلت عليه كتبهم في صفة نبينا (ص) ، والبشارة به . وقيل : إنها تناولت من آمن منهم كعبد الله بن سلام ، وأخيه ، وغيرها . وقوله : ﴿ وأكثرم الفاسقون ﴾ يعني من لم يؤمن منهم ، وإنما وصفهم بالفسق دون الكفر الذي هو أعظم ، لأن الغرض الاشعار بأنهم خرجوا بالفسق عما يوجبهم من الاقرار بالحق في نبوة النبي (ص) . وأصل الفسق الخروج . ووجه آخر وهو أنهم في الكفار بمنزلة الفساق في العصاة بخروجهم إلى الحال الفاحشة التي هي أشنع وأفظع من حال من لم يقدم إليه ذكر فيه ، وليس في الآية ما يدل على أن الاجماع حجة على ما بيناه في أصول الفقه . وتلخيص الشافي ، وجملة أن هذا الخطاب لا يجوز أن يكون المراد به جميع الأمة ، لأن أكثرها بخلاف هذه الصفة بل فيها من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف . ومتى كان المراد بها بعض الأمة ، فنحن نقول ان في الامة من هذه صفته ، وهو من دل الدليل على عصمته ، فمن أين لو أنا ، فرضنا فقدهم ، لكان إجماعهم حجة واستوفينا هناك ما تقتضيه الأسئلة والجوابات ، فلا نطول بذكره ههنا .

قوله تعالى :

﴿ لَنْ يَضُرَّوْكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُبْلِغُوكُمُ الْاِدْبَارَ ثُمَّ

لَا يُنصِرُونَ ﴾ (١١١) آية .

النظم :

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها اتصال البشارة بالغلبة بما تقدم من الامر

بالمحاربة ، لأنه قد تقدم الأمر بانكار المنكر ، فالقريضة اللازمة إذ لم تترك إلا بالمحاربة .

المعنى ، والاعراب :

والأذى المذكور في الآية هو أن يسمعوا منهم كذباً على الله يدعونهم به إلى الضلالة في قول الحسن ، وقتادة يقول أهل الحجاز أذيتني إذا أسمعته كلاماً يثقل عليه . وقال البلخي ، والطبري الاستثناء منقطع ههنا ، لأن الأذى ليس من الضرر في شيء ، وهذا ليس بصحيح ، لأنه إذا أمكن حمله على الاستثناء الحقيقي لم يجز حمله على المنقطع . والمعنى في الآية إن يضرركم إلا ضرراً يسيراً ، فلا أذى وقع موقع المصدر الأول . وإذا كان الأذى ضرراً فلا استثناء متصل . والمنقطع لا يكون فيه الثاني مخصصاً للأول ، كقولك ماني الدار أحد إلا حماراً ، وكقولك ما زاد إلا ما نقص وما نفع إلا ما ضر . وقوله : ﴿ وإن يقاتلوكم ﴾ جزم ، لأنه شرط « ويولوكم » جزم لأنه جزاء . وقوله : ﴿ ثم لا يفترون ﴾ رفع على الاستئناف ، ولم يعطف ليجري الثاني على مثال الأول ، لأن سبب التولية القتال . وليس كذلك منع الضر ، لأن سببه الكفر . والرفع أشكل برؤس الآي المتقدمة ، وهو مع ذلك عطف جملة على جملة . وفي الآية دلالة على النبوة ، لوقوع مخبرها على ما تضمنته قبل وقوع مخبرها ، لأن يهود المدينة من بني قريظة وبني النضير ، وبني قينقاع ويهود خيبر الذين حاربوه (ص) والمسلمين ما قاتلوهم قط إلا ولوا الأديار منهزمين .

فه له تعالى :

﴿ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ أَيْنَمَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَئِيلٍ

مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بَانِهِمْ

كانوا يكفرون بآيات الله وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا
وكانوا يَعْتَدُونَ (١١٢) آية بلا خلاف .

المعنى ، واللفظ ، والاعراب :

قال الحسن : المعنى بقوله : « ضربت عليهم الذلة » اليهود أذلهم الله عز
وجل ، فلا عز لهم ولا منعة ، وأدركتهم هذه الأمة . وإن المجوس لتجبيهم الجزية
« وضربت » مأخوذة من الضرب ، وإنما قيل ضربت ، لأنها ثبتت عليهم كما ثبتت بالضرب
كما أخذت منه الضريبة ، لأنها ثبتت على صاحبها كما ثبتت بالضرب . وقوله : « أينما
تقفوا » أي أينما وجدوا ، يقال : ثقفته أي وجدته ، ولقيته . فإن قيل : كيف
جاز عقابهم على ما لم يفعلوه من قتل الانبياء . وإنما فعله أسلافهم دونهم . قلنا :
عنه جوابان :

أحدهما - أنهم عوقبوا على رضاعهم بذلك . وأجرى عليهم صفة القتل لعظم
الجرم في رضاعهم به ، فكأنهم ، فعلوه على نحو « يذبح أبناءهم » وإنما أمر به .
والثاني - أن تكون الصفة تعم الجميع ، فيدخلوا في الجملة ويجري عليهم
الوصف على التغليب كما يغلب المذكر على المؤنث إذا اجتمعا ، فكذلك غلب القاتل
على الراضي . وقوله : ﴿ إلا بجبل من الله ﴾ فالجبل هو العهد من الله ، وعهد من
من الناس على وجه الذمة ، وغيرها من وجوه الأمان في قول ابن عباس ، والحسن
ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، والربيع . وسمي العهد جبلا ، لأنه يعقد به الأمان
كما يعقد بالجبل من حيث يلزم به الشيء كما يلزم بالجبل . وقال الاعشى :

فاذا نجوزها حبال قبيلة أخذت من الأخرى اليك حبالها (١)
والعامل في الباء من قوله « إلا بجبل من الله » يحتمل أن يكون العامل
محدوفا والمعنى إلا أن تعصموا بجبل من الله على قول الفراء وأنشد :

رأتني بجبليها فصدت مخافة وفي الجبل روعاء الفؤاد فروق (١)
 أراد رأني أقبلت بجبليها فحذف العامل في الباء وقال آخر : (٢)
 قريب الخطو بحسب من رأني ولست مقيداً أي بقيد (٣)
 قال الرماني ، علي بن عيسى ما ذكره الفراء ضعيف من وجهين :

أحدهما - حذف الموصول وذلك لا يجوز عند البصريين في شيء من الكلام
 لأنه إذا احتاج إلى صلة تبين عنه فالحاجة إلى البيان عنه بذكره أشد . وإنما يجوز
 حذف الشيء للاستغناء بدلالة غيره عليه ، فلو دل دليل عليه لحذف مع صلته ، لأنه
 معها بمنزلة شيء واحد . والوجه الآخر أن الكلام إذا صح معناه من غير حذف لم
 يحز تأويله على الحذف . وقوله ﴿ إلا بجبل ﴾ قيل في هذا الاستثناء قولان :

أحدهما - أنه منقطع ، لأن الدلالة لازمة لهم على كل حال ، فيجري مجرى
 قوله : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ » (٤) فعامل الاعراب موجود
 والمعنى على الانقطاع . ومثله « لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قبيلاً سلاماً » (٥)

« ١ » قوله حميد بن نور الهلالي ديوانه : ٣٥ ، ومعاني القرآن للفراء : ١ ، ٢٣٠ ،
 واللسان (نسم) ، (فرق) ، (جبل) . ورواية الديوان :

بجئت بجبليها فردت مخافة إلى النفس روعاء الجنان فروق
 ورواية اللسان مخافة ففي مادة (جبل) مثل التبيان وفي مادة (فرق) :
 رأني بجبليها فصدت مخافة وفي الجبل روعاء الفؤاد فروق
 وفي مادة (نسم) :

رأني بذبليها فردت مخافة إلى الصدر روعاء الفؤاد فروق
 « ٢ » هو أبو الطمحل القيني ، حنظلة بن الشترقي من بني كنانة بن القين وهو أحد
 المعمرين . وقيل أنه لعدي بن زيد . وقيل لسحاج بن سباع الضبي .

« ٣ » كتاب المعمرين : ٥٧ ، ومعاني القرآن للفراء : ١ ، ٢٣٠ ، والاشعري طبعه ،
 دار الثقافة - بيروت - ٤ : ٣١٣ ، ٣١٨ ، وطبعة ليدن : ١٢ : ٣٤٧ ، وجماعة البحراني : ٢٠٢ ،
 وأمالي القاضي : ١ : ١١٠ وأمالي الشريف المرتضى : ١ : ٤٦ ، ٢٥٧ واللسان (ختل) وشيخها كثير .
 « ٤ » سورة النساء آية : ٩١ .

« ٥ » سورة الواقعة آية : ٢٥ . وكان في المطبوعة « لا يسمعون فيها لغواً إلا قبيلاً سلاماً »
 والآيات التي يحتمل أن يستشهد بها الشيخ اثنتان الأولى هي التي أثبتناها ، والثانية في سورة مريم
 آية : ٦٤ وهي « لا يسمعون فيها لغواً إلا لأمناً » . ولا يوجد في القرآن آية مطابقة لما في
 المطبوعة إلا بزيادة أو نقصان .

وكل انقطاع فيه فأعما هو لازالة الايهام الذي فيه يلحق الكلام فقوله : « لا يسمعون فيها لغواً » قد يتوهم أنه من حيث لا يسمعون فيها كلاماً ، ففيل لذلك « إلا قبيلاً سلاماً » وكذلك « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً » قد يتوهم أنه لا يقتل مؤمن مؤمناً على وجه ، ففيل لذلك « إلا خطأ » . وكذلك « ضربت عليهم الذلة » قد يتوهم أنه من غير جواز موادة ، ففيل إلا بحبل من الله .

الثاني - أن الاستثناء متصل ، لأن عز المسلمين عز لهم بالذمة ، وهذا لا يخرجهم من الذلة في أنفسهم . وقوله : « وباؤا بغضب من الله » أي رجعوا بغضب الله الذي هو عقابه ولعنه . وقوله : « وضربت عليهم المسكنة » قيل أريد بالمسكنة الذلة لأن المسكين لا يكون إلا ذليلاً فسمي الذليل مسكيناً . وقيل ، لأن اليهود أبدأ يتفاخرون وان كانوا أغنياء لما رماهم الله به من الذلة . وقد بينا فيما تقدم أن قوله : « ويقتلون الانبياء بغير حق » (١) لا يدل على أن قتلهم يكون بحق وإنما المراد أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق ، كما قال « ومن يدع مع الله الهاً آخر لا برهان له به » والمراد ان ذلك لا يكون إلا بغير برهان وكقول امرئ القيس :

على لاجب لا يهتدى بمناره (٢)

ومعناه لا منار هناك فيهتدى به . وقوله : « يعمدون » قد بينا فيما تقدم معنى الاعتداء وهو أن معناه تجاوز الحد مأخوذ من العدوان .

قوله تعالى :

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ

آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (١١٣) آية .

(١) - سورة آل عمران آية ٢١ و سورة البقرة آية ١٦١ ولكن هناك في الآيتين (النبيين) وفي هذه الآية (الأنبياء) .

النزول :

قال ابن عباس ، وقتادة ، وابن جرير سبب نزول هذه الآية أنه لما أسلم عبد الله بن سلام وجماعة معه قالت أخبار اليهود ما آمن بمحمد إلا أشرارنا ، فأنزل الله تعالى « ليسوا سواء » إلى قوله : « وأولئك من الصالحين » .

اللفظ ، والاعراب ، المعنى :

فإن قيل لم ذكر مع سواء أحد الفريقين دون الآخر ، ولا يجوز مثله أن يقول سواء علي قيامك حتى يقول أم فعودك قلنا عنه جوابان : أحدهما - أنه محذوف لدلالة ما تقدم من الكلام عليه ، كما قال أبو ذؤيب : عصاني إليها القاب إنى لأمرها مطيع فما أدري أرشد طلابها ؟ ولم يقل أم غي ، لأن الكلام يدل عليه ، لأنه كان يهواها فما يبالي أرشد أم غي طلابها . وقال آخر :

أراك فلا أدري أم همته وذو الهم قدما خاشع متضائل
ولم يقل أم غيره ، لأن حاله في التغير ينبيء أن الهم غيره أم غيره مما يجري مجراه ، وهذا قول الفراء ، وضعفه الزجاج ، وقال ، ليس بنا حاجة إلى تقدير محذوف ، لأن ذكر أهل الكتاب قد جرى في قوله : « يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء » فتبين أن فيهم غير المؤمنين ، فلا يحتاج أن يقدر وأمة غير قائمة .

الثاني - أن يكون ليسوا سواء منهم الجواد ، والشجاع ، فعلى القول الأول يكون رفع أمة على معنى العمل ، وتقديره لا يستوي أمة هادية وأمة ضالة . وعلى القول الثاني يكون رفعها بالابتداء . وقال الطبري لا يجوز الاقتصار في سواء على أحد الذكربين دون الآخر . وإنما يجوز في ما أدري وما أبالي . قال الرماني : وهذا غلط ، لأنه ذهب عليه الفرق بين الاقتصار والحذف لأن الحذف لا بد فيسه من خلف يقوم مقامه . والاقتصار ليس كذلك ، لأنه كالاقتصار على أحد المفعولين

في أعطيت ، وحذفه في حسبت مرتجلاً أي لسا . واختلف فيه دلالة الحال ، فأما أعطيت زبداً ، فلا محذوف فيه ، لأنه ليس معه خلف يقوم مقامه .
وقوله : (فائمة) فيه أربعة أقوال : قال الحسن وابن جريج معناه عادلة .
وقال ابن عباس ، وقتادة ، والربيع : معناه ثابتة على أمر الله . وقال السدي معناه فائمة بطاعة الله وقال الاخفش ، والزجاج : معناه ذو أمة مستقيمة ، وهذا ضعيف لأنه عدول عن الظاهر في أمة والحذف لا دلالة عليه . وقوله : (أناء الليل) قيل في واحده قولان :

أحدهما - أي مثل نجي .

والثاني - أي مثل معي . وحكى الاخفش أنو ، والجمع أناء . قال الشاعر :

حلو ومر كعطف القدح مرته بكل أي حذاه الليل يفتعل (١)

وروي ينتشر . وقال الحسن ، والربيع ، وعبد الله بن كثير معناه ساعات الليل . وقال ابن مسعود يريد صلاة العتمة ، لأن أهل الكتاب لا يعلمونها ، وقال الثوري عن منصور هو الصلاة بين المغرب والعشاء . وقال السدي يعني جوف الليل . وقوله : (وهم يسجدون) فيه قولان :

أحدهما - السجود المعروف في الصلاة .

الثاني - قال الفراء ، والزجاج معناه يصلون . وبه قال البلخي ، وغيره ، لأن القراءة لا تكون في السجود ، ولا في الركوع ، وهذا ترك للظاهر ، وعدول عنه . ومعنى الآية يتلون آيات الله أناء الليل وهم مع ذلك يسجدون ، فليست الواو حالاً وإنما هي عطف جملة على جملة ، والضمير في قوله (ليسوا) طائد على أهل الكتاب ، لتقدم ذكرهم ، وقال أبو عبيدة هو على لغة أكلوني البراغيث . ومثله قوله :

(١) قوله المنخل المنخل وقد نسيه بعضهم إلى المنخل السدي .

ديوان الخليلي ٢ : ٣٥ وجماز القرآن ١ : ١٠٢ وسيرة بن هشام ٢ : ٢٠٦ ورواية اللسان (أبي) والأزهري عن ابن الأنباري :

السالك الثغر خشياً موارد ... بكل أي فضاء الليل يفتعل

وفي الديوان (حذاه) بدل (حذاه) فقط .

« صموا وسموا كثير منهم » (١) وقال الشاعر :

رأى ابن الغواني الشيب لاح بعارضي فاعرضن عني بالحدود النواضر (٢)
قال الرماني ، وهذا غلط ، لأن هذه اللغة ردية في القياس والاستعمال أما
القياس ، فلان الجمع عارض ، والعارض لا يؤكده علامته ، لأنه بمنزلة مالا يعتد به ،
في سائر أبواب العربية وليس كالثابت للزومه فتقدم له العلامة لتؤذن به قبل
ذكره ومع ذلك فجاز تركها فيه ، فكيف بالعارض ، ولزوم الفعل للفاعل يغني عن
التثنية والجمع فيه ، فلا يدخل جمع على جمع كما لا يدخل تعريف على تعريف . وأما
الاستعمال ، فلان أكثر العرب على خلافه .

قوله تعالى :

﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١١٤)
آية واحدة .

المعنى :

هذه الآية فيها صفة الذين ذكرهم في الآية التي قبلها في قوله : « أمة قاعة
يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون » فاضاف إلى ذلك أنهم مع ذلك يصدقون
بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وقد بينا أن الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ، وأنه ليس طريق وجوبها العقل ، وإنما طريق
وجوبها السمع ، وعليه إجماع الأمة . وإنما الواجب بالعقل كراهة المنكر ، فقط
غير أنه إذا ثبت بالسمع وجوبه ، فعلينا إزالة المنكر بما يقدر عليه من الأمور الحسنة
دون القبيحة ، لأنه لا يجوز إزالة قبيح بقبيح آخر ، وليس لنا أن نترك أحداً

﴿ ١ ﴾ سورة المائدة آية : ٧٤ .

﴿ ٢ ﴾ شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك ١ : ٣٩٩ وغيرها من كتب النحو كثير .

يميل بالمعاصي إذا أمكننا منعه منها سواء كانت المعصية من أفعال القلوب مثل اظهار المذاهب الفاسدة أو من أفعال الجوارح ، ثم ننظر ، فان أمكننا إزالته بالقول ، فلا نزيد عليه ، وان لم يمكن إلا بالمنع من غير إضرار لم نزد عليه ، فان لم يتم إلا بالدفع بالحرب ، فعلنا على ما بيناه فيما تقدم ، وان كان عند أكثر أصحابنا هذا الجنس موقوف على السلطان أو اذنه في ذلك . وانكار المذاهب الفاسدة ، لا يكون إلا باقامة الحجج والبراهين والدعاء إلى الحق ، وكذلك إنكار أهل الذمة فأما الانكار باليد ، فقصور على من يفعل شيئاً من معاصي الجوارح ، أو يكون باغياً على إمام الحق ، فانه يجب علينا قتاله ودفعه حتى يفىء إلى الحق ، وسبيلهم سبيل أهل الحرب ، فان الانكار عليهم باليد والقتال حتى يرجعوا إلى الاسلام أو يدخلوا في الذمة . وقوله : ﴿ ويسارعون في الخيرات ﴾ يحتمل أمرين :

أحدهما - أنهم يبادرون إليها خوف القوات بالموت .

والثاني - يعملونها غير متناقلين فيها لعلمهم بجلالة موقعها ، وحسن عاقبتها .

المعنى :

والفرق بين السرعة والمجلة ان السرعة هي التقدم فيما يجوز أن يتقدم فيه وهي محمودة وضدها الابطاء وهو مذموم . والمجلة هي التقدم فيما لا ينبغي أن يتقدم فيه وهي مذمومة وضدها الاناة وهي محمودة .

قوله تعالى :

« وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَإِنَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ »

(١١٥) آية بلا خلاف .

الفراة والحجة والاعراب :

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر بالياء فيها . الباكون بالتاء إلا أبا عمرو ، فانه

كان يخير ، ووجه القراءة بالياء أن يكون كناية عن تقدم ذكره من أهل الكتاب ليكون الكلام على طريقة واحدة ، ووجه التاء أن يخلطهم بغيرهم من المكافين ، ويكون خطاباً للجميع في أن حكمهم واحد .

وإنما جوزي بـ (ما) ولم يجاز بـ (كيف) لأن (ما) أمكن من (كيف) لأنها تكون معرفة ونكرة ، لأنها للجنس و (كيف) لا تكون إلا نكرة ، لأنها للحال ، والحال لا تكون إلا نكرة ، لأنها للفائدة

المعنى والمعنى :

وقوله : ﴿ فلن يكفروا ﴾ مجاز كما أن الصفة لله بأنه شاكر مجاز . وحقيقته أنه يثيب على الطاعة ثواب الشاكر على النعمة ، فلما استعير للثواب الشكر واستعير لنقيضه من منع انثواب الكفر ، لأن الشكر في الاصل هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ، والكفر ستر النعمة من المنعم عليه بتضييع حقها . ومعنى الآية فلن يمنعوا ثوابه ، وسمي منع الجزاء كفراً ، لأنه بمنزلة الجحد له بستره ، لأن أصل الكفر الستر ، ولذلك قيل لجاحد نعم الله ومن جرى مجراه في الامتناع من القيام بحقها : كافر ، فالكافر هو المضيع لحق نعمة الله بما يجري مجرى الجحود . وقوله : ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾ إنما خص المتقين بالذكر ، لأن الكلام اقتضى ذكر جزاء المتقين ، فدل على أنه لا يضيع شيء من عملهم ، لأن المجازي به عليم ، وأنهم أمر أمرهم الفجار تعويلاً على ما ذكره في غيرها من أي الوعيد .

قوله تعالى :

﴿ لَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١١٦) آية .

المعنى :

لما ذكر تعالى أن عمل المتقين لن يضيع ، وأنهم يجازون به ، استأنف حكم

الكافرين ، وبين انه « لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم » شيئاً من الله وإنما خص الأموال ، والأولاد بالذكر في أنهم لا يغنون عن الكافر شيئاً وإن كان لا يغني عنهم غير هؤلاء أيضاً شيئاً ، لأنها معتمد ما يقع به الاعتداد ، ومما يعول عليه الانسان ويرجوه للشدائد ويفيد النفي العام ، لأنه إذا لم يغن عنه من هو حقيق بالغناء لمع من لا يمجزه شيء فغناه من دونه أبعد .

اللفظ :

وقوله : ﴿ وأولئك أصحاب النار ﴾ إنما سموا أصحاب النار ، لزومهم فيها كما يقال هؤلاء أصحاب الصحراء إذا كانوا ملازمين لها ، وقد يقال أصحاب العقار بمعنى ملاكهم وأصحاب الرجل أتباعه وأعوانه وأصحاب العالم من يعني به الآخذون عنه ، والمتعلمون عنه ، فالإضافة مختلفة . ومعنى « لن تغني عنهم » أي لن تدفع عنهم ضرر الولاء النازل بهم ولو قيل أغناه كذا عن كذا أفاد أن أحد الشئيين صار بدلاً من الآخر في نفي الحاجة ، والغنى الاختصاص بما ينفي الحاجة ، فإن اختص بهال ينفي الحاجة ، فذلك غنى . وكذلك الغنى بالجاء والأصحاب وغير ذلك ، فأما الغنى في صفت الله فأختصاصه بكونه قادراً على وجه لا يمجزه شيء ، وقولنا فيه : أنه غنى معناه أنه لا يجوز عليه الحاجة .

وأصل النار النور ، وهو مصدر . والنار جنس تجري مجرى الوصف في تضمنه معنى الأصل وزيادة عليه ، لأنها جسم لطيف فيه حرارة ونور . ومنه امرأة نوار أي نافرة عن الشر عفيفة ، لأنها كالنار في الامتناع . ومنه المنار الأعلام ، لأنها كالنور في البيان . ومنه المنارة التي يسرج عليها .

قوله تعالى :

﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ

أَصَابَتْ حَرًّا قَوْمٌ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلِكْتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَسْكَنُ

أنفسهم يظلمون ﴿ (١١٧) آية .

النزول :

قيل ان هذه الآية نزلت في أبي سفيان ، وأصحابه يوم بدر ، لما تظاهروا على النبي (ص) في الانفاق . وقيل بل نزلت في نفقة المنافقين مع المؤمنين في حروب المشركين على وجه النفاق للمؤمنين .

المعنى :

والمثل الشبه الذي يصير كالملم لكثرة استعماله فيما مشبه به ، فلما كان إنفاق المنافق والكافر ضائعاً ، ويستحق عليه العقاب والذم أشبه الحرق المهلك ، فذلك ضرب به المثل . وفي الآية حذف ، وتقديرها مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك « ريح فيها صر أصابت حرق قوم ظلموا أنفسهم » حذف الإهلاك لدلالة آخر الكلام عليه وفيه تقدير آخر : مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح ، فيكون تشبيه ذلك الانفاق بالمهلك من الحرق بالرياح .

اللفظ :

والريح جمعه رياح ومنه الروح ، لدخول الريح الطيبة على النفس ، وكذلك الارتياح . والروح الراحة من التعب ، لأنه بمنزلة الروح الذي يدخل على النفس بزوال التعب . ومنه الاستراحة ، والمراحة ، لأنها تجلب الريح . ومنه الروح ، لأنها كالريح في اللطافة ومنه الرائحة ، لأن الريح تحملها إلى الحس ، ومنه الرواح ، لأنه رجوع كالريح ، للاستراحة .

وقوله : « فيها صر » قال ابن عباس ، والحسن ، وقنادة ، والربيع ، والسدي ، وابن زيد ، والضحاك : هو البرد وأصله الصوت من الصرير . قال الزجاج : الصر صوت لهب النار التي كانت في تلك الريح ويجوز أن يكون الصر صوت الريح الباردة

الشديدة ، وذلك من صفات الشمال ، فإنها توصف بان لها قعقمة .

المعنى :

وقوله : ﴿ وما ظلمهم الله ﴾ نفي للظلم عن الله تعالى يعني في نفي استحقاقهم للشواب ، واستحقاقهم للعقاب ، وإن ذلك ليس بظلم منه تعالى « ولكن أنفسهم يظلمون » بذلك . وإنما وصفهم بأنهم ظلموا أنفسهم ، لأمرين :

أحدهما - أن ظلمهم اقتضى هلاك حرثهم عقوبة لهم ، لأنه لو هلك على جهة الابتلاء والمحنة لم يمتد بعاجل المضرة ، للعوض الموفى عليه في العاقبة .

الثاني - أن يكونوا ظلموا أنفسهم بأن زرعوا في غير موضع الزرع أو في غير وقت الزراعة ، فجاءت الريح فأهلكته تأديباً من الله لهم في وضع الشيء غير موضعه الذي هو حقه .

وقوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يآلؤنكم خبلاً وادّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر وقد بينا لكم الآيات إن كنتم تعلمون ﴾ (١١٨)
آية بلا خلاف .

المعنى :

ذكر ابن عباس ، والحسن ! أن قوماً من المؤمنين خافوا بعض المشركين من اليهود ، والمنافقين المودة لما كان بينهم في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن ذلك بهذه الآية . والبطانة معناها هنا خاصة الرجل الدين يستبطنون أمره ويسمون دخلاء أي لا تجعلوا من هذه صفته من غير المؤمنين .

المغز، والاعراب

والبطن خلاف الظهر ، فمنه بطانة الثوب خلاف ظهارته ، لأنها تلي بطنه .
وبطانة الرجل خاصته ، لأنها بمنزلة ما يلي بطنه من ثيابه في القرب منه ، ومنه البطنة
وهو امتلاء البطن بالطعام . والبطان حزام البعير ، لأنه يلي بطنه .

وقوله : ﴿ من دونكم ﴾ (من) محتمل وجهين :

أحدهما - أن تكون دخلت للتبعيض ، والتقدير لا تتخذوا بعض المخالفين

في الدين بطانة . .

والثاني - أن يكون دخولها لتبين الصفة كأنه قيل : لا تتخذوا بطانة من
المشركين . وهو أعم وأولى ، لأنه لا يجوز أن يتخذ مؤمن كافراً بطانة على حال
وقال بعضهم إن (من) زائدة ، وهذا ليس بجيد ، لأنه لا يجوز أن يحكم بالزيادة
مع صحة حملها على الفائدة .

وقوله : ﴿ لا يألونكم خبالا ﴾ معناه لا يقصرون في أمركم خبالاً من قولهم
ما ألوت في الحاجة جهداً ، ولا ألو الأمر ألو أي لا أقصر جهداً . وقال الشاعر :

جهراء لا تألو إذا عي أظهرت بصراً ولا من عيلة تغنيني (١)

أي لا تقصر بصراً ولا تبصر ، لأنها جهراء تطلب ذلك ، فلا تجده .
ومنه الالية اليمين . ومنه قوله : « ولا يأتل أولو الفضل منكم » (٢) معناه لا يقصر ،
وقيل لا يحلف . والأصل التقصير والخبال معناه الشكال . وأصله الفساد يقال في
قوائمه خبل ، وخبال أي فساد من جهة الاضطراب . ومنه الخبل الجنون ، لأنه
فساد العقل ، ورجل مخبل الرأي أي فاسد الرأي . ومنه الاستخبال طلب إعادة
المال لساد الزمان .

« ١ » قاله أبو العيال الهذلي . ديوان الهذليين ٢ . ٢٦٣ ، والسان (ألا) و (جهر)
وهو من شعر في مقدمات بينه وبين بدر بن جاسر الهذلي . الجراء : هي التي لا تعرف الشمس .

« ٢ » - سورة النور آ : ٢٢ .

المعنى :

وقوله : ﴿ ودوا ﴾ معناه أحبوا « ما عنتم » معناه إدخال المشقة عليكم .
وقال السدي : معناه « ودوا » ضلالكم عن دينكم ، لأن الحمل بالضلال مشقة .
وقيل معناه « ودوا » أن يفتنوكم في دينكم أي يحملونكم على المشقة ذكره ابن جريج .

اللفظ :

وأصل العنت المشقة : عنت الرجل عنتاً إذا دخلت عليه المشقة . ومنه أكمة
عنوت أي صعوبة السلك المشقة السلوك فيها . وفلان يعنت فلاناً أي يحمله على المشقة
الشديدة في ما يطالبه به . ومنه قوله تعالى : « ولو شاء الله لاعتنكم » (١) .

الاعراب ، والمعنى :

وموضع ودوا يحتمل أن يكون نصباً لأنه صفة لبطانة ويجوز أن يكون له
موضع من الاعراب ، لأنه استئناف جملة . وقوله : ﴿ قد بدت البغضاء من
أفواههم ﴾ أي ظهر منها ما يدل على البغض « وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم
الآيات » يعني العلامات « إن كنتم تعلمون » يعني موضع نفعه لكم ومبلغ عائدته
عليكم . وقيل : معناه « إن كنتم تعلمون » الفصل بين ما يستحقه الولي والعدو .
قوله تعالى :

﴿ ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب
كله وإذا لقوكم قاروا آمناً وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ
قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ﴾ (١١٩) آية
بلا خلاف .

المعنى ، و اللغة ، و الـعـراب :

هذا خطاب للمؤمنين أعلمهم الله تعالى أن منافقي أهل الكتاب لا يحبونهم وأنهم هم يصحبون هؤلاء المنافقين بالبر والمصيحة ، كما يفعله المحب ، وإن المنافقين على ضد ذلك ، فأعلمهم الله ما يسره المنافقون في باطنهم ، وذلك من آيات النبي (ص) قال الفراء : العرب إذا جاءت إلى اسم مكنى قد وصف بهذا ، وهذان ، وهؤلاء ، فرقوا بين (ها) وبين (ذا) فجعلوا المكنى منها في جهة التقريب ، لا غير يقولون : أين أنت ، فيقول القائل : هاأنذا ، ولا يكادون يقولون ها أنا . ومثله في التثنية والجمع . ومثله قوله : «ها أنتم أولاء تحبونهم» وربما أعادوها فوصاها بهذا ، وهذان وهؤلاء ، فيقولون ها أنت هذا قائما ، وها أنتم هؤلاء . قال الله تعالى : «ها أنتم هؤلاء جادلتم» (١) فان كان الكلام على غير تقريب أو كان على خبر يكتفي كل واحد منها بصاحبه بلا فعل ، والتقريب لا بد فيه من فعل لنقصانه وأحبوا أن يفرقوا بين معنى التقريب ، وبين معنى الاسم الصحيح ، قال الازهري : يحتمل أولا أن يكون منادى كأنه قال يا أولاء . وقال نحاة البصريين (ها) للتثنية . وأنتم مبتدأ وأولاء خبره ويحبونهم حال . وقال الفراء : يحبونهم خبر . وقال الزجاج : يجوز أن يكون أولاء بمعنى الذين ويحبونهم صلة ويكون التقدير الذين يحبونهم . ويجوز أن يكون حالا بمعنى «ها أنتم أولاء» محبين لهم . ويكون «أنتم» مبتدأ وأولاء خبره . ويحبونهم حالا والمعنى انظروا إلى أنفسكم محبين لهم ولا يجوز أن تقول : ها قومك أولاء ، كما جاز «ها أنتم أولاء» ، لأن المضمرة أحق بـ (ها) التي للتثنية ، لأنه كالمبهم في عموم ما يصلح له . وليس كذلك الظاهر . وقال الفراء : إنما ذلك على جهة التقريب في المضمرة ، والاعتماد على غيره في الخبر . قال الحسن بن علي المغربي أولاء يعني به المنافقين ، كما تقول ما أنت زيدا يحبه ، ولا يحبك . وهذا مליح غير أنه يحتاج أن يقدر عامل في أولاء ينصبه ، يسره قوله :

« يحبونهم » لأنه مشغول لا يعمل فيما قبله كقوله : « والقمر قدرناه » (١) في من نصبه وأولاء للرجال ، ولذئساء أولات . وهو مبني على الكسر . وكان الأصل السكون والألف قبلها ساكنة فحرك لالتقاء الساكنين على أصل الكسرة . وقوله : « وتؤمنون بالكتاب كله » الكتاب واحد في موضع الجمع ، لأنه أريد به الجنس ، كما يقال كثر الدرهم في أيدي الناس ويحتمل أن يكون مصدراً من قولك كتبت كتاباً . والمراد بالكتاب هنا كتب الله التي أنزلها على أنبيائه وفي إفراده ضرب من الإيجاز ، واشتعار بالتفصيل في الاعتقاد ، لأنهم يؤمنون بها في الجملة . والتفصيل من حيث يؤمنون بما أنزل على إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد (ص) وسائر الانبياء . وقوله : « وإذا لقوكم قالوا آمنا » معناه إذا رأوكم قالوا صدقنا « وإذا خلوا » مع أنفسهم « عضوا عليكم الأنامل من الغيظ » فأعض بالاسنان . ومنه العض علف الامصار ، لأن له مضغة في العض يسمن عليها المال . ومنه رجل عض : لزاز الخضم ، لأنه يعض بالخصومة . وكذلك رجل عض فحاش ، لأنه يعض بالفحش والأنامل أطراف الأصابع في قول قتادة ، والربيع ، وأصلها النمل المعروف ، فهو مشبه به في الرقة ، والتصرف بالحركة . ومنه رجل نمل أي نمام ، لأنه ينقل الأحاديث الكرهة كنقل النملة في الخفاء والكثرة . وواحد الأنامل أمثلة . قال الزجاج ولم يأت على هذا المثال ما يعني به الواحد إلا شذ ، فأما الجمع ، فكثير نحو أفلس وأكعب وقوله : « قل موتوا بغيظكم » معناه الأمر بالدعاء عليهم . وإن كان لفظه لفظ الأمر ، كأنه قال قل : أماتكم الله بغيظكم وفيه معنى النعم لهم ، لأنه لا يجوز أن يدعى عليهم هذا الدعاء إلا وقد استحقوه بقبائح ما أتوه .

قوله تعالى :

﴿ إِنْ تَمْسِكُمْ حَسَنَةٌ سَوْءُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا

بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ

محيط^١ ﴿ (١٢٠) آية بلا خلاف .

قرأ عمرو ، ونافع ، وابن كثير « لا يضركم » خفيفة . الباقون مشددة الزاء . وهما لغتان ضاره يضره ، وضره يضره ضراً بمعنى واحد . قوله : « إن تمسكم » حسنة فالمراد بالحسنة ههنا ما أنعم الله عليهم به من الألفة والغلبة باجتماع الكلمة ، والمراد بالسيئة المحنة باصابة العدو منهم لاختلاف الكلمة ، وما يؤدي إليه من الفرقة هذا قول الحسن ، وقتادة والريبع وابن جريج .

وقوله : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا ﴾ يعني تتقوا الله بامتناع معاصيه ، وفعل طاعاته « لا يضركم كيدهم » فالكيد المكر الذي يغتال به صاحبه من جهة حيلة عليه ليقع في مكروه به ، وأصله المشقة تقول : رأيت فلاناً يكيد بنفسه أي يقامي المشقة في سياق النية ، ومنه المكيدة لا يراد ما فيه المشقة . والمكيدة الحيلة لا يقاع ما فيه المشقة . وقوله : ﴿ لا يضركم ﴾ مبني على الضم نحو مذ ولو فتح أو كسر لكان جائزاً في العربية وزعم بعضهم أنه رفع على حذف الفاء بتقدير ، فلا يضركم وأنشد :

فإن كان لا يرضيك حتى تردني إلى فطري لا أهلك راضياً (١)

وهذا ضعيف ، لأن الحذف إنما يجوز ، لضرورة الشعر والقرآن لا يحمل على ضرورة الشعر . وقوله : ﴿ إن الله بما تعملون محيط ﴾ معناه عالم به من جميع جهاته مقتدر عليه .

قوله تعالى

« وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تَبَوَّءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (١٢١) آية .

١ « قاله سوار بن المضرب السعدي التميمي . نوادر أبي زيد : ٥٤ ، ومأني القرآن

للغراء : ١ ، وحاشية ابن الشجري : ٥٤ ، ٥٥ .

المعنى ، واللغة ، والاعراب

قال ابن عباس ، وقتادة والريبع ، والسدي ، وابن اسحق ، وهو قول أبي جعفر (ع) : كان غدو النبي (ص) مبعوثاً للمؤمنين يوم أحد ، وقال الحسن ومجاهد : كان يوم الاحراب .

النبوثة اتخاذ المواضع لصاحبه وأصلها اتخاذ منزل تسكنه ، تقول بوأته منزله أبوؤه تبوؤة ، ومنه الباءات المراح ، لأنه رجوع إلى المستقر المتخذ وأبأت الابل أبيئها اباءة إذا رددتها إلى المباءة . ومنه بوأت بالذنب أي رجعت به محتملاً له . وقوله : « والله سميع عليم » قيل فيه ثلاثة أقوال :

أحدها انه تهديد والمراد « سميع » لما يقول المنافقون « عليم » بما يضمرون .

الثاني - « سميع » لما يقوله النبي (ص) للمؤمنين « عليم » بما يضره تزكية له (ص) .

الثالث - « سميع » ما يقوله المشيرون عليك « عليم » بما يضرونه ، لأنهم اختلفوا ، فتم من أشار بالخروج ، ومنهم من أشار بالمقام . وفيه تزكية للزكوي وتهديد للغاوي . ومعنى « نبوي المؤمنين » مثل تبوي للمؤمنين حذف اللام ، كما قال « ردف لكم » (١) ويجوز ردفكم ، فإذا عداه ، فعناه رتب المؤمنين على مواضعهم قدمة . وإذا لم يتمد فعناه تتخذ لهم مواضع . ومثله قول الشاعر :

استغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل (٢)

ومعناه من ذنب ، والعامل في (إذ) محذوف ، وتقديره واذكر إذ غدوت من أهلك حذف لدلالة الكلام عليه ولا يجوز أن يكون العامل غدوت ، لأنه مضاف إليه بمنزلة الصلة له .

(١) - سورة النمل آية ٧٢ .

(٢) - معاني القرآن للفراء ١٠٣٣ . وسيبويه ١ : ١٧ والمجازة ١ : ٤٨٦ وهو من أبيات سيبويه الحمين التي لا يعرف قائلها .

قوله تعالى :

﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢٢) آية .

التقدير واذكر « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » وقال الزجاج العامل في (إذ) « همت أن تفشلا » والمعنى كانت التبوئة في ذلك الوقت . والطائفتان : هما بنو سلمة وبنو حارثة حيان من الأنصار في قول ابن عباس ، وجابر بن عبد الله ، والحسن وقتادة ، ومجاهد ، والربيع ، والسدي ، وابن اسحاق ، وابن زيد ، وأبي جعفر وأبي عبد الله (ع) . وقال الجبائي : هما قوم من المهاجرين ، والانسار . والفشل الجبن في قول ابن عباس تقول فشل يفشل فشلا . والجبن ليس من فعل الانسان وتحقيقه على هذا همت بحال الفشل إلا أنه وضع كلام موضع كلام . وليس في الآية أن همتا بالفشل كان معصية ، لأنه قد يكون من غير عزم على حال الفشل بل بحديث النفس به ، ومن قال كان معصية قال هي صغيرة ، لقوله « والله وليها » وروي عن جابر بن عبد الله أنه قال فينا نزلت وما أحب أنها لم تكن ، لقوله : « والله وليها » وكان سبب همتهم بالفشل في قول السدي ، وابن جريج أن عبد الله ابن أبي بن سلول دعاها إلى الرجوع إلى المدينة عن لقاء المشركين يوم أحد فيها به ولم يفعلاه . وقال أبو علي : بل كان ذلك باختلافهم في الخروج إلى العدو أو المقام حتى هموا بالفشل . والتاء مدغمة في الطاء في قوله : « إذ همت طائفتان » لأنها من مخرجها انصارت بمنزلة ما مع مثلها نحو همت تفعل ومثله « وقالت طائفة » (١) ويجوز أيضاً إدغام الطاء في التاء إلا انك تبقى الاطباق نحو « احطت بما لم تحط » (٢) والأول أحسن .

« ١ » سورة الاحزاب آية : ١٣ .

« ٢ » سورة النمل آية : ٢٢ .

قوله تعالى :

« وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ » (١٢٣) آية .

النزول واللفظ :

هذه الآية نزلت في وصف مامن الله تعالى على المؤمنين من الذصر والامداد
بالملائكة وظفر المؤمنين بالمشركين مع قلة المؤمنين وقوة المشركين . فانه روي عن
ابن عباس (ره) أنه قال كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلا والانصار
مئتين وستة وثلاثين رجلا الجميع ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا . وكان المشركون نحواً
من ألف رجل .

وبدر ما بين مكة والمدينة وقال الشعبي سمي بدرأ لأن هناك ماء لرجل يسمى
بدرأ ، فسمي الموضع باسم صاحبه . وقال الواقدي عن شيوخه إنما هو اسم للموضع
كما يسمى كل بلد باسم يخصه من غير أن ينقل إليه اسم صاحبه .

وقوله : ﴿ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ جملة في موضع الحال . والذلة الضعف عن المقاومة ،
وضدها العزة ، وهي القوة على الغلبة ، ويقال للجمل المنقاد من غير صعوبة : ذلول
لانقياده انقياد الضعيف ، فأما الذليل فأما ينقاد على مشقة . ومنه تذليل الطريق ،
ونحوه ، وهو توطئة الأصل . وفيه الضعف عن المقاومة . وقوله : « أَذِلَّةٌ » جمع ذليل
وفعيل قياسه أن يجمع على فعلاء إذا كان صفة ، مثل ظريف وظرفاء ، وكريم وكرماء ،
وعليم وعلماء ، وشريك وشركاء ، فجمع على أفعلة كراهية التضعيف ، فمدل إلى جمع
الاسماء نحو قميز وأققرة ، فقيل ذليل وأذلة وعزير وأعزة .

المعنى :

ووصفهم الله بأنهم أذلة لأنهم كانوا ضعفاء قليلي العدد قليلي العدة . وروي
عن بعض السلف الصالح أنه قرأ « وَأَنْتُمْ ضِعْفَاءُ » قال ولا يجوز وصفهم بأنهم أذلة ،

وفيهم رسول الله (ص).

وكان صاحب راية رسول الله (ص) يوم بدر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع). وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة. وقوله: «فأتقوا الله» معناه اتقوا معاصيه واعملوا بطاعته. ويجوز أن يكون المراد اتقوا عقاب الله بترك المعاصي، والعمل بطاعته، لأن أصل الاتقاء هو الحجز بين الشيئين بما يمنع من وصول أحدهما إلى الآخر كما تقول اتقاء بالترس أو غيره، ووجه ادخال هذه الآية وهي متعلقة بقصة بدر بين قصة أحد أن الله تعالى وعد المؤمنين النصر يوم أحد إن صبروا ونبتوا أن يمدم بالملائكة كما نصرهم يوم بدر، وأمدم بالملائكة فلما لم يصبروا وتركوا مراكمهم أصاب العدو منهم ما هو معروف.

قوله تعالى:

«إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ

آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ» (١٢٤) آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وحده منزلين بتشديد الزاي الباقون بالتخفيف. التقدير اذكروا «إذ تقول للمؤمنين أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ» وفيه إخبار أن النبي (ص) قال لقومه: أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ يُمَدَّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ، ثم قال «بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين» يعني يوم أحد. وقال ابن عباس، والحسن وقتادة، ومالك بن ربيعة وغيرهم: إن الامداد بالملائكة كان يوم بدر. وقال ابن عباس لم يقا تل الملائكة (ع) إلا يوم بدر، وكانوا في غيره من الايام عدة ومدداً. وقال الحسن: كان جميعهم خمسة آلاف. وقال غيره: كانوا ثمانية آلاف.

اللفظ:

وقوله: «أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ» فالكفاية مقدار يسد به الخلة تقول: كفاه يكفيه كفاية، فهو كاف: إذا قام بالأمر، واستكفيت به أمراً فكفاني، واكتفى به اكتفاء.

وكفالك هذا الأمر أى حسبك . والفرق بين الاكتفاء والاستغناء ، أن الاكتفاء هو الاقتصار على ما ينفي الحاجة والاستغناء الاتساع فيما ينفي الحاجة ، فلذلك يوصف تعالى بأنه غني بنفسه لاتساع مقدوره من حيث كان قادراً لنفسه لا يعجزه شيء . وقوله : « أن يمدكم » فالامداد هو إعطاء الشيء ، حالا بعد حال . والمعنى في الآية ان الله أعطاهم القوة في أنفسهم ثم زادهم قوة بالملائكة والمد في السير هو الاستمرار عليه . وامتد بهم السير : إذا طال ، واستمر ، ومددت الشيء إذا جذبته . والمد زيادة الماء ، تقول : مد الماء وأمد الجرح وامتدت العسكر . والمادة زيادة مستمرة ، والمدة أوقات مستمرة إلى غاية . والمداد ما يكتب به . والمد مكيال مقداره ربع الصاع .

قوله تعالى :

﴿ بلى لئن تصبروا وتنقوا وآتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾ (١٢٥) آية .

الفراة والمعنى :

قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم « مسومين » بكسر الواو . الباقون فتحها . والقراءة بالكسر أقوى ، لأن الأخبار وردت بأنهم سوموا خيلهم بعلامة جعلوها عليها . وقال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، والضحاك : كانوا علموا بالصوف في نواصي الخيل وأذناها . وروى هشام عن عروة قال : نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق وعليهم عمائم صفر . قال السدي ، وغيره من أهل التأويل : معنى « مسومين » معلمين .

اللفظ ، والمعنى :

ومن قرأ بالفتح أراد معنى مرسلين من الابل السائمة يعني المرسل في المرعى

والسبب العلامة قال الله تعالى « سببهم في وجوههم من أثر السجود » (١) فالتسويم
العلامة قال الشاعر :

مسومين بسبب النار أنفسهم لا مهتدين ولا بالحق راضينا
وأصل الباب السوم في المرعى ، وهو الاستمرار فيه فثمة السبب ، لأنهم كانوا
يعلمونها : إذا أرسلت في المرعى لئلا تختلط ، ومنه السوم في البيع ، ومنه سوم
الرياح استمرارها في هبوبها . ومنه سوم الخسف ، لأنه استمرار في إزاح الشر .
وقوله : « من فورهم » قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والربيع ، والسدي
وابن زيد : معناه من وجههم . وقال مجاهد والضحاك وأبو صالح من غضبهم ، فعلى
القول الأول إنما هو فور الانتداب لهم ، وهو ابتداءه ، وعلى القول الثاني فور
الغضب ، وهو غلبته .

وأصل الفور فور القدر ، وهو غلبتها عند شدة الحمى ، فثمة فورة الغضب ،
لأنه كفور القدر بالحمى ، ومنه جاء فلان على الفور أي على أشد الحمى ، لثمة قبل أن
تبرد نفسه . ومنه فارت العين بالماء أي جاشت به ومنه الفوارة ، لأنها تقور بالماء
كما تقور القدر بما فيها . فان قيل : كيف قال في الآية الأولى ان الامداد بثلاثة
آلاف ، وفي هذه بخمسة آلاف . وهذا ظاهر التناقض ؟ ! قلنا : لا تناقض في ذلك
لأن في الآية الأولى وعد الله المؤمنين على لسان نبيه بأن يمدم بثلاثة آلاف
منزلة ثم قال « بلى إن تصبروا وتيقنوا » يعني تصبروا على الجهاد ، والقتال ، وتتقنوا
معاصي الله « ويأتوكم من فورهم » وهذا يعني ان رجعوا إليكم ، لأن الكفار
في غزاة أحد بعد انصرافهم ندموا لم لم يعبروا على المدينة وهموا بالرجوع ،
فأوحى الله تعالى إلى نبيه أن يأمر أصحابه بالتهيؤ للرجوع إليهم . وقال لهم
« ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » (٢) ثم قال إن صبرتم على الجهاد
وراجعتم الكفار ، أمدكم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، فأخذوا في

« ١ » سورة الفتح آية : ٢٩ .

« ٢ » سورة آل عمران آية : ١٤٠ .

الجهاز فبلغ ذلك قريشاً تخافوهم أن يكون قد التأم اليهم من كان تأخر عنهم وانضم إليهم غيرهم ، فدرسوا نعيم بن مسعود الأشجعي حتى قصدهم بتعظيم أمر قريش واسرعوا . والقصة معروفة ولذلك قال قوم من المفسرين : ان جميعهم ثمانية آلاف وقال الحسن جميعهم خمسة آلاف منهم الثلاثة آلاف المنزلين على أن الظاهر يقتضي أن الامداد بثلاثة آلاف كان يوم بدر ، لأن قوله : « إذ تقول للمؤمنين » متعلق بقوله : « ولقد نصركم الله ببدر » « إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين » ثم استأنف حكم يوم أحد ، فقال : « بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم » يعني رجعوا عليكم بعد انصرافهم أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . والقصة في ذلك معروفة على ما بيناه ، وعلى هذا لا تنافي بينهما ، وهذا قول البلخي رواه عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال : لم يمدوا يوم أحد ولا بملك واحد . فان قيل لم يمدوا بالملائكة في سائر الحروب ؟ قلنا : ذلك تابع للمصلحة فاذا علم الله المصلحة في إمدادهم أمدهم .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ ۖ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (١٢٦) آية .

الهاء في قوله : « وما جعله الله » عائدة على ذكر الأمداد والوعد فيعود على معلوم بالدلالة عليه غير مذكور باسمه لأن يمدد يدل على الذكر للامداد ومثله « إذ عرض عليه بالمشي الصافات الجياد فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب » (١) أي الشمس . وقال لييد :

حتى إذا ألفت يداً في كافر وأجن عورات الثغور ظلامها (٢)
 أي ألفت الشمس فرد الضمير إلى معلوم ليس بمدكور . وقال قوم : ان الضمير

﴿ ١ ﴾ سورة ص آية : ٣٢ .

﴿ ٢ ﴾ دائرة المعارف لوجدي . وغيرها . الكافر : الليل . والاحتان : السر . والنفر :

موضع الخفاف .

راجع إلى الامداد نفسه . والاول أقوى لأن البشرى في صفات الانزال وذلك يليق
بذكر الامداد . والفرق بين قوله : « ولتطمئن قلوبكم به » وقوله واطمئننا لقلوبكم ،
أن الوعد في أحدها اطمئنان ، وفي الآخر سببه الاطمئنان ، فهو أشد في تحقيق
الكلام من أجل دخول اللام . وقوله : « وما النصر إلا من عند الله » معناه أن
الحاجة لازمة في المعونة وان امدهم بالملائكة فانهم لا يستغنون عن معونته طرفه
عين في تقوية قلوبهم وخذلان عدوهم بضعف قلوبهم إلى غير ذلك من الأمور التي
لا قوام لهم إلا بها ولا متكل لهم إلا عليها . فان قيل : كيف قال « وما النصر إلا من
عند الله » وقد ينصر المؤمنون بعضهم بعضاً وبعض المشركين بعضاً ؟ قلنا : لأن
نصر بعض المؤمنين بعضاً من عند الله لأنه بمعونته وحسن توفيقه ، وأما نصر
المشركين بعضهم ، لبعض ، فلا يعتمد به ، لأنه بخذلان الله من حيث أن عاقبته
إلى شر مآل من العقاب الدائم . وقوله : « العزيز الحكيم » معناه ههنا العزيز في
انتقامه من الكفار بأيدي المؤمنين ، الحكيم في تديره للعالمين ليعلمهم بأن حربهم
للمشركين يجري على اعزاز الدين ، والحكمة في تدير المكابن ومعنى العزيز المنيع
بافتداره .

قوله تعالى :

﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾

(١٢٧) آية .

المعنى :

قوله : « ليقطع طرفاً من الذين كفروا » يحتمل أن يتصل بثلاثة أشياء :

أحدها - « وما النصر إلا من عند الله ليقطع طرفاً من الذين » .

الثاني - بقوله ولقد نصركم الله ببدر ليقطع طرفاً .

الثالث - ذلك التدبير ليقطع طرفاً .

واليوم الذي قطع فيه الطرف من الدين كفروا : هو يوم بدر بقتل صناديدهم ورؤسائهم وقادتهم إلى الكفر في قول الحسن ، والربيع ، وقتادة . وقال السدي : هو يوم أحد قتل منهم ثمانية عشر رجلا . وإنما قال : « ليقطع طرفاً » منهم ولم يقل ليقطع وسطاً منهم ، لأنه لا يوصل إلى الوسط منهم إلا بعد قطع الطرف ومثله « قاتلوا الذين يلوونكم » (١) والمراد بالآية ليقطع قطعة منهم .

اللفظ :

وقوله : « أو يكبتهم » فالكبت الخزي . ومعناه أو يخزيهم في قول الربيع ، وقتادة . وقال الخليل : الكبت صرع الشيء على وجهه كبتهم الله فانكبتوا . وحقيقة الكبت شدة وهن يقع في القلب فرجما صرع الانسان لوجهه للخور الذي يدخله . وقوله : « فينقلبوا » أي فيرجعوا « خائبين » الخائب المنقطع عما أمل ، ولا تكون الخيبة إلا بعد الأمل ، لأنها امتناع نيل ما أمل . واليأس قد يكون قبل الأمل ويكون بعده . واليأس والرجاء نقيضان يتعاقبان كتعاقب الخيبة والظفر ، يقال : خاب بخيب خيبة وخيبه الله تخيباً . والخبية حرمان المراد .

قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَانظُرْ ظَالِمُونَ ﴾ (١٢٨) آية بلا خلاف .

الفصحة ، والمعنى :

روي عن أنس بن مالك وابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والربيع : انه لما كان من المشركين يوم أحد من كسر رباعية النبي (ص) وشجبه حتى جرت الدماء على وجهه ، قال كيف يفلح قوم نالوا هذا من نبيهم ، وهو مع ذلك حريص على

دعائهم إلى ربهم ، فنزلت هذه الآية ، فأعلمه الله أنه ليس إليه فلاحهم وأنه ليس إليه إلا أن يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين . وكان الذي كسر رباعيته وشججه في وجهه عتبة بن أبي وقاص ، فدعا (ع) عليه الا يحول عليه الحول حتى يموت كافراً ، فات كافراً قبل حول الحول . وقيل : انه هم بالدعاء عليهم ، فنزلت الآية تسكيناً له ، فكف عن ذلك . وقال أبو علي الجبائي : انه استأذن ربه يوم أحد في الدعاء عليهم ، فنزلت الآية ، فلم يدع عليهم بعذاب الاستئصال وإنما لم يؤذن فيه لما كان في المعلوم من توبة بعضهم ، وإنايته ، فلم يجز أن يقطعوا عن التوبة بعذاب الاستئصال . فان قيل كيف قال « ليس لك من الأمر شيء » مع أن له أن يدعوهم إلى الله ويؤدي إليهم ما أمره بتبليغه ؟ قيل : لأن معناه ليس لك من الأمر شيء . في عقابهم أو استصلاحهم حتى تقع إنايتهم ، فجاء الكلام على الإيجاز ، لأن المعنى مفهوم لدلالة الحال عليه وأيضاً فإنه لا يعتمد بما له في تديريهم مع تديير الله لهم ، فكانه قال ليس لك من الأمر شيء . على وجه من الوجوه .

وقوله : « أو يتوب عليهم » قيل في معناه قولان :

أحدهما - أو يُلطف لهم بما يقع معه توبتهم ، فيتوب عليهم بلطفه لهم .
والآخر - أو يقبل توبتهم إذا تابوا ، كما قال تعالى « غافر الذنب وقابل التوب » (١) ولا تصح هذه الصفة إلا لله عز وجل ، لأنه يملك الجزاء بالثواب ، والعقاب . فان قيل : كيف قال « أو يمدبهم » مع ما في المعلوم من أن بعضهم يؤمن ؟ قيل : لأنهم يستحقون ذلك باجرامهم بمعنى أنه لو فعل بهم لم يكن ظالماً ، وان كان لا يجوز أن يقع لوجه آخر يجري مجرى تبييتهم لاستصلاح غيرهم . وقيل في نصب « أو يتوب عليهم » وجهان :

أحدهما - أنه بالمعطف على « ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم » « أو يتوب عليهم أو يمدبهم » ويكون « ليس لك من الأمر شيء » اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول : ضربت زيداً فظنهم ذاك وعمراً .

الثاني - أن تكون أو بمعنى إلا أن ، كأنه قال : ليس لك من الأمر شيء ، إلا أن يتوب الله عليهم أو يعذبهم فيكون أمرك تابعاً لأمر الله برضائك بتدبيره فيه قال امرؤ القيس :

فقلت له : لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنموت (١)
أراد إلا أن نموت أو حتى نموت .
قوله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ
مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٩) آية بلا خلاف .

عموم قوله : « والله ما في السماوات وما في الارض يقتضي أن له تعالى ملك ما في السماوات ، وما في الارض ، وأن له التصرف فيها كيف شاء بلا دافع ، ولا مانع ، غير أنه لا بد من تخصيص هذا العموم من حيث أنه ينزه عن الصاحبة والولد على كل وجه . ووجه ما قلناه . وإنما ذكر لفظ (ما) لأنها أعم من (من) لأنها تتناول ما يعقل ، وما لا يعقل ، لأنها تفيد الجنس ولو قال من في السماوات ومن في الارض لم يدخل فيه إلا العقلاء إلا أن يحمل على التغليب وذلك ليس بحقيقة . وقوله : « يغفر لمن يشاء » دليل على أن حسن العفو عن مستحق العذاب ، وإن لم يتب لأنه لم يشترط فيه التوبة . وقوله : « ويعذب من يشاء » يعني بمن يستحق العذاب ، لأن من لا يستحق العذاب لا يشاء عذابه ، لأنه ظلم بتعالى الله عن ذلك وفي ذلك دلالة على جواز العفو بلا توبة ، لأنه علق عذابه بمشيئته ، فدل على أنه لو لم يشأ ، لكان له ذلك ، ولا يلزم على ما قلناه الشك في جواز غفران عقاب الكفار ، لأن ذلك أخرجناه من العموم بدلالة إجماع الأمة على أنه لا يغفر

﴿ ١ ﴾ ديوانه : ٨٩ بقول : انا نطلب الملك قل وصلنا اليه والا نبق لطلبه حتى نموت

درنه وهذا عذرا .

الشرك . وبقوله : « ان الله لا يغفر أن يشرك به » (١) ولولا ذلك لكننا نجوز العفو عنهم أيضاً ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه لما قال ليس لك من الأمر شيء عقب ذلك بأن الأمر كله لله في السموات والارضين .

قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا

اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (١٣٠) آية .

النظم ، المعنى :

لما ذكر الله تعالى أن له عذاب من يشاء ، والعفو ممن يشاء ، وصل ذلك بالنهي عما لو فعلوه لا يستحقوا عليه العقاب ، وعذبوا عليه ، وهو الربا ، والربا المنهي عنه قال عطا ، ومجاهد : هو ربا الجاهلية ، وهو الزيادة على أصل المال بالتأخير عن الأجل الحال . ويدخل فيه كل زيادة محرمة في المعاملة من جهة المضاعفة ، ووجه تحريم الربا هو المصلحة التي علمها الله تعالى . وقيل فيه وجوه على وجه التقريب : منها لفصل بينه وبين البيع . ومنها - أنه مثال العدل يدعو إليه ويحض عليه . ومنها - أنه يدعو إلى مكارم الاخلاق بالاقراض وانظار المعسر من غير زيادة . وهذا الوجه روي عن أبي عبد الله (ع) . وقوله : « أضعافاً مضاعفة » قيل في معناه ههنا قولان :

أحدها - للمضاعفة بالتأخير أجلاً بعد أجل كلما آخر عن أجل إلى غيره زيد عليه زيادة على المال .

الثاني - « أضعافاً مضاعفة » أي يضاعفون في أموالكم . وقيل في تكرير تحريم الربا ههنا مع ما تقدم في قوله : « وأحل الله البيع وحرم الربا » (٢) وغير ذلك قولان :

أحدها - للتصريح بالنهي عنه بعد الاخبار بتحريمه لما في ذلك من تصريف الخطر له وشدة التحرز منه .

الثاني - لتأكيد النهي عن هذا الضرب منه الذي يجري على الاضعاف المضاعفة .
وقوله : « واتقوا الله » معناه اتقوا معاصيه . وقيل : اتقوا عذابه بترك معاصيه
« لعلكم تفلحون » ، لكي تنجحوا بادراك ما تأملونه ، وتفوزوا بثواب الجنة ، لأن
(لعل) وان كان للشك ، فان ذلك لا يجوز على الله تعالى . وقد بينا لذلك نظائر
فيما مضى .

قوله تعالى :

(وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ

وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿ ١٣٢ ﴾ آيتان بلا خلاف .

المعنى :

فإن قيل : كيف قال « واتقوا النار التي أعدت للكافرين » وعندكم يجوز
أن يدخلها الفساق أيضاً . وعند المعتزلة كلهم يدخلها الفساق قطعاً . وهلا قال : أعدت
لجميع ؟ قلنا أما على ما نذهب إليه ، ففائدة ذلك اعلامنا أنها أعدت للكافرين
قطعاً . وذلك غير حاصل في الفساق ، لأننا نجوز العفو عنهم . ومن قال أعدت للفساق
قال اضيفت إلى الكافرين ، لأنهم أحق بها . وإن كان الجميع يستحقونها ، لأن
الكفر أعظم المعاصي فأعدت النار للكافرين . ويكون غيرهم من الفساق تبعاً لهم
في دخولها . فإن قيل : فعلى هذا هل يجوز أن يقال : ان النار أعدت لغير الكافرين
من الفاسقين ؟ قلنا عن ذلك أجوبة :

أحدها - قال الحسن يجوز ذلك ، لأنه من الخاص الذي معه دلالة على العام ،
كما قال : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم

بعد إيمانكم : (١) وليس كل من دخل النار كفر بعد إيمانه . ومثله قوله : « كما التي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير » (٢) وليس كل الكفار يقول ذلك . ومنه قوله : « فككبكبوا فيها والغاوون و جنود ابليس أجمعون . قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا في ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين » (٣) وليس كل الكفار سووا الشياطين برب العالمين .

والثاني - أنه لا يقال أعدت لغيرهم من الفاسقين ، لأن اعدادها للكافرين من حيث كان عقابهم هو المعتمد وعقاب الآخرين له تبع ، كما قال : « وجنة عرضها السماوات والارض أعدت للمتقين » (٤) ولا خلاف أنه يدخلها الاطفال والجنانين إلا أنهم تبع للمتقين ، لأنه لولا لم يدخلوها . ولا يقال : إن الجنة أعدت لغير المتقين .

الثالث - أن تكون هذه النار ناراً مخصوصة فيها الكفار خاصة دون الفساق وان كان هناك نار أخرى يدخلها الفساق ، كما قال : « لا يصلها إلا الاشقي الذي كذب وتولى » (٥) وكما قال : « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار » (٦) وهذا قول أبي علي . واستدل البلخي بهذه الآية على أن الربا كبيرة ، لأن تقديره « واتقوا النار التي أعدت للكافرين » ان يأكلوا الربا ، فيستحقونها . والاجماع حاصل على أن الربا كبيرة ، فلا يحتاج إلى هذا التأويل ، لأن الآية يمكن أن يقول قائل : إنها بمعنى الزجر والتحذير عن الكفر ، فقط

وقوله : « أعدت » فالاعداد هو تقديم عمل الشيء لغيره مما هو متأخر عنه وقد قدم فعل النار ليصلها الكفار . والاعداد والايجاد والتهيئة والتقدمة متقاربة المعنى وقوله : « واطيعوا الله والرسول » أمر بالطاعة لله ورسوله . والوجه في الأمر بالطاعة لله ورسوله مع أن العقل دال عليه يحتمل أمرين : أحدهما - أن يكون ذلك تأكيداً لما في العقل ، كما وردت نظائره ، كقوله :

« ١ » - سورة آل عمران آية : ١٠٦ . « ٢ » - سورة انك آية : ٨ .

« ٣ » - سورة الشعراء آية : ٩٤ - ٩٨ . « ٤ » - سورة آل عمران آية : ١٢٣ .

« ٥ » - سورة الليل : ١٥ - ١٦ . « ٦ » - سورة النساء آية : ١٤٤ .

« ليس كمثل شيء » (١) « ولا تدرکه الابصار » (٢) وغير ذلك .
والثاني - لاتصاله بأمر الربا الذي لا تجب الطاعة فيه إلا بالسمع ، لأنه ليس
بما يجب تحريمه عقلاً كما يجب تحريم الظلم بالعقل ، فان قيل : إذا كانت طاعة الرسول
طاعة الله فما وجه التكرار ؟ قلنا عنه جوابان :

أحدهما - المقصود بها طاعة الرسول فيما دعا إليه مع القصد لطاعة الله تعالى .
الثاني - ليعلم أن من أطاعه فيما دعا إليه كمن أطاع الله ، فيسارع إلى ذلك بأمر
الله . والطاعة موافقة الارادة الداعية إلى الفعل بطريق الرغبة ، والرغبة . ولذلك
صح أن يجيب الله تعالى عبده ، وان لم يصح منه أن يطيعه ، لأن الاجابة إنما
هي موافقة الارادة مع القصد إلى موافقتها على حد ما وقعت من المرید . وقوله :
« لعلكم ترحمون » يحتمل أمرين :

أحدهما - لترحموا . وقد يدلنا لذلك نظائر .

والثاني - ان معناه ينبغي للعباد أن يعملوا بطاعة الله على الرجاء للرحمة
بدخول الجنة ، لئلا يزلوا فيستحقوا الاحباط والمعقوبة أو يوقعوها على وجه
لا يستحق به الثواب ، بل يستحق به العقاب . وفيها معنى الشك ، لكنه للعباد
دون الله تعالى .

النظم :

وقيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها قولان :
أحدهما - لاتصال الأمر بالطاعة بالنهي عن أكل « الربا أضعافاً مضاعفة »
كأنه قال وأطيعوا الله فيما نهاكم عنه من أكل الربا ، وغيره لتكونوا على سبيل
الهدى .

الثاني - قال ابن اسحاق : انه معاتبه للذين عصوا رسول الله (ص) ، بما
أمرهم به يوم أحد : من لزوم مراكزهم ، نخالفوا واشتغلوا بالغنيمة إلا

طائفة منهم قتلوا . وكان ذلك سبب هزيمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله .
قوله تعالى :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) آية .

قرأ نافع وابن عامر « سارعوا » بلا واو ، والباقون بالواو ، وكذلك هي
في مصاحف أهل الشام بلا واو . وفي مصاحف أهل العراق بالواو ، والمعنى واحد ،
وإنما الفرق بينهما استئناف الكلام إذا كان بلا واو ، ووصلها بما تقدم إذا قرئ
بواو ، لأنه يكون عطفاً على ما تقدم . وفي هذه الآية الأمر بالمبادرة إلى مغفرة
الله باجتئاب معصيته وإلى الجنة التي عرضها السماوات والأرض بفعل طاعته .
واختلفوا في قوله « عرضها السماوات والأرض » فقال ابن عباس ، والحسن :
معناه عرضها كعرض السماوات السبع ، والأرضين السبع إذا ضم بعض ذلك إلى
بعض ، واختاره الجبائي ، والبلخي . وإنما ذكر العرض بالعظم دون الطول ، لأنه
يدل على أن الطول أعظم ، وليس كذلك لو ذكر الطول بدلا من العرض . ومثل
الآية قوله : « ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة » (١) ومعناه إلا كبعث
نفس واحدة . وقال الشاعر :

كأن عذيرهم بجنوب يسلي نعمام قاق في بلد قمار (٢)
أي عذير نعمام وقال آخر :

« ١ » سورة لقمان آية : ٢٨ .

« ٢ » قاله شفيق بن جزء بن رياح الباهلي وقد نسب بعضهم لاعشى باهلة . ونسب أيضاً
لنابغة خطا . اللسان (فوق) (لعل) ، ومعجم البلدان (- لى) ، والتكامل للبرد ٢ : ١٩٦ .
وكان شفيق قد أشار على بني ضبة بروضة سلى ، وروضة ساجر فهزم أهلها . وهما روضتان لكل
وضبة وعدي وتيم وشكل حافا . متجاوران فلما هزموا قل بهم شفيق أبيات منها هذا البيت .
والعذير : الحال . المفاقات : صوت الطائر إذا كان مذعوراً والغفار : المسكان الذي ليس به انس
ركانة يقول من منام يرهزيمة وكانت حالهم مثل حال الطائر الذي في أرض قفرة إذا أتاه العياد

حسبت بغم راحلتي عناقا وما هي ويب غيرك بالعناق (١)
 أي صوت عناق . وقال أبو مسلم : معناه ثمنها لو بيعت كثمان السماوات
 والأرض لو بيعا . كما يقال عرضت هذا المتاع للبيع . والمراد بذلك عظم مقدارها ،
 وجلالة قدرها ، وأنه لا يوازيها شيء ، وإن عظم ، وهذا مليح غير أن فيه تعسفاً
 شديداً . فإن قيل إذا كانت الجنة عرضها السماوات والأرض فأين تكون النار ؟ !
 الجواب أنه روي عن النبي (ص) أنه لما سئل عن ذلك ، فقال : (سبحان الله إذا
 جاء النهار فأين الليل) وهذه معارضة فيها إسقاط المسألة ، لأن القادر على أن
 يذهب بالليل حيث شاء قادر على أن يذهب بالنهار حيث شاء .

وروي أنه سئل عن ذلك ابن عباس ، وغيره من الصحابة ، فإن قيل فإن
 الجنة في السماء ، كيف يكون لها هذا العرض ؟ قيل له يزداد فيها يوم القيامة . ذكره
 أبو بكر أحمد بن علي على تسليم أنها في السماء ويجوز أن تكون الجنة مخلوقة في
 غير السماوات والأرض . وفي الناس من قال : إن الجنة والنار ما خلقتا بعد وإنما
 يخلقها الله على ما وصفه . وقال البلخي المراد بذلك وصفها بالسعة والعظم ، كما يقول
 القائل في دار واسعة هذه دنيا وغرضه بذلك وصفه لها بالكبر وقوله : « أعدت
 للمتقين » معنى المتقين المطيعين لله ورسوله لاجتنابهم المعاصي وفعلهم الطاعات .
 ويجوز لاحتجازهم بالطاعة من العقوبة . وإنما أضيفت إلى المتقين ، لأنهم
 المقصودون بها ، وإن دخلها الاطفال ، والمجانين ، فعلى وجه التبع ، وكذلك حكم
 الفساق لو عني عنهم .

وفيمن تكلم في أصول الفقه من استدل بقوله : « وسارعوا إلى مغفرة »
 على أن الأمر يقتضي الفور دون التراخي ، لأنه تعالى أمر بالمسارعة والمبادرة
 إلى مغفرة وذلك يقتضي التعميل . ومن خالف في تلك ، قال : المسارعة إلى ما يقتضي

« ١ » قاله ذو الحرق الطهوري أو الطهوي انظر الاختلاف في اسمي المؤلف والاختلاف
 ١١٩ ، وخزانة الادب ١ : ٢٠ ، ٢١ ، ونوادير أبي زيد : ١١٦ ، ومآني القرآن للفراء ١ :
 ٦١ - ٦٢ ، واللسان (ويب) ، (عنق) ، (عناق) ، (بغم) وغيرها وهو من أبيات يقولها
 لذئب قد تبعه في طريقه والعناق هي انثى المنز . والبغام صوت الطيئة أو الناقة واستمارة هنا المعز

الغفران واجبة وهي التوبة ، ووجوبها على الفور . فمن أين أن جميع المأمورات كذلك .

قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ
وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣٤) آية .

المعنى :

« الذين » في موضع الجر ، لأنه صفة المتقين ، فذكر الله صفاتهم التي تعملوا بها درجاتهم منها : أنهم يتقون عذاب الله بفعل طاعته ، والانتها عن معصيته . وانهم ينفقون في السراء ، والضراء وقد بينا فيما تقدم معنى الاتفاق . وقيل في معنى السراء والضراء . قولان :

أحدهما - قال ابن عباس في اليسر ، والعسر ، فكأنه قال في السراء بكثرة المال ، والضراء بقلته .

الثاني - في حال السرور ، وحال الالغتمام . أي لا يقطعهم شيء من ذلك عن اتفاقه في وجوه البر ، فيدخل فيه اليسر والعسر . وإنما خصا بالذكر في التأويل الأول ، لأن السرور بالمال يدعو إلى الظن به . كما يدعو ضيقه إلى التمسك به خوف الفقر ، لانفاقه . وقوله تعالى : « وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ » أي التجرعين له ، فلا ينتقمون ممن يدخل عليهم الضرر بل يصبرون على ذلك ، ويتجرعونه .

اللفظ :

وأصل الكظم شد رأس القربة عن مائها . تقول : كظمت القربة إذا ملأها ماء ثم شددت رأسها . وفلان كظيم ومكظوم إذا كان ممتلئاً حزناً . ومنه قوله : « وَاَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ » (١) أي ممتليء حزناً . وكذلك إذا

امتلاءً غضباً لم ينتقم ، وكظم البعير ، والناقة إذا لم تجر . والكظامة القناة التي تجري تحت الأرض ، سميت بذلك ، لامتلائها بالماء كامتلاء القرية المكظومة . ويقال : أخذ بكظمه أي بمجرى نفسه ، لأنه موضع الامتلاء بالنفس . وكظامة الميزان المسار الذي يدور فيه اللسان ، لأنه يشده ويعتمد عليه . والفرق بين الغيظ ، والغضب أن الغضب ضد الرضا ، وهو ارادة العقاب المستحق بالمعاصي ، ولعمرة . وليس كذلك الغيظ ، لأنه هيجان الطبع بكره ما يكون من المعاصي ، ولذلك يقال غضب الله على الكفار ، ولا يقال اغتاظ منهم .

المعنى :

وروي عن النبي (ص) أنه قال : (مامن جرعة يتجرعها الرجل أو الانسان أعظم أجراً من جرعة غيظ في الله) وفي الآية دلالة على جواز العفو عن المعاصي وإن لم يتب ، لأنها دلت على الترغيب في العفو من غير ايجاب له باجماع المسلمين . وقوله « والله يحب المحسنين » معناه يريد اثابتهم وتنعيمهم . والمحسن يحتمل أمرين :

أحدهما - من هو منعم على غيره على وجه عار من وجوه القبح . ويحتمل أن يكون مشتقاً من الافعال الحسنة التي منها الاحسان إلى الغير ، وغير ذلك من وجوه الطاعات والقربات .

قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ فَمَا لَهُ مِنْ حَافِيَةٍ ﴾ (١٣٥) آية بلا خلاف .

الاعراب :

قوله « والذين » يحتمل أن يكون موضعه جرأ بالعطف على المتقين ،

فيكون من صفتهم ما تضمنه على قول الحسن ، ويحتمل أن يكون رفعاً على الاستئناف ، ويكون عطف جملة على جملة ، فيكون من صفة فرقة غير الأولى ، ويجوز أن يرجع إلى الأولى في الموضع على المدح .

المعنى :

وقوله : « إذا فعلوا فاحشة » يحتمل أن يكون أراد غير الظلم ، ولذلك عطف عليه بقوله : « أو ظلموا أنفسهم » حتى لا يكون تكراراً . وقال الرماني : أراد بالفاحشة الكبيرة ، وبـ « ظلموا أنفسهم » الصغيرة . وقال مجاهد : هما ذنبان وأصل الفاحشة الفحش ، وهو الخروج إلى عظم القبح في العقل أو رأي العين فيسه . وكذلك قيل للطويل المفرط أنه الفاحش الطول ، وأخش فلان في كلامه إذا أفصح بذكر الفحش . وقال جابر والسدي : الفاحشة هنا : الزنا أو ما جرى مجراه من الكبير . وقوله : « ذكروا الله » في معناه قولان :

أحدهما - ذكروا وعيد الله ، فيكون من الذكر بعد النسيان . والمدح على أنهم تعرضوا للذكر .

والآخر - أنهم ذكروا الله بأن قالوا : اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، فانا تبنا ، نادمين عليها مقلعين عنها . وقال ابن مسعود ، وعطا ابن أبي رباح : كانت بنو اسرائيل إذا أذنب الواحد منهم ذنباً أصبح مكتوباً على بابه كفارة ذنبك اجدع اذنك اجدع انك ، فسهل الله ذلك على هذه الأمة بأن جعل توبتها الاستغفار بدلا منه منة منه تعالى . وقوله : « ومن يغفر الذنوب إلا الله » الرفع محمول على المعنى . وتقديره : وهل يغفر الذنوب إلا الله أو هل ربي أحد يغفر الذنوب إلا الله . فان قيل : كيف قال : « ومن يغفر الذنوب إلا الله » وقد يغفر بعضنا لبعض اساءته إليه ؟ قلنا عنه جوابان :

أحدهما - أنه أراد بذلك غفران الكبار العظام ، لأن الاساءة من بعضنا لبعض صغيرة بالاضافة إلى ما يستحق من جهته .

والثاني - أنه لا يغفر الذنب الذي يستحق عليه العقاب إلا الله تعالى .
 وقوله : ﴿ ولم يصروا على ما فعلوا ﴾ فالاصرار هو المقام على الذنب من غير
 اقلع منه بالتوبة في قول قتادة . وقال الحسن : هو فعل الذنب من غير توبة
 والأول أقوى ، لأنه تقيض التوبة . وأصله الشد من الصرة والصر شدة البرد ،
 والاصرار إنما هو ارتباط الذنب بالاقامة عليه . ومآله الحسن هو في حكم الاصرار .
 وقوله : « وهم يعلمون » ههنا يحتمل أمرين :

أحدهما - وهم يعلمون الخطيئة ذاكرين لها غير ساهين ، ولا ناسين . قال
 الجبائي ، والله عز وجل يغفر للمبدي ما نسيه من ذنوبه ، وإن لم يتب منه بعينه ، كما
 يغفر له ما تاب منه ، لأنه قد فعل في حال النسيان جميع ما عليه .

والثاني - وهم يعلمون الحجة في أنها خطيئة . وأما من اجتهد في الاحكام
 فأخطأ على مذهب من يقول بالاجتهاد ، فلا إثم عليه ، وكذلك من تزوج بذات
 محرم من الرضاع أو النسب وهو لا يعلم ، أو غير ذلك ، فلا إثم عليه بلا خلاف
 لأنه لم يعلم ذلك ، فأقدم عليه ، ولا يلزم على ذلك أن يكون الكافر معذوراً بكفره
 إذا لم يعلمه قبيحاً ، لأن الكافر له طريق إلى العلم به ، وكذلك تقول : إن من
 أسلم في دار الحرب ، وخرج فاستحل في طريقه الخمر أو لحم الخنزير قبل أن يعلم
 تحريمها من الشرع ، فلا إثم عليه ، لأنه في تلك الحال لا طريق له إلى العلم بقبحه .
 قوله تعالى :

﴿ أولئك جزاؤهم مغفرةٌ من ربهم وجناتٌ تجري من

تحتها الانهارُ خالدِينَ فيها وَنَهُمْ أَجْرُ الْمَالِينِ ﴾ (١٣٦) آية واحدة .

قوله : « أولئك » اشارة إلى من تقدم وصفهم من المتقين الذين ينفقون
 في السراء والضراء ، ويكظمون الغيظ ، ويمفون عن الناس ، « وإذا فعلوا فاحشة
 أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم » ، فقال هؤلاء : « لهم جنات

تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها » وقد مضى تفسير ذلك أجمع فيما مضى ثم قال : « ونعم أجر العاملين » يعني ما وصفه من الجنات وأنواع الثواب ، والمغفرة بستر الذنب حتى تصير كأنها لم تعمل في زوال العار بها والعقوبة بها ، والله تعالى متفضل بذلك لأننا نبينا أن اسقاط العذاب (١) عند التوبة تفضل منه تعالى ، فأما استحقاق الثواب بالتوبة فواجب عقلا لا محالة ، لأنه لو لم يكن مستحقاً لذلك لقبح تكليفه التوبة لما فيها من المشقة والكثيرة .

قوله تعالى

﴿ قَدْ خَلتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴾ (١٣٧) آية .

المعنى :

معنى قوله : « قد خلت من قبلكم سنن » أي سنن من الله تعالى في الأمم السالفة إذ (٢) كذبوا رسله وجحدوا نبوتهم بالاستئصال ، والاجتياح ، كعاد ، ونمود ، وقوم صالح ، وقوم لوط الذين أهلكتهم الله بأنواع العذاب من الاستئصال (٣) فبقيت (٤) لهم آثار في الديار فيها أعظم الاعتبار والانعاط - على قول الحسن ، وابن اسحاق - فأمر الله أن يسيروا في الأرض ، وينعرفوا أخبارهم ، وما نزل بهم ليتعظوا بذلك ، وينتهوا عن مثل ما فعلوه . وقال الزجاج : معناه « قد خلت من قبلكم » أهل « سنن » في الشر .

الآفة والمعنى :

والسنة : الطريقة المجمولة ليقتدى بها ، فمن ذلك سنة رسول الله (ص) .

« ١ » في المخطوطة (أ) : العتاب .

« ٢ » في المطبوعة ومخطوطة (أ) : (إذا) .

« ٣ » في المخطوطة (أ) - اقتض - ظر من هذا الموضع .

« ٤ » في المطبوعة (وبقيت) .

وقال لبيد :

من معشر سنت لهم أبائهم ولكل قوم سنة وإمامها (١)
وقال سليمان بن قتة : (٢)

وإن الألى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا (٣)
سنة الله عز وجل الأهلاك للامم الضالة بهذه المنزلة . وأصل السنة الاستمرار
في جهة . سن الماء سناً : إذا صبه حتى يفيض من الاناء . وسنه بالسن إذا أمره عليه
لتحديده . وفلان مسنون الوجه أي مستطيله . وقوله : « من حمأ مسنون »
قيل معناه متغير ، لاستمرار الزمان به حتى تغير . ومنه السن واحد الأسنان ،
لاستمرارها على منهاج . والسنان ، لاستمرار الطعن به . والسنن استمرار الطريق .
والخلو : الانفراد ، فنه الخلاء ، لانفراد المكان . ومنه التخلية لانفراد الشيء بها
عن صاحبه . ومنه الخلية من النوق التي خلا ولدها بذبح أو موت ، لانفرادها عنه .
والخلية من السفن التي تخلى تسير في نفسها . ومنه الخلا مقصور : الحشيش اختلته
إذا قطعته ، لانفراده بالقطع . ومنه المخلاة . ومن ذلك المخالاة المخادعة ، لانفراد
صاحبها بمن يخالاه يومه التخصص به ، فمعى « خلت » انفردت بالهلاك دون من
بقي . وقوله : « فانظر كيف كان عاقبة » فالعاقبة هو ما يؤدي إليها السبب المتقدم ،
وليس كذلك الآخرة ، لأنه قد كان يمكن أن نجعل هي الأولى في العدة للكاذبين
يريد به الجاحدين البعث ، والنشور ، والثواب ، والعقاب الدافعين لمن يخبر بذلك
بالرد بالكذب ، فجازاهم الله تعالى في الدنيا بعذاب الاستئصال ، ولهم في الآخرة
عظيم النكال .

« ١ » البيت من معانته الشهيرة البارعة يذكر بها قومه وفضاهم . يقول : هذه الصفات
الجيدة - التي تقدم وصفها - هي سنة آباؤهم

« ٢ » (قتة) أمه وهو مولى لتيم قريش ، وهو من التابعين . وزعم بعضهم أنه (سليمان
ابن ضبيب الهارمي) وهو خطأ .

« ٣ » تاريخ الطبري ٧ : ١٨٤ ، وانساب الاشراف ٥ : ٣٣٩ وأملى الشجري
١ : ١٣١ ، واللسان (أمي) وغيرها . وهذا البيت أشده مصعب بن الزبير قبل مقتله

وقوله تعالى :

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٨) آية اجماعاً .

قال الحسن وقتادة : قوله : « هذا » إشارة إلى القرآن ، ووصفه بأنه بيان ، لأنه دلالة للناس ، وحجة لهم ، والبيان هو الدلالة . وقال ابن اسحاق هو إشارة إلى ما تقدم ذكره في قوله : « قد خلت من قبلكم سنن » الآية أي هذا الذي عرفتمكم بيان للناس ، وهو اختيار البلخي ، والطبري . والفرق بين البيان ، والهدى - على ما قاله الرماني - أن البيان إظهار المعنى للنفس كأنها ما كان . والهدى : بيان لطريق الرشd ، ليسلك دون طريق النغي . والموعظة ما يلين القلب ويدعو إلى التمسك ، بما فيه من الزجر عن القبيح ، والدعاء إلى الجميل . وقيل الموعظة : هو ما يدعو (١) بالرغبة ، والرغبة إلى الحسنة بدلا من السيئة . والهدى المذكور في الآية يحتمل معنيين :

أحدهما - أن يكون عبارة عن اللطف الذي يدعو إلى فعل الطاعة بدلا من المعصية ، لأنه بمنزلة الارشاد .

والآخر - الدلالة على طريق الرشd . وإنما أضيف إلى المتقين ، وإن كان هدى لجميع المكلفين ، لأنهم المنتفعون به دون غيرهم . ولا يجوز ان يقال : القرآن هدى وموعظة للفاجرين إلا بتفسير وبيان ، لأن في (٢) ذلك إبهاماً ، لا تتناءهم به فإن قيد بأنه دلالة لهم وداع لهم إلى فعل الطاعة ، وذكر ما يزيل الإبهام كان جائزاً . وينبغي أن يتبع في ذلك ما ورد به القرآن .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣٩) إِنْ يَمْسِكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ

١ في المخطوطة أ (بالموعظة ما يدعو) بإسقاط هو .

٢ في المخطوطة (أ) لأن ذلك بإسقاط هي .

تُدَاوِلْهَا بَيْنَ النَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) آيتان .

الفراءة ، واللفظ :

قرأ أهل الكوفة لإحفاصاً « قرح » بضم القاف . الباقون بفتحها . والفرق بينها أن القرح - بفتح القاف - الجراح ، والقرح - بالضم - ألم الجراح على قول أكثر المفسرين . وقيل هما لغتان .

المعنى ، والنزول :

وقال ابن عباس ، والحسن ، والربيع : القرح ما أصاب المسلمين يوم أحد وأصاب المشركين يوم بدر . وقال الزهري ، وقتادة ، وابن أبي نجيح : هذه الآية نزلت تسلياً للمسلمين لما فاتهم يوم أحد من القتل ، والجراح ، وكان سبب نزول الآية ما قدمنا ذكره من أن الله تعالى أراد أن يرعب الكفار ، فأمر المسلمين أن يتبعوا المشركين على ما بهم من الجراح ، والألم وحشهم على ذلك ونهاهم عن الوهن والحزن ، ووعدهم بأنهم الاعلون إن تمسكوا بالآيمان ، لأن المشركين كانوا هموا بالعود إلى المدينة ، والغارة فيها ، فلما بلغهم عزيمة المسلمين على تتبعهم خانوهم . وقال بعضهم لبعض يوشك أن يكون انضم إليهم من كان قعد عنهم ، وأعانهم أحلافهم من بني قريظة ، والنضير فدسوا نعيم بن مسعود الأشجعي وبذلوا له عشر قلائص على أن يثبط المسلمين عن تتبعهم ، ويقول : إنهم تجتمعوا وانضم إليهم حلفاؤهم ، وهم يريدونكم ولا طاقة لكم بهم ، وأسرعوا السير إلى مكة فأوحى الله بذلك إلى النبي (ص) وأعلمه ما قالوا لنعيم ، فلما قال لهم ما قال ، قال المسلمون : « حسبنا الله ونعم الوكيل » وفيهم نزلت الآية (١) « الذين قال لهم الناس إن

الناس قد جمعوا لكم « إلى قوله : « والله ذو فضل عظيم » (١) وما بعده . وإنما قال : « إن كنتم مؤمنين » مع أنهم كانوا مؤمنين للبيان عن ان الايمان يوجب تلك الحال ، وتقديره إن من كان مؤمناً يجب عليه ألا يهن ولا يحزن ، لثقتة بالله . ويحتمل أيضاً أن يكون معناه إن كنتم مصدقين بوعدى لكم بنصرتي إياكم حتى تستعلوا على عدوكم ، وتظفروا بهم .

اللفظ ، والاعراب ، والمعنى :

والوهن الضعف ، وهن يهن وهنا ، فهو واهن : إذا ضعف . وأوهنه يوهنه ايها ناك . وتوهن توهناً ، ووهنه توهيناً . والوهن : ساعة تمضي من الليل . والواهن عرق مستبطن جبل العاتق إلى الكتف .

وقوله : ﴿ وأنتم الأعلون ﴾ جملة في موضع الحال ، كأنه قال لا تحزنوا عالين أي منصورين على عدوكم ، ويحتمل أن لا يكون لها موضع من الاعراب ، لأنها اعتراض بوعد مؤكد ، وتقديره « ولا تهنوا ولا تحزنوا » « إن كنتم مؤمنين » « وأنتم » مع ذلك « الأعلون » .

وأصل الاعلون الأعلون ، فحذفت احدى الواوين استثقلاً ، وهي الاصلية وبقيت واو الجمع ، لأنها لمعنى . فأما في التثنية فتقول : إننا الاعليان ، فتقلب الواو ياء ، ولا تحذفها ، لأنه ليس هناك ضرورة .

وقوله : « ان يمسه » فإلمس هو اللمس بعينه ، وقيل الفرق بينها أن اللمس لصوق باحساس واللمس لصوق فقط (٢) وقال ابن عباس : معناه إن يصبكم (٣) .
وقوله : ﴿ وتلك الايام نداولها بين الناس ﴾ قال الحسن ، وقتادة ، والربيع ، والسدي ، وابن اسحاق : يصرفها مرة لفرقة ، ومرة عليها ، والدولة : الكرة

« ١ » سورة آل عمران آية : ١٧٣ .

« ٢ » في المطبوعة الواو ساكنة .

« ٣ » في المخطوطة أن التهم .

لمرقة بنيل المحبة . وادال الله فلاناً من فلان : إذا جعل الكرة له (١) عليه . وقال الحجاج : إن الارض ستدال منا كما ادلنا منها ، « ونداوها » إنما هو بتخفيف المحنة تارة وتشديدها أخرى بدليل « إن الله لا يحب الظالمين » ولو كانت المداولة بال نصر لا محالة ، للمؤمنين تارة وللكافرين تارة ، لكان محبهم من حيث هو ناصر لهم ، والعامل في قوله ، وليعلم الله محتمل أمرين : أحدهما - أن يكون محذوفاً يدل عليه أول الكلام ، وتقديره وليعلم الله الذين آمنوا نداوها .

الثاني - أن يعمل فيه « نداوها » الذي في اللفظ ، وتقديره نداوها بين الناس لضروب من التدبير « وليعلم الله الذين آمنوا » وخبر ليعلم محتمل أمرين : أحدهما - أن يكون محذوفاً وتقديره « وليعلم الله الذين آمنوا » متميزين بالايان من غيرهم ، ولا يكون على هذا يعلم بمعنى يعرف ، لأنه ليس المعنى على تعرف الذوات بل المعنى على أن يعلم تميزها بالايان .

والثاني - « وليعلم الله الذين آمنوا » بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم أي يعاملهم معاملة من يريد أن يعرفهم الله بهذه الحال . وقال أبو علي : معناه وليصبروا فعبر عن الصبر بالعلم . وقال البلخي « وليعلم الله » إيمانكم موجوداً أي تفعلونها ، فيعلمه الله كذلك . ومعنى قوله : « ويتخذ منكم شهداء » فيه قولان : أحدهما - قال الحسن ، وقتادة ، وابن اسحاق ، ليكرم بالشهادة من قتل يوم أحد .

الثاني - ويتخذ منكم شهداء على الناس بما يكون منهم من العصيان ، لما لكم فيه من التعميم ، والتبجيل - هذا قول البلخي والجبائي - والأول أقوى لأنه في ذكر القتل ، فإن قيل لم جعل الله مداولة الايام بين الناس ، وهلا كانت ابدأ لأولياء الله دون أعدائه ؟ فلنا ذلك تابع للمصلحة ، وما تقتضيه الحكمة أن يكونوا تارة في

شدة وتارة في رخاء فيكون ذلك داعياً لهم إلى فعل الطاعة ، واحتقار الدنيا الفانية المنتقلة من قوم إلى قوم حتى يصير الغني فقيراً ، والفقير غنياً ، والذبيه خاملاً ، والخالل نبيهاً ، فتقل حينئذ الرغبة فيها والحرص على جمعها ، ويقوي الحرص على غيرها مما نعيمه دائم ، وسروره غير منقطع . وقوله : « والله لا يحب الظالمين » (١) معناه لا يريد منافعهم ، وعلى مذهبنا ينبغي أن يكون ذلك مخصوصاً بالكفار ، لأنهم إذا كانوا مؤمنين ، فلهم ثواب . والله تعالى لا بد أن يريد فعل ذلك بهم ويحتمل أن يكون المراد بذلك « لا يحب الظالمين » إذا كانوا مؤمنين بحبة خالصة لا يشوبها إرادة عقابهم ، لأن ذلك يختص من لا عقاب عليه .

انتهى المجلد الثاني و يليه المجلد الثالث

وأوله :

﴿ ولنجس الله الذين آمنوا ... ﴾ (١٤١)

انفہر-----ارمن

الآيات المستشهد بها

الاحاديث

الردود

الامثال

المباحث اللغوية

الخطأ والصواب

المواضيع

وثمة فهرس مهمة اخرناها إلى آخر الكتاب منها :

فهرس آيات الاحكام ، فهرس القوافي ، فهرس الاعلام ، فهرس الامكنة . الخ .

فهرس اللبائ المسشرم ببرا

آية		صفحة
	(٢) سورة البقرة	
١٠٣	ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة	١٧
١٣٥	ان الله مع الصابرين	٣٩
٢٤٥	من ذا الذي يقرض الله	٤٥
١٦١	أو لك عليهم لعنة الله	٤٧
٢٩	ثم استوى الى السماء	٥٦
٢	هدى للمتقين	٢٨١-٢٤٥-١٩٦-٦٠
٢٣٢	اذا طلقتم النساء فبلغن	١٠٢
١٩٦	فمن كان منكم مريضاً أو به	١٢٣
١٩٣	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة	٢٠٧-١٤٣
١٩٤	فمن اعتدى عليكم فاعتدوا	٤٧٦-٢٤٧-١٥٠-١٤٨
١٨٥-١٨٤	فعدة من ايام آخر	١٥٦
٢٢٣	نساؤكم حرث لكم	١٨١
١٩	حذر الموت	١٨٤
٢٧٥	فمن جاءه موعظة من ربه	١٩١
١٧٨	فمن عفي له من أخيه	٢١٤
٢٣٩	فان خفتم فرجالاً أو ركبانا	٢١٦
١٩٧	الحج اشهر معلومات	٢٣٩

آية	صفحة
٢٢٩	٢٤٨
٩٨	٤٦٨-٢٥٠
٢٨٢	٢٥٨
٢٤٠	٢٦٢
١٧٥-١٦	٢٧٤
٢٤٧	٢٨٧
٢١٣	٣٢٢
٦٥	٣٣١
٢٢٩	٣٤٥
٢٧٨	٣٥٩
٣٩	٣٦٥
٢٨٦	٣٨٢-٣٩٦
١٧١	٣٨٣
٢٦	٣٩٥
٢٨٦	٣٩٦
١٢٤	٤٣٠
٢٥٨	٤٣٠
١١٨	٤٦١
٥٤	٥٠٣
١٣٦	٥٢٠
١٢٧	٥٥٢
٦١	٥٦٢
٢٢٠	٥٧٢

آية	صفحة
٢٧٥	٥٨٧
	وأحل الله البيع وحرم الربا
	(٣) سورة آل عمران
١٦٩	٣٥
	بل احياء عند ربهم
٢١	٥٦٢-١٨٨
	ويقتلون النبيين بغير
١٤٧	٩٩
	وما كان قولهم
٣٥	١٠١
	ما في بطني محرراً
١٢٣	١٢٢
	ولقد نصركم الله ببدر
١٩	٤١٧-١٤٨
	ان الدين عند الله الاسلام
٩٧	٥٢١-١٥٥
	ولله على الناس حج البيت
١٧٣	١٦٩
	الذين قال لهم الناس
١٤	١٩٢
	زين للناس حب الشهوات
٣٧	٢٢٣
	انى لك هذا قالت
١١٨	٢٣٢
	لا يألونكم خبالا
١٧٥	٢٤٥
	انما الشيطان يخوف اولياءه
١٧٥	٢٤٦
	فلا تخافوهم وخانوني
١٨٦-١٢٥-١٢٠	٢٦١
	وان تصبروا وتتقوا
٤٧	٢٧١
	ولم يمسنني بشر
١٨١	٢٨٧
	لقد سمع الله قول الذين
١٨	٣٨٩
	قائماً بالقسط
٧٨	٣٩٧
	ويقولون هو من عند الله
١٠٨	٣٩٧
	وما الله يريد ظلاماً
٨	٣٩٩
	لا ترغ قلوبنا
٥٩	٣٩٩
	ان مثل عيسى عند الله

آية		صفحة
١٥٩	لا تفضوا من حولك	٤١٢
١١٨	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا	٤٣٤
٤٤	أيهم يكفل مريم	٤٤٦
٥٩ - ٤٧	كن فيكون	٤٦١
١٥٢	إذ تحسونهم باذنه	٤٧٢
٨٥	ومن يبتغ غير الاسلام	٥٣٨-٥١٨
٧١	يا أهل الكتاب لم تكفرون	٥٣٨
١١٢	إلا بحبل من الله وحبل	٥٤٥
١٤٠	ان يمسسكم قرح فقد	٥٨١
١٠٦	يوم تبيض وجوه وتسود	٥٨٩
١٣٣	وجنة عرضها السماوات والارض	٥٨٩
(٤) سورة النساء		
١٦٥	وما لهم به من علم إلا	٢٧
٨٠	ويقولون طاعة	٣٤
٤٢	فتيمموا صعيداً طيباً	٣٤٤-٧١
١٧	انما الله إله واحد	٨٤
٩	انما يأكلون في بطونهم ناراً	٨٨
١١	غير مضار	١١٠
٢٨	ولا تقتلوا انفسكم	١٣٨
٩٠	واقيموا الصلاة وآتوا	١٤٤
١٥٣	يا أيها الذين آمنوا آمنوا	١٨٦
٢٤	ومن يستطع منكم طولا	٢١٨

آية	صفحة
١٠٢-١٠٩	٢٣٩
١٩	٢٤٧
١٨	٢٤٧
٧٩	٢٧٥
٨٨	٣١١
١٩	٣١٩
٢٩	٣٩٥
٧٧	٣٩٧
٨٥	٣٩٩
٨٤	٤٤٦
١٧٠	٤٦١
٢	٤٧٣
١٧٥	٥٠٢-٥٠١
١٧	٥٢٧
٩١	٥٦١
١٠٨	٥٧٣
١١٥-٤٧	٥٨٧
١٤٤	٥٨٩
(٥) سورة المائدة	
٤	١٧٢-٨
١٢٠	١٢
٤٨	١٠٢
٤	١٠٢

آية		صفحة
٤	اليوم أكملت لكم دينكم	١٢٠
٩٣	إنما الحمر والبقر والانصاب	١٧٣-٢١٣
٣	فاذا حللتم فاصطادوا	٢٢٢
٩٨	فجزاء مثل ما قتل من النعم	٢٣٤
٥٧	من يرد منكم	٢٥٨
٢٢	وجعلكم ملوكاً وآناكم	٣١٧
٧	فتيمموا صعيداً طيباً	٣٤٤
٨٩-١١	الذين كفروا وكذبوا بآياتنا	٣٦٥
٩٤	فهل انتم منتهون	٤٢١
٥٤	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا	٤٢٤
١١٤	أوحيت الى الحوارين	٤٥٩
١١٣	فينفخ فيها فتكون طيراً	٤٦٨
٧٤	عموا وسموا كثير منهم	٥٦٥
	(٦) سورة الانعام	
١٢٢	أو من كان ميتاً فأحييناه	٣٤
٦٢	وإن جنحوا للسلم فاجنح	٤٣
٣٠	ولو ترى إذ وقفوا على ربهم	٦٥
٢٧	ولو ترى إذ وقفوا على النار	٦٥
٧٥	وكذلك نرى ابراهيم	١٢٧
١٠٤	قد جاءكم بصائر	١٩١
٩٣	والملائكة باسطوا أيديهم	٣٨٣
٦٨	فلا تقعد بعد الذكرى مع	٤٣٤
١٩	وأوحى إليّ هذا القرآن	٤٥٩

آية		صفحة
٧٣	كن فيكون	٤٦١
٢٨	ولو ردوا لعادوا لما	٥٢٥
٧٥	وليكون من الموقنين	٥٢٩
١٠٣	لا تدركه الابصار	٥٩٠
(٧) سورة الاعراف		
١٧١	أن تقولوا يوم القيامة	٤٤
١٧٥	ولكنه أخذ الى الارض	٥٢
٥	فلنساءن الذين أرسل	٦٥
٨١	وما كان جواب قومه إلا	٩٩
٦٤	والى عاد أخاهم هوداً	١٠٢
٤٣	ونادى أصحاب الجنة	١٢٢-٤٠٣
١٤١	فتم ميقات ربه	١٤١
١٢٧	والعاقبة للمتقين	١٦١
٣٢	قل إنما حرم ربي الفواحش	٢١٣
٩٤	حتى عفوا	٢١٤
١٣٦	وما كانوا يعرشون	٣٢١
١٤٢	رب ارنى انظر اليك	٣٣٠
٣٦	قالوا ضلوا عنا	٣٧٤
١٨٦	يسأؤونك عن الساعة	٣٩٥
٥٣	ثم استوى على العرش	٣٩٦
١٥٧-١٥٦	النبي الامي	٤٢١
٣٩	حتى يابح الجمل في سم	٤٣١

آية	صفحة	آية	صفحة
٢٢	٢٦-٤٠٢ حتى اذا كنتم في الفلك	١٩٨	٤٣٤ واعرض عن الجاهلين
٢٤	٣٣٥ كأن لم تفن بالامس		(٨) سورة الانفال
٤٤	٣٩٥ ان الله لا يظلم الناس	٦٢	٤٣-٢٦٠ وان جنحوا للسلم
٣	٣٩٦ ثم استوى على العرش	٦٥	ولو ترى إذ يتوفى الذين
٣٥	٤٧٣ هل من شركائكم من يهدي	١٤٥	١٤٥ فاما تثقفنهم في الحرب
	(١١) سورة هود	٢٤٥	٢٤٥ تخافون ان يتخطفكم الناس
٣٧	٥٧ واصنع الفلك بأعيننا	٤٠٩	٤٠٩ واذ يريكم اذ التقيتم في
٥٠	١٠٢ والى عاد أخاهم هودا	٥٥٧	٥٥٧ واذا ذكر اذا انتم قليل
٦٧	١٩١ واخذ الذين ظلموا الصبيحة		(٩) سورة التوبة
٤٣	٥٤٣ لا عاصم اليوم من أمر الله	٦٠	٦٠ فيسخرون منهم سخر الله منهم
	(١٢) سورة يوسف	١٢٢	١٢٢ لقد نصركم الله في موطن
٤	٤٨ والشمس والقمر رأيتهم لي	١٥٠	١٥٠ وقاتلوا المشركين كافة
٨٦	٥٨ اشكر بتي وحزني الى الله	٢٠٧	٢٠٧ فاقتلوا المشركين حيث
١٠٩	٧٥ أفلم يسيرا في الارض	٦٨	٣٨٩ نسوا الله فذسيهم
١٩	١٣٩ فأدلى دلوه	٤٣١	٤٣١ ولم يتخذ من دون الله
٧٦	١٤٨ ما كان ليأخذ اخاه في	٤٣٤	٤٣٤ يا أيها النبي جاهد الكفار
٢٠	١٧٥-١٨٤ وشروه بثمن بخس	٤٤٢	٤٤٢ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
٤٤	٢٣١ أضغاث احلام	٤٤٤	٤٤٤ ولا وضمووا خلالكم
٤٩	٣٤٢ فيه يغاث الناس وفيه	٤٨٨	٤٨٨ اتخذوا احبارهم ورهبانهم
٨٢	٤٤٠ واسأل القرية	٥٨٤	٥٨٤ قاتلوا الذين يلوونكم
١٠٩	٤٥٧ وما أرسلنا من قبلك إلا		(١٠) سورة يونس
٢٦	٥١٦ ان كان قبضه قد من	٧٥	٧٥ أثم اذا ما وقع
٨٤	٥٩٣ وابيضت عيناه من الحزن	٥١	

آية	صفحة	آية	صفحة
٣٠	٤٧٦	(١٣) سورة الرعد	
١٠٦	٥٤٣	٨	٨٤
١٢	٥٥٢	١٢	١٦١
(١٧) سورة الاسرى		٣٥	٣٨٩
٣٣	١٠٣	٢٥	٥٥٢
٨	١٥٦	(١٤) سورة ابراهيم	
٤	١٧٠	٢٨	١٩٠
٤٨	٢٧٥	(١٥) سورة الحجر	
٥	٣٠٦	٤٥	١٧٥
١٣	٣٢٨	٣٩	٣١٢
٣٥	٣٩٩	٣٣، ٢٨، ١٦	٣٢٣
٢٣	٤٠٠	٥٤	٤٩٦
٣	٤٤٩	(١٦) سورة النحل	
(١٨) سورة النكهف		٧٧	٦٥
٤٣	١٤٩	٩٠	٧٣
٩٧	١٧٢	١٢٦	١٤٨
٤١	١٧٤	٨٣	١٩٠
٣٢	٢١١	٦	٢٥١
١٧	٢٨٦	٤٣	٤٥٧
٧	٤١١	٦٨	٤٥٨
٢٣	٤٤٥	٤٠	٤٦٠-٤٦٥
		٨١	٣٦٤

آية	صفحة	آية	صفحة
٣٠	٥٤٨	« ١٩ » سورة مريم	
	« ٢٣ » سورة المؤمنون	٤٤٩-٢٨٩	٤
١١٨	٤١٣-٨٨	٤٤٥	٤٦
١٠٩-١٠٨	٨٩	٤٥٩	١١
٥١	٣٩٦	٤٦١	٣٥
٩٢	٥١٢	٤٦٣	٣٠
	« ٢٤ » سورة النور	٥١٢	٣٥
٧	٢٤	« ٢٠ » سورة طه	
١٣٢	١٣٢	٦	٧٧
٢٣٣	٢٣٣	٣٩٥	٨٥
٢٤٥	٢٤٥	٥٤٠	١٠٧
٣٠٦	٣٠٦	« ٢١ » سورة الانبياء	
٣٦٤	٣٦٤	٥٧	٣٣
٣٧٣	٣٧٣	٥٨	٣٢
٤٧٦	٤٧٦	٩٨	٨٣
	« ٢٥ » سورة الفرقان	٤٥٧	٧
٩٣	٩٣	« ٢٢ » سورة الحج	
١٩٣	١٩٣	٧٥	٤٦
٢٥٧	٢٥٧	٣٦٥	٥٧
٣٦٤	٣٦٤	٣٧٧	٤١
٣٩٦	٣٩٦	٤٨٩	٢٥
		٤١٣	٧٢

آية	صفحة	آية	صفحة
٥	٢٥	« ٢٦ » سورة الشعراء	
٢٨	٢٤٥	٥٨٩ فكذبوا فيها هم	٩٨-٩٤
٣٩	٢٤٦	« ٢٧ » سورة النمل	
٥	٢٥٥	١٠ ولم يعقب	١٠
٤٨	٣٠٦	٢٦٦ ربك ليعلم ما تكن صدورهم	٧٤
٣٦	٤٨٩	٥٧٦-٥٠١ ردف لكم	٧٢
		٥٧٧ احطت بما لم تحط	٢٢
		« ٢٨ » سورة القصص	
٣٠	١٨٩	١٠ ولم يعقب	٣١
٢٥	٥١٨	٢٦٦ وربك يعلم ما تكن صدورهم	٦٩
٢٨	٥٩١	٢٩٨ واصبح فؤاد أم موسى فارغاً	١٠
		« ٣٢ » الم السجدة	
١٠	٤٩٥	٣١٠ ان فرعون علا في الارض	٤
١٢	٥٥٢	٣١٢ أغويناهم كما غوينا	٦٣
		« ٣٣ » سورة الاحزاب	
١	٣	٣٦١ لرادك الى معاد	٨٥
٣١	٦٤	٣٧٤ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما	٤٧
٤٨	١٤٤	٤٢٠ كل شيء هالك إلا وجهه	٨٨
٤٩	٢٤٢	« ٢٩ » سورة العنكبوت	
٣٠	٢٨٦	٣٣ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء	٤٥
١٣	٥٧٧	٥٠ ثم يوم القيامة يكفر بعضهم	٢٥
		« ٣٠ » سورة الروم	
		« ٣٤ » سورة سبأ	
٣	٥٦	١٧ ولان ارسلنا ريحاً فرأوه	٥١
		لا يعزب عنه مثقال ذرة	

آية	صفحة	آية	صفحة
٣٢	٥٨٢ إذ عرض عليه بالعشي	٣١	٦٥ ولو ترى إذ الظالمون
	٣٩ سورة الزمر	٥١	٦٥ ولو ترى إذ فزعوا
٦٩	٧ وجيء بالنبیین والشهداء	٣٧	١٧٥ وهم في الغرفات
٦٥	١٩-٥١٤ لئن أشركت ليحبطن		(٣٦) سورة يس
	٤٠ سورة المؤمن	٤١	٥٧ في الفلك المشحون
٥١	٧ يوم يقوم الاشهداء	٣٢	١٦٨ وان كل لما جميع لدينا
٨٢	٧٥ أفلم يسروا في الارض	٥١	١٨١ الى ربهم يفسلون
٢٠	٢١١ يقضي بالحق	١١	١٩٦ انما تنذر من اتبع الذكر
٢٥	٢٣٢ فتربصوا به حتى حين	٧٢	٢٧٧ فمنها ركوبهم
٨-٧	٤٠١ فأغفر للذين تابوا	٨٢	٤٦١ كن فيكون
٦٨	٤٦١ كن فيكون	٣٩	٥٧٤ والقمر قدرناه منازل
٨٥	٤١٨ فلم يك ينفعهم إيمانهم		(٣٧) سورة الصافات
٨٤	٥٢٨ فلما رأوا بأسنا قالوا	١٢٥	٢٤٠ اتدعون بعلا
٢	٥٢٨-٥٨٥ غافر الذنب وقابل	٤٩	٢٦٦ كأنهن بيض مكنون
	٤١ سورة حم السجدة	٦٥	٣٣٢ طلعهما كأنه رؤوس الشياطين
١٢	١٧٠ فقضاهن سبع سماوات	٩٩	٣٨٤ اني ذاهب الى ربي سيهدين
١٧	١٩٧-٣١٩-٥٤٧ وأما نمود	٧	٥٢٩ وفديناه بذبح عظيم
١٢-٩	٣٩٧ قل أنتم لتكفرون		(٣٨) سورة ص
٨	٥٢٦ إن الذين آمنوا وعملوا	٣٢	٦٢ أحببت حب الخير عن ذكر
	٤٢ سورة الشورى	١٠	٦٦ فليرتقوا في الاسباب
٢٣	٩٧ قل لأسألکم عليه أجرآ	٨١	١٤١ الى يوم الوقت المعلوم
		١٧	٤١٠ داود ذا الايدي

آية	صفحة	آية	صفحة
٢٩	٥٨٨	٤٠	١٤٨
	سبأهم في وجوههم	٤٨	وجزاء سيئة سيئة
	٤٩		٢٧٥
	سورة الحجرات	١١	فما أرسلناك عليهم
١٠	١٠١		٥٩٠-٣٩٦
	فأصلحوا بين أخويكم	٢٥	ليس كمثل شيء
١١	٣٨		٥٢٨
	ولا تلمزوا أنفسكم		وهو الذي يقبل التوبة
٩	٢٣٣		٤٣
	حتى تفيء إلى أمر الله		سورة الزخرف
١٧	٣٣٤	٤٤	٣١
	يمنون عليك أن أساموا		وإنه لذكر لك
١٤	٥١٨	٥٧	٢٠٧
	قالت الأعراب آمنا		إذا قومك منه يصدون
	٥٠	٦٨	٤٧٥
	سورة ق		يا عبادي لا خوف عليكم
	٥٤٠	٨٧	٥١٨
٣٧	أو التي السمع وهو		ولئن سألتهم من خلقهم
	٥١		٤٥
	سورة الذاريات		سورة الجاثية
٤١	٦	٢٢	٣٩٥
	وفي عاد إذ أرسلنا		وأضله الله على علم
	٥٢	٢٠	٤٨٩
	سورة الطور		أم حسب الذين اجترحوا
	٢٣٢		٤٦
٣٠	تتربص به ريب المنون		سورة الاحقاف
	٥٣	٣٥	٢٣٥
	سورة النجم		فأصبر كما صبر أولو العزم
٦	٢٤٣	١٥	٢٣٦
	ذو مرة فاستوى		وجمله وفصاله ثلاثون
	٥٤		٤٧
	سورة القمر		سورة محمد
٢٠	٣٤١	١٠	٧٥
	كانهم أعجاز نخيل		أفلم يسيروا في الأرض
	٥٥	٤	٣١١
	سورة الرحمن		فإذا لقيتم الذين كفروا
٥	١٧٤	١	٣٦٤
	الشمس والقمر بحسبان		الذين كفروا وصدوا
٢٢	٢٤٧	١٧	٣٩٥
	يخرج منها اللؤلؤ		والذين اهتدوا زادهم
			٤٨
			سورة الفتح

آية	صفحة	آية	صفحة
	٦٢ سورة الجمعة	٧٤	٢٧١ لم يطمئئن الناس
١٠	٢٢٢ فإذا قضيت الصلاة	٣١	٢٩٨ سنفرغ لكم ايها الثقلان
٢	٤٢١ هو الذي بعث في		٥٦ سورة الواقعة
	٦٣ سورة المنافقون	٣٠	٢٣٣ وظل ممدود
١٠	٤٨٩ فأصدق واكن من	٣٧	٣٣٧ عرباً اربابا
	٦٤ سورة التغابن	٢	٣٦٩ ليس لوقعتها كاذبة
١٠	٣٦٥ الذين كفروا وكذبوا	٢٥	٥٦١ لا يسمعون فيها لاغية
١٦	٥٤٣ فاتقوا الله ما استطعتم		٥٧ سورة الحديد
	٦٥ سورة الطلاق	٨	٢٨٩ وما لكم لا تؤمنون بالله
	٧٢-٦٤-١٩-٢١٤-٢٣٩-٢٨٣ يا أيها	١٩	٣٦٥ الذين كفروا وكذبوا
	النبي إذا طلقتم النساء	٤	٣٩٦ ثم استوى على العرش
	١	٢٨	٤٤٦ يؤتكم كغليل من رحمته
	٥٦-١٨٠ خاق سبع سماوات... ومن		٥٨ سورة المجادلة
	٤	٢٠-٥	١٣٦ ان الذين يجادلون الله
	٢٤٢ وألات الاحمال أجلهن	٤-٣	٢٧١ من قبل أن يتاسا
	٦	٢٢	٤٣٤ لا تجد قوماً يؤمنون
	٢٥٥ فان ارضعن لكم فآتوهن		٥٩ سورة الحشر
	٣٩٦ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها	٢	١٨٨ فاتاهم الله من حيث
	٦٦ سورة التحريم		٦١ سورة الصف
	٩	٥	٣٩٩-٤٠١ فلما زاغوا أزاغ الله
	٤٣٤ يا أيها النبي جاهد		
	٦٧ سورة الملك		
	٧		
	٥٦ خلق سبع سماوات		
	٣		
	٤٤٥ وجعلناها رجوماً للشياطين		
	٨		
	٥٨٩ كلما التي فيها فوج		

آية	صفحة	آية	صفحة
	٧٨ سورة النبأ		٦٩ سورة الحاقة
١٠	١٣٣ وجعلنا الليل لباسا	٧	٣٤١ كأنهم اعجاز نخل خاوية
٣٦	٧٤ عطاء حسابا		٧١ سورة نوح
٦	١٨٢ والارض مهادأ	٢١٠	٢١٠ ما لكم لا ترجون لله وقارا
١٤	٣٤٢ وأنزلنا من المعصرات ماء	١٧	٣٣٢ والله أنبتكم من الارض
١	٤٩٦ عم يتساءلون		٧٢ سورة الجن
	٧٩ سورة النازعات	١٥	٣٧٥ وأما القاسطون فكانوا
٤٥	٦٠-١٩٧-٢٥٤ إنما انت منذر من		٧٣ سورة المزمل
٤١	٢٧٣-٣١٢ فان الجنة هي الأوى	١٦	٣٣٧ فاخذناه أخذاً وبيلا
٤٢	٣٩٥ يسألونك عن الساعة		٧٤ سورة المدثر
	٨٠ سورة عبس	٨٤	١٠٨ والصبح إذا أسفر
١٧	٩٢ قتل الانسان ما أ كفره	٤٩	٢٨٩ فما لهم عن التذكرة معرضين
٣٨	١١٨ وجوه يومئذ مسفرة		٧٥ سورة القيامة
١٥	١١٨ بأيدي سفره	٢٥	٣٦٩-٣٤٧ تظن ان يفعل بها
٤١	٢٧٠ ترهقها فترة	٢٢	٤٧٦ وجوه يومئذ ناضرة
٢٢	٣٢٥ ثم اذا شاء انشره		٧٦ سورة الدهر
	٨١ سورة التكويد	٣٠	٣٩٧ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله
٢٩	٣٩٧ وما تشاؤون إلا أن يشاء		٧٧ سورة المرسلات
	٨٣ سورة المطففين	٥١	٥١ ولا يؤذن لهم فيعتذرون
٢٩	١٩٢ ان الذين اجرموا كانوا	١١	١٤١ واذا الرسل أقتت
٣٤	١٩٢ فاليوم الذين آمنوا من	٢٥	٢٣٣ ألم نجعل الارض كفانا

آية	صفحة	آية	صفحة
٩	١٣٠	٨٥	سورة البروج
	٩٠	٥	٢٠٤ قتل أصحاب الاخدود
١٦	٣٣٦	٨٦	سورة الطارق
٦	٣٩٨	٣٣٧	٧ من بين الصلب والترائب
	٩٢	٨٨	سورة الغاشية
١٥	٥٨٩-١٠	٤١	٤ تصلى ناراً حامية
	٩٥	٥٠٧	٢٦ ثم ان علينا حسابهم
٦	٣٣٣	٨٩	سورة الفجر
	١٠١	٢٥	١٤ إن ربك لبالمرصاد
٤	٥٨		

٢ - فهرس الامهات

صفحة	
٤٦	قال (ص) : من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجحيم يوم القيامة
٩٨	قال (ص) : جهد المقل على ذي القرابة الكاشح
١٠٨	قال (ص) في معرض الوصية : والثلت كثير
١١٧	قال أبو عبد الله (ع) : كان أبي لا يصوم في السفر وينهى عنه
١١٧	قال (ص) الصائم في السفر كالمفطر في الحضر

- ١١٩ قال أبو عبد الله (ع) ذلك في الشيخ الكبير يطعم لكل يوم مسكيناً
- ١٢١-١٢٢ عن أبي عبد الله في معنى « أنزل فيه القرآن »
- ١٢٣ عن علي (ع) في أحكام الصيام والسفر
- ١٣١ عن أبي عبد الله (ع) في معنى « وليؤمنوا بي »
- ١٣٧ قصة خوات بن جبير ، وقصة أبي قيس بن صرمة
- ١٣٨ روايتان عنها (ع) في معنى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل »
- ١٤٢ عن أبي جعفر (ع) في معنى « وليس البر بأن تأتوا البيوت ... »
- ١٤٤ عن أئمتنا (ع) أن « قاتلوا في سبيل الله » ناسخ لـ « كفوا أيديكم »
- ١٥٣ عن أبي عبد الله في معنى « إن الله يحب المحسنين »
- ١٥٥ عن علي وعن علي بن الحسين (ع) في معنى « وآتوا الحج والعمرة »
- ١٥٩ روايات في احكام الحج والعمرة .
- ١٦٢ اشهر الحج - عندنا - على ما روي عن أبي جعفر (ع)
- ١٦٨ عن أبي جعفر (ع) في معنى « لاجنح عليكم ان تبتغوا فضلا من ربكم »
- ١٦٩ عن أبي جعفر (ع) في معنى « ثم افيضوا من حيث أفاض الناس »
- ١٧٧ عن أبي عبد الله (ع) في معنى « فمن تعجل في يومين ... »
- ١٨٣ عن أبي جعفر (ع) أن الآية نزلت في علي (ع) حين بات على فراش ..
- ١٨٣ عن علي (ع) أنها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٢٠٧ عن النبي (ص) في مكة : (إن الله أحلها هذه الساعة ...)
- ٢١٤ عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) في معنى « العفو »
- ٢٢٦ المروي عن أئمتنا في تفسير « لا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم »
- ٢٢٨ عنها (ع) في معنى « لا يؤاخذكم الله في اللغو ... »
- ٢٣٤ المروي عن علي (ع) في تفسير « يؤلون ... »

	صفحة
عن علي (ع) في معنى « قروء .. »	٢٣٧
رواية مرسلة في معنى القرء	٢٣٩
عن النبي (ص) وابي جعفر وابي عبد الله (ع) في الطلاق	٢٤٤
عن ابي عبد الله (ع) في من يخاف أن تعصي الله امرأته فيه	٢٤٦
عن النبي (ص) إن أظهرت الصدقة فحسن وإن ...	٢٤٧
عن ابي جعفر (ع) في معنى « فأن طلقها فلا تحل له ... »	٢٤٨
عن النبي (ص) : من طلق لاعباً أو اعتق ...	٢٥١
روايات متعددة في معنى « متعوهن »	٢٦٩
روايات متعددة في معنى « أو يعفو الذي بيده ... »	٢٧٢
روايات في المعنى بالصلاة الوسطى « وقوموا لله قانتين »	٢٧٦
عن النبي (ص) أولئك الملا من قريش لو رأيتهم ...	٢٨٨
روايتين في التابوت الذي هو علامة الملك	٢٩٢
عن علي وابي جعفر (ع) : يدفع الله بالبر عن الفاجر	٣٠١
روايات في معنى الكرسي	٣٠٩
عن النبي (ص) : المنان بما يعطي « لا يكلمه الله ... »	٣٣٤
قال (ص) لا تقوم الساعة حتى يظهر التحوت	٣٤٢
عن أبي عبد الله (ع) : للشيطان لمة وللملك لمة فامة ...	٣٤٧
عن أبي عبد الله (ع) إن الاخفاء في النوافل	٣٥١
قال (ص) : نعم المال الصالح للرجل الصالح	٣٥٣
عن أبي جعفر (ع) أن « للفقراء الذين احصروا » نزلت في أصحاب الصفة	٣٥٥
عن أبي جعفر (ع) « الذين ينفقون ... » نزلت في علي (ع)	٣٥٧
عن النبي (ص) يعدد الاشياء التي فيها رباً	٣٥٩

	صفحة
عن أبي عبد الله (ع) في سبب التشديد على الربا	٣٦٢
عن النبي (ص) في الطيب والخبيث من الصدقة	٣٦٣
عن أبي جعفر (ع) . إن الوليد بن المغيرة كان يربي ...	٣٦٥
قال أبو جعفر (ع) (في المديون : إلى ان يبلغ خبره الامام ...	٣٦٩
عن أبي عبد الله (ع) في معنى الاعسار	٣٦٩
روي ان النبي (ص) اشترى طاماً نساء ، ورهن درعاً	٣٨٠
قال (ص) : تجوز لهذه الأمة نسيانها وما حدثت ..	٣٨٢
عن علي وأبي عبد الله (ع) في عدد المشركين يوم بدر	٤٠٨
عن النبي (ص) في أشد الناس عذاباً	٤٢٢
قال (ص) : أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ...	٤٢٢
عن أبي عبد الله (ع) في معنى « يخرج الحي ... »	٤٣٢
عن النبي (ص) في حكم التقية في الدين	٤٣٥
عن أبي عبد الله (ع) : الذين اصطفاهم الله بعضهم من بعض	٤٤٢
قال (ص) : فضلت خديجة ... ايضاً : حسبك من نساء ...	٤٥٦
قال (ص) الزبير ابن عمتي وحواري	٤٧٣
عن أبي عبد الله في معنى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم ... »	٤٤٨
عن أبي عبد الله (ع) : إن اليهود قالت .. وقالت النصارى	٤٩٢
عن أبي عبد الله (ع) « أفغير دين الله تبغون » نزلت في الحارث ...	٥١٩
عن علي وأبي عبد الله (ع) في معنى « إن أول بيت وضع للناس »	٥٣٥
عن أبي جعفر (ع) : من دخله (يعني الحرم) عارفاً ...	٥٣٧
عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) في من وجب عليه الحد فلاذ بالحرم	٥٣٧
قال (ص) : أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها ...	٥٥٧

٥٩٢ قال (ص) : سبحان الله إذا جاء النهار فابن الليل .

فهرس الردود

- ٨-٧ رد على من يدعي أن قوله تعالى « وجعلناكم أمة وسطاً » دليل على حجية الاجماع .
- ٤-١٢ أدلة وأجوبة على جواز النسخ
- ١٨ رد على من يقول أن الوعيد لا يكون بشرط . وعلى القول بالموافاة .
- ١٩-١٨ ابطال قول المجبرة في اللطف بانه لو فعل بالكافر لآمن
- ٢١ رد على الرماني في تفصيله بين العلم والمعرفة
- ٥٣ رد على الرماني في تفسير كلمة « إله »
- ٥٨ جواب من يسأل هل السحاب بخارات تصعد من الارض
- ٧٤ رد على من قال : إن المعارف ضرورة
- ٨٦ رد على الرماني في تأويل « فن اضطر غير باغ ولا عاد »
- ٩٠ رد على الرماني في تعريف الكلام .
- ١٠٧-١٢٠-١٢٥ رد على المجبرة في أقوالهم .
- ١٨٧-١١٨ رد على المجبرة في قولهم : - ان الله (تعالى) يريد القبيح
- ٣٠٢-١٩٠ رد على المجبرة في قولهم : - ليس لله على الكافر نعمة
- ١٩٤ جواب من يورد اشكالا على القول أن الزمان لا يخلو من حجة
- ١٩٥-١٩٤ اسئلة واجوبة حول الاختلاف والكفر والايمان .
- ١٩٩ جواب من يسأل ما معنى قول الرسول والمؤمنين « متى نصر الله »
- ٢١٠ محاججات حول من مات وهو مصر على الذنب
- ٢١٦ رد على المجبر والمفوضه - في سلب القدرة . والظلم .

	صفحة
رد على المجبرة ، في قولهم : - يحسن تكليف مالا يطاق -	٢٥٧
رد على من يقول الامامة وراثته واثبات كونها اختيار من الله للاعلم الاتقى .	٢٩٢
رفع شبهة المجبرة في « ولو شاء الله ما اقتتل الذين ... »	٣٠٤
رد على المجسمة أو رفع شبهتهم	٣١٠
رد على المجبرة في قولهم : - في المخلوق والارادة .	٣١٥
دفع ما يرد على قول ابراهيم (ع) في محاجة الكافر	٣١٨-٣١٧
رد على الجبائي ، ومن يقول : لا تجوز المعجزة على يد غير نبي .	٤٥٧-٣٢٢
رد على من يقول : ان ابراهيم (ع) كان شاكاً في احياء الله الموتى	٣٢٧
جواب من يسأل : لماذا أجيب ابراهيم دون موسى	٣٣٠
دفع شبهة الاحباط	٥٢٥-٥٢٢-٣٥٣-٣٣٦
إفساد قول المجبرة بالاستطاعة	٣٥٧
رد على الرماني ومن تبعه من المعتزلة في الارتداد	٣٥٨
محاورات في تأويل الآيه (٢٧٧)	٣٦٥-٣٦٤
رد على الطبري في تأويل « الشهداء » .	٣٧٥
دلالة واضحة على فساد أقوال المجبرة .	٣٨٤
رد على البلخي في قوله : كان يجوز أن يؤخذ الله على النسيان .	٣٨٥
جواب من يسأل لماذا لم ينزل القرآن كله محكماً .	٣٩٦
جواب من يسأل كيف يكون المحكم حجة مع جواز تقييده	٣٩٧
جواب من يقول كيف تقولون « ليس كمثل شيء » محكم .	٣٩٨
رد على الرماني في رده على البلخي في قوله : لا يجوز الوعيد بغير شرط	٤٠٦
جواب على سؤال عن منافات ظاهر الآيه لعدم خلود المؤمن العاصي بالنار	٤١٤

	صفحة
بيان الايمان عند المعزلة ، وانه عندنا بخلافه	٤١٨
رد على من يقول : إن افضل الاعمال انكار منكر يقتل عليه	٤٢٢
جواب إشكال على ظاهر « توفي كل نفس ما كسبت » وانه لا يصح كسب مالا نهائية .	٤٢٨
دفع ابرادات على ظاهر « قل اللهم مالك الملك تؤتي ... »	٤٣٠
رد على المجبرة في قولهم بالجبر	٤٣٩
جواب من يقول : كيف جاز التفضيل قبل العمل	٤٤٠
رد على اختيار الجبائي تأويل « وجد عندها رزقاً »	٤٤٨
دفع ما يرد على مراجعة زكريا السؤال بعد البشارة	٤٥٣
جواب من يسأل كيف جحد النصارى كلام المسيح في المهد . وإبحاث آخر .	٤٦٣
افساد رأي من يقول : إن (كن) سبب لحدوث الاشياء	٤٦٠
حجة على النصارى مذكورة في كتبهم الموجودة	٤٧٢
رد على المجبرة في قولهم : ان الله يريد الظلم	٤٨٠
رد على من حرم النظر في العقائد	٤٨٢
دفع شبه واثبات ان الحسن والحسين أفضل الامة بعد جددها وابيها .	٤٨٥
رد على من يقول : إذا لم يكن ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً فيجب أن لا يكون مسلماً .	٤٩٢
دفع ما يوهم صحة قول أصحاب المعارف ، وابطال قولهم .	٤٩٩
يقول إن النبوة غير مستحقة بالافعال ويدفع ما يرد على ذلك .	٥٠٣
رد على المجبرة في ادعائهم ان المعاصي فعل الله ودفع ابراداتهم .	٥٠٩-٥١٠
اثبات عصمة الانبياء ودفع الشبه عن ذلك .	٥١٣
ابطال دليل الطبري في أن الذي يؤمن عند الموت يستحق الغفران	٥٢٧

صفحة

أسئلة واجوبة ومجاجبات حول الاجتهاد	٥٥٠-٥٣٢
رد على المجبرة في قولهم الاستطاعة مع الفعل	٥٣٨
أسئلة وأجوبة عن قوله تعالى « النار التي اعدت للكافرين »	٥٨٨
جواب من يسأل إذا كانت الجنة عرض السماوات والارض ، فأين تكون النار .	٥٩٢

٤ - الامثال

احلب حلباً لك شطره .	١٥
بالشكر تكثرى النعم	٢٣
البطنة تذهب الفطنة	٨٩
القتل أنقى للقتل	١٠٥
الرائد لا يكذب أهله	١٢٤
لا ناقة لي في هذا ولا جمل	٣٥٨
من عز بزّ	٣٩٢
الذود الى الذود إبل	٤٧٣
رهبوتى خير من رحموتى	٤٩٦

٥ - المباحث اللغوية

الفرق بين إن ولو .	١٨
الفرق بين لكن ولو .	٣٥
الفرق بين الحسرة والندامة .	٦٩
بحث في حيث ومد وإذ .	١٤٥

	صفحة
بحث في اشتقاق الهدي .	١٥٧
بحث في عرفات واشتقاقها .	١٦٧
الفرق بين القول والحكاية ، وبحث في (وقى) .	١٧٢-٤١٥
بحث في « السلم » - بفتح السين وكسرهما -	١٨٥
بحث في (أم) و (بل) .	١٩٨
بحث في (لما) و (لم) .	٢٠٠
بحث في اللغا ، واللغو ، وجواب القسم .	٢٣٠
الفرق بين النية والظل .	٢٣٣
بحث في طالق وما جرى مجراها .	٢٣٥
بحث في (القرء) وما يحتمل من المعاني .	٢٣٨-٢٤٠
بحث في (تضار) وكيفية تضعيفها .	٢٥٧
الفرق بين الكن والاكنان .	٢٦٦
في القنوت : هل هو من الدوام أو من الطاعة ...	٢٧٦
بحث في (ما) و (أن لا) .	٢٨٩
اللغات في (بهت) ، وفي ابراهيم .	٣١٨
بحث في (صار يصور) ، و (صار يصير) .	٣٢٩
في اشتقاق صفوان وتأنيثه وجمعه .	٣٣٧
اللغات في (ربوة) ، والفرق بين الاكل والامُكل .	٣٣٩
الفرق بين المحبة ، والتمني ، واستعمال (لو) و (أن) معها .	٣٤١-٤٩٤
بحث في فَعَلَ وفَعُلَ وفَعُلَ وفَعُلَ .	٣٧٩-٣٨٠
بحث في (توراة) هل هي من فوعلة أو تفعله .	٣٩١
بحث في (ذرية) .	٤٤١

	صفحة
بحث في وزن آية .	٤٤٥
بحث في ابدال الذال دالا في (تدخرون) ونظائرهما .	٤٦٩
اكثر ما يجيء فعلا من فعل وبحث في ياء النسبة .	٥١١
بحث في (أمة) وما لها من معان .	٥٤٨
الفرق بين السرعة والمجالة .	٥٦٦
بحث في فاعيل وفعلاء ، وفعيل وأفعلة .	٥٧٨
بحث في (أعلن) .	٦٠١

٦ — الخطأ والصواب

صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ
والثوب	٢٠٣	٩	والثوت	معيناً	٥	٥	معيناً
الظرف	٢١٤	٢٠	الضرف	قبلتك	١٩	١٩	قبلتك
الافظين	٢٢٣	٨	اللفظين	عنوان وأرسلنا منكم	١٥٠	٣٠	عنوان وأرسلنا منكم
وروه	٢٣٧	١٨	وروه	كما أرسلنا فيكم	١٥١		كما أرسلنا فيكم
وأورثه	٢٥٩	٨	ووأرثه	من الجوع من الخوف	٢٠	٣٦	من الجوع من الخوف
وان	٣١٥	٩	ان	والجوع			والجوع
بسبعائة	٣٣٢	٣	بسبعائة مائة	يقدرون	٤	٣٨	يقدرون
الراية	٣٣٩	١٤	ولراية	زيد	١٥	٤٢	زيد
عنوان ربنا آمنا (٥٣)	٤٧٦		عنوان	إنسختان		٦٨	حاشية نسختين
ومكروا ومكر (٤٥)			عنوان	المشركون	٨	١٥٠	المشركين
فن	٤٨٤		عنوان	حساناً	١٣	١٧٤	حساناً
يا أيها ٤٩ يا أهل ٦٤	٤٨٨		عنوان	الخصومة	١٧	١٧٨	الخصومة

صفحة	سطر	خطاً	صواب	صفحة	سطر	خطاً	صواب
٤٨٨	٢	يا أيها	يا أهل	٥٦٥	١٠	يا مهرون	ويا مهرون
٥٠٧	٧	يجتمع	يجتمع	٥٦٧	١٧	أمرهم	أمرهم أمر
٥١١	٢	وقالوا	وقال	٥٧٢	١٧	قالوا	قالوا
٥١٢	عنوان	يتخذوا	تتخذوا	٥٩٧	١٢	ذ	إذ
٥١٨	٢١	يتبع	يتبع				

٧ — المواضع

صفحة	آية	صفحة	آية
٣	سيقول السفهاء من الناس	٣٦	ولنبلونكم بشيء من الخوف
٥	وكذلك جعلناكم أمة	٣٩	الذين إذا أصابتهم مصيبة
١٣	قد نرى تقلب وجهك في	٤٠	أولئك عليهم صلوات
١٧	ولئن أتيت الذين أوتوا	٤١	إن الصفا والمرورة من شعائر
٢٠-٢١	الذين آتيناهم الكتاب	٤٥	إن الذين يكتفون ما أنزلنا
٢٢	الحق من ربك فلا تكونن	٤٨	إلا الذين تابوا وأصلحوا
٢٣	ولكل وجهة هو موليها	٤٩-٥٠	إن الذين كفروا
٢٥	ومن حيث خرجت فول	٥١	خالدين فيها لا يخفف
٢٦	ومن حيث خرجت فول	٥٣	وإلهكم إله واحد
٢٨-٢٩	كما أرسلنا فيكم رسولا	٥٤	إن في خلق السموات
٣١	فاذكروني أذكركم	٦١	ومن الناس من يتخذ
٣٣	يا أيها الذين آمنوا استمعوا	٦٥	إذ تبرا الذين اتبعوا
٣٤	ولا تقولن لمن يقتل في	٦٧	وقال الذين اتبعوا

آية	صفحة	آية	صفحة
١٩٢	١٤٦	١٦٨	٧٠
١٩٣	١٤٧	١٦٩	٧٢
١٩٤	١٤٩	١٧٠	٧٥
١٩٥	١٥١	١٧١	٧٧
١٩٦	١٥٣-١٥٤	١٧٢	٨١
١٩٧	١٦٢	١٧٣	٨٣
١٩٨	١٦٦	١٧٤	٨٧
١٩٩	١٦٨	١٧٥	٩٠
٢٠٠	١٧٠	١٧٦	٩٢
١٠	١٧١	١٧٧	٩٤
٢٠٢	١٧٣	١٧٨	٩٩
١٧٤-١٧٥	١٧٤	١٧٩	١٠٤
٢٠٣	١٧٧	١٨٠	١٠٧
٢٠٤	١٧٩	١٨١	١١٠
٢٠٥	١٨١	١٧٢	١١١
٢٠٦	١٨٣	١٨٣	١١٤
٢٠٧	١٨٥	١٨٤	١١٥
٢٠٨	١٨٧	١٨٥	١٢٠
٢٠٩	١٨٨	١٨٦	١٢٨
٢١٠	١٨٩	١٣١-١٣٢	١٨٧
٢١١	١٩١	١٣٨	١٨٨
٢١٢	١٩٣	١٤٠	١٨٩
٢١٣	١٩٣	١٤٣	١٩٠
٢١٤	١٩٧-٩٨	١٤٤	١٩١

آية	صفحة	آية	صفحة
٢٣٨	حافظوا على الصلوات	٢١٥	يسألونك ماذا ينفقوا
٢٣٩	فإن خفتم فرجالاً أو ركبانا	٢١٦	٢٠٢-٢٠١ كتب عليكم القتال
٢٤٠	والذين يتوفون منكم	٢١٧	٢٠٤-٢٠٣ يسألونك عن الشهر
٢٤١	وللمطلقات متاع المعروف	٢١٨	٢٠٨ إن الذين آمنوا والذين
٢٤٢	كذلك يبين الله لكم	٢١٩	يسألونك عن الحمر والميسر
٢٤٣	ألم تر إلى الذين خرجوا	٢٢٠	٢١٤ في الدنيا والآخرة
٢٤٤	وقالوا في سبيل الله	٢٢١	٢١٧ ولا تكفوا المشركات
٢٤٥	من ذا الذي يقرض الله	٢٢٢	٢١٩ ويسألونك عن المحيض
٢٤٦	ألم تر إلى الملا من بني	٢٢٣	٢٢٢ نساؤكم حرث لكم فأتوا
٢٤٧	وقال لهم نبيهم إن الله	٢٢٤	٢٠٤ ولا تجعلوا الله عرضة
٢٤٨	وقال لهم نبيهم إن آية	٢٢٥	٢٢٨ لا يؤخذكم الله باللغو
٢٤٩	٢٩٤-٢٩٤ فلما فصل طلوت	٢٢٦	٢٣١ للذين يؤلون من نسائهم
٢٥٠	ولما برزوا لجالوت وجنوده	٢٢٧	٢٣٤ وإن عزموا الطلاق فإن الله
٢٥١	فهم موهم بأذن الله	٢٢٨	٢٣٧ والمطلقات يتربصن بأنفسهن
٢٥٢	تلك آيات الله تتلوها	٢٢٩	٢٤٢ الطلاق مرتان فأمسك
٢٥٣	تلك الرسل فضلنا بعضهم	٢٣٠	٢٤٨ فإن طلقها فلا تحل له
٢٥٤	يا أيها الذين آمنوا اتقوا	٢٣١	٢٥٠ وإذا طلقتم النساء فبلغن
٢٥٥	الله لا إله إلا هو الحي	٢٣٢	٢٥٢ وإذا طلقتم النساء فبلغن
٢٥٦	لا إكراه في الدين قد	٢٣٣	٢٥٤ والوالدات يرضعن
٢٥٧	الله ولي الذين آمنوا	٢٣٤	٢٦١ والذين يتوفون منكم
٢٥٨	ألم تر إلى الذي حاج	٢٣٥	٢٦٥ ولا جناح عليكم فيما
٢٥٩	أو كالذي مر على قرية	٢٣٦	٢٦٨ لا جناح عليكم إن طلقتم
٢٦٠	وإذ قال إبراهيم رب أرني	٢٣٧	٢٧٢ وإن طلقتموهن من قبل أن

آية	صفحة	آية	صفحة
٢٨٤	٣٨١	٢٦١	٣٣١
٢٨٥	٣٨٢-٣٨٣	٢٦٢	٣٣٣
٢٨٦	٣٨٤	٢٦٣	٣٣٤
	سورة آل عمران	٢٦٤	٣٣٥-٣٣٦
		٢٦٥	٣٣٨
١-١	٣٨٨	٢٦٦	٣٤٠
٣	٣٩٠	٢٦٧	٣٤٣
٤	٣٩١	٢٦٨	٣٤٦
٥	٣٩٢	٢٦٩	٣٤٨
٦	٣٩٣	٢٧٠	٣٤٩
٧	٣٩٤	٢٧١	٣٥٠
٨	٤٠١	٢٧٢	٣٥٣
٩	٤٠٢	٢٧٣	٣٥٥
١٠	٤٠٣	٢٧٤	٣٥٧
١١	٤٠٤	٢٧٥	٣٥٩
١٢	٤٠٥	٢٧٦	٣٦٢
١٣	٤٠٧	٢٧٧	٣٦٤
١٤	٤١٠-٤١١	٢٧٨	٣٦٥
١٥	٤١٣	٢٧٩	٣٦٧
١٦	٤١٤	٢٨٠	٣٦٨
١٧	٤١٥	٢٨١	٣٦٩
١٨	٤١٦	٢٨٢	٣٧٠
١٩	٤١٨	٢٨٣	٣٧٩

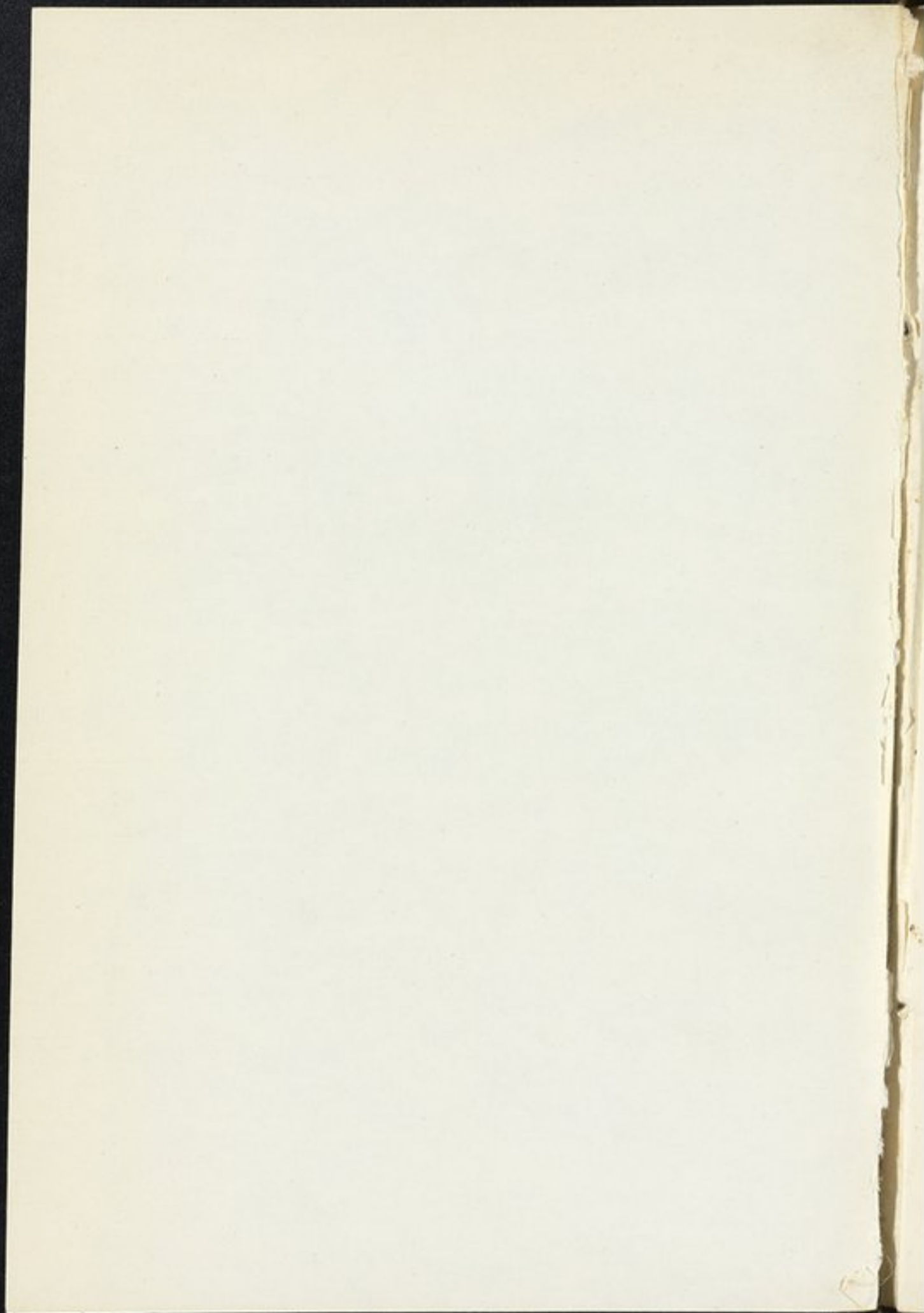
آية	صفحة	آية	صفحة
٤٣	٤٥٧ يا مريم اقمتي لربك	٢٠	٤٠ فان حاجوك فقل أسأمت
٤٤	٤٥٨ ذلك من أنباء الغيب	٢١	٤٠٢ ان الذين يكفرون بأيا الله
٤٥	٤٦٠ إذ قالت الملائكة يا مريم	٢٢	٤٠٣-٤٢٤ أرثك الذين حبطت
٤٦	٤٦٢ ويكلم الناس في المهد	٢٣	٤٠٥ ألم ترإلى الذين أتوا نصيباً
٤٧	٤٦٤ قالت ربي أنى يكون لى	٢٤	٤٢٦ ذلك بانهم قالوا لن تمسنا
٤٨	٤٦٥ ويملمه الكتاب والحكمة	٢٥	٤٢٧ فكيف إذا جمعناهم ليوم
٤٩	٤٦٦-٤٦٧ ورسولا إلى بنى	٢٦	٤٢٨ قل اللهم مالك الملك
٥٠	٤٧٠ ومصدقا لما بين يدي	٢٧	٤٣١ تولى الليل في النهار
٥١	٤٧١ إن الله ربي وربكم	٢٨	٤٣٣ لا يتخذ المؤمنون الكافرين
٥٢	٤٧٢ فلما أحس عيسى منهم	٢٩	٤٣٥ قل إن تخفوا ما في صدوركم
٥٣	٤٧٤ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا	٣٠	٤٣٦ يوم تجد كل نفس ما عملت
٥٤	٤٧٥ ومكروا ومكر الله	٣١	٤٣٧-٤٣٨ قل إن كنتم تحبون
٥٥	٤٧٧ إذ قال الله يا عيسى	٣٢	٤٣٩ قل أطيعوا الله والرسول
٥٦	٤٧٩ فأما الذين كفروا	٣٣	٤٤٠ إن الله اصطفى آدم
٥٧	٤٨٠ وأما الذين آمنوا وعملوا	٣٤	٤٤١ ذرية بعضها من بعض
٥٨	٤٨٠ ذلك تتلوه عليك من	٣٥	٤٤٢ إذ قالت امرأة عمران
٥٩	٤٨٢ إن مثل عيسى عند الله	٣٦	٤٤٣ فلما وضعتها قالت رب
٦٠	٤٨٣ الحق من ربك	٣٧	٤٤٤-٤٤٦ فتقبلها ربها بقبول
٦١	٤٨٤ فن حاجك فيه من بعد	٣٨	٤٤٨ هنالك دعا زكريا ربه
٦٢	٤٨٦ إن هذا هو القصص الحق	٣٩	٤٥٠ فنادته الملائكة وهو قائم
٦٣	٤٨٧ فان تولوا فان الله عليم	٤٠	٤٥٢ قال رب أنى يكون لى غلام
٦٤	٤٨٨ قل يا أهل الكتاب تعالوا	٤١	٤٥٤ قال رب اجعل لى آية
٦٥	٤٩٠ يا أهل الكتاب لما تحاجون	٤٢	٤٥٦ وإذ قالت الملائكة يا مريم

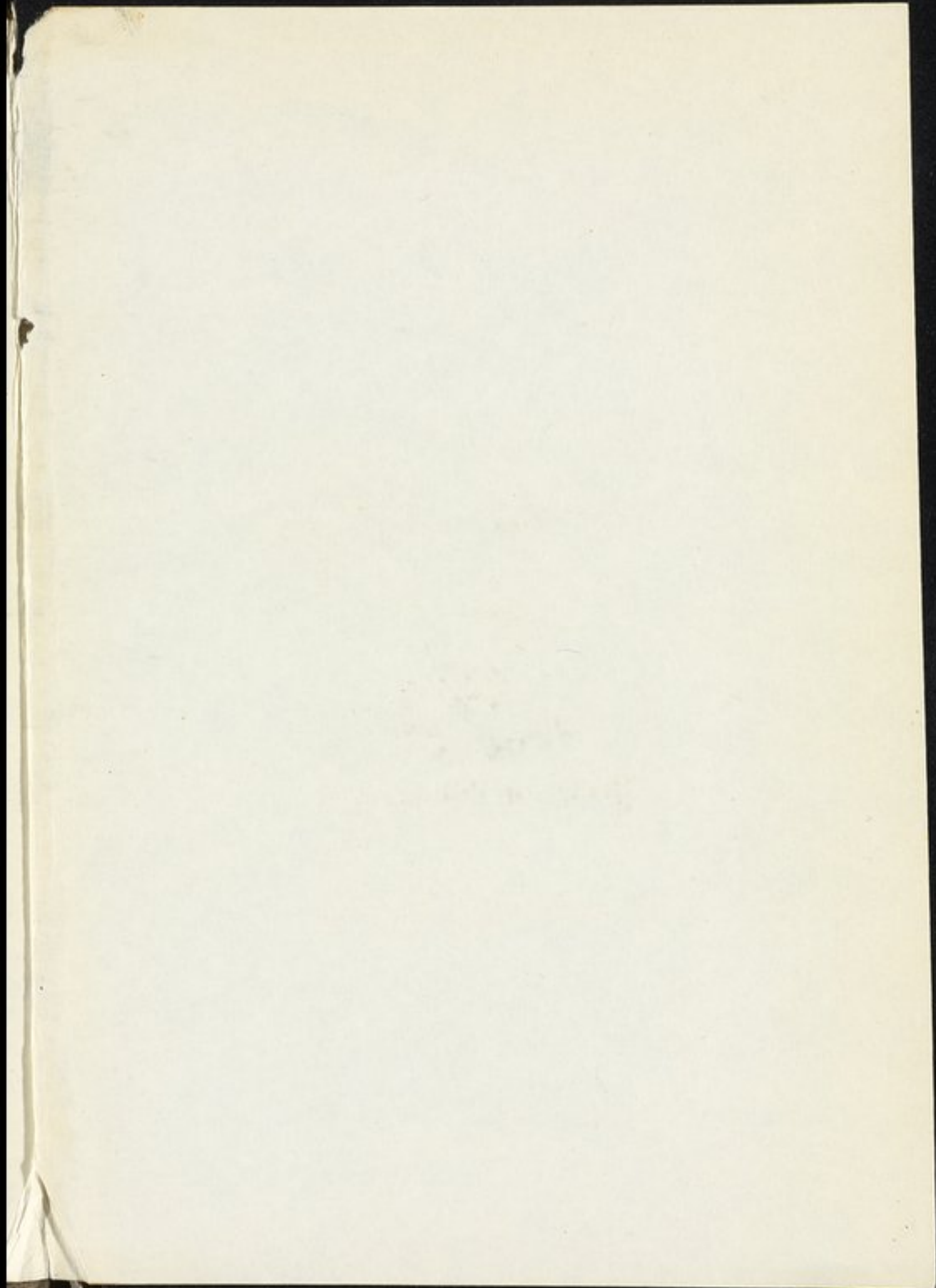
آية	صفحة	آية	صفحة
٨٩	٥٢٥	٦٦	٤٩١
٩٠	٥٢٦	٦٧	٤٩٢
٩١	٥٢٨	٦٨	٤٩٣
٩٢	٥٣٠	٦٩	٤٩٤
٩٣	٥٣١	٧٠	٤٩٦
٩٤	٥٣٢	٧١	٤٩٧
٩٥	٥٣٣	٧٢	٤٩٨
٩٦	٥٣٤	٧٣	٥٠٠
٩٧	٥٣٦	٧٤	٥٠٢
٩٨	٥٣٨	٧٥	٥٠٣
٩٩	٥٣٩	٧٦	٥٠٥
١٠٠	٥٤١	٧٧	٥٠٩
١٠١	٥٤٢	٧٨	٥٠٨
١٠٢	٥٤٣	٧٩	٥١٠
١٠٣	٥٤٥	٨٠	٥١٢
١٠٤	٥٤٧	٨١	٥١٣
١٠٥	٥٥٠	٨٢	٥١٦
١٠٦	٥٥٠	٨٣	٥١٧
١٠٧	٥٥٣	٨٤	٥١٩
١٠٨	٥٥٤	٨٥	٥٢٠
١٠٩	٥٥٥	٨٦	٥٢١
١١٠	٥٥٦	٨٧	٥٢٣
١١١	٥٥٨	٨٨	٥٢٤

آية	صفحة	آية	صفحة
١٢٥	٥٨٠	١١٢	٥٥٩
بلى إن تصبروا وتتقوا		ضربت عليهم الذلة أينما	
١٢٦	٥٨٢	١١٣	٥٦٢
وما جعله الله إلا بشري		ليسوا سواء من أهل	
١٢٧	٥٨٣	٩١٤	٥٦٥
ليقطع طرفاً من الذين		يؤمنون بالله واليوم الآخر	
١٢٨	٥٨٤	١١٥	٥٦٦
ليس لك من الأمر شيء		وما يفعلوا من خير فلن	
١٢٩	٥٨٦	١١٦	٥٦٧
ولله ما في السموات		ان الذين كرموا لن تغني	
١٣٠	٥٨٧	١١٧	٥٦٨
يا أيها الذين آمنوا		مثل ما ينفقون في هذه	
١٣٢-١٣١	٥٨٨	١١٨	٥٧٠
وانقوا النار التي أعدت		يا أيها الذين آمنوا	
١٣٣	٥٩١	١١٩	٥٧٢
وسارعوا إلى مغفرة		ها أنتم هؤلاء تحبونهم	
١٣٤	٥٩٣	١٢٠	٥٧٤
الذين ينفقون في السراء		إن تمسكم حسنة	
١٣٥	٥٩٤	١٢١	٥٧٥
والذين إذا فعلوا فاحشة		وإذ غدوت من أهلك	
١٣٦	٥٩٦	١٢٢	٥٧٧
اولئك جزاؤهم مغفرة		إذ همت طاعتان منكم	
١٣٧	٥٩٧	١٢٣	٥٧٨
قد خلت من قبلكم سنن		ولقد نصركم الله بيدير	
١٣٨	٥٩٩	١٢٤	٥٧٩
ولا تهنوا ولا تحزنوا		إذ تقول للمؤمنين ألن	









Library of



Princeton University.

